

دوامة عشق
رواية
بثينة عثمان
By: Asmaa Silver

دوامة عشق

رواية بقلم/ بثينة عثمان

جروب حلم-هن

"لنا مع الحرف حلم"

https://www.facebook.com/groups/7elmhon/?ref=bookmarks

دوامة عشق

رواية بقلم/ بثينة عثمان

تصميم غلاف/ أسماء سيلفر

تصميم قالب داخلي/ صابرين الديب

تصميم صفحات/ إيمان خليفة

المقدمة

لأنَّ خارطةَ العشقِ مزيجٌ مِنْ إنخفاضاتٍ وإرتفاعاتٍ..

هي مَن يُغرِقُنَا فِي دواماتِهِ..

يَجعلنا جزءًا لا يَتجزأ مِن مُكوناتِ أشجانِهِ..

نَشعرُ بالعشقِ

فيأخُذُنَا إلى أرضٍ خصبةٍ مِن الإحساسِ..

وهو العشقُ مجنونٌ.. ساحرٌ.. يخطفُ الأبصارَ..

فِي صراعِ القلوبِ عنيدٌ

بدايتُه نظرةٌ تُذيبُ العبراتَ

تبعثُ للحلمِ بعطرٍ فريدٍ



ليس للحبِ بدايةٌ.. وليس له نهايةٌ

ولنغرقْ في دوامةِ العشقِ

لتبدأَ الحكايةُ..

(١)

بداية

تقع مدينةُ الإسكندريةِ العصريةِ على شاطئِ مصر الشمالي إلى الغربِ من نهرِ النيلِ، حيث تلتقي الصحراء بالأبيض المتوسط، وتكمن رومانسية هذه المدينة في الماضي وليس في الحاضر.. فقد تردد في شوارعِ هذه المدينة على مدارِ ألفيِ عامٍ صدى أصواتِ عددٍ من أهمِ شخصياتِ التاريخِ القديمِ.

وقعت هنا أحداثُ إحدى أهمِ قصصِ الحبِ في العالمِ، في العلاقة بين (مارك أنطوني

وكليوباترا)، وهنا في أحدِ أرقى أحياءِ تلك المدينةِ
نرى (فيلا) تجذبُ أنظارَ كلِ مَن يمرُ بجانبها..
شُيدت بطرازٍ حديثٍ يُنبأ عن ذوقٍ راقٍ وخاصٍ
لتليقَ بأكبرِ "جراحٍ للقلبِ" الذي حُفر إسمُه عبر
مرورِ السنواتِ بالعلمِ والإجتهادِ والخبرةِ والسمعةِ
الطيبةِ، ليسطعَ إسمُه ضمن أهمِ الأسماءِ
وأبرزِها في الشرقِ الأوسطِ
" د/ عزيز الشافعي "

******

يَهلُ عيدُ الفطرِ علينا فينثرُ الأفراحَ في كلِ مكانٍ
وتزدهرُ النفسُ البشريةُ بأريجِ المحبةِ والسعادةِ،
خاصةً أنَّ هذا العيدُ جاءَ بعدَ صومِ شهرٍ كاملٍ،
شعرَ فيه جميعُ الصائمين بالجوعِ والعطشِ،

تباعًا لأوامرِ اللهِ سبحانَه وتعالى، وفي العيدِ هناكَ ذكرياتٌ كثيرةٌ تَختَزِنُها ذاكرةُ كلِ منَا، ونَتذكرُها مع كلِ عيدٍ يَطلُ علينا، ولكن تَبقى ذكرياتُ الطفولةِ لا يمحُوها الزمنُ.

ذقنٌ خفيفةٌ يتوسطُها طابعُ حُسنٍ، خُصلاتُ شعرٍ مشذبةٌ بعنايةٍ، ونثرةُ عطرٍ رجوليٍ تُشبهُ صاحِبها، ليكتمل بها تأنقُه إستعددًا لأداءِ صلاةِ العيدِ.

" إسلام الشافعي "

الابنُ الأكبرُ لِـ "عزيز الشافعي" ذو التاسعِ والعشرين ربيعًا، ورثَ هذا الشابُ النصيبَ الأكبرَ من وسامةِ ورجولةِ أبيهِ، بالإضافةِ لطولِه الفارعِ، أما عيناهُ العسليتان نصيبُه من إرثِ

والدتِهِ.

واختارَ السيرَ على نهجِ والدِهِ وتخرَّجَ من كليةِ الطبِ ولكن بمجالٍ آخرٍ ربما أقربُ قليلًا لعمِه "مراد" المقربِ لقلبِهِ..

فقد اختارَ الشابُ الوسيمُ أنْ يكونَ طبيبًا نسائيًا!

أُختيرَ مِنْ قِبل "البروفيسور" العالمِي" كيبروس نيكولايديس" الذي اخترعَ الجراحاتِ التي تُجرى للجنينِ داخل رحمِ الأمِ للتدربِ علي يدِهِ.. عملَ مع البروفيسور العالمي في مركزِهِ الخاصِ في شارعِ "هارلي" بلندن لمدة عامين؛ ليعودَ بعدها لبلادِهِ ويباشرُ عملَه في مشفاهِ الخاصِ.

ألقى نظرةً أخيرةً على المرآةِ أمامه ليتأكدَ من هندامِه، تبعها بإبتسامةِ رضا؛ ليخرجَ من حجرتِه ويلجُ لغرفةٍ مجاورةٍ له تمامًا لا يفصلُ بينهما سوى جدارٍ واحدٍ، امتعضَ قليلًا وهو ينظرُ دون رضا نحو ذاك المستلقي على الفراشِ بجذعِه العاريِ.. أخذَ يجولُ ببصرِهِ في أرجاءِ الغرفةِ ليلتقطَ أخيرًا جهازَ التحكمِ الخاصِ بالمبردِ ويقومُ بإغلاقِهِ.

ومِنْ ثَمَّ اقتربَ منه يهزُ أحدَ كتفيهِ بلطفٍ قائلًا:

-باسل.. إنتَ يابني فوق بقى هتتأخر كده.

"باسل الشافعي "

الأخُ الأصغرِ لإسلام .. في الرابعةِ والعشرين مِنْ عمرِهِ، لا يقلُ كثيرًا عن وسامةِ الأخِ الأكبرِ، فالأصغرُ له جاذبيتُه الخاصةِ؛ لكن ببنيةٍ أنحفُ بعض الشئِ عن أخيِه.. أنهى دراستَه في مجالِ الطيرانِ وحصلَ على رخصتِهِ الأخيرةِ منذ فترة ليست بالبعيدة، ابتعدَ كلَ البعدِ عن كل مايخصُ الطب، فالطبُ لم يكنْ يومًا غايته.. واختارَ تحقيقَ حلمِه الثاني بالإلتحاق بِ "كلية الطيران" بعد صراعٍ دامَ طويلًا مع والدِه لرفضِهِ له بتحقيقِ حلمِه الأولِ!

زمجرَ بنفاذِ صبرٍ وأردفَ بهتافٍ أعلى:

- يعني لازم أجيب مية خليك محترم وقوم واخلص، بقالك ساعة بتمثل إنك نايم عينيك بتبربش على فكرة.. هاااا أجيب مية؟!

انتفضَ النائمُ من فراشِهِ بسرعةِ البرقِ رافعًا كفيه بمحاذاة رأسه معلنًا الإستسلام:

-خلاص ياباشا والله صحيت أي أوامر تانية؟

رد بجديةٍ مصطنعةٍ:

-لا يا ابني مفيش أي أوامر تانية بس اخلص علشان تلحق الصلاة بدل ما الأوامر العليا تنزل فوق دماغك.

نظرَ إليه باسل بنصف عينٍ وكأنه تذكر شيئًا ما:

- طيب العيدية قبل الصلاة ولا بعد؟

بدا الآخر وكأنه يفكر:

-امممممم زي ماتحب قبل.. بعد أي حاجة حلوة منك يا بطة.

واسترسل ساخرًا:

- أنا هعدي على ساندي وإنتَ اخلص.. آل عيدية آل.

لينهض بعدها الآخر من فوق الفراش متكاسلًا.

*****

دخلَ للغرفةِ المفصولةِ عن الغرفتين السابقتين بممرٍ طويلٍ بإبتسامةٍ جذابةٍ بعد أن أذنت له بالدخولِ.. فهتفَ غامزًا بعينِهِ:

- أيه ده يا إخواتي قمر مش ساندي.

نظرت له عبرَ المرآةِ وهي تُمشطُ شعرهَا القصيرِ،

بالكاد يصلُ لكتفيِها.. ثم نهضت على الفورِ؛

اتجهت نحوه بقامتها القصيرةِ وتعلقت بعنقِهِ

وهي ترتفعُ على أطرافِ قدميِها مقبلةً وجنته

اليمنى بقبلةٍ رقيقةٍ:

- أروح فين أنا في حبيبي .. كل سنة وإنتَ طيب.

- وإنتِ طيبة يا سو.

نظرت له من أعلى لأسفل تُقيمه بعينٍ متفحصةٍ

وأكملت بمشاكسةٍ:

-بس أيه الشياكة دي.. عريس بقى وكده.

أنهت حديثها بغمزةِ عينٍ وإبتسامةٍ ماكرةٍ رسمتها

فوق شفتيها.

" ساندي الشافعي "

توأمُ باسل.. من يراها لا يعطيها أبدًا ذاك العمر .. بل يُؤكدُ أنها لا تتعدى الثامنةَ عشر مِنْ عمرِها ببنيتِها الضئيلةِ بالنسبةِ لأخويها ..

تخرجت مِنْ كليةِ الإعلامِ وتعملُ مذيعةً بإحدى محطاتِ الإذاعةِ ببرنامجِ

'صباحُك مع ساندي'

استطاعت بفترةٍ وجيزةٍ جذبَ أسماعِ الناسِ بخفةِ ظلِها ومعاملتِها البسيطةِ التلقائيةِ.

- أنا مش هخلص منكم.. عالم رغاية.. سلام يا لمضة.

قالها إسلام وهو يتجهُ لخارجِ الغرفةِ مسرعًا، بينما أعادت هي النظرَ لمرآتِها قائلةً ببراءةٍ وهي تهزُ أكتافَها و تنظر لانعكاسِ صورتِها عن بعدٍ:

- أنا مش لمضة ! امممم لمضة بس مش أوي يعني.

*****

أنهى الجميعُ صلاتَه وتجمعوا حول مائدةِ الطعامِ ليتناولوا فطورَهم بسعادةٍ وهم يتبادلون أطراف الحديث.. تنحنحَ إسلام بخجلٍ تحت نظراتِ إخوتِهِ الساخرةِ ليخبرَ والدَه:

- بابا أنا اتفقت مع البشمهندس عز الدين والد "لمار" إننا نزورهم بعد بكرة علشان تتعرفوا

عليهم وهما يتعرفوا على حضرتك إنت وماما طبعًا.. الساعه ٨ بإذن الله.

أجابَ الوالدُ:

- ماشي يا سيدي أما نشوف أخرتها معاك إنتَ وعمك.

- أخرتها فل إن شاء الله.

قالها مراد وهو يلجُ بإبتسامتِه البشوشةِ.. فبادله شقيقه الإبتسامة مُرحبًا بقدومِه قائلًابعفويةٍ:

- تعالَ يامراد حماتك بتحبك.. اللمة مش ناقصة غيرك.

همسَتْ تلك العجوزُ الجالسةُ على الطرفِ الآخرِ مِنْ المائدةِ بنبرةِ أمٍ حزينةٍ على ابنها:

- وهي فين حماته دي اللي تحبه مش لما يتجوز الأول بعدين تحبه أو إن شاء الله تكرهه.. عيني عليك يابني أربعين سنة راحو من عمرك وإنتَ وحداني وهتفضل طول عمرك كده لو مبطلتش تزور قبرها وتغني ظلموه.

ظلَّ الجميعُ ينظرُ لذلك المشهدِ الذي يتكررُ كلما التقى الابنُ بأمِهِ الحزينةِ على حالِه.. بينما هو جذبَ أحدَ المقاعدِ وجلسَ بالقربِ منها يلتقطُ كفَها مقبلًا إياه.. ويُجيبُها بإبتسامتِهِ الحانيةِ، الهادئةِ،الغيرِ ملائمة لما يعتملُ داخلَه مِنْ وجعٍ سبَّبَتَهَ كلماتُ والدتِهِ التي عبثت بذكرياتِهِ.. ابتلعَ غُصتَه بينما يقول:

- يا أمي يا حبيبتي أنا مرتاح كده صدقيني.



صمتَ لثوانٍ ثُمَّ أكملَ:

- وبعدين إسلام هيتجوز قريب أهوه يعني فرحته هي فرحتي.

هزّت رأسَها رفضًا لمراوغةِ فلذةِ كبدِها.. ولكن سرعان ما أتاه صوتَ أخيه الأكبرِ بجديةٍ:

- هي بتتكلم صح يامراد ماينفعش تفضل عازب طول عمرك؛ "ليلى" الله يرحمها من سنين.. مش آن الأوان تفكر ف نفسك.. العمر رايح مش جاي.

هتف مراد بنبرةٍ حادةٍ بعض الشئِ:

- عزيز لو سمحت ياريت بلاش نتكلم في الموضوع ده.

- يوووه إنتم مستلمين خطيبي من أول ما جه ارحمونا بقى.

نطقت ساندي بتلك الكلماتِ لتُنهيَ ذلك الحديثَ الغالب ما ينتهي بضغوطٍ تُغضبُ العمَ فيهربُ سريعًا ويتجهُ ليغرقَ بنفسِهِ داخلَ دوامةِ العملِ والعملُ فقط ليتناسى كعادته دائمًا.

تبسَّمَ مراد لمنقذتِهِ وفضَّل إدارةَ الدفةِ بعيدًا عنه فغيرَ مجرى الحديثِ وهو يلتفتُ للجالسِ بجوارِها ومِنْ الواضحِ أنَّه لم يكنْ معهم بكاملِ تركيزِهِ فقد كان مشغولًا بنهمِ شطيرتِه الشهيةِ فبادره سائلًا:

-وإنتَ ياكابتن أجازتك قد إيه؟

تناولَ سريعًا آخرَ قضمةٍ وأجابَ بفمٍ ممتلئٍ بالطعامٍ:

- لسه ياعمو كام يوم.

أتاه صوتُ والدتِه الغاضبِ:

-باسل بليييز يا تأكل كويس يا بلاش قرف.

-حاضر يا شاهي هبطل قرف ولا أقولك أنا هلف باقي أكلي في منديل وأطلع أوضتي أكمل براحتي.. هو الواحد يعني لو ما أخدش راحته في بيته هياخدها فين؟

عقدت حاجبيها بإمتعاضٍ مغمغمةً بإشمئزازٍ:

-هتلف ! ومنديل !!

حرك رأسه بلامبالآةٍ قائلًا:

- بقولك أيه ياشهيرة مش وقتك خالص أنا ماكلتش حاجه من امبارح.

وأكمل بطريقةٍ دراميةٍ:

- إنت بتعملي معايا كده ليه؟ إعتبريني زي ابنك يا شيخة!

نظرت لزوجِها بغضبٍ أكبر قائلةً:

-عزيز شايف ابنك بيتكلم زي بتوع الشوارع ازاي.. لااااا ده لايمكن أسكت عليه.

ثم عادت لباسل من جديد بنظراتها الحانقة:

- أنا معرفش إنتَ ازاي دخلت طيران واتقبلت على أي أساس أصلًا ؟!

همهم عزيز بهدوئه المعتادِ وهو يتنقلُ بإصبعِه فوق شاشة هاتفِه:

- أنتم صداع أنا داخل المكتب أعمل كام تليفون مهم .

-خدني معاك قبل ما ابنك يشلني.

ذهبَ الزوجان وانفجر الجميعُ ضاحكًا مِنْ مشاكسةِ الابنِ لأمِهِ الغاضبةِ.. تلك السيدةُ التي تعشقُ الطبقةَ المخمليةَ وتقضي معظمَ أوقاتِها بينهم إما في أحدِ النوادي، أو مع أعضاءِ تلك الجمعيةِ الخيريةِ التي تُدافعُ عن حقوقِ الإنسانِ بوجهٍ عامٍ وعن المرأةِ بوجهٍ خاصٍ.. صالوناتُ التجميلِ مكانُها المفضلِ رُغم صباها الذي تَنعمُ به.. ويأتي هوسُ التسوقِ في المرتبةِ الثانيةِ كسائر

النساءِ لتختارَ ما يُلائمُ قوامَها الممشوقِ الذي تحافظُ عليه رُغم تَقدمِ عمرِها بتلك الأنظمةِ الغذائيةِ التي تتبعها مع طبيبِها الخاصِ.. لا يوجدُ لديها عائقٌ سوى إسمها الذي كُتب لها يوم مولدِها تيمنًا بجدتها "شهيرة" مسببًا لها بعقدةٍ بسيطةٍ؛ لتجبرَ الجميعَ على مناداتها بما يليقُ بها من وجهةِ نظرِها "شاهي".

تبسمت الجدةُ العجوزُ لرؤيةِ أولِ أحفادِها بتلك السعادةِ، رأته شاردًا متبسمًا وتعرفُ حقَ المعرفةِ سببَ تلك الإبتسامةِ المحفورةِ فوق شفتيه، وسبب تلك اللمعةِ داخل عسلِ مقلتيه.. رأت عينيه تتبسم قبل شفتيه.. ربما لأول مرةٍ تراه بتلك السعادةِ وربما يفقدُ الطبيبُ الوسيمُ عقلَه

بسبب فرطِ سعادته وعدم قدرتِه لإنتظارِ موعدِه المرتقب.. انتشلته من شرودِه بسؤالها:

- إيه يا إسلام مش هتروحني.. فرحة وحشتني قوي بقالي كتير هنا كفاية كده، وبيتي كمان وحشني ولا أنتَ مش فاضي لي دلوقتي ؟

هتف باسل سريعًا :

- يا تيته ده ندل إسأليني أنا.. قولت له تعالى خدني من المطار قال لي تعالى بتاكسي أنا تعبان مش هقدر أجيلك.

هتفت ساندي لإغاظته:

- هو اللي ندل برضو ولا إنتَ الرخم؛ مين ده اللي هيروح يجيبك الفجر؟!

قاطعهم إسلام بمللٍ:

-ممكن تخرسوا بقى.

وتابع موجهًا حديثَه لجدتِه :

- طبعًا يا تيته هوصلك لحد البيت وأطمن عليكِ كمان.. معنديش أغلى منك يا طمطم.

تحدث مراد بنبرةٍ حانيةٍ:

- ليه كده يا أمي خليكِ معانا شوية ملحقناش نشبع منك.

همست الجدة بملامةٍ:

- لو عايزين تشبعوا مني يبقى تحاولو تلاقوا وقت وتيجو البلد ونتلم كلنا في بيت العيلة.. بيت أبوك وجدك.. وبعدين لو اتأخرت أكتر من كده فرحة

هتزعل أكتر وإنتَ عارف أنا مقدرش على زعلها

دي هي اللي باقية لي من ريحة أختك الله يرحمها.

تمتم مراد بخفوتٍ:

- الله يرحمها.

رفعت الجدةُ فاطمة كفيها تدعو الله من قلبِها:

- ربنا ما يحرمني منكم.. ويريح قلبك ويسعدك يا

مراد يابني.. وأشوفك أحلى عريس يا إسلام يا

حبيبي.

نطق باسل بغضبٍ مصطنعٍ:

- ياااا سلام وأنا ابن البطة السودا يعني.

ضحكتْ الجدةُ قائلةً:

- آآآه لو تسمعك شهيرة.. ربنا يهديك ويصلح حالك يا باسل.. وأشوفك عروسة يا ساندي إنت وفرحه قبل ما أموت.

نهضتْ ساندي واتجهتْ نحو جدتها تُطوقها بذراعيها وتُقبلُ جبينها:

- ربنا يديكِ طولة العمر يا أحلى تيتة في الدنيا.

لَكمْ ذاقت تلك المرأةُ العجوزُ مِنْ الشقاءِ ألوانًا، أفنتْ عمرَها وشبابَها حتى تَرى أبناءَها وتفخرُ بما هم عليه اليوم.. كمْ عانتْ حينما ابتعدت عن أهلِها.. لم تكنْ تعدّت السادسةَ عشرَ مِنْ عمرِها وقتما تزوجتْ برجلٍ رأته أول مرةٍ عقبَ انتهاءِ زفافِهم.. لكن سرعان ما رأت فيه الرجلَ الناضجَ الذي يفخرُ بعملِهِ في أرضِهِ ويُعطيها حقها كابن

من أبنائه.. عاشتْ حياةً هانئةً في بلدةٍ غريبةٍ عنها تبعدُ أميالًا عن الإسكندرية مكان نشأتها.. تلقتْ من الحياةِ ما يجبُ أنْ تتلقاه لتصبحَ زوجةً مثاليةً وأمًا عظيمةً، بنت أحلامًا مع زوجِها وتعاهدا على تحقيقِها يومًا.. ولكن شاءَ القدرُ أنْ تكملَ تلك الأحلامُ بمفردها.. كمْ عذبها ألمُ الحنينِ.. كمْ عانت من وجعِ الفراقِ، لكن ظلَّتْ صامدةً قويةً، تُعلمُ.. تَنصحُ.. تُساندُ.. ربت رجلين تفخرُ بهم وابنةً كانت نورَ عينيها، رأت فيها نسختَها المصغرةِ في حنانِها وعشقِها لتلك البلدةِ التي أصبحتْ موطنَها بزواجِها من أحدِ رجالِها كأمها .. حتى شاءَ القدرُ مرةً أخرى وتفقدُ نورَ عينيها لترحلَ عنها تاركةً خلفها " فرحتها "، طفلةً

في العاشرةِ مِنْ عمرِها.. وكانت تلك القشةُ التي قسمت ظهرَ البعيرِ.. لم تعد للفرحةِ مكانًا في قلبِها.. لكنها تماسكت بما تبقى لديها مِنْ قوةٍ لأجلِ حفيدتِها يتيمةِ الأمِ.. لتُغدقَ عليها بحنانِها وحبِها لَربما تُعوضها عن ما فقدته.

قلَّبت نظرها بين أولادِها وأحفادِها داعيةً.. راجيةً.. بقلبٍ صادقٍ أنْ تراهم في سعادةٍ وحياةٍ هادئةٍ.. لكن عذرًا أيتها العجوزُ الطيبةُ؛ في دنيانا دائمًا ما تأتي الرياح محملةً بما لا تشتهي السفن.

*****

مازالت أمسيةُ العيدِ في بدايتِها.. تعالت الضحكاتُ في تلك البنايةِ وفي تلك الشقةِ

بالتحديدِ التي احتلت الدورَ الخامسَ بأكملِه..

أثاثٌ راقٍ وألوانٌ تبعثُ الهدوءَ للنفسِ وبتجمعٍ أسريٍ يملأه الألفةَ والمودةَ.

دلفت فتاةً عشرينيةً تحملُ بين يديها صِينيةً محملةً بالكعكِ اللذيذِ، تفوحُ منه رائحةُ العيدِ الخاصةِ.. مرحبةً بضيوفِ منزلِهم بإبتسامتها الرقيقةِ:

- نورتينا ياخالتو وحشتيني جدًا إنتِ وريهام .

هتفتْ الخالةُ ببشاشةٍ:

- ده نورك يا لمار وإنتِ كمان وحشتينا أكتر ياحبيبتي.

وأكملت ريهام:

- ما إنتِ اللي مش بتزورينا يا ست لمار كفاية عليكِ روان طبعًا ماهو أنا وخالتك على الهامش.

هتفت لمار مدافعةً:

- لا والله یارورو أبدًا أنا كنت لسة بقول لماما لازم أزور خالتو وريهام.. حتى اسأليها مش كده ياماما ؟

أجابت الأم" نهال "بابتسامة:

- كده يا لومي.

ثم تابعت لمار مشاكسةً:

- وبعدين روان إيه ولا مين اللي تشغلني عنك يا جميل، إنتِ بس المشغولة عننا بجوزك.

ضحكت ريهام ثم قالت :

-ماشي، ماشي كلي بعقلي حلاوة.

بينما هتفت روان وهي ترفعُ ساقًا فوق الأخرى..

تُهندم ياقة قميصها بغرورٍ مصطنعٍ هاتفةً بثقةٍ:

- دلوقتي روان مين وأيه.. خليكِ فاكرة بس..

وياريت مترجعيش تعتذري مش هقبل أص...

وقبل أن تُكمل جملتها سحبتها لمار مِنْ يدِها

قائلةً:

-تعالي بس عايزة أوريكِ حاجة في أوضتي.

التفتت نهال لأختها قائلةً بقلة حيلة:

-مش هيعقلوا أبدًا.

تبسمت الأخرى وأجابت بهدوءٍ:

- ياستي بكره يتجوزو ويعقلوا.. إلا المجنونة الثالثة فين ؟

- أنا اهوووه يا خالتو صباح الخير أو مساء.. هي الساعة كام ؟

قالت " لارا " تلك الجملة وهي تتثاءَب بمظهرِها المشعثِ والغيرِ مهندم .. جلست بالقربِ مِنْ ابنةِ خالتِها والتي سألتْ بدورِها:

- في حد ينام لحد دلوقتي يا بنتي إنتِ؟

أجابت لارا بنعاسٍ:

- أصل بخزن نوم على قد ما أقدرعشان أستعد لأم الثانوية دي.

هتفت الخالة:

- والله إنتِ و" رامي" مكبرين الموضوع وخايفين على الفاضي.. سنة وهتعدي إنتم شدو حيلكم بس.

- إن شاء الله يا خالتو.. دعواتك.

تدخلت نهال قائلةً:

- إن شاء الله ربنا يوفقوا.. وبعدين إنتِ صاحية تنكدي علينا يا هانم.. اتفضلي هوينا يلا وبلاش دوشة روحي شوفي روان ولمار جوه.

هتفت لارا بطفولية:

- اممممم ماشي ياست ماما إطرديني براحتك بس خليكِ فاكرة.

انتظرت الأم حتى تذهب ابنتها ووجهت حديثها لريهام:

- ها يا ريهام محصلش حمل كمان الشهر ده ؟

أجابت ريهام بخيبةِ أملٍ:

- لا والله ياخالتو مفيش نصيب بقالي خمس سنين كل شهر أتأمل وبعدين يطلع مفيش حاجه أنا خلاص فقدت الأمل.

ردت الأم بحزنٍ على ابنتها :

-ماتقوليش كده ياحبيبتي مفيش حاجه بعيدة عن ربنا.

وتابعت الخالة:

- ماتقوليش كده ياريهام الطب كل يوم بيتطور وربنا كبير اوعي تيأسي أبدًا.

تنهدت بضيقٍ ثم أردفت بخفوتٍ راجٍ:

-ياااااارب .

*****

فتحت بابَ الحجرةِ دون إستئذانٍ، قلّبت نظرَها بين الجالستين فوق الفراشِ قائلةً بمللٍ:

- ممكن أقعد معاكم شوية أنا زهقانة وماما وخالتو وريهام طردوني شكلهم بيتكلموا كلام كبار.

هتفت لماروهي تَكزُ على أسنانِها:

- اتفضلي يا لارا من غير مطرود.. احنا كمان هنتكلم كلام كبار.

لارا بضيقٍ:

- بطلي رخامه بقى يا لمار.

هتفت لمار ببساطةٍ:

- ياستي مش رخامة بس احنا بنتكلم في حاجات تخصنا احنا الإتنين بس.. وبعدين رامي زمانه جاي ياخد خالتو وأكيد هيطلع يسلم عليكِ آ..آ.. أقصد يسلم علينا كلنا يعني.

أنهت جملتَها وهي تنظرُ للجالسةِ أمامها وتكتمُ ضحكاتَها بكفِها.. حتى فقدتا السيطرةَ وضحكتا الفتاتان بصوتٍ أعلى

ولارا المسكينةُ احمرّت وجنتيها.. ثم ضربتْ الأرضَ بقدمِها قائلةً بتلعثمٍ مصبوغٍ بالخجلِ:

- إنتِ قليلة الأدب يالمار.. ماشي والله لأقول لماما.

وأغلقتْ البابَ خلفها بغضبٍ

بينما التقطت روان أنفاسَها بصعوبةٍ من كثرةِ الضحكِ وهي تلومُ لمار:

- ليه كده حرام عليكِ أحرجتيها قدامي.

والإجابةُ مختصرةٌ:

- لا متخافيش هصالحها بطريقتي.. المهم كملي وبعدين حصل أيه بعد ما شوفتي عمر؟

تنهدت الآخرى بحالميةٍ وهي تتمددُ فوق الفراشِ بكاملِ جسدِها وأكملتْ حديثًا كان قد بدأ قبل دخولِ المزعجةِ الصغيرةِ:

- اممم بس ياستي قالي إزيك وبعدين أخبارك ايه ؟ نازله رايحة فين ؟ وكده حسيت إنه مهتم يعني.

ضحكتْ لمار ونظرتْ لها بطرفِ عينيها قائلةً بنبرةٍ ساخرةٍ:

- بذمتك قال لك أخبارك أيه ورايحة فين.. ومهتم كمان!

اعتدلت روان في جلستِها وأجابتْ مسرعةً:

- طب والله العظيم قال لي ازيك ياروان!

زادتْ ضحكاتُ الأولى وهي تقولُ:

- أيوه كده بلاش حوارات بتاعة كل مرة دي.

غمغمتْ الأخرى بمللٍ وهي تستندُ بوجنتِها على كفِها:

- أوووف بقى طيب أعمل أيه بس إذا كان حجر مش بيحس.. المهم سيبك مني أخبارسي روميو إيه؟

جاء دورُ الأخرى لتجيبَ بحالميةٍ.. ولم يكتفيا مِنْ ثرثرتِهم الحالمة حتى أتى موعدُ انتهاء الزيارة وافترقتا على وعدٍ باللقاءِ في وقتٍ قريبٍ.

*****

تمددت لمار فوق فراشِها وتدثرت جيدًا بغطائِها الناعمِ وهي تُغمضُ عينيها.. تتذكرُ حديثَها مع روان التي بمثابة أختٍ وصديقةٍ مقربةٍ قبل كونِها ابنة خالتها.. أخبرتها كمْ تشتاقُه.. تشتاقُ لحديثِه.. تشتاقُ رؤيتَه.. تشتاقُ لكلِ شئٍ فيه.. قطعَ أحلامَها المحلقةِ فوق غيومِها الورديةِ صوتَ رنينِ هاتفِها يُنبئُ عن وصولِ رسالةٍ نصيةٍ.. التقطتْ هاتفَها بلهفةٍ وقرأتْ بعينيها ما كانت تنتظره منذ صباح يومها:

"ماكنتش أعرف إن وجودك في حياتي هيخلي العيد حلو قوي كده "

مجرد حروفٍ كونت بضع كلماتٍ كفيلةٍ بجعلِ نبضاتِ فؤادها ترقصُ طربًا.استندت برأسها للخلفِ تفكر في حالها وتتعجبُ!

تبدلَ حالُها من ليلةٍ وضحاها، تبدلتْ لمار الفتاةُ الخجولةُ الهادئةُ والطالبةُ المجتهدةُ طوال السنين الماضيةِ لم يكنْ الحبُ والعشقُ هاجسها ككثير من الفتياتِ، برغم أنها تتمتعُ بقدرٍ عالٍ من الجمالِ الناعمِ الرقيقِ.. عينان بنيتان واسعتان، شعرٌ كثيفٌ ينسدلُ فوق كتفيها له نفس لون عينيها، شفتان ورديتان مكتنزتان، غمازتان عميقتان لهما سحرٌ خاصٌ، وبشرةٌ بيضاءٌ صافيةٌ، حاولَ الكثيرُ التقربَ منها والكلُ كانت تصحبه خيبةُ الأملِ؛ كانت تضعُ هدفَها

نُصب عينيها، وهاهي أخيرًا بعد تعبٍ دام طويلًا تخرجت حديثًا من كليةِ الطبِ.. لطالما أرادت أن تُصبح طبيبةَ أطفالٍ.. منذ الصغر وتلك كانت لعبتها المفضلةِ.. ومرت الأعوامُ وهاهي الطبيبةُ الصغيرةُ نضجتْ وكبرتْ وحققتْ حلمَها.. لكن تغير حالها.

منذ شهورٍ أتى فارسُ الأحلامِ وخطفَ قلبَها، لأولِ مرةٍ تتجرعُ الحبَ.. تتلمسُه بكلِ جوارحِها.. تشعرُ كأنها محلقةً فوق الغيومِ، حتى أنها أبدلت لونها الأبيضِ باللونِ الورديِ الحالمِ لتغرقَ داخل عالمها الخاصِ مع فارسِها الذي يُحلقُ معها.. فقط هو مسموحٌ له بذلك.

أخرجها من عالمِها الورديِ طرقاتٌ خفيفةٌ على البابِ، اعتدلت في جلستِها آذنةً للطارقِ بالدخولِ:

- اتفضل.

- الجميل سهران ليه ؟

تبسمت له برقةٍ:

- أبدًا يا بابا مفيش كنت لسه هنام.. حضرتك بقى سهران ليه ؟

اقترب منها.. جاورها فوق الفراشِ وأمسكَ بكفيها قائلًا بنبرةٍ سعيدةٍ:

- سهران علشان فرحان.

تبسمت ضاحكة من جديدٍ مع هتافٍ حماسيٍ:

- طيب فرحني معاك يا سي بابا.

والإجابةُ غيرُ متوقعةٍ:

- النهاردة في عريس إتقدم لك وجاي هو وأهله بعد بكرة إن شاء الله.. دكتور محترم وابن ناس قوي.. وكمان مش هتصدقي يبقى قريب دكتور مراد أستاذك في الجامعة.

وأردفَ غامزًا:

- يظهر كده هنفرح بيك قريب ياجميل.

لو أنَّ دلوًا من الماءِ البارِدِ سُكب فوق رأسِها فجأةً ربما كان أهونَ.. هربتْ الكلماتُ.. تلعثمتْ الحروفُ.. لاتدري، مهلًا !

هل يتحدثُ والدُها عنها !

هل هذا العريسُ الأحمقُ لأجلِها؟

رأتْ الجوابَ داخل عينيه.. نعم لأجلِها، هذا الحماسُ البادي على قسماتِ وجهِهِ وتلك السعادةُ وكأن أحد الأمراءِ قرر الزواج بها تُؤكدُ ذلك.. وقبل أن تستجمعَ ماتبقى لديها من تركيزٍ قاطعها والدُها:

- إيييييه رحتِ فين ومالك مذبهلة كده.. عمومًا إحنا لسه هنتعرف عليهم وإنتِ تتعرفي عليه يعني ماتقلقيش.. يلا نامي الوقت اتأخر، تصبحي على خير.

رأتُه يغادرويغلقُ البابَ.. وهي على حالها لاتعلمُ هل ذهولًا أم خوفًا مِنْ القادمِ؟!

هل ستفقدُه؟ ستفقدُ أحلامَها الورديةِ ؟

مازال نظرُها معلقًا في الفراغِ حيث كان والدها.. عادتْ برأسِها للخلفِ والآفُ الأفكارِ تتخبطُ داخلها.. نظرت للهاتفِ الملقى بجانبِها ثم عادت ببصرها إلى البابِ في وجومٍ.. ظلت على حالها للحظاتٍ.. وأخيرًا امتدت يداها لتجذبَ الهاتفَ عنوةً.. تضمُه لصدرها بقوةٍ، كأنها تخشى فقدانَه.

(٢)

خيبةُ أملٍ

استنشقت الهواءَ العليلَ النقيَ، أعادت الكرة ثانيةً وثالثةً، حتى امتلأت رئتيها بهواءِ الصباحِ الباردِ المختلطِ بنكهةِ العشبِ الخضراءِ والزهورِ العطرةِ بينما انفرجت شفتيها الورديتين بإبتسامةٍ رائعةٍ وهي تراقب ببهجةٍ تلك المناظرَ الممتدةَ أمامها على مدادِ البصرِ رغم اعتيادها لمشاهدتِها يوميًا عبر نافذتِها الخاصةِ..

سماءٌ صافيةٌ، أصواتُ خريرِ الماءِ الجاري يسقي أشجار متنوعه لأنواعٍ عدةٍ، تبللت أوراقها بقطراتٍ مِنْ ندى الصباح.. بينما هناك أشخاصٌ

يفترشون الحشائش الخضراء الندية بجلستهم الصباحية ليتناولوا فطورهم تحت ظلالِ تلك الأشجارِ، ليذهبَ بعدها كلٌ لعمله، منهم مَنْ يسقيَّ أرضَه أو يقطفُ ثمره وآخر يرعى قطيعٌ بكل نشاطٍ.

وأين لنا أن نجد مثل ذلك المشهد الخلاب بغيرِ قرى صعيد مصر!

حياةٌ ريفيةٌ تنمُ عن البساطةِ والجمالِ والهدوءِ تختلفُ تمامًا عن صخبِ المدنِ، أناسٌ يعيشون بسعادةٍ وحبٌ يجتمعون لأقلِ مناسبةٍ، فرحتهم واحدةٌ وحزنهم واحدٌ، الحياةُ البسيطةُ جعلتهم يتمسكون ببعض أكثر ويفتقدون الغائبَ منهم، حياةٌ بعيدةٌ عن التكلفِ والترفِ وذلك سبب

نفوسهم الطيبة الكريمة، طعامهم اللبنُ والتمرُ..

ثمارٌ طازجةٌ.. وخبزٌ يُعدُّ من الدقيقِ الخالصِ،

لذلك تجدهم نشيطون ويعملون الأعمال الشاقة

بدون كللٍ أو مللٍ.

رباه ما أجملها من حياةٍ!

هبت نسماتُ الهواءِ الباردةِ بقوةٍ أكبر لتتخلل

خصلات شعرها الطويل الفحمي، لملمت

خصلاتها المتناثرة لتجمعها فوق كتفها الأيسر

أثناء جلوسها فوق أريكتها المنجدة، اتكأت

بمرفقها على حافةِ النافذةِ ويدها الأخرى تمتد

خارجًا تروي ورودها الحمراءِ البلديةِ، وما إنْ

انتهت منهم حتى امتدت أناملها تداعب وتطعم

تلك العصافيرَ بداخلِ ذلك القفصِ المعلقِ خارج

نافذتها.. لتُسر نفسها بما ترى وتسمع.. استندت برأسِها فوق ذراعِها وأغمضت عينيها السوداويتين ببطءٍ بينما أناملها تحركت تلك المرة تُداعب أوراقَ ورودِها حتى بدت كأنها تغطُ في سُباتٍ عميقٍ، لتخترقَ عزلتها و مازالت مغمضة العينين.. تهمس لنفسها بصوتٍ شجيٍ تطرب الروح لسماعه:

لولا الملامة يا هوى لولا الملامة

لأفرد جناحي عالهوا زي اليمامة

وأطير وأرفرف في الفضا

وأهرب من الدنيا الفضا

وكفايه عمري .. كفايه عمري اللي انقضى

- ست فرحة.. ست فرحة.

انتشلها من حالةِ الشجنِ صوتُ ذاك الجار السمين المزعج الواقف أسفل نافذتها، لتنهضَ هي بدورها.. تميل بجذعها وتنظر له متبسمةً:

- صباح الورد ياعم فرج.. خير حصل أيه ؟!

- صباح الفل ياست البنات.. خير إن شاء الله بس الجاموسة لامؤاخذة يعني بتاعة الحجة أم إبراهيم بعافية شوية وعيزاكي تطلي عليها إن أمكن يعني؟

ابتسمت فرحة للرجلِ الطيبِ وأجابت بدورها:

-حاضر ياعم فرج من عينيا.. اسبقني إنتَ وأنا جاية على طول.

- تسلم عينيك ياغالية يابنت الغالي.. بالإذن أنا.

أسرعت فرحة تُجدل شعرها الطويل لتذهب للجارة ملبيةً طلبها عن طيب خاطر.

فتلك هي " فرحة " وكأنها أخذت نصيبها مِنْ إسمِها لتتقاسمه مع مَنْ حولها بنفسٍ راضيةٍ.. كم تسعد برسم بسمةٍ على شفاه أحدهم، أو معاونة آخر، لها مكانة خاصة في قلوبِ الجميعِ.. يحترمها الكبيرُ والصغيرُ رغم صغرِ سنها.. لم تمارسْ عملها كطبيبة بيطرية فهي لم تتخرجْ بعد.. ستبدأ رحلتها الدراسية لعامِها الأخير بعد فترةٍ قريبةٍ.. ومع ذلك يستشيرونها في كلِ كبيرةٍ وصغيرةٍ.. وهي لا تبخل أبدًا عليهم.. كيف تبخل وهي مَنْ اختارت ذلك المجال بمحض إرادتها لتنفعَ بلدتَها التي تفخر بكونها جزءًا منها.. كم

تشبعت تلك الفتاة بطيبةِ وأصالةِ تلك الأرض كأمها وجدتها.. تتورد وجنتيها عندما تتعمد النساء بمناداتها بِ

"جميلة جميلات القرية"

وهن لم يكذبن أبدًا فتلك العيون السوداء الواسعة وتلك الخصلات الكثيفة، تسابق الحريرَ في نعومتِه والفحمَ في سوادِه لتنتهيَ أسفل ظهرِها، تحيط كلَ هذا الجمالِ الهادئِ بشرة صافية لايشوبها شائبة ربما اكتسبت بشرتها بعضَ السمارِ بفعلِ الشمسِ الحارقةِ وهذا لم يزدْها الإ جمالًا.. والأكثرُ جاذبية صوتها العذب.. يتعمدُ كلُ مِنْ يمرُ أسفل نافذتها الإنصاتَ ليُطربَ نفسه فهي لاتكلُ ولا تملُ من الغناء

لورودِها.. لتصبحَ تلك "الفرحة" مرسى لأحلامِ معظمِ الشبابِ في بلدتِها..

ولكن نفسٌ كتلك محملةٌ بكلِ ذلك الشجنِ.. هل مِنْ الممكن أنْ تكونَ خاويةً مِنْ العشقِ!

أنهت تصفيفَ شعرها وانطلقت مسرعةً تجذبُ مقبض الباب وتخرج على عجالة.. لتصدم بأحد سكان منزلها

- إيه يافرحه مش تفتحي يابنتي !؟

هتفت معتذرةً:

- آسفة يا بابا ماخدتش بالي.

تابع هو بامتعاضٍ:

- هتاخدي بالك ازاي وإنتِ واخدة في وشك..

وبعدين رايحة فين بدري كده؟

أجابت متبسمةً:

- مفيش يا بابا دي الست أم إبراهيم جارتنا

محتاجة لي.. شوية وراجعة مش هتأخر

- طيب متتأخريش.. فطرتِ ولا لسة ؟

- لا لسه أول ما أرجع هفطر على طول ماتقلقش.

- طيب أنا رايح المحل عايزة حاجة ؟

- عايزه سلامتك يا غالي.. عمومًا هعدي عليك

كمان شوية في المحل نتسلى سوا.

غمغم باقتضاب :

-محل تاني يافرحة ! هتعملي أيه في محل عطارة..

أيه التسلية في كده مش فاهم، ماتجيش أحسن.

لوت شفتيها متصنعة الحزن:

- كده ياعم حسن تقول ماتجيش أحسن.

أحاطها بذراعه مهمهمًا بحنوٍ:

- وأنا ماقدرش على زعل فرحة.. المشكله الزباين

بتفضل تبصبصلك وأنا بضايق يافرحة.

ضحكت وهي تمسك بأحد وجنتيه بأناملها قائلة

بمشاكسة:

- ماتخفش مفيش غيرك في القلب.

لم تكمل كلماتها حتى شهقت بصوتٍ أعلى وهي

تركض للخارج قائلة بصياحٍ:

- ياخبر اتاخرت على أم إبراهيم.. ينفع كده ياحسن !

ضحك الأب وذهب ليؤدي صلاة الضحى قبل ذهابه لمحله الخاص بالعطارة والطب البديل.. فقد امتهن "حسن الجارحي " مهنة أبيه وجده بالوراثة.. وابنته العنيدة تصر على الذهاب من وقتٍ لآخر لتعاونه وهو يرفض رغم كثرة الزبائن في وجودها.. خصوصًا الرجال! يتعللون بأتفه الأسبابِ و أحاديثٍ لاقيمة لها.. والعنيدة فقط لاتبالي.

ولكن أين لها بكل هذا العند فهي ابنة أمِها ..

زفر حسن بضيقٍ وهو يعود بذاكرته للماضي يتذكر زوجته الراحلة.. كم يشتاقها لا يمر يومٌ إلا

وتذكرها.. رغم زواجه بأخرى بعد خمسِ سنواتٍ من فراقها، لقد كان بحاجةٍ لزوجةٍ تعتني بالمنزلِ وتعتني بابنته.. ظنَّ في البدايةِ أنه يمكنه الاعتناء بكل شيءٍ وأهم تلك الأشياء طفلة بعمرِ العاشرةِ، لكن بعد مرورِ خمسِ سنواتٍ كان لابدَّ من الزواجِ لتأتيَ مِنْ تعاونه وتحمل عنه بعض الأعباءِ.. لولا هذا ماكان فكر بذلك أبدًا فبعد فقدان حبيبته لا توجد مَنْ تُعوضه.. نفض عنه ذكرياتَ الماضي ونهض يؤدي صلاته طالبًا لمن تذكرها الرحمةَ وجناتَ النعيمِ.

*****

كان ممددًا فوق فراشه يتكأ بظهره على أحدِ الوسائدِ و بين يديه أحد الكتب ولكن ربما لايرى من بين صفحاته غير البياض!

اخترق عزلته ذلك الأحمق كعادته دائمًا.. تمدد مستلقيًا على جانبه، رافعًا ذراعه ليتكأَ برأسه على باطن كفه قائلًا بمللٍ:

- بتعمل أيه ؟

زفر إسلام بحنقٍ وهو يردد:

- كنت صايع فين لحد دلوقتي ؟ شايف الساعة كام.. مش ناوي ترحم نفسك يابني؟

تمدد باسل بكامل جسده على الفراش وأكمل بعدم مبالاةٍ لما قاله:

- سيبك إنت من الأسطوانه دي.. أنا جايبلك زبونة.

رفع إسلام حاجبيه بدهشة:

- زبونه ! إنتَ بتكلم ميكانيكي ؟

قهقه وعاد لوضعه الأول وأردف مِنْ بين ضحكاته:

- ياعم مش ميكانيكي إنتَ ضاااكتور قد الدنيا أنا قلت حاجة، أنا بقولك جايبلك زبونة هو مش شغلك كله زبونات.. ماتقنعنيش إنه فيه زباين رجالة.

وعاد يقهقه مرةً أخرى بقوةٍ.. فضرب الآخر كف بكف وقد بدأ يفقد صبره:

- اللهم طولك ياروح.. وبعدين في الأهبل ده.

استعاد باسل جديته وتحدث وكأنه يخبره بأمرٍ هامٍ:

- خلاص ماتتعصبش، نتكلم جد بقى.. شوف ياسيدي في صديقة قديمة، لا يعني مش قديمة قوي المهم هي حامل وعايزة تتخلص من البيبي، وهي قصدتني أحل لها المشكله دي.. أنا قلتلها بس مفيش غيره رجل المهام الصعبة.. هااا قلت إيه، آخد لها معاد؟

جحظت عينا الأكبرِ بذهولٍ قائلًا بغضبٍ يحاول جاهدًا التحكم فيه:

- حامل وصديقة قديمة، لا مش قديمة قوي وعايزة تتخلص من البيبي !

ثم استرسل بغضبٍ أكبرٍ:

-باااااسل في أيه ؟ ومين دي ؟ وإنتَ أيه يخصك أصلًا بالموضوع ده ! اوعى تكون ...

قطع حديثه بصمتٍ في انتظارِ جوابٍ من الآخر..

تطلع إليه باسل في دهشةٍ قائلًا بنبرةٍ ساخرةٍ..

رافعًا أحد حاجبيه:

- أيه الفيلم العربي اللي إنتَ عامله ده ؟!

حاول إسلام استعادة هدوئه وعاد يسأله مرةً أخرى وهو يكز من بين أسنانه:

- طيب ممكن تتكرم حضرتك و تفهمني ؟

أجاب باسل بكل هدوءٍ:

- زي ما قلتلك صديقة قديمة.. وربنا كرمها وستر عليها، أقصد اتجوزت يعني بس جوزها "هيثم " طلع ابن ستين في سبعين وياعيني عليكي يا سهر يصبحها ويمسيها بعلقه ولسوء حظها حبت تخلعه طلعت حامل، وهي مش عايزة عيال من هيثم وحوارات.

صفق بكفيه مردفًا بجذلٍ:

- أوووم أيه ياسيدي لجأت لأبو قلب كبير وياحبة عيني سبتها مفلوقة من العياط صعبت عليَّ قلتلها متخافيش أخويا حبيبي هيحلهالك... هااا فهمت؟!

حرك إسلام رأسه يمنةً ويسرةً ثم رفعها للأعلى بزفرةٍ غاضبةٍ وأخيرًا صوب إليه نظره:

- وأنا مالي ومال الهرتلة دي كلها.. إنت أهبل صح ؟!

صمت قليلًا ثم أردف بنبرةٍ جادةٍ:

- أقولك احنا نطلع على الحاج ونحكي له الحكاية دي وهو جراح برضو، قلب من سهر مافرقتش كتير ونشوف بقى يقول أيه ؟!

تنحنح باسل ونهض واقفًا يتحدث بجديةٍ تامةٍ:

- إياكش تولع سهر على هيثم على البيبي في يوم واحد .. أنا مال أهلي بالليلة السودا دي.. تصبح على خير يا دوك.

وذهب فارًا من الغرفة تحت ضحكات شقيقه الأكبر:

- رايح فين يا أبو قلب كبير مالسه بدري.

*****

"ممكن تهدي يا لمار ومفيش داعي للقلق ده كله"

هتفت روان بتلك الكلماتِ محاولةً منها لتهدئةِ تلك التي تجاورها فوق الأريكةِ خاصتها.. تهز ساقيها بطريقةٍ تثير توترَ أي شخصٍ، عيناها ذابلةٌ والصداعُ يفتكُ برأسِها منذ أنْ زَفَّ لها والدها ذلك الخبر المشؤوم، نظرت لها قليلًا بصمتٍ وأردفت بنبرةٍ خافتةٍ:

- خايفة ياروان خايفة، ماما وبابا طايرين للسما بعريس الغفلة ده وكأن مفيش غيره، مفيش على لسانهم غير كلمة لقطة لقطة، وأنا كأني مشلولة قدامهم.

ربتت روان على كتفها بحنانٍ وسألتها بتوجسٍ:

- لسه ماردش عليك برضو؟

هزت رأسها نفيًا بوهنٍ وهي تجاهد حتى لاتظهر دموعها وأجابت بنبرةٍ حائرةٍ:

- لا ماردش، وبعدين تفتكري لو رد يعني هقدر أقول له تعالَ اطلبني من بابا ! هطلب منه يتجوزني عشان في عريس متقدم لي وأهلي موافقين حتى من قبل ما يشوفوه !

- معرفش تقولي أيه بس اللي أعرفه إنه بيحبك والمفروض وقت زي ده يكون جمبك مش قافل موبايله ومكبر دماغه.

نهضت لتقف أمام النافذة.. تستنشق بعض الهواءِ البارِدِ لتطلقَ بعدها تنهيدة حارقة:

- مش لما يصرح بحبه الأول بطريقة مباشرة.. كل أفعاله تقول إنه بيحبني بس مقالهاش ياروان، يمكن لو صارحني كنت قدرت أتكلم معاه.. لكن كده صعب قوي.. هو المفروض اللي ياخد الخطوة دي مش أنا.

نهضت روان بدورها لتجاورها وهي تكتف ذراعيها وأردفت بعدم رضا:

- مش فاهمة، إنتِ ناويه متقابليش العريس بكرة ولا إيه ؟ كده خالتو وأنكل عز هيزعلوا وكمان هتحرجيهم قوي.. لمار إنتِ لازم تحطي النقط على الحروف بقى.

استدارت لها بقوة وأجابت مسرعةً:

- لا طبعًا هقابلهم إنتِ عايزه ماما وبابا يدخلوني في سين وجيم، بس..

وأعادت النظر للفراغِ وهي تتبسم وقد لمعت مقلتيها بتحدٍ.. فهتفت روان

- بس أيه .. هاااي رحتي فين ؟!

همست تلك المرة بهدوءٍ ومازالت محتفظةً بإبتسامتها:

- هحط النقط فوق الحروف ياروني، بس الأول مع عريس الغفلة طبعًا.

*****

أعاد النظر لبذلته حتى يتأكد من مظهره ربما للمرة العاشرة.. تبسَّم لنفسه ببلاهةٍ وهو يردد داخله:

"حتمًا ستفقدك لب عقلك.. هذا إنْ لم تكن فعلت.. كيف إذا حدثتها لدقائقٍ معدودةٍ، أو نظرت لعينيها، من المؤكد أنك ستغرق داخلهما وربما لنْ تفيقَ إلا بسببِ صفعةٍ قويةٍ لجرأتك تلك"

عاد يُهدئ نفسه ويحثها بالتعقل:

"اهدأ إسلام ماذا ستقول عنك؟

مجنونٌ؟

ربما أحمقٌ تليقُ بكَ أكثر"

نفض تلك الأفكار الغريبة عن رأسِه وعاد يتبسم ثانيةً، فهو بعد سويعاتٍ قليلةٍ سوف يقابلها.. يتحدث معها سيروي ظمأَ عينيه برؤيتها سيرى "لماره" ..

كانت حقًا بريقًا كإسمها ظهرت له من اللاشئ لتبددَ يَّ ظلامٍ يحيط به ولا يرى سوى بريقها، كان يومها ذاهبًا للجامعة لعمه "مراد" ليخبره بأمرٍ جللٍ لا يحتمل الإنتظار، بينما يسير ويتمتم بحنقٍ:

" مش فاهم بيقفل موبايله ليه ؟ عشان مايشتتش تركيز طلابه الأغبياء أضرب أنا المشوار ده كله.. زودتها قوي يامراد"

فقط صدامٌ عابرٌ.. مشهدٌ يتكرر كثيرًا أحيانًا بقصدٍ وأحيانًا بدون، لتلململَ تلك الجنية أغراضها المبعثرة وترحل مع غضبها في الفراغ وكأنها تبخرت.. وهو حتى لم ينبسْ ببنت شفة وكأنها أخذته لعالمٍ آخرٍ، توقف الزمنُ حوله لعدةِ دقائقٍ، استعاد بعدها بعضًا من وعيه ليكملَ ما قدم لأجله، وأخيرًا عثر عليه، ولكن مهلًا.. إنها هي.. جنيته !

بصحبةِ عمه ليس هذا فقط إنها تبتسم وتضحك.. رباه.. كيف لها أن تفعل ذلك؟!

لم ينسْ تلك النظرة التي خصته بها عندما تلاقت نظراتها بعينيه، كانت مزيجًا من الدهشةِ والغضبِ معًا، ولم لا تغضب وقد أفسد ملابسها الجميلة بمشروبها حينما اصطدم بها، ألقت بعدها التحية وذهبت متعذرةً بعملٍ ما، وذلك التائه نسى تمامًا سبب حضوره!

فقط انفرد بعمه و تقمص دور المحقق وأخذ ينهال على المسكين بالأسئلة

ما اسمها؟

مجال دراستها ماهو ؟

عمرها ؟

وهل هي ترتبط بشخصٍ ما؟!

وخرج سؤاله الأخير بوهنٍ وأملٍ ب "لأ".

وكان ردُ العمِ مراد مغلفًا بالدهشةِ، ونعته بالجنونِ.. وسرعان ما أتاه الجوابُ على لسانِ المجنونِ:

- هي دي اللي بدور عليها.. أخيرًا لقيتها.. أنا عايز أتجوزها يامراد.. بس إنتَ ماقولتليش اسمها أيه؟!

لتعلو ضحكاتُ مراد.. والواقفُ أمامه يكاد يتميز من الغيظِ.. وأخيرًا تخلص مِنْ نوبةِ الضحكِ تلك وتشبث بآخر بقايا عقل لابنِ أخيه ليخبره أنَّ عامها الدراسي الأخير أوشك على الانتهاء ليدعها تنتهي أولًا ولا يشغلها عن حلمها وهي قد أوشكت على تحقيقه.. بعدها يمكنه فعل ما

يريد، يخبرها عن مشاعره المجنونة تلك، أو حتى يتزوجها ثم يخبرها.

وافق الآخر على مضضٍ، ولم يستطع منع نفسه من الذهاب والتلصص عليها عن بعدٍ فقط ليراها ويُطمئن نبضات فؤادِه العاصفة بعشقِ تلك الفتاة .

أعاده لحاضره طرقاتٌ متتاليةٌ فوق بابِ الحجرةِ ليهمسَ لحاله بمللٍ

"من المستحيل أن أنعم ببعض الهدوء والسكينة في ذلك المنزل، قسمًا 'لماري' حين تصبحين ملكي سأهرب بكِ بعيدًا عن هؤلاء المزعجين"

وقبل أن يصل للباب ويفتحه كانا قد توسطا الغرفة، بحفلٍ من نوعٍ خاصٍ يعلوه التصفيق والصفير:

يا نجف بنور يا سيد العرسان

يا قمر ومنور ع الخلان

آه يا نجف حلو يا نجف آآآه

حلو ومدلع من يومك

اسم الله عليك ملو هدومك

وآآآآآآآآآآآآآآآه يااا نجف

أنهت ساندي دورَ الراقصةِ بطبعِ قبلاتٍ متفرقةٍ فوق وجنتيه ليبعدها هو ضاحكًا:

- أيه يا بنتي الأوفر ده.. هو أنا رايح أحارب أنا رايح أخطب ياجدعان.

أردفت ساندي بسعادةٍ بالغة:

- أخيرًا عقدتنا اتفكت وحد هيتجوز فينا.

أكملت حديثها وهي تشير بسبابتها نحو الآخر:

- الدور الجاي عليك ياكابتن.

ليتلقى باسل سبابتها وكأنها رصاصة خارقة لتوقع به فوق فراش أخيه ممثلًا دور المقتولِ ببراعةِ لاهثًا بين أنفاسه الأخيرة:

- فال الله ولا فالك ياشيخة.

ثم استعاد كامل وعيه ليخبرها بمشاكسةٍ:

- طيب ادعي لنفسك يا عانس اللي زيك معاهم عيل واتنين.

لتشهقَ بعدها ساندي بقوةٍ وتهتف من بين أسنانها:

- أنا عانس يا حيوان، عجبك كلامه يا إسلام ؟

زفر إسلام بحنقٍ وهو يتأبط ذراعها ذاهبًا بها نحو المرآة:

- بذمتكم ده وقت مناسب للكلامِ الفاضي ده، ها أيه رأيك حلو، يعني أعجب ؟!

ضحكت ساندي.. بينما أجاب باسل بسخريةٍ:

- يعني بقالي ساعة بصفر وأغنيلك يا نجف ومدلع من يومك.. طبعًا تعجب ونص.

تبادلا الضحكات بينهم.. ثم أخبرتهم ساندى:

- خالتو نجوى وياسمينا تحت.. تعالَ سلم عليهم قبل ما تمشي .

هبطا الدرج وذهبا حيث تجلس والدتهم بصحبة شقيقتها وابنتها، وبعد تبادل السلام والتحيات.. أردفت الخالة بامتعاضٍ:

- مبروك يا إسلام، ربنا يتمم بخير.

- الله يبارك فيك ياخالتو ، عقبال ياسمينا.

بينما نهضت ياسمينا ببطءٍ تجاوره.. قائلة بحزنٍ وهي تعدل من وضع نظارتها الكبيرة :

- خلاث يا إثلام هتتجوز وتثبنا ؟

ليجيبها باسل سريعًا كعادته دائمًا:

- آه يا ياثمينا هيتجوز ويثبنا بث إنتِ زعلانة ليه ياثكر؟

نظرت له ياسمينا بغضبٍ لسخريته تلك وأردفت بحنقٍ شديدٍ:

- بااااااثل إخرث ! وإنتَ مالك أثلا هو إنتَ العريث ولا كنت إنتَ العريث يعني ؟!

ليكتم الإخوه الثلاث ضحكاتهم بصعوبةٍ تحت نظرات والدتهم المليئة بالوعيد، ليقول إسلام بعدها :

- طيب مش تجهزي يا ماما كده هنتأخر على ميعادنا ؟

لتجيب شاهي بمللٍ:

- يابني مستعجل على أيه لسه بدري، هي العروسة هتطير؟

- مااااااماااا !

- خلاص هسكت.. إما أشوف آخرة دماغك الناشفة دي أيه ؟

لتتدخل الخالة بفضولٍ:

- ليه يا شاهي هي العروسة مش قد المقام ولا أيه.. ده أنا قلت عروسة إسلام الشافعي هتكون على الفرازة.

تنهي شاهي الحديث تحت نظرات ابنها الغاضبة:

- لسه يانوجا هنروح ونتعرف عليهم، بس أكيد إسلام مش هيتجوز أي واحده يعني.

لتودعهم بعدها نجوى وابنتها، ليتخذ كل منهم

طريقه، بينما عقلها يفكر في مشاريعٍ جديدةٍ ربما

تنفع مع الابنِ الأصغرِ بعد فشلٍ ذريعٍ لمخططاتِ

وقوعِ الأكبرِ.. فهي لايشغلُ بالها سوى الخلاص

من تلك الياسمينا الحمقاء !

*****

ترحابٌ شديدٌ من أهلِ العروسِ

يليه تناول بعض النقاشاتِ المختلفةِ

ليفصحَ بعدها عن سببِ الزيارةِ

ومطالبةٌ شخصيةٌ من العريسِ برؤيته الشرعيةِ

ليتبع بعدها أمر من والدِ العروسِ بحضورها

لترى ذلك الأمير الوسيم الذي جاء خصيصًا

لأجلها وداخل مقلتيه بريقٌ لا ينطفئ بل يكاد

يبصره الأعمى.

ربما دقائقٌ أو ربما توقف الزمنُ مع الجنيةِ

الجالسةِ أمامه وتحرمه من النظرِ لعينيها بالنظرِ

لتلك السجادةِ اللعينةِ.

وبدلًا من أن يُفصح هو عن مكنوناتِ خافقه

المجنونِ تُلجمُ هي لسانه بل تُشل حركته كليًا

بكلماتها القاسيةِ:

"إنتَ شخص كويس وأي بنت تتمناك بس أنا

آسفة قلبي مبقاش ملكي! "

(٣)

رحل

مازلتُ أعرفُ أنَّ الشوقَ مَعصيتي..

والعشقُ واللهِ ذنبٌ لستُ أُخفيه..

قلبي الذي لمْ يزلْ طفلاً يُعاتبني..

كيف انقضى العيدُ.. وانقضت لياليه..

يا فرحةً لمْ تزلْ كالطيف تُسكرني..

كيف انتهى الحلمُ بالأحزانِ والتيهِ..

حتى إذا ما انقضى كالعيد سامرنا..

عدنا إلى الحزنِ يُدمينا.. ونُدميه.."



"فاروق جويدة"

*****

أسوءُ استهلاكٍ.. استهلاكُ نفسك عاطفيًا

يأتي لنا الحب محملًا بالكثيرِ والكثيرِ بين طياتِه،
يأتي بسعادةٍ وربما ألمٍ، وكثيرٌ مِنْ الأحايين يكون
محملًا بفراقٍ قبل البداياتِ.

وهو ضَاعَ في دوامةِ عينيها منذ الوهلةِ الأولى، فلمْ
يستطعْ أنْ يَرى تلك الدوامات الصغيرة التي
توالت في الإتساعِ حتى كَادَ أنْ يغرقَ، وها هو
تَعدى مرحلةَ الضياعِ وخطى نحو الألمِ.

كيف لها أنْ تكونَ قاسيةً هكذا؟

بكلِ بساطةِ العالمِ تُخبره أنَّ قلبَها لمْ يعدْ ملكًا لها.. أي أنها عاشقةً على ذمةِ عاشقٍ!

لكن هو..!

ألم تشعر به البتة؟

ألم تشعر بذلك الخافقِ بين أضلعِهِ الذي يهفو لها عن بعدِ أميالٍ؟

هو يجزم في لحظتِه تلك أنها لم ترَ حتى ملامحه..

ألهذه الدرجة خدعت نفسكَ أيها الطبيب؛ لم تفكرْ في نقطةٍ كتلك؟ لمْ يخطرْ ببالك أنْ ترفضَكَ قبل حتى أن تراك؟!

ياالثقتكَ العمياء!

حجبتَ بصرك عن رؤيةِ الواقعِ، أجهدتَ

مشاعرك في السراب.. نعم أجهدتها!

أنَّ لك بكل ذلك الشغف والعشق وأنتَ لم تعشقْ قبلًا! ويوم رأيتها وأخبرك حدسك أنها هي من تبحث عنها أطلقت لها العنان لتغرق قبل أن تصل بر الأمان بيدها هي لا غيرها، فقدت توازنك وأجهدت مشاعرك حد الألم.

تبسم لحاله ساخرًا؛ لطالما تردد أمه وبعض الزميلات في مشفاه وحتى الممرضات.. تلك الكلمات

"يابخت اللي هتتجوزك يا دكتور إسلام "

وهاهو ذهب لمن أراد تتويجها ملكةً على عرش قلبة لترفض هي ببساطة أن يكون "بختها"

لايدري كم مر من الوقت وهو على حاله، حينما تعبت قدماه من السير قرر تكريمهما بالوقوف على أحد الشواطئ، ينظر نحو الأفق بفراغٍ.. تائهٌ بين عقلٍ يجبره على الإفاقة؛ يكفي هوسًا أيها الوسيم.. فالعشقُ والغرامُ ليس إلا مرضًا خبيثًا يتسللك وحينما يتمكن منك يفتك بك بلا رحمةٍ وبكل قسوةٍ كما فعلت.. ويئن القلبُ بخفوتٍ طالبًا الإعتراض، ماشعرت به مؤخرًا لم يكن أبدًا مرضًا بل كان بريقًا مِنْ نوعٍ خاصٍ انتشر داخلك مانحك الدفء و إحساس لم تتذوقه قبلًا، عليك بالصبرِ والتشبثِ بذلك البريقِ حتى وإن بات خافتًا..

منذ أن نطقت بكلماتها "قلبي مابقاش ملكي" وهو لا يدري ما الذي أصابه، أولًا تلقى كلماتها بصمتٍ جللٍ لم يطل طويلًا.. وبعد دقائقٍ من إدراك ما سمعه هبَّ واقفًا وشعورٌ بالإختناقِ يتملكه مِنْ ذلك المنزلِ بمن فيه ويريد الخلاصَ.. وعندما لاحظ الدهشةَ في عيونِ الجميعِ عن تخليه عن رؤيته الشرعيةِ بتلك السرعةِ، لم يكن بوسعه سوى الكذبِ وإخبارهم بصوتٍ جاهدٍ حتى يبقيه صامدًا قويًا كما اعتاد الجميعُ منه.

- اتصلوا بيا من المستشفى أمر طارئ.. أنا آسف مضطر أستأذن.

ترك مفاتيح سيارته فوق المنضدة المجاورة لوالده مردفًا:

- بابا مفاتيح عربيتي.. خليها مع حضرتك أنا هاخذ تاكسي.

ورحل..

تاركًا الجميع تحت إثر الدهشةِ والعروسِ الجميلةِ تمثل الحزن ببراعةٍ من موقف العريس الغير لائق تمامًا.. بينما يتمتم والديه بإعتذاراتٍ واهيةٍ ثم غادروا والحيرة تتمكن منهم.. ماذا أصاب ابنهم المصون بعد كل ما فعل حتى يصل لموعده المرتقب ليرحل هكذا بتلك السرعة؟!

هواءُ البحر البارد يلفح صفحة وجهه، وعتمة الليل تزداد، لا يعلم هل هو غاضبٌ.. حزينٌ.. بائسٌ؟!

نعم هو البؤس ربما ما يتملكه الآن، وهو لن يترك روحه لتلك الحالة والسبب إمرأة..!

أخذ نفسًا عميقًا، كررها عدة مراتٍ، حتى شعر بالإسترخاء قليلًا.. تخلل خصلات شعره بأنامله وهو يغمض عينيه بقوةٍ هامسًا لنفسه

"حسنًا يكفي.. حان وقت الفرآق، تأخرت قليلًا لكن لابأس.. انسَ تلك القاسية لا خيارَ آخر أمامك، ليست امرأةً من تفعل بك ذلك وتقلبك رأسًا على عقبٍ.. هي مجرد امرأة ويوجد مثلها الكثيرات.. من تكون لتفعل بك ذلك! ستنساها عاجلًا أم آجلًا وانتهى"

* * * * *

"حصل أيه يا لمار"

كانت تلك جملة والدها الزاعقة.. أجفلت منها لثوانٍ معدودةٍ ثم أجابت بنبرةٍ متلعثمةٍ:

- والله يا بابا ما أعرف فجأة كده قام وقال الكلام اللي قاله ومشي.. وأنا حتى ماتكلمتش كلمة واحدة.. يظهر البيه لما جه عندنا ماعجبوش مستوانا، طبعًا ماهو أكيد عايز حد من نفس مستواه، بس ده مايسمحلوش إنه يهينا بالطريقة دي.

نظرت نهال لزوجها هاتفةً بنبرةٍ غاضبةٍ بعض الشيء:

- خلاص ياعز الموضوع ده صفحه واتقفلت.. لمار ألف مين يتمناها ولو هما شايفين إننا مش قد مستواهم محدش ضربهم على إيديهم.

تدخلت لمار مسرعةً وقد اختارت مبدأ ضرب الحديد:

- أيوه يا ماما ماشفتيش الست والدته مفيش حتة في البيت إلا وبصت عليها، ناس بتقيم كل حاجه بالفلوس.. هو احنا يعني لازم نسكن في سرايا عابدين علشان نعجب، أنا مستحيل أرتبط ببني آدم تفكيره عقيم كده.

نظر والدها لعينيها بعمقٍ أكثر وسألها مجددًا:

- يعني هو ده بس اللي حصل؟ ما يمكن يكون تفكيرك غلط ويكون فعلًا عنده شغل مهم ماقدرش يأجله.. أنا بقول نستنى ونشوف هيعمل ايه..

ازدردت لعابها بينما عقلها لايكف عن العمل ياإلهي لم تصر يا أبي؟ لم تجبرني على الإستمرار في إختلاق الأكاذيب؟ لطالما كرهت الكذب والخداع ولم أعهد نفسي هكذا أبدًا.. لكن الغاية تبرر الوسيلة.. فتابعت بثقةٍ:

- مش هييجي ولا يتصل تاني..

سألتها أمها بإستغرابٍ:

- وليه الثقة دي كلها؟

أجابت وهي مازالت محتفظةً بقناع الثقة:

- علشان ماحدش كلمه أصلًا لا المستشفى ولا غيره دي كانت كذبة عشان يخرج ومايجيش تاني.

واسترسلت بحنقٍ مصطنعٍ:

- أنا ماعرفش ده يبقى قريب دكتور مراد على أي أساس يعني.

تبادل والداها النظرات بينما يتسائل كلٌ منهما بداخله عن تصرفات ذلك الشاب المريبة.. لم أتى من الأساس؟!.. لو كان الموضوع متعلقًا بالمستوى المادي كما زعمت ابنتهما الفاضلة لكان بإمكانهم التحري عن المهندس "عز الدين"

وسيجدون ألف دليلٍ.. فعزله اسمه بمجاله والمستوى المادي واضحٌ للعيان، هو ليس من الطبقة المخملية لكن أيضًا ليس بالقليل فهو في حد المتوسط وهذا لا يقلل من شأنه أبدًا.. إذًا لم كل ذلك؟!

هتفت نهال بشيءٍ من الهدوء:

- دول شكلهم عيلة مجنونة واحنا مفيش حاجة تجبرنا على الجنان ده.. الله الغني، لو حد منهم كلمك تاني ياعز قوله ماعندناش بنات للجواز.

استأذنت لمار لغرفتها طلبًا للراحة بعد يومٍ طويلٍ أجهدها نفسيًا وجسديًا.. ذهبت تحت نظراتِ أبويها الحائرةِ.. وإبتسامةُ النصرِ تحفر آثارها

فوق شفتيها غافلةً عن جرحِ كبرياء رجلٍ كان كل مبتغاه الوصال.

* * * * *

تحرك المفتاحُ داخل المزلاجِ معلنًا عن عودته، متمنيًا من أعماقِ قلبِهِ أنْ يكون الكلُ نيامًا؛ فهو حقًا ليس بمزاجٍ صالحٍ أبدًا لأي نقاشاتٍ، لكن سرعان ما خاب ظنه.. حينما وقع بصره على التجمع العائلي الكريم، حسنًا يعترف أنَّ اليومَ يومُ الخيباتِ.. تعمد التأخر ولكن لا فائدة.. أبوه هو أبوه.

وسرعان ما أتاه صوتُ والده الغاضب:

- إسلاااااااام.

تنهد بهدوءٍ واستدار مواجهًا له راسمًا إبتسامة هادئة:

- أفندم يا بابا؟

هتف عزيز بسخريةٍ لهدوئه:

- كنت فين ؟!

أجاب ببساطةٍ:

- في المستشفى.

ازدادت نبرة والده الغاضبة:

- كذاااب! أنا كلمت المستشفى وكلمت مراد والإتنين أكدولي إنك ماروحتش، حصل أيه يا إسلام أيه اللي خلاك تخرج كده واخد في وشك

وتحرجنا قدام الناس، أيه السبب اللي يخليك تكدب كدبة خايبة زي دي؟

تحدثت الجدة بنبرةٍ قلقةٍ، منذ عودة ابنها وزوجته وعلمها بتفاصيل الزيارة وشب القلق داخلها وتأكد الآن عندما رأته بتلك الهيئة:

- اهدى ياعزيز مش كده.. مش شايف شكله تعبان إزاي؟

هتف عزيز بغضبٍ:

- ماهو أنا عايز أعرف وأفهم أيه سبب كل ده؟

صمت إسلام قليلًا ثم جال بنظره بين الجالسين أمامه وأخبرهم بصوته الأجش:

- خلاص إنسو الموضوع ده .. مش عايزها.

رفع والده حاجبيه في إستغراب سائلًا:

- والسبب؟

تلعثم قليلًا وأجاب بأول شيءٍ خطر بباله عندما وقع نظره على والدته:

- علشان مستواهم ! هم مش من مستوانا.

لتهتفت هنا شاهي مسرعةً:

- عندك حق أنا قلت كده من الأول محدش صدق..

ونظرةٌ غاضبةٌ من زوجها تكفي لتقطع جملتها ويكمل هو بغضبه:

- هو لعب عيال ولا أيه مش دي اللي كنت هتموت علشان تتقدملها.. إسلام بلاش لف

ودوران أنا عارف وإنتَ عارف إن ده مش السبب من أمتى بقى تفكيرك كده يادكتور يا محترم ؟

ياإلهي ماذا أفعل؟ وماذا أخبرهم؟ هل أخبر الجميع أنَّ العروسَ التي اختارها ابنكم المعتوه عاشقةٌ؟! هي لم تخجل حينما أخبرتني لكن أنا والله لأخجل من قولِ شيءٍ كهذا..

حديثُ نفسٍ عابرٌ ليردف بعدها بنبرةٍ تلونت رغمًا عنه بالغضب فهو يجاهد من البداية لكن لافائدة:

-بابا الموضوع ده بالنسبالي اتقفل من فضلك ماتضغطش عليَّ أكتر من كده ليا أسبابي اللي هحتفظ بيها لنفسي.. وجواز خلاص مش هتجوز..

هتف والده بتحدٍ:

- خلاص براحتك مش عايز لمار يبقى تتجوز فرحة.. بنت عمتك.. لحمك ودمك وأولى من الغريب!

و بعد هذا العرض آن أن يفقد صبره ليخبره بصوتٍ حانقٍ.. غاضبٍ:

- مش هنخلص من السيرة دي ألف مره أقول لكم فرحة زي أختي.. لا أكتر ولا أقل ارحموني بقى.. وعلشان ترتاحو لا لمار ولا فرحة ولا زفت.. تصبحوا على خير.

أنهى حديثه وعاد للخارج مرةً أخرى.. تاركهم خلفه منهم الغاضب والحائر..

تقدم باسل المستمع للحوار منذ بدايته مكتفيًا بالصمت نحو والده محاولة منه لتهدئته مغمغمًا بنبرةٍ هادئةٍ:

- معلش يا بابا ماتزعلش منه هو شكله متضايق وإنتَ عارف إسلام أما يتعصب بيزعق في أي حد ويقول أي كلام.

نظر له والده بغضبٍ أكبر وعاد يزعق فيه تلك المرة:

- طيب هو بيقول زي أخته إنتَ حجتك أيه مالها فرحة بقى؟ يعيبها إيه علشان ماتفكرش فيها ؟ ولا فاكرين نفسكم لسه صغيرين؟

تدلى فكه في بلاهةٍ مع جحوظ عينيه.. ليجيب بصدمةٍ مبالغٍ فيها:

- عايزني أتجوز أخت اخويا..! لاااا يادي العار يادي التار.

ليهرب الآخر للطابق العلوي بسرعة البرق.. تاركًا أبيه ضاربًا كفوفه ببعض خائبًا رجائه من رجاله.

* * * * * *

استقبله مراد ببسمته الحنونة.. حمدًا لله على وجودك مراد فأنتَ وبيتك ملاذي الآمن.. دلف شقة عمه بصمتٍ وجلس على أريكته المفضلة.. رافعًا رأسه للأعلى ومازال محتفظًا بصمته.. طامعًا في النوم طالبًا للراحةِ.. جُل ما يتمناه الآن

فقط الهدوء حتى يستطيع تصفية ذهنه وطرد كل تفاصيل الليلة منه..

ربت مراد على كتفه متحدثًا:

- هجيب لك بيجامة علشان تعرف تنام.

والإجابة إبتسامة باهتة أضاعت روعتها اليوم..

تناول منامته من عمه بعد ما بادله بعض النظرات هامسًا بخفوتٍ:

-شكرًا.

نظر له مراد بنصف عينٍ قائلًا بمشاكسةٍ:

- لا إوعى تفتكر لما تسبلي بعنيك الحلوة دي هسيبلك الكنبه بتاعتي لاااا دي المفضله يادكتور، هو النهارده بس.. شفقة يعني.

ليجيب الآخر وهو يتبسم لمشاكسة عمه:

- ما أنا عرضت عليك أشتريها وإنتَ رفضت استحمل بقى.

هتف مراد بإبتسامةٍ هادئةٍ:

- مااااشي نام دلوقتي شكلك تعبان ونتكلم بكرة إن شاء الله.

هزة من رأسه ليطفئ الآخر المصابيح حتى ينعم صاحب الوجه الوسيم، الحزين بالنوم.. ويذهب هو لغرفة مكتبه، وكعادته يلتقط كتابه المفضل لكن ليس بغرضِ القراءةِ بل ليُخرِج من بين صفحاته الكثيفةِ صورته المفضلة التي تحمل عبق أنثاه.. أو للدقة "ليلاه"

حرك أنامله فوق صفحة وجهها، بداية مع عينيها الكحيلتين، ثم وجنتيها الورديتين،أنفها الصغير، وثغرها الرقيق يحمل أجمل إبتسامةٍ عرفتها البشرية وحجابها الذي يزيدها جمالًا..

عاد برأسه للخلف وأغمض عينيه.. يهمس لحاله:

" آآه يا ابن أخي.. هل سقاك العشقُ كؤوس المرِ والحرمانِ قبل الشهدِ والإكتمالِ.. مهما طال صمتُكَ.. تفضحك عيناك.. وأين لك بمحرومٍ مثلي يستطيع كشف الغطاء عن دواخلك.. هاهو عمك يصارع دوامة الحرمان منذ عشر سنواتٍ وهو لاحول له ولا قوةٍ.. فقط يتخبط بين أمواجِ الذكرى"

منذ رحيل ليلى بسبب ذلك المرضِ اللعينِ الذي أبى أن يتركها لحبيبها، أبى أن يتركها لفستانِ زفافها.. نعم فكل أمانيها كانت فستانَ زفافٍ جوار من اختاره قلبها.. وقبل تحقيقِ الحلمِ بشهرٍ واحدٍ.. فقط شهرٌ.. كُشفت حقيقةُ المرضِ اللعينِ ليقلب الأحلام رأسًا على عقبٍ.. مرت سنوات ولا زالت رائحتها تعبق روحه.. لم تغب صورتها عنه.. يخاف أن ينسى تفاصيلها يومًا.. في أيامها الاخيرة تغيرت ملامحها ليس قليلًا بل كثيرًا، تمكن المرض منها ولم تستطع التمرد عليه، بل تمكن ونجح أن يطفئ كل بصيصِ أملٍ داخلها لتُسلم له وترفع رايات الخنوعِ.. تاركةً

خلفها عاشقًا يتقلب على جمراتِ حرمانِ
العشقِ.

سقطت دمعةٌ ثقيلةٌ لتخبره أن أحلامه الليلة بقدر واقعيتها بقدر قسوتها.. ليعيد صورته لمكانها الأول.. ونهض يطمئن على ضيفه النائم، التي تعلن قسمات وجهه عن وجود أحلامٍ مزعجةٍ.. تنهد بقوةٍ متمنيًا الهدوء والسكينة لابن أخيه فلا يوجد أكثر وجعًا من قسوة الأحلام .

* * * * * *

- صباح الخير.. كل ده نوم ؟

قالها إسلام وهو يتوسط مطبخ عمه.. يصنع قهوته الصباحيةِ المفضلةِ كتلك الأريكة التي استضافته البارحة بكل ترحابٍ:

- صباح النور.. صحيت أمتى ؟

هتف بصوته الرخيم:

- يعني من شوية.. تشرب قهوة معايا ؟

- يااريت .. خلص وتعالى نشربها في البلكونة.

وضع إسلام القهوة على المنضدةِ المستديرةِ داخل الشرفة، بينما يسقي مراد زهور القرنفل المفضلة عند الحبيبة الغائبة..

هتف إسلام أثناء تصفحه للجريدة التي يُداوم مراد على قرائتها كل يومٍ:

- تعال اشرب قهوتك هتبرد.

جلس مراد على الكرسي المقابل له بينما تابع إسلام :

- يادوب أشرب القهوة وأطير على البيت أغير هدومي وأطلع على المستشفى؛ بدر حالف يقتلني.

تبسم مراد ضاحكًا:

- كتر خيره من إمبارح وهو شايل كل مرضاه ومرضاك فوق دماغه، غير مشاكل الدكاترة اللي مابتخلصش يعني لو قتلك ماحدش يقدر يلومه.

تبسم ثم هتف وهو ينهي آخر رشفةٍ من قهوته:

- طيب الحق نفسي أنا مش مستغني عن عمري.. إنتَ هتنزل دلوقتي ولا لسة شوية؟

- هتوصل المستشفى تلاقيني هناك.

استقام ..هاتفًا بإستعجالٍ:

- تمام .. عايز حاجة قبل ما أمشي ؟

نظر له بعمقٍ.. مغمغمًا:

- مش هتقول لي حصل إيه إمبارح ؟!

إمتعض وجهه قبل أن يتنهد بضيقٍ هامسًا

برجاءٍ:

- مش عايز أتكلم يامراد.. مش عايز أفتكر أي

حاجه ممكن نأجل أي كلام بعدين؟

تبسم له وهو يهز رأسه بالإيجاب.. مودعًا اياه

لبعض الوقت حتى يلتقيا مرةً أخرى بالمشفى

الخاص بهما.. فتلك المشفى هي عالمهما الثاني،

كانت هدية عزيز لابنه البكر يوم تخرجه.. صك ملكية لنصف تلك المشفى، والنصف الآخر بالطبع ملكٌ لمراد، ليمارس الطبيب الأكبر مجاله الخاص "بالأطفال " بالإضافة لإشرافه على باقي المجالات بالطابق الأول.. تاركًا الطابق الثاني للطبيب الأصغر بمجاله النسائي وغرف الجراحة الخاصة به بالإضافة لحاضنات المواليد.

* * * * *

أسرع يبدل ملابسه بالحجرةِ الخاصةِ بالتبديل عقب وصوله.. يستعد لعمليته الجراحية.. ليفتح الباب ويدلف شابٌ له نفس عمرِ الماثلِ أمامه.. بمنكبين عريضين وقامة طويلة بعض الشيءِ.. يحمل عينين رماديتين وبشرة حنطية مع

حاجبين معقودين دلالة غضبه المستعر.. هتف في الواقف قبالته بصياحٍ:

- ممكن أفهم هي المستشفى دي بتاعتك ولا بتاعتي ؟ حضرتك بقالك كام يوم مديها طناش .. شوف بقى لنشتغل بجد يا إما هسيبلك أم الزفته دي خالص ومع نفسك.

أجابه إسلام بهدوءٍ يوازي غضبه المشتعل:

- خلاص يا بدر اعتبرها بتاعتك مش إنتَ دايمًا بتقول إحنا اكتر من إخوات.

هتف بدر بحنقٍ وهو يكز فوق أسنانه:

- لا بلاش أسلوبك ده دلوقتي بالذات، ومش عايز أعتبر أي حاجة متشكرين يا سيدي.. واتفضل

روح شوف مدام صافي عاملة مناحة في أوضة العمليات آل إيه.. خايفة من حقنة البينچ ! أنا الست دي مش طايقها و دكتور التخدير هيتشل بسببها وعايز يمشي وعنده حق مش ناقصه قرف يعني.

ضحك إسلام من غضبِ صديق طفولته وشبابه.. شعلة الغضب المتحركة كما يطلق عليه دائمًا .. ليهتف بعدها ضاحكًا:

- هي الوليه دي مش هتتهد بقى دي نمرتها الثالثة على التوالي تقريبًا.. وكل مرة نفس الحوار البايخ ده.

ضحك بدر رغمًا عنه قائلًا:

- ولا جوزها صدعني كل دقيقه تقريبًا عايز يطمن عليها.. خنيق بشكل لا يطاق.

خرج إسلام من غرفة التبديل وهو يردد بإستعجال:

- يلا نلحق دكتور التخدير قبل ما يطفش.

بينما بدر يتبعه ويهتف بشيءٍ غفل عنه بغضبه:

- صحيح ماقولتش عملت أيه إمبارح ؟ اتفقتوا على إيه؟!

ليستدير له الآخر فاتحًا ذراعيه على مصراعيهم مع زفرةٍ قويةٍ بمعنى

"أرجوك اخرس لقد مللت"

ثم يعود لموضعه الأول يكمل طريقة بخطواتٍ أسرع بينما الآخر يحرك رأسه بعدم فهمٍ.

* * * * *

بعد مرور أيام ..

في أحد المقاهي على شاطئ عروس البحر كانت تجلس أمامه.. استحضرت نبرتها المصبوغة بالخجل وأخبرته دون مرواغةٍ:

- في عريس متقدم لي وأهلي موافقين.

- بجد.. ألف مبروك إنتِ تستاهلي كل خير يا لمار..

وأردف متسائلًا:

- هو ده الموضوع المهم اللي عيزاني فيه ولا فيه حاجة تانية ؟

جحظت عيناها ما الذي أصاب ذلك الأبله ألم يسمع ما أخبرته به؟!.. ما كل هذا البرود الذي يتحدث به.. تابعت بوهنٍ:

-مبروك! هو إنتَ مبسوط ؟ هو ده ردك على كلامي؟

ابتسم بعذوبةٍ قائلًا بهدوءٍ:

- أكيد طبعًا مبسوط مش إحنا صحاب .. لازم أفرح لك ومن قلبي كمان.

- صحاب!!

هتفت بها لمار بغضبٍ فعاد يتسائل من جديدٍ:



- مالك يا لمار إنتِ غريبة كده ليه ؟

ياإلهي عن أي غرابةٍ يتحدث! استقامت في تعثرٍ وهي تقاوم تلك العبرات اللعينة التي تهدد بالنزول.. تحركت نحو الشاطئ تتطلع للبحر تبث له حيرتها لعلها تفهم ما يجري.. لكن رائحة عطره النافذة تقتحم أنفاسها وقلبها يهدر بعنفٍ تحاول تهدئته لكنه أبى أن يفعل.

نظرت له بعمقٍ محاولةً سبر أغواره.. تسأله بصوتٍ غلبه الضعف و نبرة شبه مسموعةٍ:

- إنتَ بتحبني ولا لأ ؟

لينظر لها بدهشةٍ رافعًا حاجبيه في إستنكارٍ:

- لمار احنا صحاب وبس !

لتصرخ بدورها وهي تضع يديها فوق أذنيها:

-متقولش صحاب أنا مش صاحبة حد إنتَ فاهم

؟!

ويهتف هو بغضبٍ:

- والله أنا مش مسئول عن أفكارك الغلط دي، أنا عمري ما قلتلك بحبك مثلًا أو عايز أتجوزك ! بتعامل معاكي زي أي واحدة.

نظرت له بعيونٍ غاضبةٍ ودموعها تتقافز على وجنتها رغمًا عنها لتقول من بين شهقاتها الخافتة:

- زي أي واحدة ! فاكر إني هكون رقم.. مجرد رقم في حياتك؟!

أطلقت تنهيدةً متحشرجةً واسترسلت بعدها:

- أنا مش قادرة أصدق إزاي كنت غبية و مخدوعة فيك كده، لعبت بمشاعري وجاي دلوقتي تلبس قناع البراءة والسذاجة، إنتَ إزاي ندل كده !؟

صاح بها وقد وصل به الغضب مبلغه:

- يظهر إنك مش بتفهمي بالذوق فوقي يالمار فوقي.. خيالاتك المريضة دي في دماغك إنتِ وبس.. وبعدين لازم تفهمي إن مفيش راجل بيتجوز واحدة كان مصاحبها قبل كده إنتِ فاكرة نفسك فين ؟!

أنهى حديثه وهي لاتزال على حالها مصدومةً..

تحجرت الدموع داخل مقلتيها بعد جملته

الأخيرة.. تنظر لخياله الراحل دون حراكٍ..

ببساطةٍ رحل..

رحل.. كما رحل الأول.

(٤)

ذكريات.. ولكن

بسطت أشعة الشمس خيوطها الذهبيةِ على الأراضي الخضراءِ الواسعةِ مانحةً الأجواء الدفءَ والحرارةَ.. تململتْ في فراشها الدافئ، تلتقطُ أناملها المنبهِ الساكنِ بدوره فوق المنضدةِ المجاورةِ لفراشها.. إنها الثامنة صباحًا.. أعادته لموضعه السابقِ، بينما ارتسم على ثغرها بسمةَ سعادةٍ بالغةٍ فاليوم عودة جدتها من عروسِ البحرِ لم يمضِ شهرًا على فراقها إلا أنها افتقدتها كثيرًا..

أخبرتها يوم رحيلها أنها ستغيب فقط لأسبوعٍ واحدٍ، حتى تطمئن على ولديها وأحفادها، لقد أخذتهم جميعًا دوامةُ العملِ وزيارتهم أصبحت نادرةً فقررتْ هي تلك المرة المبادرة بالزيارة لكن بات الأسبوع اثنان وثلاث بلا اقتربت رحلتها الأسبوعيه لإتمامِ الشهرِ.

في بدايةِ الأمرِ عرضت عليها الجدةُ مرافقتها ليقضيا رحلتهما سويًا.. من ناحيتها أغرتها الفكرةُ كثيرًا وتمنت لو تتحقق وما لبثت حتى أعلنت لوالدها عن رغبتها ورغبة جدتها في مصاحبتها، حاولت وحاولت ولم تتوانَ عن أي فرصةٍ تجدها للإقناع.. لكن دون فائدةٍ ذهب إصرارها وغضبها أدراج الرياحِ.. رفضُ الأب كان قاطعًا غير قابلٍ

لنقاشٍ متعللًا بعدم احتمالِ فراقها؛ فهي روحه الوحيدة التي تبثُ فيه الحياة كيف تتركه وتغيب لأسبوعٍ كاملٍ.. وما كان منها غير أنْ تذعنَ وتمتثلَ لقرارِ أبيها.. ففي النهاية هو ربُ المنزلِ من يملك القرارات.

نهضت مسرعةً والنشاطُ يدب في أوصالها..

سرعان ما ذهبت واغتسلت، توضأت، أدت فرضها وأخيرًا وقفت أمام خزانةِ ملابسها.. حسنًا يجب أن تختار اليوم ملابسها بعنايةٍ!

ألم أخبركم أنَّ الجدة ستصل قريبًا؟

ويجب أن تكون "جميلة جميلات القرية" في أبهى صورة !

حسنًا.. كل تلك الجلبةِ والنشاطِ الزائدِ ربما لأنَّ الجدةُ لن تأتيَ بمفردها.. فهناك من يصاحبها.

بعد المهاتفةِ المسائيةِ التي تلقتها من "ساندى" كعادتهما اليومية وأخبرتها أن المصاحبَ اليوم مختلفٌ.. فالمتعهدُ والمتكفلُ بتلك الخدمةِ العظيمةِ للجدةِ العجوز غاضبٌ وغيرُ متواجدٍ بالمنزلِ ولا رغبةَ لأحدٍ بالإحتكاك به حاليًا.. ولمن ستذهب المهمة بالطبع؟

نعم بكلِ تأكيدٍ لذاك "الكابتن".

تخبط واعترض.. وحجته ضيق الوقت وأنَّ عطلته الرسمية أوشكت على الإنتهاء، كيف له أنْ يذهبَ كل تلك المسافة بالسيارة؟ فقط لأنَّ

الجدةُ تخاف ركوبَ الطائرات.. اللعنة لم صُنعت إذًا؟!

وإصدارُ فرمانٍ مِنْ والده كافٍ ليلجمَ لسانه عن الثرثرةِ الزائدةِ وينصاع رغمًا عنه.

كانت تلك تفاصيل المهاتفةِ.. لكن كل ما يهمها الآن أنه آتٍ، رغمًا عنه أو عن طيبِ خاطرٍ.. هو آتٍ.

وهذا يكفيها الآن.. مرَّعامٌ كاملٌ وقتما ذهبت مع والدها ليقضيَ بعضَ الأعمالِ هناك، وهي مكثت في منزلِ خالها ليومين رأته حينها مرتين لا أكثرَ وكان دائمًا في عجالةٍ مِن أمره ولم تره من بعد تلك الزيارةِ.

طرقاتٌ على الباب جعلتها تنتبه من شرودها وتظبط تلك البسمة البلهاء المنحوتة فوق ثُغرها الجميل منذ مساء البارحةِ.. فُتح الباب وطلت برأسها امرأة ثلاثينية تحمل ملامحًا هادئةً في كلِ شيءٍ..

عيونٌ ناعسةٌ، بشرةٌ خمريةٌ، وشعرٌ أسودٌ ليس بالمتفحم الماثل أمامه لكن لابأس به.. قالت بإبتسامةٍ هادئةٍ:

- أيه يا بنتي كل الدوشة دي على الصبح؟

نظرت لها فرحة وقد بادلتها نفس الإبتسامة:

- صباحك فل وورد يا أحلى عمتو في الدنيا.

ضحكت الأخرى بدورها وهي تتوسط الغرفة لتجلس بعدها على طرفِ الفراشِ قائلةً:

- امممم لا المزاج عالي قوي النهاردة خير يابنت حسن في إيه مدهولك كده؟!

- طول عمرك لماحة وتفهميها وهي طايرة يا نبيلة.

زمت نبيلة شفتيها ونظرت لها بنصفِ عينٍ:

- بت يا فرحة مالك في إيه؟

تحركت فرحة عن خزانتها حتى قابلتها في وقفتها قائلةً بسعادةٍ:

- إنتِ ناسية إن تيتة طمطم جاية النهاردة ولازم طبعًا استقبلها هلبس وأروح استناها في بيت جدي علشان لما توصل تلاقيني هناك.. أنا مش

قولتلك الكلام ده بالليل إنتِ نسيتي يا بلبلة ولا إيه؟

صمتت نبيلة قليلًا تعيد النظر بتمعنٍ في الماثلة أمامها وغالبًا فطنت مايجري فهي ليست ابنة أخيها فقط بل ابنتها التي لم تنجبها يومًا وهي تحفظها عن ظهر قلبٍ:

- امممم لأ مش ناسية إن طمطم جاية بس ماقولتيش مين هيجبها، أكيد إسلام زي كل مرة مش كده؟

عادت لخزانتها تقلب في محتوياتها دون هدفٍ فقد اشتعلت وجنتيها بحمرة الخجل تحت نظرات عمتها المشاكسة وأخيرًا أجابت بنبرةٍ متلعثمةٍ للغاية:



- تؤ مش إسلام لأ.

تعالت ضحكات العمة بينما تطالعها فرحة بغضبٍ وتزوم شفتيها هامسةً بخجلٍ:

- اسكتي يا بلبلة بقى دلوقتي بابا يسمعك تضحكي ويجي يقول بتضحكوا على أيه.

هدأت نبيلة من ضحكاتها قسرًا ثم نهضت بدورها تجاورها أمام الخزانةِ التي تبدو ضائعةً مع محتوياتها:

- طيب ما نقول له بنضحك على ايه.. إلا احنا صحيح بنضحك على أيه يافرحة؟

تنهدت في غضبٍ طفوليٍ وهتفت متكتفةً الساعدين:

- ممكن تبطلي تكسفيني ياست نبيلة هانم ولا مش ممكن؟

لفت نبيله ذراعها حول كتفيها و ضمتها إليها ثم أردفت بحنانٍ:

- خلاص ماتزعليش.. يلا نشوف هتلبسي إيه من الدولاب اللي حضرتك بهدلتيه خالص.

أردفت فرحة بحماسٍ وهي تواجه عمتها:

- أيوه يا عمتو عايزة أكون أحلى واحدة النهاردة.. عايزة أكون جميلة في نظره و..

قطعت حديثها وهي تمسك رأسها بكفيها.. تنظر لعينيها قائلةً بنبرةٍ أموميةٍ:

- هششششش.. أولًا إحنا قولنا ايه قبل كده؟ماينفعش عواطفنا تحركنا.. لما عواطفنا هي تتحكم فينا يبقى العقل لزمته إيه؟ ثانيًا أنتِ زي القمر يا قلب عمتو ومافيش داعي تعملي أي حاجه.. ثالثًا بقى والأهم اللي يحبك لازم يحبك زي ما أنتِ يحبك لأنك كده مش علشان أي حاجه تانية.

ألقت بجسدها بين ذراعيها تضمها.. قائلةً بصوتٍ متهدجٍ:

- أنا بحبك قوي يا عمتو.

لتشد الأخرى على ضمها وتردف:

- وأنا بحبك أكتر يا روح عمتو.

نبيلة إمراة تزوجت وهي ذات العشرين ربيعًا.. لم تحلم بحياةٍ ورديةٍ وقصةِ عشقٍ تتداولها ألسنة نساء القرية ويتبادلن بعدها السخرية ومصمصة الشفاه.. كأن العشق في تلك الحياة غير مباحٍ!

لم يبذل والدها أي جهدٍ آنذاك في محاولةٍ لإقناعها بعدما أخبرها أنها ستسعد أيامها برفقة هذا الرجل.. وماذا تتمنى فتاة ريفية بسيطة غير السعادة؟.. وتزوجت ومرَّ عامٌ وتبعه عامٌ ولا ذرية تريحها من إهانة زوجٍ يطالب بالولدِ ليل نهار.. وبعد ثلاثةِ أعوامٍ، فقد الأمل والموانع غير معروفةٍ وتزوج بأخرى.. مَنْ ستمنحه الولد..

والخيار كان لها؛ تظل حبيسةَ ميثاقٍ يؤمن لها المأوى والمأكل والمشرب أو ترحل.

وهي اختارت الثاني..

فماعاد الزوجُ زوجًا ولا الميثاقُ ميثاقًا.. وعادت لمنزلِ أخيها، فلا مأوى لها غيره وتقبلها بصدرٍ رحبٍ وهي تحمل لقب "مطلقةٍ"

مرت تسعة أعوامٍ على تلك الذكرى..

وخلال تلك المدةِ تكفلت فرحة بزرعِ البسمةِ والإحتواءِ الذي ظلت تبحث عنه العمة دائمًا ولم تجده.. اقحمتها داخل عالمها الخاص واعترفت لها بكل ما تعتمله داخلها شاركتها أحلامها وأمانيها والأخرى استشعرت حالها داخل تلك

الجميلة كأنما أعادت لها صباها فلا تشعر بفارقِ العمرِ معها، بل غدت تشاركها أيامها وأحلامها و لم تتهاون في إسداء النصح دائمًا.. هي موقنةٌ أنَّ ابنة أخيها لديها عقلٌ ناضجٌ وتفكيرٌ سليمٌ لن يجعلها تميل عن الصواب.. لكن أحيانًا تختلف الموازين ولا يصبح للعقل القدرة الكافية لمواجهة موجاتِ القلبِ الهائجةِ..

فالجميلةُ عاشقةٌ.. وفي العشقِ تختل الموازين.

* * * * *

ضغط فوق مزود السرعة بقوةٍ أكبر وهو ينطلق في طريقه الريفية الغير ممهدةٍ والجدةُ المسكينةُ، الساكنةُ بالمقعد المجاورِ له داخل سيارته تهمس بين الفينةِ والأخرى بالشهادة؛ فذلك المجنون

يقود بسرعةٍ جنونيةٍ.. ولولا أنها متأكدةٌ أنه حفيدها ويحبها كثيرًا لظنت أنه يريد سطر نهايةِ العمرِ بقيادته المتهورة تلك.

تنفست الصعداء حينما رأت المسافات تنطوي وتقترب من بيتها الذي اشتاقت له بكلِ ما تحمل الكلمة من معنى.. أخبرته بغضبٍ واهنٍ فما شعرت به في الساعاتِ الماضيةِ جعل سائرَ جسدِها متعبًا:

- ربنا يسامحك يا باسل.. كده يابني كنت هتودينا في شربة مية.

ثم أردفتْ في تحسرٍ ومصمصةِ شفاهٍ:

- الله يمسيك بالخير يا إسلام حوجتني للمجنون ده.

ضحك باسل بقوةٍ هاتفًا بمرحٍ:

- ماكنتش أعرف إن قلبك خفيف كده يا طمطم.

اعترضت بغضبٍ جللٍ:

- خفيف أيه يابني هو احنا كنا ماشين على الأرض أصلًا!.

تابع بإبتسامةٍ هادئةٍ:

- خلاص يا حاجه وصلتي بيتك بأمان.. حمدالله على السلامة.

ولجت للداخل لمنزلها.. مأواها الدافئ وملاذها الآمن.. أينما ذهبت يظل هذا المنزل هو دفئها،

وليس الدفءُ جدرانًا و أثاثًا عتيقًا.. كلا، ذكرياتها

هنا هي دفئها التي لا تحتمل الإبتعاد عنها فكلما

ابتعدت اشتاقت وعادت..

ما إن دخلت حتى وقع بصرها على فرحتها كانت

تنتظرها مع زينب، المرأة التي تقيم معها وتقوم

على خدمتها ولا تتركها أبدًا بأمرٍ من أبنائها.. عناقٌ

حارٌ طال لدقائق ثم عتاب بحنين.. ورغم

اشتياقها لها لم تستطيع أن تبعد بصرها عن

الباب تنتظر دخوله.. لكن أين هو؟

سألت جدتها بهدوءٍ:

- هو باسل فين؟ ساندي قالت لي هو اللي

هيوصلك مش إسلام.

- اسكتي يافرحه ماعدتش هركب مع المجنون ده خالص كان ناوي يموتنا النهاردة فاكر نفسه راكب طياره على الأرض.

ضحكت فرحه بخفوتٍ بينما أكملت الجدة:

- ماعرفش يا بنتي جاب الشنط من العربيه وخرج تاني روحي شوفيه علشان يتغدى ويرتاح شويه أكتر من سبع ساعات سايق أكيد تعبان.. وأنا هروح أشوف زينب جهزت السفرة ولا لسة..

.....

سحب نفسًا طويلًا يستنشق الهواء النقي ويتطلع حوله.. كبرت الشجيرات الصغيرة بل تغيرت ملامح البلدة ككل فمنذ أكثر من خمسِ سنواتٍ

لم يقم بزيارتها.. والمنظرُ الجذابُ حوله يعاتبه،
أخذ يدور في المكان كأنه يتعرف عليه لأول مرةٍ..
يتطلع لبساطة البشر حوله ويبتسم، يحسدهم
على راحة بالهم وضحكاتهم الصادقة، ربما لا
تتوفر لديهم خدمات ولا تفتح في العلم
والعلاقات كالمدن رغم ذلك لايرى أمامه غير
أيقونةٍ للبساطةِ والجمالِ، تلك الحياة لها رونقها
الخاص.. أخذ نفسًا عميقًا من جديدٍ ومن ثم
استدار ليعود لجدته لكنه توقف حينما صُدم
بزوجٍ من العيون السوداء تحملق فيه وبشدة.
بعدما تركت جدتها وخرجت تبحث عنه خطت
بهدوءٍ خارج المنزل تبحث عنه بعينيها تنظر هنا

وهناك لا تراه.. دب الخوف في أوصالها دفعةً واحدةً.. يا إلهي هل عاد أدراجه دون أن تراه؟

لكن سرعان ما هدأت عندما رأت سيارته مصفوفةً جوار المنزل.. وقبل أن تدور بعينيها مرةً أخرى تسارعت نبضاتُ خافقها واضطربت أنفاسها وارتباكها من أن يسمعها.. حمدت الله كثيرًا أنه يوليها ظهره، رأته يتنقل بعينيه هنا وهناك تارةً يمسك بعض الزهور الصغيرة التي نبتت بين الشجيرات وأخرى يعبث بأوراق الشجر.

رباه..!

هل هو أمامي، هل أبصر ملامحه دون شاشةِ هاتفٍ أو صورةٍ ورقيةٍ حفظت ملامحه.. لقد تغير

قليلًا.. نعم ربما ازدادت وسامته وشعره استطال أيضًا لطالما كره قصه؛ يفضله هكذا طويلًا بعض الشيءِ.. سرواله الأسود وقميصه يحمل نفس اللون.. رباه كم هو وسيمًا!

نهرت نفسها بحدةٍ على أفكارها الجريئة وهي تهمس لحالها:

"تغازلين الشاب دون حياءٍ يا حمقاء"

وقبل أن تسترد رباطةَ جأشها باغتها هو باستدراةٍ، لتقع عيناها السودويتان في أسر عينيه التي أخذت تتفحص ملامحها وتمر ببطءٍ وتمهلٍ على كثبِ شعرها الأسود الطويل وهو يتمتم بداخله

"ماشاء الله"

استمر الحال لثوانٍ معدودةٍ لتهرب بعدها ببصرها في ارتباكٍ بينٍ، تريد استجماع أي كلمةٍ.. ماكان طلب الجدة؟ حقًا لا تتذكر فقط تتلعثم ولا يخرج أي حرفٍ منها..!

وقتها شعر بإرتباكها، تقدم ناحيتها وإبتسامته الجذابة تُزين محياه قائلًا:

- فرحة.. إزيك؟

ابتلعت لعابها وهي تجيب بخفوتٍ:

- الحمد لله.. إنتَ إزيك ؟

أجاب ومازال محتفظًا بإبتسامته التي ستفقدها وعيها عما قريبٍ لا شك:

- الحمد لله تمام.

بادرت هي وكأنها تختلق الأحاديث:

- هو إسلام ماجاش ليه المرة دي؟

رفع حاجبيه في إستنكارٍ:

- وهو أنا مانفعش ولا إيه؟

لامت نفسها سريعًا على ماقالت وأسرعت

معتذرةً:

- لا والله ماقصدش كده خالص.

ضحك بمرحٍ مغمغمًا:

- طيب إهدي خلاص ماحصلش حاجه.. أنا بهزر

معاك وإسلام ماجاش علشان ظروف شغله.. ها

خلصتي دراستك ولا لسة ؟

اغتاظت من أسلوبه.. كأنه يتحدث لطفلةٍ في العاشرة مثلًا.. ألا يدري أن فارق العمر بينهما عامٌ واحدٌ وبعضُ الشهور فقط لا غير،

احتفظت بإغاظتها لنفسها وأجابت بهدوءٍ:

- إن شاء الله دي آخر سنة.

هتف بمرحٍ:

- إن شاء الله تتخرجي وتكوني دكتورة بهايم قد الدنيا.

رفع الحاجبين دورها ولم تستطع إخفاء غضبها أكثر.. في البداية عاملها بأسلوب طفلة، ثم جهله بأمورها، والآن يسخر منها..! من يظن نفسه ذلك

الأرعن، هتفت بحنقٍ وعيناها تنظر له بغضبٍ قائلةً:

- بهايم !! الملافظ سعد يا كابتن.

ضحك بخفوتٍ لغضبها الظاهر.. هل هناك أسهل من إثارة غضب أنثى؟

حسنًا حتى الآن لا..

اتخذ نبرة جدية قائلًا:

- طيب هشوف طمطم بقى أنا واقع من الجوع، تعالي إتغدي معانا.. أنتِ مكسوفة ولا أيه.. لا لا ماتتكسفيش تعالي يلا.

أنهى حديثه وهو يسرع الخطى لداخل المنزل بينما هي تضرب الأرض بقدمها غاضبةً.. إن لم

يفعل هذا لن يكون باسل الذي تعرفه.. خطت هي الأخرى للداخل بينما يهمس لسانها بخفوتٍ:

- غبي.

* * * * *

تمدد بجسده المتعب فوق الأريكةِ الجلديةِ، أنامله تفكك بعض من أزرار قميصه بينما ارتاح الآخر على المقعد المجاور؛ يتفرس في ملامحه في صمتٍ لعدة دقائقٍ ليغمغم بعدها:

- وإنتَ ليه تخلي شكلك وحش قدام أبوك؟ كنت قلت الحقيقة هي ماتستهلش تعمل كده علشانها.

مسد رأسه من الجانبين بأصابعه وأجاب بهدوءٍ:

-ماينفعش يابدر.. ماكنش ينفع أبدًا أقول غير كده، حط نفسك مكاني كنت هتعمل كده بالظبط.

ضحك بسخريةٍ قائلًا:

- يابني البنات دول كائنات تافهة بطبعها وإنتَ لسه ماشي وراء الحب والكلام الفاضي ده، وأول نظرة وآخر نظرة وعايش دور شهيد الغرام.

- تشكر ياذوق واتفضل إمشي يلا عايز أنام شوية..

أنهى حديثه وهو يتخذ موضع النوم واضعًا ذراعه فوق جبهته:

- إنتَ مناوبة النهاردة؟

- امممم والأمن مستتب الحمد لله.. هنام شوية.

- طيب خليني معاك ؟

- لا روح إنت عشان تتطمن على الحاجة مايصحش تسيبها لوحدها كل ده.. ومتنساش تسلملي عليها.

خرج بدر مودعًا صديقه بعد ما أنهى الآخر حديثه متخذًا من النوم موضعًا.. أغمض عينينه وطرد أي شيءٍ يمكن أن يعكر صفو ذهنه وماهي إلا دقائق وراح يغط في سباتٍ عميقٍ.

* * * * *

هجرها النعاس.. باتت الدموع رفيقة لياليها، تكورت بجسدها على فراشها تدفن رأسها.. تكتم

شهقاتها الخافتة.. العبرات تبلل وجنتيها دون انقطاعٍ، تستشعر برودةً قارصةً تغلفها، لم تكن تلك البرودة بجسدها.. كلا، كانت بداخل قلبها الساكن بين ضلوعها، بل تكاد تجمد روحها.. ببساطة الكون أخبرها أنها لاتعني له شيء ثم تركها ورحل.. هل هكذا يعشق الرجال!

ما إن يوقع الفتاة في حبال عشقه يتركها معلقةً بين ذكرياته تريد الخلاص ولا تدري كيف؟ تعلمت لفظ الحب لأجله حتى استاغته.. نعم هو رحل لكن ذكراه اللعينة تأبى الرحيل لازالت تتذكر كيف أنقذها من بين موجات البحرِ الغادرةِ والتي كادت أن تقضيَّ عليها غريقةً في أعماقه.. بينما هي تصارع الموت بأنفاسٍ لاهثةٍ

وقلبٍ يخفق بجنونٍ وهلعٌ، أتى هو ليكون منقذها.. انتشلها بكلِ حرفيةٍ من بين الأمواج، ظلت تتطلع على ملامحه في جمودٍ وخجلٍ وتتسائل.. مِنْ أين أتى هذا؟ وعندما وصل بها لشاطئٍ أنزلها من بين ذراعيه بحذرٍ وهي مازالت شاردةً فيه.. همت أن تنطق بشكرٍ ليبتر هو كلماتها بهمسٍ دافىءٍ:

"هو في حورية تغرق في البحر؟ ينفع كده!"

ثم ودعها بإبتسامةٍ جذابةٍ وغاب وسط همهمات الأهل وقلقهم وهي.. عيناها فقط معلقةٌ بخياله الراحل وعقلها يردد كلماته..

يا إلهي مضت شهورًا على تلك الذكرى الأليمة..

نعم، هي لم تكن كذلك لكن الآن هي أليمة

وموجعة بحقٍ.. ظلَّ طيفه من بعدها لا يفارق خيالها لأيامٍ، سكن أحلامها الخيالية دون سابقِ دعوةٍ، اخترق وحدةَ قلبها بسلاسةٍ، وبعد مرور أسابيعٍ همت بطرده خارج عالمها. يكفي ما أخده من حيز تفكيرها وأحلامها في الليالي الماضية..

لكن شاء القدر قبل أن تفعلها عاد من جديدٍ..

لن تنسى تلك الليلة.. حقًا كانت ليلةً لا تُنسى، كانت آنذاك في عرس لإحدى صديقاتها، تتحدث وتضحك معهن بسعادةٍ.. يلوحن لصديقتهن العروس بمشاكسةٍ.. حينها ظهر هو كما ظهر من بين الأمواج أول مرةٍ.. لكن يومها كان مختلفًا يرتدي حلة رسمية بربطة عنق متناسقة.. ويحمل جيتارًا يعزف فوق أوتاره بأناملٍ خبيرة.. سكت

الجميع وهي أولهم.. خفتت الأضواء قليلًا وهو يتنقل بين الحضور بمرحٍ.. يرميها بنظرةٍ خاصةً بين الفينةِ والأخرى ليخبرها بصوته العذب أنَّ تلك الكلمات لها وحدها ..

وبقولك ايه تعالي جالي كلمتين في بالي

مش هخبي مش هداري بعترفلك ايه جرالي

متغمضيش عينيكي لما اقولك ع اللي فيها

إنتِ اللي جوا قلبي واللي ياما حلمت بيها

اقترب أكثر وإبتسامته العابثة تزداد جمالًا وتابع يدللها بصوته:

يا أم العيون بريئة ليكي في الكلام طريقة

حيرتني في الحقيقه مش هسيبك لو دقيقة

متغمضيش عينيكي لما اقولك ع اللي فيها

إنتِ اللي جوا قلبي واللي ياما حلمت بيها

علا التصفيق حولها وآهات الإعجابِ تتناقل بين أفواه الفتيات.. أما صدمتها الحقيقيه حين علمت أنه لا يمت للعرس بصلةٍ!

أتى فقط وتغنى أمام الجميع لأجلها.. خصها هي لا غيرها وبعد ما أنهى كلماته أهداها غمزةً خاصةً من عينيه الساحرة ورحل بعدها، وكأن ذلك الأحمق لا يهوى شيئًا سوى الرحيل..

اعتدلت في جلستها وهي تمسح عبراتها بكفها.. تناولت حاسوبها الشخصي وضعته فوق ساقيها.. وأخذت تبحث عن مقطع الفيديو

المفضل لديها أو أيقونة حبه كما كانت تتخيل..

هي تذكرت تلك الليلة ودون تفكيرٍ أرادت أن تراها

من جديدٍ ضاربةً بكافة شيءٍ في عرض الحائط،

رأته أمامها مرةً أخرى خلال شاشة الحاسوب

يغني لها و نظراته لا تفارقها، الجميع فطن يومها

أن تلك الفتاة تخصه، حتى أنها يومها لم تكمل

أمسيتها.. فقط رحلت سريعًا، أرادت أن تعيد

تفكيرها و تهدئ نابضها المجنون الذي لا يتوقف

عن الخفقان، لتفاجئ به بعد مرور يومين يرسل

لها على حسابها الشخصي مقطع الفيديو ذاك

لتعيد مشاهدته عشرات المرات دون أن تمل..

تحفظ ملامحه، حركاته، كل شيءٍ.. ليعلن ليلتها

قلبها وقوعه أسيرًا لذلك المجنون.

كان دائمًا غامضًا يظهر فجأةً ويختفي بعدها،
يغيب لأيامٍ وأخرى أسابيعٍ لا تعلم عنه شيئًا.. ثم
يعود يظهر لها في أماكن وجودها.. و بعدها إقترب
أكثر أصبح يسأل عن الأحوال ويطمئن فقط !

كل مرةٍ تنتظر فيها أن يعترف بحبه لكن لا فائدة..

هطلت دموعها أكثر وأكثر وهي تؤنب نفسها قائلةً

"ياغبيه كيف تنسينه وأنتِ تفكرين به؟ بل
تشاهدين هذا الفيديو اللعين..

لكن أليس هذا اعترافًا بالحب؟ ليست هذه
أفعال عشاقٍ؟

ويأتي الآن ليقول فقط أصدقاء!

يهتم بي.. يقلق مضجعي.. يغزو أحلامي.. وفقط أصدقاء؟!

يا الله فقط أريد النسيان.. لاشيءَ غير النسيان"

تنهدت بألمٍ.. أغلقت حاسوبها ثم تمددت من جديدٍ فوق الفراش تبحث عن النوم الذي جافها منذ يومين، أسبلت أهدابها الدامعة بينما شفتيها تهمس بألمٍ:

- يا وجع القلب يا باسل!

(٥)

أنثى حالمة

الإنتظار.. كم هي قاتلةٌ لحظاتُ الإنتظارِ، مملةٌ، مريرةٌ.. ولا يوجد أمرَّ من إنتظارِ عاشقةٍ، ولا سيما إن كانت هي فقط من يلعب دوره في تلك العلاقةِ.. تُصاب مشاعرها بالفتورِ بين الفينةِ والأخرى يتوغل الضعفُ والهوانُ ثناياها، وهي وحدها تجاهد للبقاءِ متأملةً يومًا من الطرفِ الآخر أن يستفيقَ ليبدأَ ويؤديَّ دوره.. لكن هيهات، في عالم الرجال هم وحدهم من لهم الحق في تأسيس العلاقات.

وهي "روان الزيان" أنثى حالمة من الدرجةِ الأولى تعشق الخيال ربما لأنه أكثرُ رحابةً من الواقع، تقتبس أحلامها من روايةٍ قضت معها أمسية البارحةِ، تتخيل أبطالها ثم تحتال على أدوارهم لتصبحَ هي البطلة بلا منازعٍ، وبعدها تجسد بطلها أمامها، بنظراته، عنفوانه، حتى صوته يطرق مسامعها وتعود تتنهد بمرارةٍ.. إلى متى؟

نعم هي ليست جذابةً ولا جميلةً كبطلاتِ رواياتها، ولا هي أميرةٌ أتت من أسطورةٍ ما، هي مجرد فتاةٍ عاديةٍ بملامحها الشرقيةِ البحتةِ، عيونها الواسعة وشعرها المموج بلونه الداكنِ، وجهها المستدير ببشرته المنمشة بعض الشيءِ، و

قلبها الحنونِ صاحبِ العشق الهادئ كالبلسمِ في رطوبته، وابن العم أعمى ولا يتحرك له ساكن!

أنهت دراستها الجامعية منذ عامٍ مضى، هي رفيقةُ لمار منذ الصغرِ، لكن لم تكن بإجتهادها وطموحها، لذا رضيت بما أتاها من نصيبٍ.. جُمَّ أحلامها صبت على ابن العم، كحالِ كثيرٍ من الفتيات المراهقات، يشغلن حديثهن بالثرثرة عن فارسِ الأحلام والحبيب الخفي وحينما وجهت إحدى صديقاتها سؤالًا عن هوية الحبيب الخفي لتجيب وتتفاخر كلًا منهن في دورها بحبيبٍ يشغل بالها يشاركها أحلامها ليلًا وعندما أتى دورها هتفت باسمه دون تفكيرٍ؛ فقط لتشاركهن الحديث الشيق.. وكثرت الجلسات وازدادت

الأحاديث الشيقة وتمادى الحال إلى أن اصبح الحبيبُ الخفيُ يحتل جزءًا كبيرًا داخل كينونتها، وهي كأي مراهقةٍ أعجبتها اللعبة حين تذوقت طعم المغازلة وإن كانت كذبًا، نسجت أحلامًا ووعودًا كاذبةً وهي أول من خُدعت، فبمرور الوقت سلم القلب لسلطان اللسان ليريه ما حال عليه بسبب لعبةٍ سخيفةٍ ظن أنها ستنتهي يومًا.. ليصرخ بعدها معلنًا أنه مشتاقٌ لحديثٍ كان.

والحبيبُ الخفيُ يتجاهلها بطريقةٍ غريبةٍ، وزادت وتيرة التجاهل في الفترة الأخيرةِ وهي لاتعلم السبب أم ربما لم يكن مهتمًا من البداية.. كيف تعلم وهي حبيسة تلك الغرفة في بيت الزيان..

فبناتُ الزيانِ لا يعملن، لا حاجة لهن بالعمل وكأن العمل يقاس فقط بقدر الحاجة للمال!

بنات الزيان لايخرجن، بنات الزيان خلقن للبيوت وطاعة الأزواج وتربية الأطفال فقط لا غير.. وهل حالمية ابنة الزيان تناسب تلك القوانين؟!

وخليلُ الروحِ يشبهها تمامًا، وربما هذا التشابه هو سبب ذاك العشق.. فهو تمرد على قوانين عائلة الزيان وأصبح يمارس ما يهوى ويعيش كما يحب "عمر" أن يعيش، درس الهندسة وعمل بأحد المكاتب، استقل بشخصيته وعمله دون حواجز أو تحكمات بالية بعرف العادات

والتقاليد.. أما هي تتمرد ولا تستطيع الخلاص..

وهل للإناث خلاصٌ!

أغلقت روايتها تاركةً إياها فوق منضدةٍ قريبةٍ من الفراش.. قسطٌ من الراحة وتعود لتكملها، وكعادتها دائمًا بعد كل روايةٍ حالمةٍ جديدةٍ تجمع كفيها فوق موضع قلبها، تغمض عينيها، ترسم أجمل بسمةٍ وتهمس:

"يااارب.. قرب بيني وبين عمر بقدر حبنا ليك "

أنهت دعاءها سريعًا، لم تعدد ما تريد فهي دائمًا تهتم بالتفاصيل الصغيرة حتى في الدعاء حينما سمعت صوت همهمات بالخارج، أسرعت خارج الغرفة لتصل للمصدر، تهللت أساريرها وهي ترى شقيقتها.. هتفت بسعادةٍ :

- يامرحبا، ست ريهام عندنا وأنا أقول الشارع منور ليه.

ضحكت ريهام وهتفت وهي تغمز بعينها اليسرى:

- والله إنتِ المنورة.

جلست روان على المقعد المجاور بينما تضيق في حدقتيها.. مردفةً بتوجسٍ:

- والله بعد الغمزه دي والإجتماع المغلق اللي بينك أنتِ والحاجة أنا مش متفائل.

وجهت ريهام نظرها لوالدتها هذه المرة بينما تهتف بحماسٍ:

- خلاص قولي لها ياماما يلا.. ولا أقول أنا ؟!

تبسمت الأم ضاحكةً وأخبرت الجالسة أمامها

دون مرواغةٍ:

- فاكره ياروني من كام يوم لما قولتي إشمعنى لمار

جالها عريس وأنا لأ ؟

خفتت البسمة وأجابت بقلقٍ واضحٍ :

- أيوه ياماما وقتها أنا كنت بهزر مش أكتر.

صاحت الأم بسعادةٍ بالغةٍ:

- ربنا استجاب لدعايا يا حبيبتي.. ابن عمك

اتقدم لك!

هل فعلها أخيرًا ؟!

وتيرة تنفسها تزداد ونبت فوق جبينها بعض من

حبات العرق، وجنتاها تكاد تنفث النيران من

شدة الحرارة والخجل، تلعثمت مرتبكةً فنهضت مسرعةً عائدةً لغرفتها ولم تستطع منع إبتسامةٍ حالمةٍ زينت بها مفترق شفتيها.. وما إن دلفت غرفتها أخذت تجول دون تركيز تبحث عن هاتفها تريد محادثة توأم الروح لتزف لها خبرها السعيد

..

بينما تكمل الأم وابنتها مجلسهم المغلق بحماسٍ:

- تفتكري ياريهام أختك فرحانة بجد ولا أنا متهيألي ؟

ضحكت ريهام وأجابت بتأكيدٍ:

- طبعًا يا ماما مش شايفة الهانم ضحكتها واصلة لفين ربنا يتمملها على خير.

- يارب ياحبيبتي ويخلف عليك بالعوض الصالح.. ده أبوكِ هيفرح قوي استتي أما أقوم أبشره.

- طيب إستتي لم يجي على الغدا.

- يابنتي خير البر عاجله.

* * * *

وتبكين حبًّا طواه الخريف ..

وكل الذي بيننا للزوال ..

فمن قال بالعُمر شيء يدوم ..

تذوب الأماني ويبقى السؤال..

"فاروق جويدة"

تشاهد التلفاز بمللٍ، تمسك جهاز التحكم تقلب بقنواته دون هدفٍ، عادت برأسها للوراء علها تنال الراحة، لكن عيناه تطاردها.. رائحته تشق أنفاسها.. وما زاد غضبها شقيقتها الصغيرة التي اغتنمت فرصة ذهابِ والديها لمناسبة عائلية.. لتترك جدولها الدراسي وتنهال على هاتفها الحديث كما تنهال نملة صغيرة على قطعة من السكر ونقرات تتبعها نقرات على شاشة ذلك الهاتف اللعين.. بسمات رقيقة ترتسم على وجهها الصغير بين الفينة والأخرى.. شعرت لمار بالغضب يكتنفها وساقها تتحرك بسرعة أكبر كعادتها حينما تغضب.. هتفت من بين غضبها:

- لارا.. بتعملي ايه ؟ قومي كملي مذاكرتك يلا.. أنت عاوزه ماما ترجع تبهدلك ؟

لم تجبها لارا.. ربما لم تسمعها من الأساس فهي لم تحد ببصرها عن الهاتف بينما أصابعها تتابع النقر!

وما كان من الأخرى إلا أن نهضت بغضبٍ أكبر، اقتربت وجذبته منها بقوةٍ قائلةً بحنقٍ:

- طبعًا مش مركزة مشغولة مع سي رامي مش كده!؟

خفق قلب الصغيرة وقالت بوهنٍ وهي تنهض واقفةً تواجه شقيقتها:

- دي واحدة صاحبتي.

- كذاااااابه.

انتقل الغضب للصغيرة فأجابت وهي تكز على أسنانها:

- طيب طالما عارفة هاتي الموبايل ومالكيش دعوه.

صرخت بوجهها دون تفكيرٍ:

- غبية يا لارا غبية لو كنتِ فاكره إن رامي بيحبك.. ده كله كلام فاضي هو عمره ما هيفكر يرتبط بيكِ عارفة ليه؟

طالعتها لارا بتوجسٍ بينما تكمل الأخرى وقد خانتها عبراتها للمرة الألف وتساقطت واحدة تلو الأخرى:

- لأن مفيش واحد بيتجوز واحدة كان مصاحبها قبل كده فهمتي يعني إيه؟ يعني هو بيضيع وقت ولما يحس إنه زهق هيخترع أي حجة علشان يبعد.

تبادلتا النظرات بصمتٍ مطبقٍ، ولارا لا تدري ما أصاب شقيقتها لم يكن هذا رأيها أبدًا.. ولم كل تلك الدموع؟!

بينما تهتف لمار بدواخلها

"لا أحد غبي سواكِ ياغبية"

قطع طولُ النظراتِ رنينَ هاتفها.. تناولته من فوق الأريكةِ موقع جلوسها قبل قليلٍ تاركةً هاتف شقيقتها بمحله؛ وسارت نحو غرفتها

تضغط زر الرد بهدوءٍ فهاجمها صراخُ الطرف الآخر من الهاتف:

- بتصرخي ليه يا روان مش فاهمة حاجة؟

هتفت روان بحماسٍ شديدٍ:

"عمر يالمار.. عمر أخيييرًا نطق.. أبو الهول نطق يا لومي"

غمغمت بسذاجةٍ:

- يعني إيه مش فاهمة بردو؟

زجرتها روان بمللٍ:

- يابت أنتِ غبية بقولك نطق يعني اتقدم لي.. يعني عمر عايز يتجوزني.. أنا قلبي خلاص هيقف.. مش مصدقة.

وأغلقت الهاتف..

وتكاد تُجزم لمار أنها الآن تعتلي فراشها وتهلكه بقفزاتٍ متتاليةٍ حتى تنقطع أنفاسها فترتمي فوقه لاهثةً.. وكان ما تفكره به صائبًا.. أنهت قفزاتها وأنهت مكالمتها ثم استلقت لاهثةً، تحمد الله بدواخلها على إستجابة دعائها تلك المرة.

* * * * *

يجلسان كعادتهما في إستراحة المشفى يرتشفان قهوتهما بتلذذٍ، متجاذيان أطراف الحديث..

تحدث بدر بهدوءٍ:

- دكتور مراد راجع أمتى من دبي؟

- يومين تقريبًا.

صمت بدر قليلًا ليغمغم بعدها بنبرةٍ إستغراب:

- يا أخي عمك ده عجيب بصراحة.

نظر له رافعًا أحد حاجبيه مستفسرًا:

- اشمعنى؟

- يعني واحد في سنه ومش متجوز لحد دلوقتي وعايش على ذكرى حب قديم.. ده الراجل من دول مراته تودع من هنا وقبل الأربعين يكون دور على غيرها.

ارتسم على جانب شفتيه بسمةً ساخرةً قائلًا بعدها:

- وإيه الغريب في كده؟ هو ملقاش اللي تعوضه وتاخد مكانها، وبعدين مراد مشكلته إنه بيحب

بجد، عارف يعني أيه بجد؟ يعني الروح هي اللي بتحب قبل القلب والعين، ليلى الله يرحمها كانت أكبر حب وأكبر وجع لمراد ومش فكرة الجواز هي اللي هتنسيه.. في حاجات لما تحصل لنا في حياتنا تكون من المستحيل نسيانها.

مال بدر بجذعه للأمام ناظرًا له بعمقٍ:

- زي ما ابن أخوه مش عارف ينسى الجنية اللي قلبت حاله من أول مرةٍ شافها؟

ارتشف بعض من قهوته وبادله نظرته بأخرى ثاقبة:

- ومين قالك إني بفكر فيها أصلًا؟

هز كتفيه بلامبالاةٍ وضحكة ساخرة تعني

"واضح"

ليتحدث الآخر بمرحٍ مغيرًا دفة الحديث:

- وإنتَ بقى لسة الحاجة بتدور على ست الحسن اللي تعجب الشاطر حسن؟

ضحك بدر قائلًا بقلةِ حيلةٍ:

- أنا شكلي مش هتجوز وهنضم لفريقك إنت وعمك.. كل مرة الحاجة تعملي البحر طحينة وأدب أيه وأخلاق أيه، هي دي اللي عليها العين يا ابني.. وبعدين تطلع زي غيرها..

أكمل وهو يضرب كفوفه بعجبٍ:

- يا مؤمن دي آخر واحدة شفتها بعد ما أبوها خرج وسابنا راحت غمزت لي!



قهقه إسلام بقوه قائلا من بين ضحكاته:

- والله حلوة.. على الأقل خبرة.

وأهداه بعدها غمزةً ليجيب بدر بتفاخرٍ وجديةٍ:

- الحلوة دي هتكون من نصيبك بس متقاطعش وقول يارب.. يا ابني مرات بدر زهران لازم تكون بتتكسف!

وأردف بتأكيدٍ:

- أيوة الكسوف دليل إنها متربية كويس..على سبيل المثال أقول لها ازيك وشها يجيب ألوان.

عاد إسلام يقهقه من جديدٍ:

- ودي لما تحب تبوسها تأخد ساتر ولا إيه؟

- ولاد العز إللي زيك مايفهموش في الحاجات دي.

قطع صوت ضحكاتهما الصاخبة إحدى ملائكة الرحمة، تخبرهما بوجهٍ بشوشٍ:

- دكتور إسلام حضرتك اتأخرت.. الكشوفات مستنية حضرتك.

هما الإثنان بالوقوف سريعًا وتحدث إسلام بديناميكية:

- محستش بالوقت خالص.. بلغيهم يا نانسي دقايق وهكون جاهز لإستقبال أول حالة.

اقتربت نانسي من الآخر وتنهدت بحرارةٍ قائلةً:

- دكتور بدر إنتَ لسه قدامك وقت.. لو تحب أجيب لك قهوة تاني؟

أهداها بسمةً لزجةً مع نظره تنبأ عن الغضب:

- شكرًا يا آنسة.. اتفضلي على شغلك.

لتبتعد مرتبكةً تخطو أمامهما بينما يتبعاها بالخلف.. لكزه إسلام بمشاكسةٍ وهو يغمزه للمرة الثانية هامسًا بأذنه:

- واسمها نانسي كمان .. لاااا ده إنت ماشية معاك حلاوة.

ليهمس الآخر بدوره:

- اسكت ياعم دي ضاربة كشري.

* * * * *

تزرع الغرفة ذهابًا وإيابًا، تتخبط بغيظٍ شديدٍ، وتكز فوق أسنانها وأخيرًا هتفت بحنقٍ شديدٍ:

- أنا يا بلبلة يقول لي بتاعة بهايم! لا وكمان طول الوقت يعاملني كأني طفلة.. وآل إيه خلصتي دراستك ولا لسه؟ على أساس مش عارف يعني.. بذمتك يرضي مين ده.

سحبتها عمتها من ذراعها وأجلستها على الفراش بقربها قائلةً:

- يعني هو ده اللي مزعلك قوي ومعصبك من وقت ما رجعتي؟ ولا زعلانة علشان مشي بسرعة!

هتفت مسرعةً وهي تنظر لعينيها بغضبٍ:

- مايمشي ولا يقعد أنا مالي.. ده.. ده.. دمه يلطش أصلًا.

تبسمت العمة وقربتها منها تحتضنها وتمسد شعرها بكفها هامسةً:

- خلاص يافرحة إهدي.. وبعدين هو أكيد كان بيهزر يعني وماكنش يقصد.

أطبقت رموشها بوهنٍ بينما دواخلها تحترق لا تعلم هل هي غاضبةٌ منه أم حزينةٌ لرحيله؟ تبسمت ساخرةً لحالها.. وما الفرق إن كنتُ غاصبةً أم حزينةً.. لقد رحل وانتهى.

طرقت ذكراها أيامٌ طواها الزمن منذ وقتٍ بعيدٍ.. أيامٌ تحن للعودة لها رغم صعوبتها.. تذكرت يوم حفلتها المدرسية، كانت ابنة العاشرة قبل وفاة والدتها بمدةٍ قصيرةٍ.. وبما أنها وباسلها ورثا عذوبة الصوت من الجدة "طمطم" تم

اختيارها لتؤدي إحدى الأغنيات لعمالقة زمن الفن الجميل.. وكان هو ابن الحادية عشر وقتها أو ربما أكبر بقليلٍ، لكنه تقمص دور المعلم ببراعةٍ.. أمضت يومين وهي تتدرب على يديه.. تُخطئ.. فتُعنف.. فتُتقن بعدها، يمشيان تارةً بين الزرع وتارةً يجلسان تحت إحدى الشجيرات.. ويومُ الحفلِ تألقت كأميرةٍ بفستانٍ أبيضٍ قصيرٍ يصل حد ركبتيها وشعرها الأسود ينسدل مغطيًا كامل ظهرها.. تترقب بقلقٍ وهم يهتفون باسمها لتعتليَ المسرح بينما هي تبحث بعينيها عن معلمها و لا تجده.. استدارت ذاهبةً وقبل أن تخطو عادت تترنح مستديرةً لمن جذبها من مرفقها.. ليتوج رأسها بطوقٍ من الورد الأحمر

معشوق الصغيرة، أمضى نهاره في صنعه لها، أخذت تدور وتدور سعيدةً بفستانها وطوقها الجديد.. حثها سريعًا على التقدم.. ليرى نتيجة تدريباته.. تردد الكلمات وعيناها لاتفارق عينيه وكأنها تستمد الشجاعة للإستمرار منه.. وما إن انتهت تعالى التصفيق في المكان وهو يبادلها نظراتها كعاشقٍ صغيرٍ يتفاخر بحبيبته أمام الجميع.

لم تنس تلك الذكرى يومًا.. كما لم تنس صباح اليوم التالي وقتما انقضَّ عليها كثورٍ هائجٍ يشد خصلات شعرها بقوةٍ وهي تتأوه بألمٍ وهو كالأعمى يتمتم بكلماتٍ غاضبةٍ لم تعِها وقتها، لكنها علمت فيما بعد أنَّ يومها ابن أحد الجيران

الذي يماثلها بالعمر وبالصف أيضًا، تغنى أمامه في وسط الطريق ببهائها وأخذ يصف جمال شعرها كم هو جذابٌ، وكم كانت رائعةً في الحفل، وبعد ما أهداه لكمةً جعلت أنفه ينزف على إثرها، ذهب إليها بغضبه وهو يزعق ويأمرها أنَّ شعرها من الآن سيجدل وألا تجعله عرضًا للآخرين، وأمرٌ ثانٍ فيه نهيٌ قاطعٌ عن الغناء خارج المنزل.. والدتها هي مَن خلَّصت خصلاتها المسكينة من بين قبضته.. ليقول بعدها جملته بغضبٍ طفوليٍ محببٍ:

"عمتو أنا قررت أتجوز فرحة ولو ماسمعتش كل كلامي هضربها"

فتضحك العمة وتقبله فوق وجنتيه.. وبدورها غاضبة منه وتهتف بحنقٍ

"بكرهك أنا بكرهك"

ليرميها بنظرةٍ غاضبةٍ قبل رحيله.. وعقابُ الخصامِ هو الحل وهو يعرف حق المعرفة أنها لن تتحمل، ولم تمرْ ساعات حتى تذهب له متأسفةً! وبعد عدة محاولاتٍ لا بأس بها تنازل هارون الرشيد وقبل الصلح لتأتي بعدها ساندي و تشاركهما ألعابهما وأحاديثهما الغير منتهية.

والكثيرُ.. الكثيرُ من الذكريات، ربما لا تتذكر كل تلك الأشياء؛ فذاكرتها وقتها كأي طفلةٍ لم تكن تعي كل تلك التفاصيل، لكن هوايتها المفضلة هي سماع مغامراتها الشيقة مع أعز أصدقائها على

لسان والدتها ومن بعدها جدتها.. حتى ترسخت بعقلها وماسقط منها بفعل الزمن أعادته هي بخيالها.. لكن هو ابتعد الآن يغيب لأيامٍ وشهورٍ طويلةٍ، باتت سنونًا ويقترب يومٌ واحدٌ فقط ليعود بعدها للغياب.. وربما هو ابتعد منذ زمنٍ و هي فقط لا تدرك.

عادت من رحلة الماضي على همس العمة:

- أحسن دلوقتي؟

رفعت رأسها من فوق صدرها لتخبرها بعيونٍ دامعةٍ:

- ماما وحشتني قوي يا عمتو.

لتقبلها العمة قبلةً حنونةً فوق رأسها ثم تضمها مرةً أخرى لقلبها.. لو فقط يمكنها بث السعادة داخل روحها الحزينة!

* * * * *

مستلقيًا فوق الفراش بإنهاكٍ.. جسده حقًا متعبٌ بعد قضاء ساعاتٍ طويلةٍ في قيادةِ السيارةِ عائدًا، منذ وصوله ارتمى بجسده يطالع سقف الغرفة بعيونٍ ثابتةٍ.. تتخبط في عقله الأفكار وهو تائهٌ.. يرى حوريةً ينقذها من بين الموجات الغادرة، من ثم يحتال على خافقها وهو يتغنى لها أمام الجميع.. بعدها يبتعد بقسوةٍ وكلماتها لا تفارقه بل تضرب مسامعه كمطارقٍ من حديدٍ

"إنتَ إزاي ندل كده"

ويهمس هو بخفوتٍ وكأنه يحادثها:

"أنا آسف يالمار."

وسريعًا تستحوذ عليه عينان سوداويتان تنظر له بغضبٍ ثم دامعةٍ.. مودعةٍ!

يغمض عينيه بقوةٍ.. يطلق بعدها من أعماقِ جوفه تنهيدةً حارقةً ويخترق عزلته شعاعٌ عسليٌ يطالعه باستغرابٍ، متكتفُ الذراعين مرتكزٌ بجذعه فوق إطار الباب.. ليعتدل باسل جالسًا ويشير له بيديه للتقدم.. ليحرك الآخر رأسه متعجبًا ويضرب كفه بالآخر قائلًا بسخريةٍ:

- بقالك ساعة هيمان مع السقف ومرة تكلم نفسك ومرة تسبل لي عينيك.. والله بدركان عنده حق لما قال علينا عيلة أوفر.

غمغم باسل ضاحكًا:

- طبعًا حضرتك فايق للهزار وأنا شغال سواق من إمبارح والمفروض أطلع على المطار بعد كام ساعة.. قولي بقى أطلع إزاي وأنا جسمي كله مكسر كده.

- معلش بقى يا بيسو تترد لك في الأفراح.. صحيح طمطم مازعلتش علشان وصلتها بدالي؟

رفع باسل حاجبيه في استنكارٍ هاتفًا:

- في أيه ياعم، هو أنا موصلها بتوكتوك دي عربية آخر موديل ومشغلها الست لحد ما دماغي ورمت.. يعني توصيلة خمس نجوم ومن وقت ما رجعت مافيش حد عبرني وقال لي حمدالله على السلامه، مافيش على لسانكم غير طمطم زعلت!

ضحك إسلام قائلًا:

- روق ياجدع ماتعملش كده.. الله، ها كمل بعد ما وصلت هناك عملت ايه؟

- مافيش إتغديت وبعدين نمت شويه وبعدين صحيت إتعشيت وجيت على طول.

طالعه بدهشةٍ:

- رايح هناك علشان تأكل؟! طيب بلاش عملت أيه قول لي قابلت مين؟

بدا كأنه يفكر قليلًا ثم أجاب بهدوءٍ مستفزٍ:

- اممم زينب الشغاله وعم فرج جوزها و...

قطعت ساندي مجلسهما بغتةً لتتربع فوق الفراش جوار باسل.. قائلةً بصوتٍ مرتفعٍ وهي تطالعه بحنقٍ مكملةً:

- وقابل فرحه وحرق دمها بكلامه السخيف كالعادة.

حرك لها حاجبيه بهدف إغاظتها وهي تضربه على كتفه بينما نهض الثالث وتمدد على الفراش جوار ساندي تحت نظرات باسل المحدقة:

- أيه ده أنتم هتنامو؟ يلا ياشطار أنا عايز أنااام عندي سفر الصبح خلو عندكم شوية دم.

تحدثت ساندي ببرودٍ وهي ترمش بأهدابها:

- لا غلاستك وحشتنا هنقضي الليله معاك.. لازم نشبع منك قبل ما تسافر مش كده يا إسلام ؟

ويهز إسلام رأسه ببراءةٍ مؤكدًا على حديثها..

ليتنهد باسل متحسرًا على ساعاتٍ ضاعت كان يمني نفسه بنيل الراحة فيهم.

* * * * *

منذ أن أخبرتها والدتها ليلة ما قبل البارحة عن رغبة ابن العم في الزواج وهي لاتعلم من أين أتى وحط عليها كل ذلك الخجل، فقط تصمت

وتوزع الإبتسامات البلهاء، وتنفرد بغرفتها خجلًا وبطلبٍ من أبيها شاركتهم اليوم سفرة الفطور، تتناول طعامها والحمرة تغزوه.. لكزها رامي - أخوها الأصغر- قائلًا:

- ياريت تفضلي مؤدبة ومكسوفة كده على طول ياروني والله أشرف هيفرح قوي بعد الجواز.

صاحت فيه بحدةٍ وسذاجةٍ:

-رامي إيه اللي إنت بتقوله ده؟!

لتقول الأم بشيءٍ من السعادة:

- ومالو يابنتي إنتِ وأشرف دلوقتي في حكم المخطوبين.

لينهض بعدها الأب قائلًا في شيءٍ من الاستعجال قبل أن يغادر:

- إعملي حسابك يا أم رامي أشرف والست والدته هيعدو عليكم كمان شوية تروحي معاهم أنت وروان وتختاروا الشبكة اللي تعجبها.

ليغادر الأب وينشغل الأخ بإلتهام طعامه، بينما الأم تطلق زغاريد الفرح لتضوي في أركان المنزل بل الحي بأكمله.. والعروسُ الحالمةُ مازالت تسأل بسذاجةٍ ومقلتاها تكاد تنفجر من التحديق:

- أشرف مين يا ماما؟!

لتهتف الأم من بين زغاريدها:

- جاتك إيه ياروان.. يابت أشرف ابن عمك وخطيبك!

(٦)

لاتويا

مدينة ساحرة تحكي شوارعها تاريخ شعب مصر وحضارته العريقة التي أثرت البشرية على مر العصور، تعددت أسماؤها مابين المحروسة أو قاهرة المعز وغيره..

تتلألأ أضواؤها الكثيفة داخل شوارعها ليلا، والازدحام يكاد لا ينتهي وهو اعتاد كل صباح على هواء البحر المنعش لكن بعدما امتهن الطيران أصبح من الصعب عليه العودة كل يوم وآخر لعروس البحر مدينته الجميلة، بذل والده شتى الطرق ليكون عمله بمطار الإسكندرية ليكون

قربهم لكن لافائده لم يستطع تغير الواقع وأصبحت قاهرة المعز مكان عمله لا مفر و هو كالفراش يحط كل يوم ببلد مختلف.

في بداية مشواره عرض عليه أحد زملائه بالمطار يدعى "احمد" يعمل ميكانيكي طائرات شقته الفارغة ليقطن بها فهو لم يعد بحاجتها بعدما تزوج وانتقل لمنطقة اخرى تقارب منزل أهل زوجته المبجلة التي لاتتحمل فراقهم ..

ونظرًا لقرب تلك الشقة من المطار، أي أنه حالما يحط بأرض المحروسة يمكنه الوصول لمسكنه بكل سهولة، فمن المحال أن يذهب للإسكندرية ويعود منها خلال ساعات معدودة يمكن زيارتها فقط إن كانت إجازته المسموح بها تكفي لذلك،

وافق على عرضه مقابل مبلغًا من المال شهريا كما هو متداول وكانت تلك الشقة ماهي إلا مجرد بداية لصداقتهم.

وكانت رحلته الأخيرة لتونس الخضراء وصل شقته منذ ثلاث ساعات وألقى بجسدة المنهك فور وصوله، لكن جرس الباب اللعين لا يكف عن الطنين، يضغط بوسادته البيضاء فوق أذنيه لعل ذلك المزعج يكف عن الدق ويتركه يكمل نومه بسلام لكن لا فائده..

نهض حانقا ولم يهتم حتى بستر نصف جسده العلوي بشئ، اكتفى بستر النصف الآخر ببنطال طويل واسرع اتجاه الباب ، متوعدًا حارس

العقار اللعين إن كان هو أو زوجته على إزعاجهم الدائم له.

وما إن فتح الباب حتى تلاشت صورة الحارس بملابسه المهترئة والمتسخة وحطت أمام ناظريه هيئة لقوام ممشوق تلون ببشرة وردية وزوج من العيون الخضراء التي تحمل لون العشب في أشد نضارته تخط فوق تضاريس جسده العاري بكل جرأة، مع خصلات شقراء لامعة مسترسلة فوق الكتفين منتهية عند منتصف خصرها، بثوبها الاسود القصير الذي يكشف عن سيقانها المرمرية، وتزين شفتيها المثيرة إبتسامة جذابة يذوب القديسين لمرآها، نفخ بضجر وهو يهتف بإسمها متعجبا لحضورها:

- لاتويا!

لترفع حاجبيها بملل وتخبره بلهجتها اللبنانية:

- شو بك يا زلمة عالئليل ئلي فوتي؟ راح انضل هيك نحكي عالباب؟!

ابتعد ليفسح لها المجال للدخول بينما جلس هو على أحد المقاعد دون أن يتفوه بكلمة.. اغتاظت منه ووقفت أمامه متخصره تهتف بغيظ :

- يبيي شو سئيل ودمك بارد.

زفر بفروغ صبر ثم رمقها بنظرة غاضبة وهتف بحدة:

- لاتويا.. عايزه ايه؟ وبعدين إيه اللي جابك هنا!

جلست على المقعد المجاور وتحدثت بملل مع صيغة ترجي :

- كتير طفشانة و بتعرف ما عندي هون رفقات غيرك، وأنت عين الله عليك من وقت ما رجعت من عطلة العيد ما إجي عبالك حتى تشوفني.. المهم هلا قوم بدل تيابك خلينا نطلع تنغير جو.. بليييييز بسووولي.

أجابها بهدوء بعدما أهداها بسمة ساخرة:

- ما أنت عارفة عندي شغل، ماعنديش وقت للخروجات.

بترت رفضه بغنج واضح وهي تمد يدها تتلمس بأناملها ذقنه النامية غير الحليقة على عكس عادته:

- كتير كبرانه ماشاءالله بس بتعرف لابقتلك، عفكرة الدقن بتغير شكلك كتير ولو إنو مافي شك إنك بتجنن بكل حالاتك!

أشاح بوجهه وهو يزيح يدها بعيدًا عنه متنهدًا بقوة؛ وهل هناك مهرب من الفاتنة هي "لاتويا الغازي" أمرت وعليه الطاعة وإلا لن ينتهي من ثرثرتها ودلالها الزائد.

ربما عشرات من الرجال يحقدون عليه فلاتويا ابنة رجل الأعمال اللبناني الشهير" سعيد الغازي " أتى إلى مصر منذ سنوات قليلة وتمكن في وقت

قياسي من إنشاء عدة مشاريع منها الخاص ومنها مشاركة مع رجال الأعمال أمثاله، يتنقل الغازي ما بين لبنان ومصر طيلة الوقت تقريبا مع ابنته الجميلة.. كلا، كلمة جميلة تقلل من شأنها فجمالها صارخ متفجر الانوثة والغنج!

تعرف على المدللة الشقراء في أول رحلة له إلى لبنان وتوطدت الصداقة فيما بعد بينهما، لاينكر أنها وأباها ساعداه كثيرًا في مجاله حتى أصبح ذا شأن أكبر ونال مالا يناله أي طيار مبتدئ بل أصبحت له كلمة مسموعة والكل يطلب رضاه!..

لكن دائمًا هناك مقابل.. فهكذا يسير نهج الحياة لا شئ دون مقابل.. على الإطلاق!

وأخيرًا تحرك عن مقعده قائلًا وهو يوليها ظهره:

- عشر دقايق هغير هدومي.

وتعمد إعادة النظر لها وهو يكمل حديثة بمكر:

- واحلق دقني.. بعدين ممكن ننزل.

لتضحك هي بدلال وتهتف بمرح بينما تغمزه بعينيها:

-خد وقتك ياحلو ناطرتك هون وإذا بدك مساعدة انا كتيير شطورة بهيك شغلات.

* * * *

بدت الخيوط الذهبية في البزوغ لتشق عتمة الليل رويدًا رويدًا.. استيقظت صاحبة الجدائل السوداء باكرًا جدًا، لم تتركها الكوابيس والأحلام المزعجه لتهنأ بليلتها؛ لذا قررت النهوض

والجلوس فوق أريكتها الخاصة، وانتظار الشروق بما أنها لن تنعم بنوم هادئ، فلا يجب أن يفوتها شروق الشمس الرائع..

وكعادتها تداعب ورودها والعقل لا يكف عن التفكير.. ومن غيره يحتل عرش قلبها وعقلها معًا.. ليتها تستطيع الخلاص منه لكنه يتجسد أمامها، ما إن تغمض جفنيها ترى ابتسامته الخاصة، نعم فهو يخصها بتلك الابتسامة منذ الصغر..

ضحكت بخفوت وهي تتذكر تلك الواقعة؛ حين كان ابن السادسة عشر، وقتما بدأت تودع الطفولة جسده وأضحى الشباب يخط ملامحه

بوضوح، أول شئ قام بفعله هو التمرد على والده!

فوجئت به في ليلة من الليالي يقف أمامها بمعالم وجه يكسوها الحزن و خيبة الأمل، وهي لم تره هكذا من قبل فانتفض قلبها من بين ضلوعها وخشيت أن يكون قد أصابه مكروه، لازالت تتذكر نظراته الحزينه، ومقلتيه تلتمع بالعبرات وهو يخبرها بصوت متهدج أقرب للبكاء كأنه يبثها أحزانه ليرتاح..

"بابا رافض إني أحقق حلمي، عايز يحرمني من أكتر حاجة بحبها.. مش عايزني أغني يا فرحة!"

هدأت قليلا بعدما أتاها الجواب، حسنًا الأمر كذلك إذًا.. الابن يمتلك صوتًا عذبًا ومنذ الصغر

وكل من حوله يشهدُ بذلك، وما لم يتوقعه الأب أن ابنه الصغير سيكبر يومًا ما ويتمرد ويقرر أنه سيمتهن الغناء ولن يكتفي به كهواية فقط..

فيغضب الأب ويثور ويتهمه بالفشل والتفاهة وتبدأ المقارنة كالعادة بينه وأخيه الأكبر المجتهد صاحب القرارات الصائبة، أما هو مجرد عابث يهوى العناد فقط..

وينهي حديثة باستهزاء واضح وصريح فكيف لابن الجراح المعروف بعاداته وتقاليده التي لاغبار عليها أن يتخذ من الغناء عملًا، ويختلط بتلك الطبقة التي تشابه فيها الحلال بالحرام بل استبيحت الحرمات بإسم الفن!.. ليأمره بعدها بترك تلك الأحاديث البالية ومن الأفضل التركيز

على مستقبل مشرق، فيغضب الصغير وهو يرى أحلامه تتبخر أمامه فيصرخ غاضبًا ويترك لهم المنزل بأكمله ويأتي حانقًا حزينًا حيث جدته الحنون..

وفرحته رغم صغر سنها إلا أنها نجحت في احتوائه وامتصاص غضبه، وبدأ يفكر بعقلانية أكثر بعدما هدأت ثورته المشتعلة، أخبرته بهدوء أنه لا بأس إن امتهن شئ يرفع به رأس أبيه كما يريد وحتما ستكون نقطة لصالحه وفي نفس الوقت يحتفظ بهوايته أيضًا ويجعلها متنفس الحياة كما يريد، وبعد أن بدأت ملامح الهدوء تكسو وجهه من جديد هتفت به مشاكسة

"وبعدين أنت منعتني أغني برا البيت يبقى أنت كمان لازم تلتزم بالأوامر دي ولا هو حلال عليك وبس "

فيرفع حاجبيه متعجبا :

- أنا راجل مافيش علي أوامر لكن أنت لا طبعا!

لتجيب هي بتعالي:

-أنا بسمع كلامك بمزاجي على فكرة.

ليضحك هو بدوره ويهتف بمرح:

- شطورة.. إستمري.

مالت ناحيته برأسها وهي تتكئ بها على كفها المكور وخصلاتها الفحميه تتمايل معها، ظلت

تنظر له بعمق تبحر داخل عينيه دون أن تتحدث فأردف هو بقلق:

- في ايه ؟.. مالك ؟!

والنبرة حملت همس وشجن لا يناسب عمرها آنذاك:

- نفسي تفضل هنا على طول وتغني لي انا وبس.

جاء دوره هو للإبحار داخل دوامة عينيها وترك بقية الحديث للغة العيون، اكتفى بجذب كفها الآخر الساكن جوارها يلثم باطنه بقبلة رقيقة لتغزو بعدها حمرة الخجل وجنتيها ويهديها هو ابتسامتها الخاصة.

* * * * *

دلفت داخل سيارتها الصغيرة والانيقه ذات اللون الأحمر تحمل باقه من الزهور وتنظر لها بعيون حائرة، ربما تكون هذه الباقه صاحبة العدد الثامن عشر..لا .. لا ..مهلا التاسع عشر ربما، حسنا هي ملت من العد اليومي مضى أكثر من إسبوعين وهي تتلقى تلك الباقات والمرسل مجهول!

ظنت في بداية الأمر أنها لعبة سخيفه من أحد هؤلاء الذين يدعون إعجابهم بها من خلف أجهزة الراديو لكن زاد الوضع عن حده الطبيعي؛ باقات يومية بأنواع مختلفه وكأن ذاك المجهول يريد إرضاء كل الأنواع ، ودت أن تتجاهل الأمر لكن لم يطِعها قلبها الصغير أن

يكون مصير تلك الزهور الجميلة هو صندوق القمامة، لذا قررت الإحتفاظ بهم، لابأس بباقة يوميه من الزهور الفواحة ذات الرائحة الزكية وإن أراد صاحبها المجهول الظهور فليظهر ونرى بعدها، وإن لم يرد لا مشكلة فلا ضرر لديها سوى لحظات قليلة حائرة بعد كل باقة..

وضعت نظارتها الشمسية، حركت المقود عائدة لمنزلها بعد الانتهاء من العمل، فحياتها روتينية للغاية، تستيقظ صباحا، تذهب لعملها الذي تعشقه فحياتها الفعلية تبدأ داخل ذلك المبنى خلف اللاقط الذي يوصل صوتها للجميع وما إن تنتهي تعود للمنزل، تأخذ قيلولتها، وبعدها تقرر ان كان مزاجها يسمح بالخروج برفقة

إحدى الصديقات وإن لم يكن فلا يوجد أفضل
من فراشها مع مشروبها المفضل وحاسوبها
الخاص لتنعم بأمسية بيتوتية هادئة.. وهكذا
تسير الحياة برتابة منتظمة حد الملل.

أدارت المسجل كعادتها الدائمة تدندن مع
الكلمات وما إن وصلت وجهتها حتى ترجلت
سريعا تحمل حقيبتها الكبيرة، هاتفها النقال،
وأخيرا باقتها اليومية، تتحرك بخفة جسدها
كراقصة باليه، وما إن وقع بصرها على الحضور
في حديقة منزلهم حول الطاولة المستديرة
انفرجت شفتيها بابتسامة واسعة لتهتف بمرح
وهي تتقدم ناحيتهم:

- دكتور مراد شخصيا ؟ وكمان دكتور بدر لاااااا النهاردة عيد.

لوح لها مراد ضاحكا فاقتربت هي تقبله على خديه ثم تحيط كتفيه بذراعها وهي تجلس على حافة مقعده مجاوره له حد الالتصاق، تحدث بدر قائلا ببعض من المزاح:

-ايه يا بنتي هي الدنيا قفلت في وشك لدرجة جايبه ورد لنفسك؟

وقبل ان تهتف به غضبا تحدث مراد شارحا له:

-قفلت ايه بس والله ما في هنا قفل غيرك..
برنسيس ساندي ياسيدي عندها متيم مجهول.

رفع حاجبيه وإعتلت شفتيه بسمة ساخرة،

ليكمل مراد :

- أي نعم.. زي ما بقولك كده كل يوم تلاقي ورد فوق عربيتها، مين صاحبه ربك هو اللي يعلم.

انضم لهم إسلام هاتفا بمرح:

- والله نفسي احط لها يافطة فوق العربيه واقول له وفر فلوسك ياجدع وهات دبلتين وخلصنا.

رمشت بعينيها عدة مرات كعادتها عندما تريد إغاظة أحدهم، وتحدثت بحنق مصطنع:

- ياسلام عليكم وأنتم ظرفاء قوي كده.

يتبادلون الضحكات فتقطعها الخادمه لتخبرهم برسالة من سيدة المنزل " شاهي هانم " أن سفرة الغداء بانتظارهم.. فيتقدمهم إسلام بترحاب ويتبعه مراد وساندي المتعلقة بذراعه ولا تكف عن مغازلته ومن ثم ضحكاتها، بينما الضيف الأخير يسير خلفهم ثم يستدير ويلقي بنظراته الثاقبه على تلك الباقه التي تلونت زهورها بالبنفسج والابيض معا ليكمل طريقه بعد هتاف باسمه يتعجب تأخره.

* * * * *

أنا أنثى حالمة

أنا وردة عاشقة

أنا روح تهوى روح

أداعب كلماتي وأرقص على ترانيم حروفي

أغني للاشتياق وأبكي على الفراق

وتشتاق روحي للعناق

فأنتظر قدومه.. ويطول بي الإنتظار

ألتفت يميناً وشمالا

أناديه أبحث عنه.. عن حبه.. عن هواه كي أتنفسه

عن خيط يوصلني إليه

أنادي وأنادي ولا أسمع إلاّ صدى صوتي المخنوق

فأبكي شظايا قلبي المكسور.. وأصرخ في جنون

أمشي وأتخبط في الظلام.. لِأبحث عن شعاع أمل.. عن بصيص نور

فتتعثر قدماي وأسقط في هاوية الألم.. لأجدني في الواقع الأليم

" مقتبسة "

*****

أنهت خبيرة التجميل آخر لمساتها ثم ألقت نظرة راضية على العروس الشاردة وأخبرتها بابتسامه واسعة:

- زي القمر.. كده العريس هيتجنن خالص.

ختمت كلماتها المكررة لكل عروس تتجمل بصنع يديها بضحكات رنانة وغادرت الغرفة حتى تستعد العروس فزفتها قد أوشكت على البدء..

تنظر لانعكاس صورتها داخل المرآة بعيون شاردة نحو البعيد نحو حلم أمسى مع الماضي، نهاية أتت قبل البداية.. عبرات تهدد بالهطول في أي لحظة فتمنعها بقسوة وتبتلع غصتها.. أسبلت أهدابها لتعود بها الذاكرة لأسابيع مضت عندما تلقت صدمتها من والدتها :

- جاتك ايه ياروان.. يابت أشرف ابن عمك وخطيبك!

لتصمت لدقائق أو للدقة شل لسانها وجوارحها.. غادر أخوها ما إن انتهى من تناول فطوره وما إن

بدأت في استعادة الوعي جالت بنظرها سريعا تبحث عن والدتها لعلها تفهم ما يجري.. وجدتها أخيرا داخل غرفتها تقوم بترتيبها لتنساب منها الكلمات بتعثر:

- أشرف.. ده.. ده مطلق! و أكبر مني بعشر سنين أو أكتر أنتم ازاي توافقو على حاجه زي كده من غير ماتاخدوا رأيي.

تركت الأم ما بيدها سريعا وواجهتها تتفرس ملامحها بتعجب:

-وأنت اعترضتِ! إحنا من أول ما قولنا لك وأنت ضحكتك واصله لقفاكي دلوقتي اشرف بقى وحش ؟!

ثم لوحت بيديها لتستدير وتكمل ما تفعله قائلة:

- اخزي الشيطان ياروان وروحي صلي ركعتين كدة هتهدي وتبقي كويسة وبلاش دلع بنات مرق.. إحنا مش هنجوزك بكره يعني مافيش داعي للخوف والتوتر ده كله.

وبدأت تتضارب معها الأفكار لعلها تجد مخرجا قبل أن تسقط في الهاوية.. محدثه نفسها :

" ياإلهي! عن أي خوف تتحدثين أمي أنا لا أخاف شيئا سوى القادم.. بكل غباء صدقت أحلاما نسجها عقلي الباطن بعد ما أوحى لي بحياة عشت أتمناها فسخر كل شئ حولي لأسخر من حالي الآن! لم أفكر يوما أن أحدًا غيره سيطلب قربي وكأن رجال الأرض نفيت من سواه.. لو

نحيت قلبي قليلا وفكرت بعقلي لعدة دقائق لاستنتجت هوية العريس دون حاجة لإخباري من أحدهم فلا يوجد غير أشرف ابن العم الأكبر من قد يرغب في الزواج فهو تعدى الثلاثين وزواجه الأول لم يدم سوى عام واحد لينفصل بعدها عن زوجته لأسباب لا أحد يعلمها فزوجة العم كتومة لدرجة عجيبة.. أما ذلك ال "عمر" فلا يشغل باله في الآونة الاخيرة غير السفر وأنه قد مل العيشة هنا ومل من عائلته لتدخلها في حياته فليسافر لأحد البلدان ويريح باله.. سخرت من حالها عند وصولها لتلك النقطة فكيف تنتظرين الوصال من رجل كهذا.. ماذا أحب عمر في عائلة الزيان ليحبك أنت!

ولا يوجد أبناء عمومة آخرين .. فالأكبر متزوجون وأما البقية فهم أصغر سنا ولا يوجد داخل الدائرة سوى عمر وأشرف وبالطبع عمر لن يدخل أية دوائر تمت للزيان بصله وهكذا لم يبقى سواك عالقة مع هذا الأشرف.. ياله من تحليل أحسنت روان لكن ربما تأخرتِ.. كثيرا!

لم تستطع كتمان صوتها أكثر فصرخت في والدتها دون تفكير:

-أنا مش موافقه أتجوز أشرف ياماما..

والإجابة صفعة مدويه حطت فوق وجنتها من كف والدها تبعها بأخرى على الجهة الثانية.. لتطأطئ برأسها ودمعاتها تنساب بلا توقف، وصوته الهادر يشق جدران المنزل كيف تتجرأ

وتعترض والأدهى أنها قد وافقت من قبل..

واتهامات بالجنون والخروج عن طوع العائلة فتنهار في غرفتها، إلى متى ستصمد فأبيها لايكف عن إهانتها.. لكن لم يأتي الألم الحقيقي من ضربات أو إهانه كما ظنت فما شعرت به حينما وقعت عينيها على ابتسامة من ظنته يوما حبيبا واتخذته لروحها خليلا يلقي لها بالتهاني ويهتف بها لتتعجل في تحديد موعد الزفاف حتى لايفوته لأنه قد يرحل بعيدا في أي وقت.. ليكون هو أول من أقنعها بتلك الزيجه فقد وصل قلبها لنهاية المطاف..

إن لم يكن أشرف فسيكون غيره ما الفرق إذًا، لاحاجة لهدر ماتبقى من كرامة نفسها فلتحتفظ

بماء وجهها أفضل وتريح جسدها من آلآم تغلف آثارها القلب بقسوة لم تعرفها يوما.

تعلن عن موافقتها فتعود الزغاريد تصدح بالأرجاء.. وهاهو اليوم الموعود أتى سريعًا بلمح البصر.. عادت تفتح عينيها ببطء ترى أنثى بالأمس كانت حالمة واليوم هي عروس يصاحبها بين ضلوعها شرخ كبير والسبب حالميتها العمياء..

سقطت دمعة خائنة محتها سريعا.. لا لن تبكي، لا يوجد من يستحق تلك العبرات ، من الآن ستعمل على ترميم ذلك الشرخ لتعود كسابق عهدها ليس لأحد بل لنفسها فلا أحد يستحق..

طرقات خفيفة على الباب أجفلتها لثوان ثم رسمت ابتسامة سريعة علها تكون حماتها

المستقبلية فترى دموعها ولا منج من لسانها اللاذع..

حين طل أخوها برأسه تنفست الصعداء وهي تحثه على التقدم فيتقدم بحلته الأنيقة، طابعا قبلة رقيقه أعلى رأسها ويتحدث بنبرة خالية من أي مشاعر:

- ياريت تكوني فعلا بتعملي اللي مقتنعة بيه ياروان.

نهضت من جلستها تواجهه ومازالت محتفظه بابتسامتها المصطنعة رغم شكوكها في إقناع الماثل أمامها فشقيقها أقرب من يكون لها.. كان يدعمها سرًا بعيدًا عن أعين والديه المترصدة، حاثًّا إياها على التمسك بما تريد، ولا تخضع،

وتتقبل الهزيمة، و وقتما تقبلت الهزيمة برحابة صدر، وانتهى الأمر، صرخ هو بها واتهمها بالضعف والسلبية، وبعد عدة محاولات منها أقنعته أن رفضها كان ليس شخصيا بل كان عدم اقتناع بفكرة الزواج لكنها تقبلتها فيما بعد ولم يكن هناك داعٍ لكل ماقامت به.. ربما لم يصدقها في البداية لكنه لم يجد سبيلا آخر..

تحدثت هي لتدير الدفة بعيدا:

- ماتعرفش خالتو نهال وصلت ولا لسة؟ لمار اتأخرت قوي المفروض تكون هنا من بدري..

تحدث رامي قائلا:

- وصلوا وكنت جايبهالك بس ماما ندهت عليها

هتخلص معاها وتجي لك.

فسألته بمشاكسه:

- امممم يعني شوفت لارا؟

ليهز رأسه متبسما بالإيجاب.. فتصمت برهه ثم

تباغته من جديد :

- بتحبها يارامي؟!

نظر لها بدهشة فهي لأول مرة تكون صريحة معه

لهذه الدرجة، دائما لا ينتهي من تلميحاتها

ومشاكستها ورغم ذلك لم يجد بُدًّا من الإجابة..

حكّ مؤخرة رأسه بشيء من الخجل وأخبرها

بصوت أقرب للهمس:



- قوي.

فالتمعت عيناها وهي تنظر له وكأن شرودها عاد مرة أخرى وأخبرته بنبرة خافتة:

- لو بتحبها بجد يبقى تخلي بالك منها اوعى تهملها في يوم.. مش هقولك اعترف لها بحبك دلوقتي.. إستنى الوقت المناسب بس خليك دايما قريب منها، حبك لازم ترويه علشان يعيش.. فاهمني يارامي ؟

ظل يتطلع إليها بصمت وهي تبادله النظرات الصامتة حتى اقتحمت لمار صمتهما بغضب.. ليرحل العاشق الصغير عنهما وتصرخ بها لمار دون مواراة :



- أنت مجنونة.. مجنونة!

فتعود العروس لمقعدها أمام المرآة، فلمار منذ ان أحيطت علمًا بما يجري وهي لاتكف عن الصراخ وكأن هي من ستتزوج لا روان..

تحدثت روان ببعض من الهدوء:

- ممكن توطي صوتك لا حد يسمعنا.

اقتربت منها الأخرى وهي تلوح بيدها:

- حد يسمعنا! هو ده كل اللي هامك.. أنا أصلا ماكنتش جاية بس ماما اللي أصرت.

نظرت لها بصدمة وهي تنهض تواجهها معاتبة :

- مش عايزة تيجي فرحي يا لمار؟ كده بردو..

فتنظر لها بعيون غاضبة وتصرخ بها ثانية:



- دي جنازة مش جوازة!

تبتعد عنها روان قليلا توليها ظهرها محركة رأسها في قلة حيلة بينما لمار تنظر لها بحنق لما تفعله بحالها.. وطرقات سريعة على الباب وهتاف يعلمهما أن المأذون قد وصل فلتخرج العروس حالا.. فتعود بنظرها لها سريعا وقلبها ينتفض بين ضلوعها فتقترب الأخرى منها تضمها بقوه فتزيد الأولى على ضمتها.

فينتهي الأمر بالكلمات الشهيرة..

" بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير"

وأصبحت الحالمة ملكا ل "أشرف الزيان " تتعالى الأصوات بالتهاني وألوان البهجة تملأ المكان وحين تبعده عن خيالها يتجسد أمامها وتلك المرة ليس خيالا بل ليقدم التهانئ ربما للمرة العاشرة..

تتقدم الصديقات ليراقصنها فتراها فرصة مناسبة لتبعده عن تفكيرها وعينيها وقبل أن تغتنمها تأتي كف العريس تعترض ويعيدها إلى مكانها فلا رقص للبنات وإن كانت عروس.

فتجلس وحيدة تراودها الأفكار رغما عنها.. وينتهي الزفاف السعيد، وتحمد الله في دواخلها أن تلك الليلة الطويلة انتهت أخيرا، فتتخذ عهدًا مع حالها ببدء حياة جديدة خالية من أية شوائب تحملها رياح الماضي.

ربما لم يكن لها نصيبًا من أحلامها فلتنسج أحلامًا جديدة إذًا.. رواية مختلفة عن كل ما قرأته من قبل تكتبها هي بإرادتها.. لكن روايتها الجديدة غريبة وتمحي كل السطور التي تهيأت لتخطها!

فبطلها هنا لا يحمل عروسه إلى عشهما السعيد.. بل يدلف هو أولًا تاركًا إياها عند الباب.. ياإلهي أليس من المفترض أن يحمل العريس عروسه هكذا كان يفعل أبطال الروايات!

قطع شرودها حين هتف بلزوجه:

- واقفة عندك ليه.. مستنية حد ؟

فتنظر له بغرابة وتصدم بملامح السخرية المرتسمة على وجهه.. تدخل وتغلق بعدها الباب بخيبة أمل؛ فأول خدعة قد أصابتها بإتقان وصحبتها الثانية والثالثة و.. و.. فهي لم ترى نظرات الشوق والحب التي كانت تأملها.. لم تزوجها إذًا؟ لم يهدهد مشاعرها وحتى لم يكن هناك صلاة يؤمها بها.. فقط رغبات سريعه بحقوقه الزوجية وقبل حتى أن تعترض كان قد انتهى ليوليها ظهره.. غارقًا في سبات عميق بأنفاس منتظمة!

والحالمة منكمشة تحيط جسدها بذراعيها تنظر نحو نقطة ما في الفراغ بعيون متحجرة.. تنعي شرخا كانت تواسيه منذ لحظات كانت قد عهدته

بترميم يعيدها من جديد، لكن الشرخ تصدع

وخلّف شروخًا عدة وما كان يحتاج وقتًا

لإصلاحه أصبح يحتاج عمرًا وربما لن يكفي.

(٧)

صدفة

يغير حبك طقس المدينة.. ليل المدينة

تغدو الشوارع عيداً من الضوء تحت رذاذ المطر

وتغدو الميادين أكثر سحرا

ويغدو حمام الكنائس يكتب شعرا

ويغدو الهوى في مقاهي الرصيف

أشد حماساً، وأطول عمرًا..

وتضحك أكشاك بيع الجرائد حين تراك..

تجيئين بالمعطف الشتوي إلى الموعد المنتظر..



فهل صدفةٌ أن يكون زمانك

مرتبطاً بزمان المطر؟

"نزار قباني "

*****

مضت عدة شهور أصبحت فيها السماء ملبدة بالغيوم ورذاذ الأمطار يغسل الوجوه.. حركة الطرق مستقرة والهدوء يعم الأجواء بينما رائحة القهوة تفوح من الأقداح.. نجد من تقلقه هذه الأجواء وآخر فرحاً سعيداً نشيطا.. لكن الجميع على يقين بأنه يوم من أيام ليل الشتاء.

تجلسان جوار بعضهما فوق الأريكة الدافئة..

تحملان قدحين من القهوة مشروب الشتاء

الرسمي حيث تختلط رائحتها المميزة بين الأنفاس والأحاديث الشيقة.. مضت عدة أسابيع منذ آخر لقاء، فبعد زواج إحداهما أصبح تغيير العادات التزام لا بد منه..

هتفت لمار بحماس وهي تربت بأصابعها الرفيعة على البطن المنتفخ أمامها:

- فضايحك بانت ياهانم.. في الشهر الكام دلوقتي؟

تبسمت روان مغمغمة :

- يومين واخلص السابع إن شاء الله.

ارتشفت القليل من قهوتها ثم تابعت بنفس الحماس:

- حلو قوي يعني شهرين ويجي لي بيبي العب بيه..

ضحكت روان وهي تضربها على جبهتها معنفة إياها:

- ليه بقى إن شاء الله هو انا اخلف واتمرمط وأنت تلعبي!

أجابتها بهدوء بينما تعدل من ياقة قميصها:

- براحتك بس اللي مايرجعش في كلامه.. فكرتِ هتسمي البنوتين إيه ولا لسه ؟

همست وهي تتململ في جلستها:

-اسكتي بقى لحسن أشرف يطب علينا ويسمعنا.

ضحكت لمار وهتفت من بين ضحكاتها :

-تصدقي أنك سوسه الجواز غيرك قوي يا روني وبقى يتخاف منك.. أموت واشوف شكله لما يعرف انهم ياعيني الاتثين بنات يعني ولي العهد فشنك المرة دي ولا حماتك كمان موال تاني.

ضحكت روان بقوة حتى تألمت ثم إعتدلت في جلستها قائلة:

- ماتفكرنيش.. والله بخاف أغلط بلساني قدامه ده هيقلبها عزاء من دلوقتي هو وأمه.. أنت ماشفتيش شكلي وأنا بترجى الدكتورة علشان تقنع حماتي وهي بتقولها نوع البيبي مش واضح.

-طيب وهي صدقت كده عادي؟

-يا بنتي دي ولا فاهمة حاجة ولا نيلة.. فاكرة كل الناس زيها من أيام الفراعنة.. المهم سيبك من السيرة الغم دي وقولي لي موضوع إيه ده المهم ومحتاجه رأيي فيه؟

تركت لمار الكوب الدافئ من بين كفيها واقتربت منها تحثها على جدية الموضوع وأهميته:

- من كام يوم رحت الجامعه علشان أجيب ورق بتاعي كنت محتاجاه وهناك قابلت دكتور مراد وعرض عليا اسيب المستشفى اللي شغاله فيها واروح اشتغل في المستشفى بتاعته.. وانا محتارة ومش عارفة أخد قرار، خايفة أسيب شغلي الحالي مارتحش هناك.

بدت روان كأنها تفكر في الحل المناسب ثم

تحدثت بهدوء:

-اللي اعرفه انك مش مرتاحه حاليا بردو مع مدير المستشفى الرخم وبعض زمايلك.. امممم أظن تفكري في عرض دكتور مراد وتحسبيها صح.

صمتت لمار لبعض الوقت ثم تابعت بحيرة:

-مش عارفة افكر و محتارة.

روان بثقة:

- خدي فرصة مش هتخسري حاجه والمثل بيقول اللي نعرفه احسن من اللي مانعرفوش.

تنهدت بقوة قبل أن تنهض تعدل من وشاحها الصوفي حول عنقها فالليلة تحمل طقسًا ذا

برودة قارصة.. من ثم ودعتها بحضن دافئ حتى

لقاء آخر.

هبطت لمار أسفل البناية تمني نفسها بعودة

سريعة قبل هطول الأمطار و قبل أن تنتهي من

تفكيرها كانت الأمطار بدأت في الانهمار بالفعل..

انتظرت أسفل إحدى البنايات حتى تهدأ الأجواء

لكن على مايبدو الانتظار سيطول بعض الشئ..

بدأت في البحث عن سيارات الأجرة و كأن لا أحد

يراها الكل يسير على عجل متفاديًا الأمطار..

شعرت بالغضب والحنق يملؤها، ماذا تفعل

الآن! هل تعود إلى روان؟ لكن زوجها "اللزج" كما

تدعوه دائما رأته أثناء هبوطها من الدرج حين

كان واقفًا في انتظار المصعد والبقاء في الشارع

تحت الأمطار أهون بكثير من أحاديثه السخيفة،
فأقل شئ ممكن أن يتفوه به هو ما الداعي لنزولها من منزلها في وقت كهذا بل لم النزول من الأساس؟! حتما ستنال الحرج إن عادت..

نفضت رأسها برفض تام لتلك الفكرة وما كان منها إلا الاختيار الأخير ،فالانتظار لم يعد حل صائب، الأمطار تزداد لاتتوقف لذا قررت السير على الأقدام رغم بعد مسافة منزلها.. لكن ربما يتبسم لها الحظ ويرسل لها عربة أجرة تنتشلها من مأزقها..

ظلت تسير وتسير بخطوات واسعة مضطربة والقلق ينهشها فوالداها بالتأكيد مشغولا البال

عليها، فقد بدأ سوء الحظ بنسيانها لهاتفها في منزلها من البداية!

والآن أسدل الليل أستاره وعتمة الشتاء مخيفة، و صوت حفيف الأشجار أثار الرعب داخل أوصالها رغما عنها، حتى شعرت بالتعب، وفضلت الوقوف للحظات تلتقط فيها أنفاسها اللاهثه، وبين أنفاسها المضطربة وقلبها الخافق خوفا وذعرًا لم تتنبه لسيارة آتية من الخلف تقف بمحاذاتها عن قصد!

* * * * *

ما إن غادرت لمار حتى عاد هو غاضبا شاكيًا من العمل في وقت كهذا ثم كعادته مطالبا بالطعام على وجه السرعه فقد نال منه الجوع مناله..

تحركت هي متثاقلة الخطى تستند بظهرها على ذراعها الأيسر بينما كفها اليمنى تمسد بطنها المنتفخ، حمدت الله أنه ما إن انتهى من طعامه حتى آوى لفراشه.. هذا أفضل بكثير، تجلس هي على أريكتها الخاصه في غرفة نومها تعود برأسها للخلف وتحط بها على حافتها عينيها تتبعان الكائن النائم أمامها أعلى الفراش تراه يتململ في نومه فهو لا يكف عن الحركة وصوت أنفاسه يصدر موسيقاه المعتاده مقطوعات من "الشخير"لا يجيدها سوى"أشرف الزيان"، تحمل إحدى رواياتها بين ساقيها، تركت أبطالها يسبحون في غزلهم الخاص وهي تطالعه وتتذكر ما أصبحت عليه من يوم زفافها.. فقد كسر فيها

شيء ما لا تعرف كنهه، لكنه موجود بداخلها بل بأعماقها لا تراه، فقط تستشعره..

كثيرًا ما تلوم حالها على جفائها لكن ماذا إن كان الزوج نفسه يحمل من البرود مايكفي شعبا بأكمله! ماذا إن كان الزوج قلبه الساكن بين ضلوعه مهمته فقط محاربة لفائف التبغ وأمثالها ليناضل حتى يستمر في البقاء!.. أما الحب والحنوّ: تلك المشاعر النقيه لا وجود لها من الأساس، لم يتذوقها يوما.. كم تشفق عليه!

وبالتأكيد ليس هناك حاجة لها بالسؤال عن سبب طلاق زوجته الأولى، فالجواب كوضوح الشمس في يوم صيفي حارق فمن لديها القدرة لتعيش مع لوح الجليد ذاك سوى لوحًا يماثله..

بعد الزواج مباشرة فرضت على حالها عزلة

رغما عنها لم تعد شهيتها تستقبل أي واردة،

وبعد مرور فترة قصيرة اكتشفت خبر حملها وكأن

هذا ما كان ينقصها، لكم بكت يومها وكأن

جرحها أصبح غائرا ينادي بضماد طارئ أو

مسكن ما، وظلت على حالها لعدة شهور أخرى

حتى تخللها دون مقدمات نبضات دافئه

إجتاحتها ونمت داخلها بعد ما بدأت تعطي

إشارات لثبات وجودها، لم تعلم وقتها ماهو

شعورها لكنه بتأكيد من إنتشلها من ضياعها

كبصيص أمل بدت تتحسسه..

وقررت في ليلة وضحاها أنها ستدفن الأنثى

الحالمه في ركن بعيد المنال جوار شرخها العميق

وتحضر روح إبنة الزيان بكل ما تحمله من إستسلام و برود وعدم مبالاة.. فقط تعيش لانه لاسبيل آخر غير العيش وهكذا دارت وتدور الأيام برتابة، لا تبالي لشيء أيا كان ليس هناك أدنى رغبة على الاعتراض..

حتى جسدها اصبح له من يوم زفافهما يفعل مايحلو له وقت ما يشاء دون رادع ، وحين استقبلت خبر خطوبة ذاك" العمر" واجهته بنفس الطريقه فما مات فيها قد مات منذ زمن ولا سبيل لها غير التجرد من ثوب الإحساس..

تنظر لحالها تضحك مع أحدهم وتمازح آخر وكل من يراها يمدح روحها المفعمة دوما بالسعادة.. و حين تواجه حالها كم تستشعر ضعفها بين

ثناياها.. خواء فقط خواء ما تحمله بين ضلوعها ومع الوقت ايقنت أن ضعفها هو سر قوتها، لو تركت روحها لليأس لكان قضي عليها وطفلتيها منذ زمن، ربما الخواء أقسى ألمًا لكنه أقل عذابًا للروح..

وفي أيامها الأخيره دون سبب واضح؛ لعلها هرمونات الحمل مازالت تتلاعب بها، فهي تجعل الأنثى الخامدة بداخلها تصحو فترويها آخر ساعات الليل ببعض من أحلامها من بين صفحات حالمة كسابق عهدها فتعانق روحها السجينة، وقبل بزوغ الفجر تكون قد أعادت حالميتها وروحها لمنفاهما البعيد وتعود تتلبسها روح ابنة الزيان فقط لا غير.

* * * *

تفترش أريكتها الباردة نسبيا بكتب وأوراق مملة للغاية خاصة بمجال دراستها.. والغد هو أحد ايام الاختبارات الأكثر مللا، تنهدت بقوة وملل.. تطالع رذاذ المطر المنزلق بإستمرار من خلف زجاج النافذة، كم اشتاقت للربيع ولوروده الحمراء البلدية، وكم تكره الشتاء ببرودته وقسوته الهادئه..

تحتاج أن تفتح نافذتها على مصراعيها وتعبئ رئتيها بالنسيم العليل، تمتع نظرها باللون الأخضر الساحر.. لكن طقس الشتاء طقس الاختناق بلا منازع، عادت أناملها تعبث بهاتفها مرة أخرى وعقلها يصرخ بها لاتفعلي.. إياك!

والقلب يهمس بهدوء مرة واحده فقط.. لن تندمي!

وفي طقس كهذا بارد بشدة والصقيع يلفها تماما، لابد للقلب أن يربح!.. وقبل أن تغرق أكثر في أفكارها، ويعود العقل يتحكم، ضغطت على زر الاتصال، وحملته إلى أذنها بأصابع مرتعشة، وما إن قطع الرنين، ووصلها الصوت الأجش من الطرف الآخر، حتى إنبعثت الرعشة بكامل جسدها، وهمست بنبرة خافتة:

- باسل.. إزيك؟

جاءها الرد بصوت هادئ:

- الحمد لله يافرحة.. أنت ازيك؟

- أنا بخيرالحمد لله.

وفقط صمت ساد بين الطرفين لدقائق معدودة ربما طالت أم قصرت، وأخيرًا تحدث باسل بنبرة حانيه أكثر:

-مالك؟.. أنت زعلانة من حاجة؟

هزت رأسها بنفي كأنه يراها، ثم همست بنبرة تحشرجت رغما عنها:

- مافيش.. عندي امتحان بكرة وخايفة شوية.

همس لها بصوت دافىء ليواجه صقيعها المحيط بها:

- ماتخافيش أنت قدها، أنا متأكد من كده..

وبعدين أنت لازم تشدي حيلك علشان أجيب لك

هدية تتطيرلك الباقي من عقلك.

وصلته ضحكتها الخافتة، فتبسم لها بحنو مردفًا

بصوت جدي أكثر:

- يلا قومي من تحت الشباك الجو برد قوي،

روحي نامي واتغطي كويس وماتنسيش تطمنيني

بكرة عملتي إيه.. فرحه أنت معايا؟

همسة رقيقة صدرت منها أنهت بعدها المهاتفه

وكأنما صوته بدد البرودة، وأصبح جسدها يبعث

الحرارة المطلوبة.. تمددت فوق فراشها متدثرة

جيدًا.. من ثم تودع ليلتها ببسمه رائعة خطت

فوق شفتيها.

بينما هو عاد لمقعده ماقبل المهاتفه المفاجئة في أحد الأماكن الدافئه ذات الطابع الحميمي في ليلة شتوية كهذه.. جلس وعاد يتناول طعامه بهدوء وسريعا ما أتاه صوت المغناج:

-مع مين كنت عم تحكي؟

غمغم بهدوء دون أن ينظر لها، فقط اهتم بما يتناول:

- ده إسلام بيسأل إذا نازل إسكندرية بكره.. قولت له حصل لغبطه في جدول رحلاتي ومش هينفع بكره.

رمقته لاتويا للحظات بنظرات صامتة وقد رسمت بسمة ماكرة على جانب شفتيها المطلية

بالأحمر الصارخ ليوازي أنوثتها.. ثم همست

بهدوء :

- منيح.

* * * * *

أنهى عمله في مشفاه أخيرا بعد يوم طويل وشاق بالتأكيد، عمليات جراحية وتبعها عدة كشوفات أخرى، صراخ وعويل النساء أمر اعتاده يوميًا وهو مضطرٌ لتحمل لا سبيل أمامه فهو من اختار ذلك الطريق.. ضحك حتى ظهرت نواجذه حينما تذكر كلمات أخيه المشاكسة دائمًا ما يقولها وقتما يسرد عليه إحدى طرائفه اليومية من عالم النساء الخاص به..

" يا إبن المحظوظه يا إسلام لا وإيييه كله بما يرضي الله "

استقل سيارته بهدوء يشبه الليلة الباردة ولا يعلم سبب احتلالها لأحلامه الآن، فموعدها مع الأحلام يبدأ ما إن يضع رأسه على وسادته ليلا.. أو في إحدى مناوباته حيث غرفته ومشروبه المفضل وأريكته الدافئة التي بمثابة فراش آخر لا يستغني عنه لكنها ليست المفضلة بالتأكيد فأثيرته تمكث هناك في قلب منزل العم حيث راحة النفس..

والآن وبكل صلف تلوح أمامه في الأفق ألا يكفي زيارتها الغير منتهية في منامه لتأتي الآن وتحتل الصحو والغفى.. هذا غير عادل بالمرة!

دائما ما يتساءل عن سبب انجذابه لها؟.. لا هي صاحبة جمال متفجر الأنوثه أو حتى تضاريس ملفتة.. بملامحها الهادئة تثير كل حواسه وقلبه اللعين اختارها هي دون معشر حواء برمته، تأسره لمعة عينيها البنيه بل تربكه بقوة، ولشعرها الكثيف قصة أخرى، كيف اتفق مع عينيها فاختار نفس اللون ونفس البريق.. ربما غيره يراها لابأس، أو يطلق عليها لقب جميلة، لكن هو وبكل عنفوانه فقط يراها "أيقونة لامعة" كقطعة ألماس براقة تظهر دائما من اللاشئ لتعكس شعاع بريقها المتلألئ داخل مقلتي العسل خاصته!.. ومايكون منه إلا

الانصهار والتحديق والتمتع بكل ما تحمله أيقونته من جمال!..

لكن ماذا بعد؟! قطعت عدة شهور وهو على حاله فقط يستنزف مشاعره بالبطيء، معترف أنها مجرد ذكرى ورحلت عن عالمه منذ آخر مرة رآها فيها في منزلها، حين كسرت قلبه بكل قسوة دون حتى مراعاة لأي من مشاعره!

هل اخطأ وقتما اختارها هي دون الغير؟ بالتأكيد لا.. وهي كذلك لم تخطئ فللقلوب أحكام.. ليته لم ينتظر وصارحها بحقيقة مشاعره على الفور ربما كان انتظاره ماهو إلا عبور لآخر ليستحوذ على قلبها.. رغم كل ما يموج في داخله إلا أنه

يتمنى لها السعادة من قلب أصيب يوما بلعنة عشقها ومازال يعاني!

و يعود السؤال مرة اخرى ماذا بعد؟ ربما عليه الانصياع لرغبة والدته، واختيار عروس مناسبة ليستقر بحياته، ويترك أمور القلب فيما بعد الزواج.. لكن وبكل عناد لأفكاره المتضاربة، تتجسد أمامه مرة أخرى، حتى قطرات الأمطار الغزيرة لا تعيقها وكأن ذلك الخافق فقط يعانده ويتمرد عليه، فيرسل إشاراته السريعة لعقله الباطن فتظهر له من العدم!!..

تقف تحت سيول الأمطار،تفرك كفيها في حالة يرثى لها، وشاحها السميك يلتف حول عنقها، تتخلله مياه الأمطار، ربما أصبح ثقيلا ووجب

التخلص منه، وبلوزتها الصوفية أيضا اصبحت بوزن ليس هين ولا يوجد حماية لشعرها الجميل حتى تشبعت خصلاته..

يا إلهي كم هي قاسية صورتها اليوم فقطته الناعمه لاتستحق عقابا كهذا.. نفض رأسه يمنة ويسرة عله يتخلص من أفكاره الجامحة فقد زادت عن المعدل الطبيعي..

لكن لحظة..

هذه ليست بأفكار جامحة ولا أحلام يقظة كما فطن إنها هي.. رغم الأمطار، ورغم الظلام المحيط بالمكان، لكن ضوء سيارته ساعده قليلًا وهنا لا مجال للخطأ ؟ ولو خذله قلبه كالعادة، لايمكن لعينيه أن تخوناه أبدًا.. ماذا تفعل الآن

في طقس كهذا؟ تبدو كقطة سقطت في دلو من الماء البارد فأصبحت ككتلة مشعثة..

لم يستطع الانتظار أكثر وسرعان ما توجه لها بعدما تأكد من هويتها خلال الثوان الفائتة وقف بمحاذاتها.. ترجل من سيارته سريعًا وإقترب منها هاتفًا بقلق:

- لمار..؟!

وكأن شبحا خلق من العدم، استدارت بقوة تواجهه، تنظر له بذعر حقيقي، فما دار داخل مخيلتها في الدقائق الماضية يكفي لجعل الخوف يدب داخل أعماقها..

ظلت تنظر له وحدقتاها تتسعان وصرير أسنانها لا يتوقف، جسدها ينتفض لاتعلم أهو من الخوف أم من البرد، لكن النتيجة واحدة فهي كقطة شاردة في أشد الليالي قسوة دون مأوى..

استشعر خوفها والهلع المحيط بها، وأدرك أنها لم تتعرف عليه البتة لكن لامجال للعواطف فلتتنحى جانبًا الآن، أردف مرة أخرى بنبرة أهدأ علها تهدأ:

- دكتورة لمار ماتخافيش أنا.. إسلام الشافعي.

لفظ حروف اسمه بتمهل شديد علها تخلصه من حرجه، ولا يوجد داعٍ لشرح من يكون بالتحديد! وحصل على إجابته حين أغمضت

عينيها بقوة فتأكيد هذا الإسم مربوط بتلك الليلة؛ " عريس الغفلة " ..

ظل ينظر لها منتظرًا ردة فعل منها، حتى تحدثت بصوت خالطه الخجل والخوف معًا :

- خير يادكتور في حاجه؟

لعنت نفسَها ألف مرة أهذا سؤال يسأل؟.. لكن ماذا تقول، فهذا ما طرأ على رأسها، آخر شخص كانت تتوقع رؤيته، بل هو لا يمت لتوقعاتها بصلة، تراه متجسدًا أمامها الآن، بل أصبح مثلها تمامًا بعد ما تمكن منه المطر أشد تمكين..

- أفندم !

هتف بها وهو يرفع حاجبيه مذهولًا، فحاولت تجميل الموقف قدر المستطاع فتابعت :

-أقصد حضرتك بتعمل إيه هنا تحت المطر؟!

وأي تجميل أحسنت صنعا يابلهاء.. غمغم بصوته الأجش:

-حضرتي قرر يكون ضحية المطر الليلة علشان اسأل حضرتك بتعملي إيه في وقت زي ده وجو بالشكل ده ولوحدك في الشارع؟

اجتاحها الغضب لاتدري له سببًا، ربما لنبرته الهازئة بعض الشيء.. أخبرته سريعًا بوضوح دون مواراة :

- أنا كنت عند واحدة صاحبتي.. لأ هي قريبتي، أوووف يعني هي قريبتي وصاحبتي الاتنين.. المهم بعد ما نزلت المطرزي ما إنت شايف كده ومافيش سواق تاكسي واحد عنده دم لحد ما بقيت الكارثه دي.

لاح على محياه بسمة عذبة لم يستطع منعها؛ كم هي بريئة تلك الأيقونة كما تخيلها تمامًا، تنظر للأرض خجلًا خوفًا من أن تصدم بعينيه المحدقتين فيها بكل هذا التركيز دون حياء.. تنحنح أخيرًا، وتحدث بجدية تنفي بسمته السابقة:

- طيب اتفضلي معايا أوصلك للبيت.. وقفتك كده ماتنفعش والوقت كل مادى بيتأخر أكتر

وأكيد الباشمهندس عزومدام نهال قلقانين عليك، وطبعا محال تلاقي أي مواصله في وقت زي ده وأكيد بردو مش هتقدري تكمليها مشي البيت لسه بعيد.

في البداية طالعته بذعر أكبر كأنها تود صفعه.. وحينما ذكرأسماء والديها بالتحديد وكأنه يطمئنها بذلك، وبعد ذكر باقي الأسباب عاد القلق والخوف ينهش دواخلها بعد أن تناسته للحظات.. ما الحل الآن هل يصاحبها رجل غريب للمنزل أم تظل هكذا تنبش عن حلول ولايواجهها غير سوء الحظ..

صمتت وعادت تنظر للأرض مرة أخرى تجمعت دمعاتها الدافئة أسفل جفنيها تهدد بالنزول.. وتحدثت بصوت متهدج :

- لا اتفضل حضرتك ماهو مش معقول هركب مع راجل غريب.. عربيته.

وهو كان في انتظار تلك الكلمات، حسنا وهو لن يذهب بدونها عليه جذب كل أسلحة الإقناع حتى يبثها الطمأنينه فعاد يسأل من جديد:

- طيب موبايلك فين انا ممكن أكلم البشمهندس وهو يتصرف او يسمح لي أوصلك؟

اختلطت عبراتها مع قطرات المطر، و وصله نشيجها الخافت وهي تفرد ذراعيها كما يفعل هو

عندما يصاب بقلة الحيله في حين همست بخفوت:

- نسيته في البيت.. ومش بعرف أحفظ ارقام.

يحيطها بنظراته الدافئة، إنها تبكي بقلة حيلة مطرقة برأسها للأسفل مسلمة أمرها لليلة باردة تفعل بها ماتشاء.. اقترب منها خطوة أخرى قائلا:

-طيب مافيش مشكلة إهدي خالص وبلاش عياط أنت كنتِ عايزه تاكسي.. تمام؟ تقدري تتخيلي عربيتي المحترمة زي التاكسي بالظبط .. نمشي بقى إحنا كده هنموت في الثلج ده.

هزت رأسها برفضٍ جديد.. بينما هو تنهد بخيبة أمل، لكنه لم ييأس، وأي يأسٍ الآن تحت قطرات المياة الكثيفة التي تطرق رأسه دون رحمه.. أخذ يعيد مرة تلو مرة يحاول إقناعها وهي فقط تبكي، وحينما بدأ فقدان الأمل في الاستحواذ عليه إتكأ على سيارته واضعا ساق فوق الأخرى مكتفا ساعديه يطالعها بصمت.. وبعد مدة وجيزة همست بنبرة متهدجة للغاية:

- طيب ممكن بس بشرط.. هدفع لك فلوس زي التاكسي بالظبط.

دون تفكير هتف سريعا وهو يتنحى جانبا مفسحا لها الطريق :

- موافق.

فتح لها باب سيارته الخلفي، بينما سارت هي بخطوات متعثره وثقيلة للغاية، وما إن وصلت عند الباب وقبل أن تدلف عادت له بنظراتها الخجلة:

- بس العربية هتتبهدل كدة وتغرق ميه!

نظر لها متبسما ثم إستعار نظرة صارمة ليخبرها بعملية بحتة:

-ولا يهمك يا هانم إتفضلي إحنا متعودين في الوقت ده على كده مع كل الزباين.

رغما عنها انفرجت شفتاها ببسمة صغيرة، فحفر غمازتاها موقعهما الهندسي بدقه في وجنتيها.. رباااه منذ متى تمتلك تلك الغمازات فهو يراهم

للمرة الأولى.. وتاه المعتوه من جديد وضاع العقل في غيابت تلك البسمة الممزوجة بدموعها ثم أصابته في مقتل بتلك الغمازات.

وبعد عذاب شديد تمكن من السيطرة على مشاعره المنفلتة واحتل مقعده خلف عجلة القيادة بعدما اطمأن على استقرارها في المقعد خلفه تماما..

ما إن وطأت قدمها داخل سيارته، وكل ما شعرت به هو الدفء، مجرد لمحات بسيطة منها بطرف عينيها تأكد لها أنها سيارة جميلة بما تعني الكلمة، ولا علاقه لها بعربات الأجرة، رائحة عطره النافذة التي تفوح داخلها تنبئ عن رجل شرقي يحمل من الأناقه والوسامه مايكفي، عند

انحدار مستوى تفكيرها لتلك المنطقة، قررت مواجهة النافذة والانشغال بعد حبات المطر المنزلقة برتابة على النافذة من الخارج..

بينما هو ينظر لها بين الفينة والأخرى، يشبع حواسه يستشعرها بقربه وما أجمله من شعور، يراها ملتصقة بالباب وشاردة مع حبات المطر، وشعرها تشبع من الماء حد الارتواء فتجمع على هيئة خصلات كثيفة ثم متفرقة.

وانطوت أجمل اللحظات سريعًا، كما هدأت العاصفة وأصبح المطر مجرد رذاذ خفيف يتطاير هنا وهناك..

توقف أمام البناية الخاصة بها، فترجلت هي سريعًا و تبعها هو.. وقفت أمامه وهو يطالعها

ببسمة هادئة، وهي تردها ببسمة شكر وعرفان لما قدمه الليلة بينما امتدت يدها في إتجاهه محملة بالنقود:

- إتفضل عشرين جنية مبلولة للأسف مش معايا فكة وإلا ماكنتش تحلم تأخد مني المبلغ ده كله.

تناولها سريعًا، وكأنه سيرفض شيئًا لامسته أناملها، وكان يخصها يومًا، تحدث قائلًا ومازال محتفظا بابتسامته الهادئة:

- ربنا يكرمك يابنتي أهو كده الواحد يقدر يرجع للعيال بعشوة فول وطعمية متينة.

بالطبع لم تنسَ أن تهديه ضحكة أخرى تسبي بها قلبه المسكين، ثم ترحل من أمامه ملوحة له بكفها الصغيروهو يشملها بنظراته حتى غابت عنه.. فيتنهد من جوف أعماقه عائدًا لسيارته، ثم ينظرلحاله المروع نصف ساعة أو أكثر مرت عليه برفقتها والأمطار تعصف بهما معا، حتى تنازلت صاحبة المقام الرفيع وقبلت به كسائق أجرة!

في الصباح طبيب نسائي..

وفي المساء سائق.. نسائي أيضًا..

نعم للرجال حظوظ ..

لم ينسَ أن يحتفظ بنقوده في جيب سترته جوار قلبه تمامًا، كما لم يفُتْه التحديق في أصابع كفيها عدة مرات حتى تأكد بدل المرة عشر أنها خالية تماما من أي حلقات لعينة تحمل اسم غيره!..

(٨)

اعترافات عاشق

أولًا: عرفتك صدفة ..

ثانيًا: رأيتك مختلفًا عن الآخرين ..

ثالثًا: تمكنت من العيش بداخلي ..

رابعًا: وجودك بقربي يسعدني ..

خامسًا: أتمنى محادثتك في كل ثانية ..

سادسًا: عشقتك بكل معنى الكلمة ..

سابعًا: أصبحت سعادتي محصورة بك ..

ثامنًا: أحبك أكثر من أي شي ..

تاسعًا: أحببتك جدًا ..

عاشرًا وأخيرًا: أحببتك أكثر من نفسي فلا تحرمني منك.

كيف للقدر أن يكون كريما معه لتلك الدرجة ؟.. أم هي قدره هو! تتوالى المصادفات دون سابق ترتيب، ودائمًا ما تظهر له في أوقات يكون فيها في قمة اشتياقه، نعم هو يعترف الآن أنه يشتاق لأيقونته وبشدة، بضع دقائق فقط هديته من القدر تجمعه بها فتولد البهجة بين ضلوعه، كلما ابتعد وظنّ أنه اكتفى بدور عابر السبيل يعود الظمأ يتغلغل في روحه ورغمًا عنه يشتاق ..

يستند بكفيه على الجدار الزجاجي أمامه مستقبلا بوجهه رذاذ الماء الدافئ، مغمض العينين، أنفاسه منتظمة مع بسمة هادئة شقت الطريق بين شفتيه، متمنيًا من قلبه لو طالت صدفته الليلة، لما دائمًا تختزل اللحظات الجميلة في ثوان؟.. يفكر ويفكر كيف يستطيع أن يراها مرة أخرى؟ بل هو يبحث عن صدف مقصودة هذه المرة!

بعد أن رآها الليلة، إحساس غريب بالتملك استحوذ عليه لايدري ما السبب! ربما ضحكتها البريئة أو بريق عينيها أم لعلها تلك الغمازات التي ستقوده للجنون.. كم كانت شهية، ومغوية تحت الأمطار.. تتساقط القطرات الشفافة من بين

أهدابها الكثيفة قطرة تلو الأخرى وشفتيها الورديتين ترتجفان دون توقف كان حقًا يلزمهما قبلة دافئة حتى تتوقفان عن الارتجاف بتلك الطريقة المثيرة..

لاح على ثغره بسمة عابثة.. كم يتمنى تقبيلها في تلك اللحظة.. الآن!

يقسم داخله لو أنه شعر حينما كان معها بما يشعر به الآن لكان أهداها قبلتها الأولى ولو اجتمع كل البشر لمنعه! كان فعلها رغمًا عن أنف الجميع، لكن وقتها كان فقط يريد طمأنتها وسلامتها لا أكثر.

أنهى حمامه الذي طال عن المعتاد لقد نسي حاله وأخذته موجة الأفكار الجامحة.. ارتدى

سروال منامته وتبعها بسترة قطنية ذات أكمام دافئة من ثم عاد مرة أخرى لسترته المشبعة بالماء ليخرج كنزه الثمين حصاد اليوم.

قام بفردها بهدوء متوجس من أن تفقد تماسكها فتنشق لعدة أجزاء.. وأخيرًا تنفس الصعداء والآن أين يمكنه الاحتفاظ بها حتى تجف جيدا، ليتمكن حينها من ملامستها كيف يشاء!..

اللعنة لا دراية له بتلك الأمور..

وبعد تفكيرٍ وحيرة، اختار خزانته بين ملابسه الدافئه وضعها برفق مغلقًا الخزانة جيدًا متبسمًا برضا..

حسنا "العشرون "خاصته حصاد الليلة في أمان الآن.. حان وقت الراحة وكم هو شهي هذا الفراش الدافئ كشفتيها، إن كان للعشق لذة فللنوم لذة من نوع آخر ولا تقاوم أيضا.. أمسك بطرف الشرشف الثقيل يزيحه وقبل أن يتحرك خطوة أخرى أتاه صوت خطوات تمتزج بشهقات خافتة تقترب لأذنيه أكثر فأكثر.. فتح الباب بقوة وركضت طفلته الصغيرة تحتمي به تضمه أكثر محيطة خصره بذراعيها ورأسها بالكاد يصل لقلبه.. كم هي ضئيلة الحجم بجواره..

رباااه.. هل كل نصيبه من النساء فقط شهقات وعويل ودموع لاتنتهي!.. ألن يتذوق طعم

الضحكات والبسمات!.. ألن يسطر داخل قاموسه نوعًا آخر غير هذا الذي اعتاد عليه؟!..

شدد ضمها وأحاطها بذراعيه حتى احتواها كليًا، زادت بعدها شهقاتها، لم يتفوه بكلمة، تركها تنهي شحنة البكاء المسيطرة عليها، وما إن هدأت قليلًا حتى رفعت رأسها تنظر لأعلى تواجه عينيه وتخبره بنبرتها الضائعة بين شهقاتها الخافتة:

- أنا عايزة أحب واتحب يا إسلام!

رفع حاجبيه في ذهول قائلًا باستنكار:

- تحبي وتتحبي الساعة إتنين بعد نص الليل!.. ده كلام ياساندي؟! طيب خليكي لبكرة على بعد الظهر كده مش هنقول حاجه.

كورت قبضتها اليمنى وضربته على صدره العريض بينما اليسرى مازالت محيطة بخصره، تزوم بشفتيها وعاقدة حاجبيها في غضب.. تأوه هو بألم مصطنع بينما تعلو شفتيه الضحكات الصامتة فتابعت هي بغضب أكبر:

-وأنت ينفع تستظرف الساعة إتنين بعد نص الليل..

صمتت لثوان ثم تابعت وهي منكسة الرأس.. تفرك كفيها بتوتر:

- إسلام انا بتكلم جد.. أنا مش عايزة أتجوز كدة وخلاص.. بابا مقتنع بابن صاحبه ده ومش بيضيع وقت.. عايز يقنعني بأي شكل.. وماما شالت إيديها من الموضوع، يمكن يكون فرصة

كويسه زي ما بابا بيقول والشاب مافيهوش عيب.. أنا شفته وقعدت معاه بس ماحستش ناحيته بأي حاجه أنا مش عايزة أتجوز فرصة كويسة ولا حد يكون عايزني عشان أنا بنت فلان.. عايزة أختاراللي يشاور عليه قلبي ويقولي هو ده.. فاهم أقصد إيه؟

ربما فارق العمر ليس بكافٍ ليشعر أنها طفلته، لكن رغم ذلك هذا مايشعر به تجاهها، هي دائما تقتصر المسافات بينهما، تلجأ له ما إن تتعثر في شئ ما وكأنه منقذها، مدللته الصغيرة شبت عن طوق الطفولة وتريد الحصول على ذاك الشغف المجنون المسمى بالحب كسائر الفتيات، داعب

أنفها الصغير بسبابته محركا كتفيه بعفوية مع هتافه المرح:

-خلاص ماتوافقيش.

تنهدت بضيق بينما تجلس على حافة الفراش:

-غلبت مع بابا.. العرق الصعيدي مسيطر عليه ومش راضي يتفاهم خالص وكل ما نتكلم نتخانق.

تبسم لها وهو يجاورها محيطا كتفيها بذراعه قائلا بشئ من التفكير:

-امممم طالما العرق الصعيدي سيطر.. يبجى هتجلب غم يابت أبوي!

لم تبدي أي رد فعل لدعابته فعقد حاجبيه وتحدث هذه المرة بجدية تامة وهو مازال على وضعه :

-ياآآآه لدرجة دي.. عموما ماتشغليش بالك الموضوع ده خرج من إيدك ومسكه العبد لله هتكلم مع بابا ومش هيجبرك على أي حاجه أنت مش عاوزاها إطمني.. فكي التكشيرة دي بقى مش لايقه عليك أصلا.

رفعت رأسها تبادله النظرات:

- بجد يا إسلام هتقدر تقنعه؟

اومأ برأسه متبسمًا بحنو مؤكدًا على حديثه السابق، فرسمت هي ابتسامة مطمئنة، ثم

نهضت من جلستها، طابعة قبلة على وجنته

مهللة بسرورٍ، وراحة:

- ربنا يخليك ليا يارب.

استغل نهوضها واندس سريعًا داخل الفراش

قائلًا بتثاؤب:

-يلا غوري بقى وطفي النور عايز انااام.

خطت نحو الباب وأردفت بمرح:

- هغور حاضر.. تصبح على خير.

أوقفها نداء باسمها جعلها تلتفت مرة أخرى

للخلف، تنظر له باهتمام تستمع لصوته

الناعس :

- بس يا سو لو عنستِ أنا مش مسئول أنا بقولك علشان ماشيلش ذنبك .. آآآه مش ناقصة يعني.

ومع آخر حروفه كانت قد انقضت عليه كثور هائج، تسدد له اللكمات أينما أتيح لها، وهو يكتفها ويوقعها أسيرة بين ذراعيه بسهولة دون عناء.. هتفت بعدها بصوت زاعق:

-لاا.. إنت غزالتك رايقه قوي النهاردة.. استحمل بقى!

* * * * *

تتقلب في فراشها مرة تلو الأخرى وفقط شاردة في ذاك الغريب الذي اقتحم ليلتها، التقت به مرتين

من قبل ولأول مرة تستشعر حضوره الطاغي كان الليلة.. حمدت الله أن والديها قد تعبا أخيرا من أحاديثهم الطويلة، والتي شملت المعاتبة وتحميل الذنب، وإهمالها الذي أوصلها لما آل إليه حالها الليلة..

أخبرتهم عن الشخص المنقذ، وماكان منهم إلا الذهول وتبادل النظرات لبضع ثوان، وبعدها ساد الصمت وتبعه أوامر صارمة من والدها بمراعاة الأمور والجدية، حتى لا تكرر ما حدث مرة أخرى، وبعدها تركاها بمفردها، ليكون السهاد رفيقها وهي تعيد ترتيب أفكارها..

ضميرها يؤنبها وبشدة، لكم كانت قاسية معه جريئة في ردها ليلتها.. ويأتي هو الآن ويرد كل ذلك

بشهامة ونبل لم يطرأ حتى في خيالها.. حسنًا كانت هناك نظرات غريبة عليها رمقها بها لمحتها بين عينيه المصوبة تجاهها بكل تركيز، وما إن تلتقطها يخفيها وكأنه ينسى حاله فيعود ويتذكرها سريعا..

يا إلهي لكم عيناه تشبه تلك العيون التي مضت شهور تقاتل حتى تنساها، بل تمحوها من ذاكراتها، كلفها هذا الكثير ، لكن هي الآن أفضل بمراحل، اعتادت غيابه، ألقت بحالها داخل دوامة العمل، وامتلأت بعض الفراغات داخلها شيئا فشيئا، حتى أصبحت أكثر حيوية ومرحًا وتقبلت كلماته القاسية وكانت كمحفز لها كلما ضعفت تقوى بها وهي تردد لنفسها..

"لا يستحق أبدًا.. أبدًا "

ويأتي هذا الشهم اليوم ليعود لها بذكراه.. ما أشبه اليوم بالأمس!

نفضت رأسها سريعا، وهي تطبق جفنيها بقوة، ولسان حالها يقول :

" لا لمار.. لن تعودي لذكراه.. لن تعودي بخطواتك للخلف أبدًا، باسل لا يستحق قلبك، إنه مجرد عابث، هو بارع في تحطيم القلوب، وما إن ينهي مهمته يبحث عن مهرب خبيث ليتسلل منه خفية كاللصوص، فأمثاله لاجرأة لديهم لمواجهة حقيقية.. لا تفكري به! لن يستحوذ على أي حيز من حياتك، هو رحل وانتهى الأمر، وذلك الشهم لا يشبهه البتة، لو كان يشبهه

ما كان فعل ما فعله الليلة.. حقًا من الظلم المقارنة بينهما "

نجحت في طرد كل ما يتعلق بأي ذكرى قد تجبرها على الضعف والهوان، فقط تفكر في عملها وتقرر عليها أن تجرب كما قالت روان، في الحالتين لن تخسر شيئًا إن كانت تلك المشفى كالسابقة، بل تشعر أن أستاذها الذي طالما احترمته وكان لها مثال الطبيب الناجح ستكتسب الخبرة من العمل بقربه.. أغمضت عينيها وبسمة تفاؤول تغمرها، فمن الغد عليها البدء في تنفيذ قراراتها الخاصة بعملها الجديد مع أستاذها المبجل في مشفاه الخاصة.

* * * * *

اقترب بخطواتٍ هادئة من المنضدة متوسطة الحجم القابعة وسط الحجرة، واضعًا الكوب الدافئ من بين يديه فوقها.. ليتحدث بعدها بنبرته الأجشه:

- اشرب ده هيريحك شويه.. وبعدين أنت ايه اللي نزلك من بيتكم؟ ما كنت ريحتنا منك لحد ما تخف كويس.. كده كده لا عارف تاخد كشوفات ولا تدخل عمليات.

اعتدل الآخر في جلسته بتثاقل، متناولًا الكوب يحتسيه ببطء، ثم أجاب بصوت مجهد:

- زهقت.. عاملين عليا حصار في البيت بقالهم يومين وهروني أدويه ماكنش دور برد ده ..

حبيت أغيرجو ومالقتش حتة أروحها فجيت المستشفى أقعد معاك شويه.

رفع بدرساق فوق الأخرى يجلس بأريحية أكثر وكفه يجذب بعض الأوراق من أعلى المنضدة.. هاتفًا بتعجب غاضب:

- حرارتك عالية بقالها يومين و تقريبًا دخلت مرحلة الهلوسة وتقول لي دور برد عادي! إتهد بقى ياشيخ وبعدين أنت عايز ايه بالظبط.. قالت لك بحب واحد تاني.. أنت غاوي وجع قلب يابني إنت؟!

هتف إسلام مدافعًا بإستنكار:

- يعني كنت عايزني أسيبها؟

لاحت بسمة ساخرة على جانب شفتيه، وتحدث ساخرًا دون أن يرفع بصره عن أوراقه :

- يا حنين..

صمت ولم يتحدث، فقط اجتاحه بعض الغضب، بينما رفع الآخر عينيه ليراه شاردًا أمامه، وقد تغيرت معالم وجهه، ترك ما بين يديه واعتدل في جلسته يميل بجذعه للأمام.. أصابعه تتشابك ببعضها و ينظر له بتمعن:

- إسلام مش بقول لك كده علشان اضايقك، انا بس بحاول افوقك.. إحنا ما صدقنا انك خلصت من أم الموضوع ده وكنا تقريبا نسيناه، وفي يوم وليلة رجع حالك إتقلب أكتر من الأول.. تقريبا كل كلامك عليها ، نظرة الأمل اللي في عينيك دي

هي اللي أجبرتني أتكلم.. أنت قابلت واحدة كانت محتاجة مساعدة وبما انك شهم وجدع ساعدتها خلاص كده شكرا.. خلصنا.. ممكن بقى تنسى الموضوع ده خالص، صدقني أنت محتاج بني آدمه تستاهلك وتقدرك بجد بلاش ترخص مشاعرك بالشكل ده.

ظل شاردًا في الفراغ يستمع لحديث صديقه بإصغاء.. ليتحدث بعد صمت لم يطُل هادرًا بغضب يحاول جاهدًا السيطرة عليه:

- افهم أنت.. الحكاية مش مجرد واحدة شفتها عجبتني ودخلت دماغي وخلاص.. صدقني الموضوع بالنسبالي أكبر من كده بكتير.. أكبرمن نظرة عشق شفتها في عينيها لحد تاني.. أكبر من

كلام سخيف قالته يوم ما رحت اتقدم لها من غير حتى ما تراعي إنها بتتكلم مع راجل غريب و أكبر من إني أكون عارف ان قلبها مع حد تاني وبردو مش قادرأنساها.. أنت فاكر إني مافكرتش أنها ممكن تكون إرتبطت بالشخص اللي اعترفت لي بحبه ده؟ ممكن ايه ده لو ماكنش أكيد يعني..

تبسم بسخرية في آخر كلماته، ينظر للمستمع أمامه بملامح يرتسم عليها الحنق بشدة، ليكمل بصوت أجش وقلبه يخفق لاعترافه الصريح بمشاعر لم يكن ليصدق في يوم ما أنها ستتمكن منه بكل تلك القوة:

- أنا بحبها يا بدروده مش بإيدي.. أبقى كداب لو قلت لك يوم ما أشوفها قدامي هقدر أبعد وكأن عادي كده.. بالعكس لو لقيت أي فرصه تقربني منها صدقني مش هتردد لثواني.

لم ينبس بدر ببنت شفه وما عساه أن يقول! فصديقه غارقٌ في دوامة العشق ولا يريد طوق النجاة، جذبته رياح العشق وتاه في البعيد لكن إلى متى سيظل غارقًا هكذا بإرادته التامة.. فبر الأمان الذي يرجوه ليس إلا سراب وهو يعلم.. لكنه ببساطة بات عاجزا عن المقاومة.

* * * * *

إرتسمت بسمة واسعة فوق ثغرها تنبئ عن سعادة حقيقية تشعر بها الآن، هنا في حجرته

الواسعة داخل مشفاه الخاص.. فصاحب المشفى بنفسه يتحدث إليها بكل ذلك الود والاحترام، كان من الصواب اتخاذ قرارها والموافقة الفورية على العرض الخاص المقدم لها بل كان عليها أن تأتي منذ أيام، لولا إصابتها بالحمى الشديدة، بالإضافة لأعراض البرد الأخرى أرغمتها على التقيد في الفراش لعدة أيام جزاء الليلة الممطرة التي تمكنت منها، وما إن شعرت ببعض من التحسن حتى اتخذت قرارها قيد التنفيذ، وخطت داخل المشفى الكبير الذي كان على عكس توقعها لم تتخيله بهذا الحجم، و أعجبتها كثيرًا الجدية والصرامة التي تنتشر في الأجواء؛ فالكل يعمل بانتظام دون تكاسل..

بينما إستقبلها مراد بكل ترحاب، كم هو رائع هذا الرجل!.. على الرجال أن يتخذوه قدوة لهم فهو الرجل الأفضل على الإطلاق..

همست بسعادة وامتنان:

- أنا حقيقي مش عارفة أشكرك ازاي يادكتور.

من خلف مكتبه الأنيق يطالع تلك الطبيبة الجالسة أمامه بخجل وإرتباك، كم هي بسيطة جذابة برقتها وأنوثتها الهادئة!.. له كل الحق ابن أخيه المعتوه أن يتوه داخل بريق عينيها.. عيناها تطلقان مزيج من البراءة الممزوجه بالشقاوة اللطيفة فيضيع الناظر أمام بريقهما الخاص، تحدث إليها برزانة وعملية:

-الشكر اللي عايزه انك تكوني قدوة باجتهادك والانضباط في المواعيد دون تكاسل او تهاون.. مثال ناجح و مشرف ليكي ولأهلك وللمكان اللي شغالة فيه.

اومأت برأسها بهدوء ثم غمغمت بعملية تماثله:

- بإذن الله ياكتور هكون عند حسن ظنك.

- تمام.. ارتاحي بكره في البيت ومن بعده تقدري تباشري شغلك معانا.

تبسمت برقة وهي تجيب:

- ربنا يقدرني وأكون قد المسؤولية ومخذلش حضرتك أبدا.

بادلها البسمة بأخرى حانية.. محفزة:

- أنت هتكوني من أهم دكاترة الأطفال المميزين يالمار.. ابقي افتكري كلامي.

لكم يخجلها بحديثه المنمق فكلمة رائع لا توافيه حقه الآن.. غادرت حجرته تشعر براحة لم تشعر بها منذ زمن، يعاملها كشخص قريب منه، يا ترى هل هو هكذا مع الجميع؟.. لأول مره تتقرب منه لتلك الدرجة كانت علاقتها به مجرد طالبة جامعيه بدكتورها المفضل، فهو جدي للغاية في حصون الجامعة لكن هنا يبدو كمن يعامل أحد أفراد أسرته.. تنهدت برضا وهي تسير في الرواق الطويل حتى تجمدت في مكانها دون حراك .

إنه هو من جديد! لكن لمَ يرتدي معطفه الطبي؟ ما الذي يفعله هنا؟ أليس مكانه مع أبيه الجراح

المعروف حيث جراحة القلب هذا ما ظنته للحظتها هذه.. إذا ماذا يفعل بمعطفه هنا في مشفى خاص بالأطفال.. بل يتحدث مع إحداهن يبدو أنه يعنفها على خطأ ما؛ فالمسكينة منكسة الرأس تومئ برأسها في صمت وملامح الخوف تعتليها، بينما هو يدقق النظر ببعض الأوراق بين يديه ويعود لها بنظرات حادة غاضبة..

تحدق بمقلتيها اللامعة في ذهول فهمست من بين شفتيها بخفوت متعجب:

- إسلام!

كأنما تناديه ما إن خرجت همستها الخفيضة حتى رفع أنظاره من خلف عويناته ليقابل نظراتها المحدقة بأخرى عاجزة عن التصديق،

رمش بعينيه عدة مرات علها تكون تهيآت، لكن ولسعادته وهنائه هي هنا أمامه.. تحدق فيه بذهول ويا للعجب تتعرف عليه دون حاجة له أن يخبرها من يكون!

اقترب باقي الخطوات وشيئا لا يعرف كنهه يضرب جوانحه بعنف وبسمة حقيقية تلوح على شفتيه.. يقابلها في وقفتها بصمت بينما هي تطالع وجهه كأنها تتأكد من هويته.. بعد صمت دام لدقائق قليله..

واحد..

إثنان..

ثلاثة..

- ااااهتتتتتتشششششششي.

ياله من توقيت.. وإنفجر كلاهما ضاحكان أنفه الأحمر يقابل أنفها بنفس اللون فتلوح ذكرى تلك الليلة، والممرضة السمينة تطالعهما بحاجبين مرفوعين وفم تعب من الإلتواء والإمتعاض؛ فمنذ ثوان كان يعنفها بشأن أمر بسيط كانت قد نسيت شأنه والآن جلجل المشفى بضحكاته دون سبب! وقررت تلك الملاك قطع صمتهما وضحكاتهما فهتفت ببرود:

- دكتور.. يادكتور إسلام ماقولتليش يعني أعمل إيه دلوقتي مع المريضة؟

تنحنح يجلي حنجرته وسرعان ما عاد يرسم ملامحه الجادة:

- اتفضلي روحي إديها الجرعه دلوقتي وإياك تاني مرة يتكرر التهريج ده.. مفهوم؟

تحركت المرأة متمتمة بكلمات غاضبه بينما عاد هو يواجه الملاك الماثل أمامه.. لا يعلم ماذا فعل ليكافئ بصدفة كتلك في صباحه.. بادلها بسمة هادئه وبدأ هو الحديث:

-ازيك ؟

في حرج وأسف قالت:

- واضح انه دور برد من النوع المدمر.. وكل ده بسببي! أكيد بتدعي عليا دلوقتي.

بادل نظراتها المتأسفه بأخرى شملتها فهي لاتبدو بحال أفضل منه.. تبسم لها ابتسامته الدافئة وهو يردد بداخله

" آآآه لو تعلمين بما يدور داخلي أيتها الأيقونة "

انتابها الخجل إثر نظراته فأطرقت برأسها للأسفل حتى تبتعد بعينيها عنه .. في حين نطق هو بكلماته الحانيه:

- غالبا مش أكتر منك.. سلامتك.

- الله يسلمك.. سلامتك إنت كمان، آسفه قوي كله بسببي.

كيف يخبرها أنه يتمنى أن تعود تلك اللحظات، ووقتها هو سيطيلها قدرالإمكان، ولن يأبه بما قد

تخلفه من آثار على صحته؛ فهي ترياق علته!..

نعم هو يشعر بتحسن الآن كما لم يكن من قبل..

لم يجب على أسفها بل تجاوزه كأنما لا يريد سماع أحاديث لاداعي لها.. على ماذا تعتذر تلك الحمقاء!.. سألها سريعا :

- بتعملي ايه هنا؟

أجابت من فورها بثقة:

- أنا بشتغل هنا.. او بمعنى أدق لسه هبدأ شغل بعد بكره.

جرعة صادمة في أقل من ثوان.. هل تنتوي على قتله بالبطيء تلك اللمار! تحدث بصوت أجش رافعا أحد حاجبيه:

- للدرجة دي ضامنة؟ اللي أعرفه إن مش أي حد يشتغل هنا.. لازم يكون صاحب خبرة وكفاءة.

أجابت بتفاخر وثقه أكبر:

- أنا هنا تحت وصاية صاحب المستشفى.. دكتور مراد شخصيا.

ردد وبسمة عابثة تلوح في الأفق:

-امممم دكتور مراد..

أومأت برأسها، وهمت برحيل تنهي به الحديث الذي على مايبدو أنه قد طال، وأصبح المارة يلقون عليهما بالنظرات في الذهاب والإياب خاصة العاملين.. ما إن خطت خطوتين حتى

استدارت تقابل عينيه من جديد تسأل بفضول وهي عاقدة حاجبيها في استهجان:

-صحيح نسيت اسألك إنت بتعمل ايه هنا؟ كنت فاكره تخصصك زي دكتور عزيز.. ولا هي المستشفى دي فيها تخصصات تانية غيرالأطفال؟

رأى علامات الحيرة قد إرتسمت على ملامحها بقوة، كم أسعده ذلك على مايبدو أن مراد لم يزودها بالمعلومات الكافيه بل يبدو انه تعمد إخفاء كل الحقائق عنها.. حسنًا فليدع تلك القطة مغمضة العينين وتفكك الخيوط المتشابكه بمفردها.. لها كل الوقت.

أجابها بغموض وهو يستعد للإبتعاد:

- هسيبك تكتشفي لوحدك يادكتور و وقتها تأكدي هكون في الخدمة في أي وقت وبعرض خاص كمان.. أنت تخصي مدير المستشفى شخصيا!

حركت كتفيها بعفوية، وهي تكمل طريقها للرحيل متعحبة من إجابته الغامضة، وحتما لم ترى إبتسامته العابثه التي استمرت في الاتساع حتى وصل لحجرة مراد الخاصة ودلف دون سابق إنذار.. يضع كفيه داخل جيبي بنطاله متوسطًا الغرفة بهيئته الضخمه، رفع مراد بصره من فوق حاسبه ليطالع الواقف أمامه وعلى محياة أجمل ابتسامة عابثة رآها يومُا.. لتخبره أنه قابلها وكشف المستور قبل أوانه.. رمقه بنظرات

صارمة وعاد لحاسوبه دون حديث.. فتقدم إسلام وارتكز بمرفقيه على حافة المكتب يقابله ويتحدث بنبرة عميقه:

- وربنا أنت أجدع عم في الدنيا.

رمقه بطرف عينيه لثوان ثم تحدث بتهديد جاد:

- اوعى تفتكر شغلها هنا علشان خاطر عيونك الحلوة.. لا أنا محتاجها بجد.. يعني إياك بس أشم خبر انك تعديت حدودك معاها، زيها زي أي زميلة هنا.. لمار تخصني يا إسلام وتحت حمايتي أنت فاهم؟

نظر له إسلام بشبه شرود وهتف بنبرة جادة لا تحتمل العبث مترجمًا ما يدور داخل عقله:

- مافيش أي إرتباط رسمي مش كده؟ أنت متأكد من ده علشان كده عرضت عليها الشغل هنا ودلوقتي بتقولي الكلام ده صح؟

فقط تنهيدة مستسلمة خرجت من العم ليتلقاها العاشق الولهان بضحكات غزت هدوء الغرفه الباردة ليخرج بعدها سريعًا غامزًا له بسعادة.. ليضحك بعدها مراد ضاربًا كفًا بآخر: لقد كشف ذلك الأرعن كل مخططاته بنظرة واحدة.. منذ أن أدرك أن ابن أخيه عاشق لا محالة تحدث مع والدها سرًا وتأكد منه أنها حتى الآن لم ترتبط بأحد قط، و وجد الترحاب من نبرة الرجل فقرر من فوره التدخل ليقرب المسافات.. لكن الآن بعد نظرات ابن أخيه

العابثه لدرجة خطيرة جعلته يندم على كل ما فعل.

* * * * *

هل هناك أجمل من النوم تحت السماء مباشرة تعد النجوم اللامعة وتخطئ وتعيد الكرّة وتتخيل أشكالًا وكائنات عجيبة.. لطالما عشق عد النجوم خصوصا هناك في بلدته الريفية صاحبة الجمال الإلهي لكن أين كل ذلك؟ هو الآن ممدد بجسده فوق حشائش صناعية بجوار المسبح الخاص بالفيلا خاصتهم، يطالع السماء متأملًا لوجود نجمة واحدة لكن لا فائدة؛ السماء ملبدة بالغيوم، ولا حياة للنجوم ولا حتى القمر..

تنهد في ملل قبل أن يسمع وقع أقدام آتيه من الجوار، وما إن تأكد من هوية القادم حتى أطلق صفير خفيض يجذب به أنظاره.. حدق فيه إسلام بذهول وهتف سريعا:

-يخرب عقلك بتعمل ايه هنا أنت مش حاسس بسقعة؟ الجو تلج يلا قوم ندخل جوه.

تحدث دون أن يتحرك إنشًا واحدًا من مكانه:

- تعالى بس الجو مش سقعه قوي يعني.. على الأقل أحسن من الخنقة جوه وبعدين مش كفاية كلكم سايبني لوحدي الأجازه كلها أربع أيام يعني ضاع يوم كامل ومقعدتش مع حد فيكم الحاج على طول مسافر وبدأت اشك في الموضوع ده وأنت على طول في المستشفى كأن ربنا

ماخلقش دكتور غيرك وماما مشغولة بفرح سوزي بنت طنط ماجي فاكرة نفسها أم العروسة وساندي مش بتقوم من سريرها واخداه احتكار تقريبا، من الآخر عيلة خنيقه بفكر جديا اتبرأ منكم.

ضحك إسلام من حديث شقيقه المتهكم، ثم اقترب تمدد بقربه حتى بات يجاوره على الأرض، أذرعتهما أسفل رأسيهما يتأملان السماء الملبدة بالغيوم!

وساد الصمت..

كل منهما يبحر داخل عالمه الخاص، تردد باسل عدة لحظات قرر بعدها مشاركة بعض من

أفكاره مع أحدهم لربما ارتاح قليلًا.. همس بخفوت:

- إسلام ..

- هممممم

هم بالنطق إلا أن الجبن عاد وسيطر من جديد وحين طال صمته، التفت له الآخر برأسه حاثًا إياه على المتابعة:

-إتكلم.. سامعك.

تحدث أخيرا وهو يتحرك برأسه ليواجه عيني أخيه قبل أن يصمت فيتراجع:

- في حد أنا أذيته قوي وضميري واجعني.. حاسس بذنب ومش عارف أعمل ايه..

بادله النظرات في ذهول لم يطل فنبرته صادقة، وتحمل بين طياتها حيرة وهمّ لم يألفهما على أخيه من قبل.. سأله ليأكد ظنونه:

-واحدة ؟

ازدرد لعابه وهو يعود ليطالع السماء مرة آخرى واكتفى بهمهمة خفيضه تعني الإيجاب..

اعتدل إسلام جالسًا مقطبًا جبينه ينظر له بتمعن، يحاول سبر أغواره وكشف ما يدور بخلده قبل أن يسأله دون مواراة:

- وفرحة يا باسل؟ انا كنت فاكرك بتحبها بجد ومش هتفكر في غيرها.

إعتدل الآخر يواجهه ونطق بحنق وليد اللحظة:

- مال فرحة مش فاهم إيه جاب سيرتها دلوقتي.. أنا بكلمك في إيه وأنت تسألني في إيه..

غمغم إسلام بجدية :

-كل الطرق بتوصل لنقطة واحدة في الآخر.. بتوصل ليك يا باسل وباين زي الشمس إن فرحه بتحبك وأنت سمحت لها بكده ومن زمان كمان..

ثم أردف بتهكم:

- لكن اللي شايفه إن ضميرك واجعك علشان حد تاني.. أظن فرحة كمان لازم تدخلها في حسابات الضمير دي.

زفر بقوة وهو يبتعد بنظراته بعيدًا حيث الفراغ ثم همس بضيق:

- فرحة بطلة أيام الطفولة والمراهقة يعني كنا عيال.. لكن دلوقتي خلاص كبرنا ومافيش حاجة بتفضل على حالها.

عاد يقابله بنظراته مردفا بنبرة قوية:

- فرحة عايزة حد يستاهلها ويقدرها علشان هي إتخلقت للحب وبس.

رفع إسلام حاجبيه ساخرًا:

-وهي مش عايزة حد غيرك.

صمت باسل لم يتحدث، وعاد ينظر للفراغ بشرود جديد فتابع إسلام:

- طيب سيبك من فرحة دلوقتي.. قول لي جرحتها إزاي لدرجة إن ضميرك واجعك؟!

غمغم بتثاقل كأنما يتخلص من مشاعر هوجاء تضرب روحه فتجعله تائه قسرا:

-كنت عارف انها بتقرب مني كل يوم أكتر من اللي قبله وساعدتها على كده لحد ما ملكت قلبها ببساطة.. بس فجأة ومن غير سبب جرحتها قولت لها كلام ماكنش يصح يتقال بعدتها عني بطريقة رخيصة قوي.

هتف متعجبا:

-وإنت عملت كده ليه.. ؟!

أجاب وشبح إبتسامة باهتة تحوم على شفتيه:

- علشان اكتشفت انها زي فرحة.. اتخلقت للحب بردو مش لأي حاجة تانية.

باستفهام وخشونة حانقة زجره:

- تعلق بنات الناس وترجع تبعد ببساطة وحجتك يستحقوا الأفضل.. طالما مش قد مسؤولية مشاعر زي دي كنت بتقرب ليه من الأول وتورط نفسك؟ أنا مش فاهم لحد دلوقتي إنت عايز ايه..

- والله ما عارف أنا عايز إيه ولا فاهم نفسي حتى.

رغما عنه نال شفقته، نبرة صوته ضائعة و تائهة.. ربت على كتفه بحنو وتابع متبسما ليخفف عنه:

- ولا يهمك مافيش حاجة صعبة الموضوع بس محتاج وقفة مع النفس مش أكتر علشان تقدر

تراجع حساباتك وتحدد أهدافك وأكيد هتصحح أخطائك.

بادله البسمة مؤكدا على كلامه:

-أكيد ..

أردف سريعا حتى يبدد روح الكآبى التي أحاطت بهما ويرحم أخيه من دور الحكيم الذي يجيد إتقانه ما إن يسمح أحد له بذلك هاتفا بمرح:

-قول لي أنت بقى فيك حاجة غريبة الفترة الأخيرة.. فضفض ياراجل كده واحكي لي.

اتسعت ابتسامته حتى وصلت لضحكات مسموعة تحت أنظار باسل المتعجبة ليتكلم بعدها واثقا:

- يعني تقدر تقول كده حاطط هدف قدامي ومش هرتاح إلا لما اوصله.. بالذوق بالعافيه.. هوصلها.

رفع باسل حاجبيه سائلًا بصدمة مصطنعة عن إثباته لصيغة المؤنث التى احتلت نهاية جملته:

- هي الجنيه ظهرت لك تاني ولا إيه؟

ليهز إسلام رأسه بهدوء علامة الإيجاب، فيطلق الآخر صفير عالي وهو يلكزه في كتفه بمرح.. فأخوه عاشق لاشك واليوم عيناه تبوحان بذلك دون خجل.. تابع باسل بحماس وفضول غامزا بعينه اليسرى:

-قول لي بتحبها قد ايه؟

لم يجب فقط استقام واقفا يخلع عنه حذاءه الأنيق.. ساعته الكلاسكيه من ثم ألقى هاتفه وحاملة مفاتيحه فوق الأرض وأخيرا جاورتهم سترته الثقيلة..

راقبه باسل محدقًا والذهول يعلو قسماته ثم تحدث باضطراب عابث:

-في إيه يا إسلام.. لأ لأ مش عايز تطبيق عملي كفايه قوي شرح نظري.

فقط أهداه نظرة وبسمة عابثتيْن وأكمل يفكك أزرار قميصه زرًا يتلوه الآخر!

نهض باسل فالوضع بات لا يحتمل الصمت، عليه أن يوقفه قبل أن يتهور ويصل للبنطال..

زعق فيه بنبرة عالية خشنة رغم تلونها بالذهول والابتسام معًا:

-في إيه يآض مالك إنت اتهبلت.. هتفضحنا بخربيتك.

والآخر كأنما تمت برمجته حتى لا يسمع من الأساس.. انتهى من فك قميصه فقذف به أرضا يجاور البقيه تحت أنظار أخيه الجاحظة، بينما اكتفي هو بنظراته العابثة المثيرة للشك.. عاد للخلف بضع خطوات قليله.. توقف على حافة المسبح الكبير.. أغمض عينيه فاتحًا ذراعيه على مصراعيهما ليلقي بعدها بجسده الضخم فتتلقفه من الخلف أحضان المسبح الباردة!

انتهى الأصغر من مرحلة الذهول وحلت هستيريا الضحك حتى ندت عيناه.. ياللغباء يسأله لأي درجة يحبها!.. فمن الواضح أنه تعدى مرحلة الحب بمراحل وأصبح عاشق من نوع خاص حيث يلقي بجسده داخل مياه المسبح الباردة.. الباردة جدا في الحقيقة في طقس كهذا في منتصف الليل تحت السماء الملبدة وهو لم يشفَ تمامًا من أعراض البرد التي تمكنت منه في الآونة الأخيرة.. حسنًا سبع الرجال غرق وانتهى.

أخرج رأسه ينفض عنه الماء.. يسأله بمرح:

- وصلك الجواب؟

أشار له بإبهامه من بين ضحكاته في علامة تؤكد وصول الجواب تمام الوصول.. فرشقه إسلام

بالمياه كدعوة للحاق به وألا يفوت عرض كهذا..
ولم يخذله انضم له بكل ترحاب بعد ما جاورت ملابسه متعلقات أخيه..

كانت ساندي قد وصلت إليهما حينما كان ينضم المجنون الأصغر لأخيه الأكبر العاقل! صرخت بهما غاضبة:

-أنتم يا مجااانين ماما بتقول لكم اطلعوا ناو من البسين وكفاية فضايح لحد كده.

وعلى مايبدو أن الباسل قد ندم على مجاراته لذاك المجنون، وهمّ بالصعود بعدما ذاق لذوعة البرودة، فسحبه الآخر عنوةً، وبدأ يغمس رأسه داخل المياه بالضغط عليها بينما يعافرهو بكل قوته..

وساندي مازالت تصرخ بأوامر الخروج وفي النهاية
لم يعيرها أيا منهما اهتمامًا وأكملا تبادل
اللكمات وسط ضحكاتهما التي صدحت في
الأجواء الليلية الهادئة المحيطة بحيّهم الراقي.

(٩)

اعتذار واجب

حزن يغتالني.. وهم يقتلني.. وظلم حبيب يعذبني

آه .. ما هذه الحياة

التي كلها آلام لا تنتهي.. وجروح لا تنبري

ودموع من العيون.. تجري جرحت خدي

أرقت مضجعي.. وسلبت نومي

آه يا قلبي يا لك من صبور

" نزار قباني "

*****

تعالت الزغاريد من جديد داخل منزل "آل زيان "

وهذه المرة من أجل المتمرد الوحيد داخل تلك

العائلة "عمر الزيان " فقد تخلى عن فكرة السفر

إلى الخارج منذ فترة بعيدة، وتقدم لخطبة زميلته

في مقر عمله؛ هكذا أخبرتها والدتها، وتمت

الخطبة منذ عدة شهور تعذّرت وقتها بالمرض

هربًا من حضورها، والليلة كان الزفاف

السعيد!..

حاولت كذلك الهروب، لكن أتاها الأمر الصارم

بالحضور رغما عنها عن لسان زوجها العزيز،

ورغم بطنها المنتفخ والآلآم المعتادة لمن في وضعها

تأنقت واستعدت للذهاب برفقة زوجها، ظنت

حالها أصبحت مزودة بالقوة المطلوبة لتحمي

قلبها المسكين من أي ألم قد يلمّ به فيكفيه مابه.. حقا يكفيه!

ولكن متى نالت روان الزيان ما تمنته يوما!..

رغما عنها شعرت بنصل حاد يغرز داخل نابضها مع أول إطلالة للعروسين.. يراقص عروسه، يهدهد مشاعرها فتضحك بغنج إثر غزله المتدفق.. ياللسخرية! فاليوم تتحقق أحلامها، أحلام الأنثى الحالمة.. فهكذا تخيلته ينظر لها، وهكذا يراقصها بحميمية تحسدها أعين الناظرين، وهكذا كانت وسامته بحلّته السوداء، وهكذا رأت فرحته بها وهي بين أحضانه!

وانتهى الزفاف..

وعادت ابنة الزيان حيث مسكنها البارد، يتغلغل السقيع جدرانه على مدار المواسم الأربع، لا مكان للدفء هنا، وهي تحتاج للدفء تحتاجه بشده، ضلوعها تؤلمها وهناك حرقة تشبه حمم البراكين تسكن خلف جفنيها تطلب الإذن حتى تنفجر..

- هتفضلي قاعدة عندك كتير.. مش هتغيري هدومك؟

أجفلت من نبرته العالية لترى أنها مازلت جالسة على إحدى الأرائك في ردهة منزلها، وأنها قد أطالت الشرود حيث أنه بدل ملابسه.. همست بصوت خفيض:

- هقوم حالا.

انتهت من تبديل ملابسها، و تحركت نحو فراشها تستمد منه الدفء.. اندست جواره، ويبدو كعادته واضعا أحد ذراعيه أسفل رأسه بينما الأخرى ممددة على الفراش.. شارد في حساباته الغير منتهية الخاصة بسوق العمل.. ومن لا يعرف عائلة الزيان تملك سلسلة محلات خاصة بالملابس بجميع أنواعها لهم اسم ساطع داخل ذاك المجال، ولسعادة حظها زوجها يحمل نفس هوس أبيها وأعمامها بالعمل وجمع الأموال، حتى يتمكنوا من بطش اسمهم أكثر وأكثر داخل أرجاء البلاد وخارجها إن أمكن..

أصبح نسخة مصغرة منهم فالحياة محورها العمل وكسب الأموال لا غير.. لا رفاهية لا دلال

لا حب ولا غيره من تلك الأمور التافهة في نظرهم، والنتيجة لا حياة حقيقية مع لوح الجليد.. وياليته لم يكن مثلهم لربما وجدت معه ماضاع منها وعاش هو حياة لم يسعَ لها يوما..

مازالت البرودة تتخلل روحها و ضلوعها حتى بدأت تنتفض ببطء، وحتى فراشها الليلة بات يماثل جميع ما يحيط بها لا دفء فيه.. اقتربت منه دون دعوة، دست بنفسها بين أحضانه وفقط همسة أقرب لتهدج خرجت منها:

- احضني يا أشرف..

تدفن رأسها داخل صدره تطالب بحقها كزوجة تطالب بدفء فقط دفء.. رفع بعفوية ذراعه

الممدد على الفراش ليمسد ذراعها وهتف بنبرة ساخرة كعادته:

-أنت غيرانة من العرسان ولا إيه؟

فقط تنهيدة خرجت منها، لا داعي للحديث، لذا آثرت الصمت، لن يفهمها أبدًا لن يشعر بها يومًا، فهو جاهل بكل ما يخص الأنثى.. وعشر دقائق فقط كافية جدا ليطلق بعدها معزوفته الليلية الخاصة التي تعلن عن رحيلة لسبات عميق وتسقط ذراعه من عليها قبل أن توفر لها الدفء المنشود..

نهضت بجذعها قليلا تنظر له ترمقه بغضب وبغض في هذه اللحظة لم تشعر بهم قبلًا.. يا إلهي كم يحمل من البرود داخل روحه؟ لأي حد

لا يبالي؟ إنها زوجته من تطلب منه الدفء والاحتواء، بل تتذلل للحصول عليهم! وببساطة كأنها نكرة لا يعيرها أي اهتمام حتى لم يسألها هل هي بخير؟ أليست تحمل طفلتيه داخل أحشائها، ألا يحق لها بفتات من الدعم حتى تتمكن من المضي قدمًا في هذه الحياة القاسية!..

نهضت بتثاقل من جواره، لكم تكرهه في هذه اللحظة!.. أسرعت باتجاه الشرفة الخارجية تجذب مقبضها بقوة، تريد جرعة من الهواء النقي، هواء لا يحمل بين ثناياه أنفاس ابن الزيان، فإن ظلت تشارك أنفاسه نفس الهواء حتما ستختنق..

ارتكزت بكفيها على السور الحديدي ورأسها مطرقة للأسفل.. أخذت شهيق طويل، ومع أول زفير تطلقه كانت براكين عبراتها الساخنة قد انفجرت أخيرًا، لم تأبه لصوت شهقاتها ونحيبها الذي بدأ يعلو رويدا رويدا في ساعات الليل المتأخرة ليشق سكون الليل الصامت وهي تمتم داخلها بجملة واحدة لا ثان لها..

"لعنة الله على كل الرجال أمثال ذلك المدعو زوجها"

* * * * *

مضى أسبوع منذ أن بدأت في العمل داخل حصون تلك المشفى، تجلس في حجرتها الخاصة.. الآن وقت استراحتها وهي كالعادة

تفضل تقضيته داخل هذه الحجرة لا استراحة لا مواجهة.. وكيف تواجهه بعد فعلتها تلك؟

امتدت يدها تجذب قلما تخط به فوق ورقة بيضاء وهي شاردة تماما في أول يوم مارست عملها هنا.. فمنذ يوم صدفتهم الصباحية حين رأته يرتدي معطفه بأريحية طبيب يمارس عمله، خفتَ بداخلها شعاع السعادة، وبعد طول تفكير أضناها حدثت حالها بإقناع بأنه لامجال فقد تخلت عن عملها السابق بكامل إرادتها، لذا لا سبيل للرجوع.. والحق يقال هو لم يخطئ في شيء، بل على العكس لطيف للغاية لكن ما يؤرقها ما حدث قديمًا.. فهو في يوم من الأيام طرق بابها طالبًا منها الوصال، وهي بكل عنجهية

الكون رفضته دون حتى أن تأبه لأمره، كيف إذًا تعمل معه في مشفى واحد؟ وفي الأخير أقنعت حالها أنه على مايبدو قد نسي تمامًا، فهو لم يتطرق في الحديث لذلك الأمر ولو لمرة..

وبالفعل استقبلها أول يوم بابتسامة بشوش كأنما يرحب بصديق.. وبعد مرور نصف يومها الأول، ذهبت لاستراحة الأطباء تحتسي مشروبًا دافئًا فاقتربت منها إحداهن تشاركها مجلسها بتودد، أخبرتها أنها زميلة بتخصص آخر، فقد أخطأت فالمشفى لم يكن خاص بالأطفال وفقط بل يضم باقي التخصصات بأريحيه تامة فمساحته وموقعه المميز يكفي لذلك تحت إشراف دكتور مراد ..

ومع مرور الوقت وتناول الأحاديث المختلفة مع تلك الودودة، لم تستطيع كبح فضولها فسألت بفضول عن دوره داخل المشفى الكبير وأتاها الجواب الصادم من بين ضحكات الطبيبة المتعجبة:

- في حد مايعرفش مين دكتور إسلام ابن عزيز الشافعي وابن أخو مراد الشافعي.. وكمان صاحب المستشفى اللي حضرتك شغالة فيها..؟!

وكأن دلوًا من الماء البارد سُكب فوق رأسها حدقت فيها بذهول وهي تردد كلماتها:

-عمه!.. دكتور مراد يبقى عمه عمه يعني؟ انا كنت فاكرة درجة القرابة مش قوي كده..

وبعدين اللي أعرفه إن دكتور مراد هو صاحب المستشفى..

أجابتها الطبيبة ببساطة وثقة:

- ده حقيقي دكتور مراد يملك نص المستشفى والنص التاني كان هدية دكتور عزيز لابنه.. وزي ما أنتِ شايفة المستشفى ماشاء الله كبيرة.. الدور الأرضي للاستقبال والطوارئ.. الأول بقى كل التخصصات والأطفال بكل أقسامه.. أما الدور الثاني ياستي كلنا بنقول عليه هنا "مملكة دكتورإسلام"

عقدت لمارحاجبيها في تساؤل فأكملت المتحدثه بمرح:

-أقصد يعني الكشوفات والعمليات وكمان الحضانات.

بتوجس وبلاهه سألت:

- مش فاهمه بردو هو تخصصه إيه؟

ومع ضحكة رنانه أتاها الجواب:

- نسا وتوليد.

فغرت فاها بشهقة خافتة انفلتت منها قسرًا.. رمقتها الطبيبة الودودة باستغراب لصدمتها ثم أردفت:

-أنتِ يابنتي ماعندكيش خبر بأي حاجة؟ طيب على الأقل ماشفتيش اليافطة الكبيرة بره؟ ده

اسمه هو وعمه بالبونط العريض منور في وشك وأنتِ داخلة من بوابة المستشفى..

نفت بهزة رأس وهمست بفتور:

- دي تاني مرة ادخل المستشفى وفي المرتين دخلت من البوابة الخلفية الخاصة بالدكاترة.

- معلش كلنا كنا كده في الأول زي التايهين بس ماتخافيش أوعدك هتاخدي علينا وعلى المستشفى بسرعة.. إحنا كلنا هنا عيله واحدة بداية من المرضى لحد المسؤولين.. أهم حاجه الالتزام بالمواعيد.. دكتور مراد عدو الوقت والإهمال عدا كده أنتِ في السليم والخبرة هتكسبيها مع الوقت اطمني.

بادلتها لمار بسمة باهتة، استأذنت بعدها الطبيبة فاستراحتها قد انتهت بينما هي ظلت جالسة تعصف بها الأفكار وتحدث حالها..

هل يعلم مراد من البداية عن عرضه ورفضها له؟ يالسذاجتك مازلت تتساءلين.. من الطبيعي أن يعلم أليس ابن أخيه! ومع ذلك أتى بها إلى هنا ؟ لم إذا لم يخبرها عن وجوده من البداية؟

يا إلهي.. والوقح الآخر يعمل طبيب نسائي وحين سألته راوغها بمكر واكتفى بجملته اللعينة..

"هسيبك تكتشفي لوحدك يادكتور و وقتها تأكدي هكون في الخدمة في أي وقت وبعرض خاص كمان.. أنت تخصي مدير المستشفى شخصيا"

أي خدمه سأقصده لأجلها ذلك الأحمق بتخصصه النسائي.. وماذا يعني بأني أخص صاحب المشفى؟ هل كان يقصد نفسه أم عمه؟!

آآآه لمار.. يالك من حمقاء لاتتعلمين أبدا من أخطائك، فقط ترين من البشر صفاتهم الحسنة، ولا ترين مكرهم ونفوسهم الخبيثة، الجميع يتلاعب بك وأنت كالبلهاء..

اجتاحها الغضب ودت لو تسدد لأحدهم أيا يكن عدة لكمات حتى تهدأ ويبدو أنه تطوع لذلك.. فماهي إلا لحظات حتى شعرت بصوت أنفاس يعلوها، رفعت رأسها ببطء لتصطدم بنظراته الثاقبة لها وثوان قليلة حتى تحدث بنبرة مرحة:

- للدرجة دي تعبتِ معانا أنت لسه أول يوم يادكتور..

ابتعدت بنظراتها عنه وجذبت هاتفها بغضب من أعلى المنضدة وهمت بالرحيل قائلة بخفوت:

- عن إذنك..

قطب جبينه في حيره ودون تفكير إعترض طريقها فهي لاتبدو بخير أبدا وسألها بجدية:

- في إيه يا لمار؟ في حد ضايقك؟

اللعنة! مَن عيّنه محاميًا لي.. هتفت بها لمار في داخلها وغضب الكون يعصف بها التفتت يمينًا ويسارًا لتجد الجميع غادر لإكمال مهامهم

الطبية، حسنًا لا أحد سيسمعها، ودون تفكير هدرت غاضبة:

- أنت مالك ومالي أصلًا؟

ظل ينظرلها بدهشة ويتساءل ما بها؟ وبما أخطأ هو؟ كل هذا لأنه فقط أراد الاطمئنان عليها..

تابع إسلام بنبرة هادئة مازالت متلونة بالدهشة:

-أنا حبيت بس اطمن عليكِ.. احنا مش صحاب ولا إيه؟

خطأ..

لفظه لتلك الكلمة الآن خطأ فادح.. اهتزت حدقتاها وبدأتا تلتمعان ببريق مختلف.. بريق

يذكرها بحقير آخر وعادت جملته الحقيرة تضرب مسامعها

" لمار احنا صحاب وبس "

لم الكل يراها وضيعة لتلك الدرجة؟ ماذا فعلت غير أنها تعاملت بنية حسنة مع الجميع؟ فالأول ظنته عاشقًا لها لذا سلّمت له مفاتيح قلبها وهي لم تفعلها قبلا، فعلتها فقط لأنها أحبته بصدق، وهذا الآخر تحدثت معه مرتين فقط وكونها ممنونة لم قدمه لها وقت حاجتها هذا لا يعطيه الحق أبدًا ليتعدى حدوده.. صرخت به غاضبة :

-انا مش صاحبة حد أنت فاهم ومش بصاحب.. وكون حضرتك صاحب المستشفى اللي بشتغل

فيها ده مش هيديلك الحق أنت أو غيرك بتعدي حدوده معايا.

طالعها في صمت لثوان معدودة، ثم ابتعد عن طريقها بهدوء قائلًا بنبرة حازمة هادئة :

- اتفضلي على شغلك يا دكتورة وتعدي الحدود مش مسموح بيه هنا لأي حد من الأساس.. بس مسموح نطمن على زمايلنا واخواتنا باعتبار اننا عيلة واحدة.

أنهى حديثه بنظرات لم تراها من قبل، وعنها لم تنطق بكلمة فقط اكتفت بالهرب السريع من أمامه..

ومنذ تلك المناقشة الحادة قابلته صدفة مرتين فقط وفي المرتين كان خارج المشفى.. كانت تراه وهو يدلف لسيارته عائدًا لمنزله لم يحادثها.. لم ينظر لها ولو لمرة وهذا ما يزيد من حنقها وغضبها، لا تستطيع ممارسة عملها براحة تامة..

يا إلهي لم يشعرها بالذنب دائما؟!

تعترف أنها غاضبه من حالها أكثر فكل ما صرخت به في وجهه كان من الخطأ عينه، حدثته بطريقة لا يفعلها سوى المشردين ترى ما يظن بها؟ ولكن هو يذكرها به ورغما عنها تغضب وتفقد السيطرة.. عيناه شبيهة الأخرى للغاية رغم شعاعها العسلي الصافي إلا أنهما تذكرانها بتلك العيون الداكنة، وتلك الكلمة الغبية التي

نطق بها، ربما هو لم يقصد معناها لكنها كانت كافية لتفجير الغضب الكامن بداخلها لتطلق بعدها سهام لسانها السليط.

ألقت بالقلم من بين أصابعها بغضب.. إلى متى سأظل حبيسة هذه الحجرة خوفا من مواجهته؟ ما المشكلة في تقديم الاعتذار!..أخطأت ويجب أن أنهي هذا التوتر الذي أحيا فيه..

نهضت بتثاقل عقب ما انتهت من حديث النفس تجذب مقبض الباب برفق.. فبعد طول تفكير قررت الذهاب وتقديم اعتذارات تخص الماضي والحاضر لكن سرعان ما تخاذلت وعادت أدراجها تتخبط حائرة مابين الخطأ والصواب..

هل تذهب أم تترك الأمور معلقه وكأنها فقط لا تبالي!..

* * * * *

يرتدي حلته الرسمية بلونها الكحلي وقد زينت بداية أكمام سترتها بأربعة خطوط مذهبة بينما يحمل قميصهُ الأبيض خطوطًا مشابهة في اللون والعدد أعلى الكتفين، وتجاور تلك الخطوط نجمة واحدة ذهبية.. هي ليست مجرد مهنة وكفى، إنما تمثل له الشغف بعينه فقد وجد فيها المتعة والإثارة التي لا حدود لها..

في البداية استمر في التدريب المكثف لقرابة العام والنصف حتى يحصل على حلته تلك ورخصه الأساسية.. كان مجرد مستجد بعدها

نال ترقية لمساعد طيار.. من ثم لقي تشجيع من أقرب أصدقائه " أحمد" دفعه بقوة حتى يجتهد أكثر و يحصل على الرخصة الرابعة والأخيرة التي تؤهله ليصبح هو"الكابتن " وليس مجرد مساعد.. وبالفعل تمكن في عدة شهور من اجتياز جميع الاختبارات والحصول على ساعات الطيران المطلوبة لتتم ترقيته من جديد لينال أخيرًا نجمته المذهبة.

طالع نجمته المرتاحة أعلى كتفه، وسؤال واحد يدور داخل ذهنه "هل يستحقها؟"

طرقات عالية على الباب أجفلته وخرج من شروده الذي بات يلازمه كثيرًا في الآونة الأخيرة..

توسط المكتب الأنيق جالسًا وأردف بهدوء:

- اتفضل.

ولج إلى الحجرة شابًا صغير السن.. طالعه باسل بتفحص بداية من أخمص قدميه حتى شعره الطويل المنتصب بقوة والذي يبدو عليه أنه قد استهلك علبة كاملة من "الجل"حتى يصل لتلك المرحلة الخطيرة.. أنهى تفحصه ونظر له رافعًا أحد حاجبيه منتظرًا منه أن يتحدث وماهي إلا دقائق قليلة حتى هتف الماثل أمامه بحماس:

- حضرتك كابتن باسل مش كده؟ أنا نسيم مساعد حضرتك الجديد و معاك في رحلة تركيا اللي هتطلع كمان نص ساعة.. كنت بس عايز اسأل حضرتك على شاحن.

تمتم باسل بصوت خفيض ببضع شتائم غير لائقة أبدًا بكابتن طيران.. رمقه بنظرة متهكمة ورسم معها بسمة أقل ما يقال عنها سمجة بحق قائلا من بين صرير أسنانه:

- يا أهلا منور يا حبيبي.. ماقولتليش عايز الشاحن ليه يا نسيم وقدامنا نص ساعة بس على الإقلاع.. عايز تلعب كاندي كراش ولا إيه؟

قهقه نسيم بعلو جعل باسل يزفر حانقا عدة مرات.. ليتنفس الصعداء ويهتف بحماس أكبر:

- هو انا فاضي لكاندي دلوقتي.. أنا عايز اشحن الفون علشان أخد سيلفي وابعتها للمزة بتاعتي اصلها موصياني ابعتلها صورة..

ثمّ غمز بعينه وتابع :

- علشان تتمنظر بيا قدام صحباتها، حركات بنات بقى وكده.

هل وصلت سلطة الأموال والواسطات لتلك الدرجة من التدني!.. لم يستطع التحكم أكثر فذلك الكائن اللزج أخرجه عن طوره.. نهض واقفا يهدر فيه بغضب مشيرًا بسبابته للباب:

- اطلع بره حالاااا.. بدل ما أوريك أنا السيلفي على حق..

زم نسيم شفتيه بحنق وغادر الغرفة غاضبًا.. وقبل أن يهدأ عادت الطرقات تعلو مرة أخرى فعاد يصيح بغضب:

-تصدق إنك حيوان وعايز تتر..

-يخربيتك شو قليل ذوق.

بتر كلماته بعدما أطلّت الشقراء المدللة ودلفت للداخل.. فأردف معتذرا:

- سوري لاتويا فكرت حد تاني.

تحدثت بغنج وهي ترتاح على المقعد المواجهه له واضعة ساق فوق أخرى:

- ولا يهمك حبيبي اصلا خلاص اتعودت.. كل ما بتشوف خلقتي بتعصب بسبب او من دون.

تابع باسل بملل:

- خلاص بقى قولنا سوري.. ماقولتيش إيه اللي جابك؟

حملت حقيبه سوداء صغيرة من جوارها، تركتها أمامه فوق سطح المكتب ثم تحدثت بهدوء:

- حبيت اعطيك الشنتايه بنفسي.

تناول الحقيبة وجعلها تجاوره أرضا قبل أن يهتف ساخرا:

- والله فيك الخير.

تابعت لاتويا بجدية:

- في مفاجأه كمان.. طالعة معك بنفس الطياره عتركيا.

صاح بغضب:

- ممكن أفهم ليه؟

هزت كتفيها بلا مبالاة ثم همست بنبرة دلال:

- هاد بدل ما تنبسط.. على كل انا طالعة حتى غير جو.. صارلي كتير ما سافرت ولا غيرت جو.. وجاي عبالي أروح تركيا وليكني هون حدك.

حاول السيطرة على غضبه أكثر.. اللعنة اولا كأئن لزج يدعى نسيم والآن دور تلك المتغنجة:

- لاتويا مش عاوز مشاكل لو سمحت تلتزمي بالقوانين وإياك ثم إياك تفكري بس تيجي لي غرفة القيادة زي المرة اللي فاتت صدقيني انا مش في مزاج يسمح لك تستفزيني خالص.

نهضت وتحركت أمامه بخيلاء، حتى وصلت عند الباب استدارت له وتابعت بنبرة مغناج:

- راح حاول بس ما بوعدك هاه.



- لاتويااااا.

- خلاص خلاص.. يا ربي عنجد صاير ما بتنطاق.

وغادرت عقب جملتها.. تاركة إياه يهدئ ثورة غضبه التي ساهمت وبجدارة في إشعالها.

*   *   *   *   *

صعدت إلى الطابق العلوي لأول مرة منذ أن خطت داخل المشفى.. اقتربت ترنو من حجرته حذرة، مرتبكة.. تنفسها يزداد كأنما انتهت للتو من عداء ما.. تتقدم خطوة فتعود بها وبعد مضي ثلث الساعة تقريبا تقدمت دون رجعة.. طرقت بخفة فوق باب الغرفة المفتوح ليرفع هو

رأسه من خلف حاسوبه ليطالعها بعيون متعجبة..

مابال تلك المجنونه!

يوم تعامله بود وآخر تصرخ فيه دون سبب واضح والآن تقف أمامه داخل حجرته الخاصة!

الأسبوع الماضي تجنبها تماما كما أرادت، رغماً عن تلك المشاعر التي تعصف به دون رحمة.. بالنهاية لا يستطيع فرض نفسه عليها، فقد أصابته في مقتل حين ظنت به السوء هو حتما لم يقصد ما ظنته ولم تعط حتى فرصة ليوضح حقيقة الأمر.. لهذه الدرجة تراه عابثًا؟ ورغم غضبه منها لم يستطيع منع نفسه من اختلاس بعض النظرات من حين لآخر..

-ممكن اتكلم مع حضرتك شويه؟

قطعت جملتها عنه شروده وتحديقه المتعجب بها.. تنحنح يجلي حنجرته في حرج وأردف بجدية وهو ينزع عويناته الطبية مشيراً بكفه كدعوة للجلوس:

-أكيد يا دكتوره.. إتفضلي.

جلست على المقعد أمامه كطالبة مذنبة.. تنظرأمامها خشية أن تستدير فتواجهه.. تفرك كفيها في ارتباك و تتمتم بخفوت:

- جاية أعتذر بخصوص آخر مرة اتكلمنا فيها.. أنا آسفة.

يطالعها بترقب.. شعرها البني يشبه الشكولا المذابه ينسدل بحميمية حول وجهها البريء فيعزل عنه الرؤية.. كم يتوق لدس وجهه بين تلك الخصلات الناعمة ترى بأي الروائح معبقة هي؟

حسنا صاحبة المقام الرفيع قررت تقديم اعتذارها بعد أسبوع كامل يا لقسوة قلبها.. ومع ذلك لم يستطع منع طيف ابتسامة زينت محياه.. حين طال صمته عادت بخصلاتها خلف أذنها.. ترفع بصرها نحوه بحذر فربما مازال غاضبا واعتذارها لن يفي بالغرض.. لكنها حين تفاجأت ببسمة هادئة تلعو شفتيه طمأنت حالها وتابعت همسها:

-أنا آسفة بجد.

ليتحدث بدوره بنبرة هادئة:

-ولا يهمك خلاص إنسي.

عادت مرة أخرى تنظر أمامها تفرك كفيها بحرج أكبر وشعرها يحجب الرؤية من جديد.. لتبدو غارقة في تفكير ما.. تحدث بنبرة مرحة حتى يرفع عنها الحرج:

-صدقيني مش زعلان.. إللي فات مات زي ما بيقولوا.

قطعت حديثه بنبرة مضطربة بعض الشيء:

-في اعتذار تاني كمان من حقك تسمعه.. كان واجب من شهور، يوم ما كنت عندنا في البيت

وأنا كنت قليلة الذوق بمعنى الكلمة.. أيا كانت أسبابي ماكنش يصح أقول لك كده أبدا.. أنا آسفة كمان مرة.

بهتت إبتسامته حتى إختفت تماما لم يتحرك به سوى عضلة فكه التي اهتزت قليلا.. كيف يخبرها أن اعتذارها لن يجدي نفعا وأن الاعتذار الأوحد الذي يستطيع محو تلك الليلة هو استبدالها بليلة أخرى تكون فيها ملكه هو لاغيره ويرى في عينيها تلك النظرة التي رآها من قبل وكانت تخص رجلًا آخر.. اقترب بجذعه للأمام يضيق حدقتيه ويهمس بهدوء يناقض ما يعتمل داخله:

- كده قدمتِ اتنين يعني مش باقي لك غير واحد بس..

رفعت رأسها بغتة عاقدة حاجبيها في استفهام فتابع هو بمكر خفي:

- شكلك ناسية رغم إن ده كان الاعتذار الأهم بالنسبالي.. عموما كفاية دلوقتي اتنين.. الثالث خليه وقت تاني.

حاولت التحدث وفهم مقصده لكن اقتحام بدر لجلستهما جعلها تلتزم الصمت.. تقدم الدخيل بخطوات واسعة حتى اقترب منهما وجلس على المقعد الآخر يواجه إسلام بهتاف متعجل:

- إسلام اتصرف عايزين دكتور للحضانات بدل الدكتور اللي مشي.. أنا مش لاحق على الحضانات والحالات سوا.

زفر إسلام بحنق.. هذا وقته! هتف منهيا الموضوع:

-خلاص يابدر أنا هشوف الموضوع ده.

بعصبية وليدة زعق:

- مافيش حاجة اسمها هشوف كفايه تأجيل عايز حل فوري.

عاد إسلام ينهي الموضوع:

- يعني أخلق لك دكتور منين دلوقتي؟ خلاص قولت لك هشوف.

قطعت حديثهم متنحنحه في حرج:

- في دكتورة زميلتي ممكن تحل المشكله دي.. بس يعني اصلها..

حثها بدر على المتابعه:

- اصلها إيه.. كملي.

أجابت موضحة:

-يعني لسه متخرجة بردو فمعندهاش خبره قوي زي حالاتي كده.. لأ دي كمان ماشتغلتش خالص من وقت ما اتخرجنا.

سأل بدر مجددا:

- ايه بقى إللي منعها من الشغل.. كان ليه الدراسة من الأول و وجع القلب.

هتفت بعفوية:

-أصل خطيبها بيغير عليها.

رفع حاجبيه متعجبًا بينما ضحك إسلام بحبور وهو يسأل بدوره:

-طيب ولما تشتغل هنا مش هيغير؟

تحدثت بأمل:

-أنا هحاول اقنعها وهي تقنعه بطريقتها.

تبسم إسلام قائلا:

- تمام شوفيها وبلغينا وصلتي لإيه.

غادرت بوجه بشوش وباسم غير الذي أتت به بينما التفت بدر لوجه صديقه الضاحك وهتف متهكما:

- يعني مش كفاية هي.. كمان هتجيب لنا صاحبتها يادي الهنا اللي انا فيه.

غمغم إسلام بإبتسامة واسعة لإغاظته أكثر:

- من ريحة الحبايب ماقدرش أقول لا.

تمتم بدر ساخطًا:

-ياعيني عليكِ يا رجولة.. إخشوشن شويه يادكتره مش كده يعني.. بس تعرف هي فعلا طيبة وبريئة قوي، كان عندك حق لم قلت عليها قطة مغمضة، كنت فاكر النوع ده انقرض من زمان.. صراحة خسارة فيك يا نمس.

قهقه إسلام في مرح وهو يقذفه بالقلم الذي كان يتلاعب به بين أنامله.. فخرج بدر متمتما بكلمات

ساخرة.. فهو حقًا يتعجب لحال صديقه، كيف لإمرأة أن تتمكن من السيطرة على رجل بجسد البغال وهي حتى لم تبادله الشعور إلى الآن.. كيف الحال إن فعلت!

* * * * *

وفي مكان آخر كانت تعلو الدهشة والمفاجأة ملامحها الصغيرة.. فباقة الزهور اليوم لم تجدها بمفردها كالباقيات، بل هي محمله ببطاقة عطرة تحمل دعوة للعشاء في أمسية الغد بأحد المطاعم على الشاطئ حتى تتعرف على صاحب الباقات المجهول.

(١٠)

تالا

ملائكة بيضاء..

هكذا منحتهم هذا اللقب الذي يعبر عنهم منذ أول وهلة وقع بصرها عليهم.. حجرة واسعة تعد من أكبر الحجرات داخل المشفى، جدران صبغت بالأبيض.. أسرة غطيت جميعها بشراشف بيضاء مصفوفة في تجاور بكل انتظام يعتليها ملائكة صغار بأعمار متفاوتة.. يوجد بينهم الكثير من التشابه، فجميعهم يحمل بريقًا دامعًا داخل عينيه، وأنين يلازم شفتيه، وجوههم شاحبة على الدوام..

فقد البعض ثقته حين فقد شعره وبات يشبه آخر بقربه كان يخاف أن يماثله يوما ومنهم من يستعد لتلك المرحلة.. رغم صغر سنهم واختلاف مسقط رؤوسهم إلا أن الألم جمعهم تحت سقف واحد.. جنود صغار مسلحين بقوة منحها إياهم الخالق لا سواه.. يقاتلون بمفردهم ذاك الوحش الكاسر الكامن داخل كل واحد فيهم..

هنا داخل القسم الخاص "بالكانسر" كل شيء مثالي في صفائه ونقائه كل شئ أبيض.

قررت مد يد العون بقسم الحاضنات ريثما تحضر صديقتها الطبيبة المنتظرة.. هاتفتها وأقنعتها بفكرة العمل، وبدت الأخرى مفعمة بالملل والسأم حيث تحمست للفكرة وهذا ما

تعجبت لمار لأمره، فصديقتها "تالا" لم تكن يوما شغوفة بالعمل مثلها..

في النهاية أخبرتها انها فقط تريد بعض الوقت حتى تستطيع إقناع خطيبها بتلك الفكرة.. لتقرر بعدها منح رفيقتها مهلتها اللازمة، وهي لن تضيع وقتًا كعادتها وعرضت المساعدة وتم قبولها بترحاب صدر.. وبات تواجدها في الطابق الثاني شيئًا واردًا، من ثم دفعها فضولها لاكتشاف الحجرة الكبيرة الكامنة في الركن الهادئ الواقعة بآخر الطابق والممنوع لغير المختصين الاقتراب منها..

لكن ببساطة الأنثى كائن فضولي بطبعه ما إن تضع هدفًا صوب عينيها يمكنها الحصول عليه

دون رادع، وهي لم تستطع كبح فضولها لتتعرف بنفسها على سر تلك الغرفة التي تميز بعناية خاصة ومكانة رفيعة لدى دكتور مراد شخصيًا.. وهذا ما فعلته وحينما كشفت الحجاب عنها لم تجد بها لغزًا أو سرًا.. كانت تحوي على مجموعة من الملائكة الصغار.

* * * * *

" إن سئمت من تفاصيل الواقع.. عش خيالاً يسعدك"

تتأثر فتضحك تارة وتعود تدمع عيناها أخرى.. ظنت أن بعد الزواج ستودع أيام الأحلام والروايات ولم تتأثر كما كانت تفعل لكن العكس تمامًا ما حصل، فعادت في آونتها الأخيرة لسابق

عهدها أكثر بمراحل.. تنغرس أكثر وأكثر،
أصبحت قراءة الروايات جزءًا لا يتجزأ من يومها
ربما وجدت داخلها الونيس والصحبة وبات
حاسوبها أقرب رفيق ليومها.. ساعات وساعات
تقضيها أمامه دون كلل أو ملل.. أخرجها من
عالمها الوهمي طرقات متتالية..

نهضت بتثاقل تتجه صوب الباب.. فقد أصبحت
حركتها ثقيلة عقب ما خطت في شهرها الأخير..
ربما أسبوع أو إثنان أكثر أم أقل الله وحده من
يعلم لكنها على يقين أنها ستصبح "أم" خلال
فترة ليست بالبعيدة.

ما إن فتحت بابها حتى واجهتها امرأة مسنة ربما
في عقدها السادس لا تعلم.. تحاول أن تتذكر أين

رأتها من قبل لكن لا نتيجة.. وحينما لم تجد المرأة ترحيبًا غير ابتسامة هادئة تحدثت هي:

- إيه مفيش اتفضلي؟ ماتخافيش مش هعضك ده انا حتى جايبة لك بسبوسة.

ومدت يدها بطبق مغطى بمحارم خاصة بالمطبخ.. تناولته منها في حرج ودعتها للدخول.. تقدمت المرأة بخطوات هادئه ولم تلبث حتى عرفتها على نفسها..

"السيدة إيمان "جارتها في نفس العقار.. ربما قابلتها أثناء دخولها أو خروجها من البوابة لذا تبدو مألوفة الوجه، تقع شقة السيدة أسفل شقتها مباشرة، أخبرتها أن لديها ابنة متزوجة في محافظة أخرى لا تراها كثيرًا فظروف زوجها

تمنعها من الزيارة الدائمة لوالدتها المسنة ولديها أيضا ابنًا مازال يدرس في الجامعة..

المرأة ودودة لأقصى حد انتهت الزيارة السريعة وهمت بالرحيل وقبل أن تتحرك استدارت ونطقت بجملتها التي أثارت التعجب داخل نفس روان:

-انا حبيتك قوي فكرتيني بإيناس بنتي.. ممكن أحضنك ياروان علشان أحس إني بحضن إيناس اصلها وحشاني قوي.

وجدت روان نفسها تتقدم بخنوع تضمها بقوة ودموع المرأة أثارت دموعها هي الأخرى.. رحلت بعدها عقب ما أخذت وعد برد الزيارة في القريب العاجل.

خطت بسمة ساخرة على جانب شفتيها.. فقد وصلها الآن غاية تلك الزائرة.. هي في أيامها الأخيرة أصبحت تقضي بنحيبها في أشد لياليها قسوة داخل شرفة منزلها.. تنهي هناك طاقاتها المكبوتة داخلها غير آبهة بوجود أحد.. أتت متعذرة بابنتها حتى تقدم مواساتها.. تقدم لها ما عجز عن تقديمه أقرب الأقربين.. كم أنتِ بائسة مثيرة للشفقة يا ابنة الزيان.

* * * * *

ارتكز بجذعه على جدار جانبي يراقبها من البعيد.. تنتظر استراحة الأطباء حيث يتجه الجميع إلى الأسفل فتقترب هي خلسة تتطلع يمينا ويسارًا بحذر.. وما إن تقبض على المقبض

حتى تديره ببطء وتلج بحذر من ثم تغلق الباب من جديد، وقبل انتهاء مدة الاستراحة بدقائق قليلة تخرج بحذر كما دلفت..

ترتفع على أصابع قدميها تلقي بنظراتها الأخيرة عليهم لهذا اليوم ملوحة لهم بوداع بكفها الصغير من خلف الدائرة الزجاجية المزروعة وسط باب الحجره.. بعدها تغادر محملة بجرعة ألم جديدة، فتخونها عبراتها كالعادة وتسقط برفق تشق طريقها عبر وجنتيها فتسارع أناملها بمحوها ظنا منها ألا أحد يراها.

لكن هو لم يفوت العرض اليومي منذ أن بدأت فيه من أسبوع مضى.. الأول قضته داخل حجرتها خوفًا من أن تواجهه وعن أسبوعها

الثاني قررت بكل طيبة قلب أن تمنح ملائكتها الصغار بسمة تمحي بها دموع مآقيهم وتبدل آهات الألم بضحكات بريئة تشبههم..

يراها كل يوم ترسم ابتسامة واسعة تعدها قبل الدخول.. تداعبهم بمرح مرة متقمصة دور المهرج بأنف أحمر كبير، ومرة أخرى ساحر يبهر عيون الصغار بخدع بسيطة، فيتناقلون نظرات التعجب فيما بينهم، فتعلو ضحكاتهم الواهنة تصدح بين الجدران.. هذا ما يراه حين يسمح له الوضع بالاقتراب أكثر دون أن يفضح أمره..

تتستر عليها الممرضة مقابل حفنة مالية تدسها في جيبها كل حين.. كما يتستر عليها هؤلاء الأطفال مقابلها هي، فهي تتجرد من ثوب الطبيبة لتبدو

لهم حينها كصانع البهجة الذي يحمل نفحة من السعادة يدخل ويخرج حذرًا خوفًا من أن يفضح أمره فيخسر بهجته.. وأخيرًا يتستر عليها هو، والمقابل إرضاء نابضه المجنون الذي بات يهوى اكتشافها والتعمق فيها أكثر.

لو كان أحد غيرها لكان بالتأكيد الوضع اختلف وربما اتخذ إجراءًا قانونيًا مقابل كسر القوانين الخاصة بمشفاه.. لكن حين توجد هي تتبدل كل قوانينه ويضرب بها في عرض الحائط ولا يكتفي فيشاركها أفعالها خلسة.

يتتبع أثرها الراحل وهو شارد فيها.. في تفاصيلها.. في لماره.. كم هي هشة رقيقة سهلة الكسر..

رباه.. لأي مدى هي حنونة، يشتهي ضمها لقلبه، يحفظها بعيداً عن ذلك العالم، يبعدها عن كل ما يعكر صفاءها وطيبتها.. توجعه عبراتها المتقافزة بقدر وجعها، رغمًا عنه تزعجه جرعات الألم التي تتناولها يومًا بعد يوم.. يود منعها ولكن يخشى أن يؤلمها أكثر كما أن ضحكات هؤلاء الصغار كانت حاجزًا منيعًا ضد كل رغباته.

حتى مرضاها العاديين لم تغفل عنهم انتشرت الشيكولاتة داخل المشفى فالجميع يغادر محملًا بها.. حتى ظن يومًا أنه دخل لفندق ما وتلك الشيكولاتة التي يحملها الجميع دعوة للعودة

مرة أخرى حيث الخدمات المتميزة والمعاملة الأفضل.

مزيج ساحر فحواه بسماتها وعبقها الخاص الذي ينتشر في الأجواء ويستقر بأعماقه منذ أن وطأت بقدمها أرض المشفى.. لا يعلم هل وحده من أصابه سحرها وتملك منه هذا الشعور حد الجنون أم هي بتلك الروعة لتصل بسحرها للجميع.

وصوت أنثوي لإحدى العاملات ينتشله من دوامته:

- دكتور إسلام.. دكتور مراد عاوزك.

أطلق تنهيدة مستسلمه تبعها بخطوات متتابعة نحو حجرة عمه وأيقونته لا تفارق خياله، ويقر لنفسه أنه ربما كان من الخطأ وجودها بقربه في مكان واحد.. هو عاشق لتلك القريبة البعيدة، وذاك البعد يؤلمه، هي لا تسمح بأي اقتراب خارج حدود العمل، تحبس حالها داخل شرنقة محكمة عليها جيدا، وعنه فقط يتمنى من البعيد، ليس عاجزًا عن القرب بقدر ما يخشى من وجود ذلك الغريب الذي أعلنت عن عشقه مسبقًا..

يتفانى في مراقبتها بشتى الطرق ولا وجود لأي رجل في حياتها هي تدور داخل دوامة العمل لا غير.. و ربما هو يقنع نفسه بذلك لا يعلم، هو

متخبط حائر يخاف الاقتراب ويعجزعن الابتعاد

وسؤال واحد يرهقه دائما.. ماذا إن رفضت قربه

للمرة الثانية؟

ولا إجابة غير أنها ستكون أسدلت ستار النهاية

بيديها..

وحينها ستكون قاتلة بحق.

* * * * *

تختلف النساء في الأذواق وربما يتعمدن

الاختلاف في كثير من الأحايين. فالأنثى بطبعها

تعشق التميز وتكره تشبيهها ببنات جنسها..

فالنساء هن النساء مهما تغيرت العصور..

ورغم ذلك يوجد ما يجتمعن عليه.. وأولى بالذكر

" الزهور"

لا توجد أنثى لا تعشقها بل هنالك لغة بين الأنثى والزهورلا يفهما سوى الإناث وفقط الإناث..

وهي أنثى تتلقى كل يوم باقة من الزهور.. لكن من صاحب مجهول!

وانقلبت الآية حين قرر الدون جوان الظهور مع دعوة عشاء فوق أحد الشواطئ.. وحيرة بين القبول والرفض

ونهاية الحديث..

ارتدت ثوبًا قصيرًا ينافس لون البحر في زرقته لتشكل لوحة أنثوية جميلة بخصلات شعرها القصير.. تقف حائره تفرك كفيها في توتر، تنظر

يمنة ويسرة تبحث عن صاحب الدعوة المجهول..

فيجفلها بنبرته القوية وهو يمد يده مع ابتسامة

لم تفهم كنهها:

- شادي.. شادي شكري.

ابتسامة مجاملة صاحبها مصافحة سريعة

وعشاء متوتر على ضوء الشموع.. وسؤال يلح

كان هو سبب قبول تلك الدعوة:

-أستاذ شادي بقالك ساعة تحكي لي عن نفسك

وعن شغلك مع والدك رجل الأعمال العظيم

ولحد دلوقتي ماجبتش سيرة سبب الدعوة دي

و..

صمتت هنيئة قبل أن تردف بتلعثم:

- وليه تبعت لي كل يوم ورد؟!

والإجابة صريحة واضحة كالشمس:

- معجب.. إيه بلاش.

ارتعدت جوانحها لثوان قليلة إثر جرأته.. تطالعه في صمت وتعجب لأمر ذلك الوقح.. نعم وقح فجلسته لم تخلُ من النظرات الماكرة وكلام الغزل الصريح..وقبل الرحيل إصرار على تبادل أرقام الهواتف.. رفضت و أصر أكثر.. ولم يترك لها خيارًا آخر.

مضى أسبوع على تلك الحادثة ولم يتخلَّ بعد عن الباقة اليومية ومهاتفات لا تنتهي تحمل دعوات لمقابلات أخرى وهي فقط تعتذر بحرج..

حتى فاجأها اليوم وقتما خرجت من مبنى الإذاعة و رأته يتكئ على سيارتها.. عتاب سريع على تهربها منه واعتراف آخر يصرح باشتياق!

وهي فقط تجهل ما يجب عليها فعله هل يستحق أن تمنح فرصة وتعطي حالها من قبله أم ما تفعله هو الخطأ عينه.. ولكي تتخلص من موقفها الحرج أعطته وعدًا بقبول إحدى دعواته في القريب العاجل.

-أنتِ يابنتي رحتي فين والله لو سرحتي تاني هقفل بجد.

صراخ أنثوي خارج من شاشة حاسوبها اخترق طبلة أذنها أجفلها من قوته.. فهتفت بغيظ:

- يهدك يا شيخه إيه الصوت ده.. وبعدين مش تخلي عندك دم شوية الموضوع مش بسيط .. ده عايز يقابلني تاني يا فرحة، أنا مش عارفة أعمل إيه؟

نفخت الأخرى التي تماثلها في جلستها.. تعتلي كلتاهما فراشها عاقدة الساقين، أمامها حاسوبها الخاص والمهاتفة اليومية على أحد برامج التواصل الاجتماعية التي بفضلها يستطيع الأحباب رؤية بعضهم رغم بعد المسافات، عادت فرحة تهتف بغضب:

-أنتِ اتجننت يا ساندي لا طبعا مش محتاجة تفكير يعني .. أنتِ عارفة لو إسلام أو باسل عرفوا أنك قابلتي واحد وكمان عشاء رومانسي

وشموع والمصيبة بيعاكس عيني عينك.. عارفه رد فعلهم إيه؟ هيولعوا فيك يا قلبي.

غمغمت ساندي بتأفف:

-أوف منك بقى وهما هيعرفوا منين بس؟ شوفي أنا عايزه أتعرف عليه مش أكترولو لقيته مش تمام أكيد هبعد وهقطع أي حاجة ممكن توصله بيا.. ده بيبعت لي كل يوم ورد يا فرحه.. يعني هيييييييح.

لتكمل فرحه بحالميه:

-هيييييح بقى عقبال اللي في بالي..

لتسأل الأخرى بغباء:

-هو مين ده؟

وتجيب فرحه بحنق من بين صرير ضروسها:

-هو في غيره.. المنيل أخوك.

وساندي تعترض برفع سبابة في وجهها:

-لو سمحت أخويا مش نيله.

لتهمهم ساخرة :

- لما يعاكس كل بنات البلد والبلدان المجاورة ويجي عندي ويقلب بطه بلدي يبقى نيلة ولا مش نيلة؟

هتفت ساندي بمكر لتزيد من غضب المسكينة:

- مش عارفه بصراحة انا خايفة يكون بيفكر في حد تاني..

والجواب شهقة عالية ونظرات قاتلة:

-لاااا أنا أروح فيكم في داهيه!

وزادت قهقهات الأولى والثانية ترمقها من خلف الشاشة بغيظ.. بعد حين هدأت ساندي من نوبة ضحكاتها و آثرت السلامة:

-أنتِ شدي حيلك بس وخلصي السنه دي على خير وهتلاقيه لابس اللي على الحبل وساحب خالك ومراته في إيده ورايح البلد يطلب إيدك ويكسب فيك ثواب.

- باسل مطنشني خالص.. أنا زهقت يا ساندي زهقت ومش فاهمه هو ليه بيعمل كدة.

- يا روحي ضغط شغل مش أكترو أنتِ عارفة طبيعة شغله صعبة قد إيه.. وبعدين باسل

ماينفعش يكون غير لفرحة وفرحة ماتنفعش غير لباسل.

تبسمت بوهن فساندي دائما تسعى لتطيب خاطرها.. ودعتها لتكمل دراستها فالاختبارات على الأبواب بينما راحت الأخرى تفكر في ذاك المجهول الذي اقتحم وحدتها علّها تصل لحلٍّ ما.. هي لا تشعر بشيء ما تجاهه لكن هناك ما يدفعها للتقدم واكتشافه أكثر لربما وجدت ما تبحث عنه فيه.

* * * * *

يمر داخل الرواق الطويل ومشهد من أكثر المشاهد السمجة في نظره.. فهو يراه يتكرر كلما اجتمعت مجموعة من الإناث وتصيبه تلك الهالة

بالحنق والتمتمة الساخطة.. هو يكره " السهوكة " باللغة الدارجة وفي نظره معظم أفعال فتيات جيل اليوم تنطبق تحت هذا الشعار..

وما يشاهده الآن يعني ما يكره بالشكل الحرفي والفعلي..

صراخ أنثوي عالٍ نسبياً غير لائق بين أروقة مشفى.. عناق حار يكاد يخنقه وعبارات اشتياق متمايعة تشعره بالغثيان..

الأولى هي طبيبة زميلة وهي نفسها حبيبة صديقه الصدوق والأخرى ذات خصال ذهبية وقوام ممشوق مع عيون زرقاء أقل ما يقال عنها أنها غاية في الحسن تشكل بهيئتها لوحة كاملة لحورية خرجت من محيط ما..

أو ربما "مزة أوروبية" لا يعلم من أي قارة هبطت!

نفض رأسه ساخطا.. ما بالك يا ابن زهران هل جننت لتفكر هكذا بتلك الوقاحة!

وصوت ضحكات رنانة خرجت من تلك الحورية جعلته يجلي حنجرته ويتقدم نحوهما.. يتحدث بنبرة جادة وجّهها لزميلته:

- دكتورة لما راحنا هنا في مستشفى ولا إيه؟ الصوت بعد إذنك كده ماينفعش في مرضى.

والإجابة معتذرة :

-آسفه جداً يا دكتور.. أوعدك مش هتتكرر تاني.

ابتسامة عملية وبعدها رحيل دون تعارف حتى..

جذبت بعدها لمار صديقتها من كفها تكملا طريقهما في توبيخ :

- تالا قولت لك وطي صوتك عجبك كده فضحتيني من أولها.

هتفت باستنكار وملامح ممتعضة:

- وده مين ده اللي مش طايق نفسه؟

- ده دكتور بدر هو حمقي حبتين وعصبي ومش طايق نفسه طول الوقت بس بجد حد محترم جداً.

- مش عارفه ليه حساه طالع من فيلم قديم.

ضحكت لمار بخفوت قبل أن تجيبها:

-شكلك هتطردي من قبل ما تشتغلي وتاخديني معاك.. بسلامته اللي مش عاجب حضرتك ده وشغالة تريقة عليه.. يبقى أنتيم صاحب المستشفى ياهانم يعني اتلمي وبلاش طولة لسان خلينا ناكل عيش.

هتفت تالا بمرح وحماس:

- بجد مبسوطة قوي يا لومي.. كنت هموت من الزهق وربنا بعتك ليا.. والأحلى بقى هشوفك كل يوم ونرجع سوا أيام الجامعة.

- وأنا مبسوطة علشان أنتِ مبسوطة.. بس ماقولتيش هو كريم وافق كده على طول؟

- لا على طول إيه ما أنتِ عارفه كريم غيور جدًا.. بس يعني بعد وصلة زن طويلة، كوكي حبيبي وافق أكيد مش هيرفض لي طلب أنا صممت عليه.

قلدتها ساخرة :

-كوكي!

وعادت الأخرى تضحك:

-آه كوكي عندك مانع!.. المهم فين اللي اسمه إسلام ده عندي فضول هموت وأشوفه!

عقدت لمار حاجبيها وزمجرت غاضبة:

- تالا بلاش هزار من النوع ده مابحبش كده.. بلاش تخليني أندم إني حكيت لك.

أحاطت تالا كتفيها مغمغمة بالقرب منها:

-أنتِ مجنونة أنا هشوفه بس.. أكيد يعني مش هروح اقول له أنت ليه مضايق صاحبتي الهبلة بنظراتك الوقحة أو ابتساماتك اللي مش بتخلص.. ليه تصبح عليها كل يوم..

وتابعت :

-أكيد مش هقول له بلاش ترمي شباكك على الغلبانة لمارعلشان هي مش فاضية دلوقتي اصلها منهارة على الأطلال علشان واحد حقير مايستهلش دمعة من عينيها.. مش هقول له خليك في حالك يابني صاحبتي غبية لدرجة مش عارفه تفرق بين الحاجة اللي تستاهل تزعل عليها بجد وبين وهم صدقته ولسه عايشة فيه.

فغرت لمار فمها من حديث تالا الجدي.. تلومها على كل ما حدث كأنما الأمر بيدها.. رمقتها بصمت قبل أن تهمس بفتور:

- تالا مش وقته الكلام ده دكتور مراد مستنينا.. يلا.

وتحركت لمار أمامها من ثم تبعتها الأخرى تهز رأسها حانقة،غاضبة وأيضًا مشفقة على رفيقتها.. ربما اجتمعتا تحت مسمى الصداقة لكن شتان بينهما، تختلف الأولى تماماً عن الثانية وتلك كانت..

تالا عاصم رسلان..

جمالها نابع من عروق والدها الشامية، ابنة رجل الأعمال "المزواج " نعم فأبوها لقب المزواج يجاور كنيته تماما، والدتها ربما كانت رقم اثنان في حياته قبل الانفصال، فقد انفصلا وهي في سن الثامنة ليسلك بعدها كل منهما طريقه..

والدتها السيدة الفاضلة تنازلت عنها مقابل خلاصها من ذاك المزواج، وتزوجت هي الأخرى مرة ثانية ومن وقتها وهي تقيم في إحدى البلدان الخليجية مع زوجها وابنتيها، وتتكرم بزيارتها كل عامين أو ثلاثة أو ربما خمسة لا داعي لحسابات لأجل ساعات تقضيها مع امرأة تدعى أمها تحت مسمى الواجب..

أما عنه، والدها العزيز تزوج بعد والدتها عدة مرات فهي باتت لا تحصي، أكثر ما تتذكر إحداهن طلبت الخلاص كحال والدتها وحصلت عليه بسهولة لأنها بكل شرف تحمل لقب " نكدية" والأخرى فارقت الحياة وربما هذا من حسن حظها.. وعن الثالثة فهي" حيزبون" كبيرة تعشق المال والثروة ونالت ما لم تحلم به يوما، ومن أجل ذلك مازالت تحافظ على ميثاقها مع أبيها الذي تزوج عليها بالرابعه وتلك المرة غير المصدر وتزوج بأمريكية وأنجب منها ولدًا واحدًا والله وحده يعلم إن كانت ابنة بلاد الفرنجة ستكون آخر مطاف أبيها أم هناك من مزيد.

تقيم هي مع الحيزبون الكبيرة و أختها من أبيها الحيزبون الصغيرة المدعوة" لينا" ورغم السنوات الطويلة التي قضياها معا لكن لم يكونا على وفاق ولو ليوم واحد..

لحظة.. ليس كل من بحياة تلك الجميلة يحملون الجينات الشريرة فهناك مربيتها "كريمة" أحن وأجمل امرأة على الأرض تكفلت برعايتها بعد رحيل والدتها عنها منذ الصغر حتى الصبا.. لكن لسوء حظها العثر رحلت عن عالم الأحياء منذ عام مضى..

والآن لديها " كريم " أو" كوكي " كما تحب أن تدعوه.. خطيبها الغيور، يقولون أن الغيرة من علامات الحب إذًا لا بأس.

ورغم ذلك عاشت حياتها بكل ترف والحق يقال

أبوها لا يبخل.. معاذ الله البخل ليس من سماته

بل البزخ ربما يلائمه..

رفاهية..

لا حسيب..

لا رقيب..

وتعيش تالا وتتمتع لأجل تالا ...وفقط.

* * * * *

بعد مرور شهر..

مقهى..

شاطئ..

جلسات حميمية..

يجذب كفها بإصرار عنيد.. يقترب أكثر ربما يطمع هذه المرة في قبلة!

تريد هي الخلاص دون إثارة فضيحة تكون حديث الموسم.. تحاول التملص وهو يزيد في التملك إلى أن خرجت نبرتها تحمل الرجاء:

- شادي أرجوك سيب إيدي.. مايصحش كده أرجوك لازم أمشي..

ويزيد في الإقتراب وأنفاسه الخبيثه تقترب منها أكثر..و

لكمة قوية تردي به بعيدًا عنها..

يشرف عليها من الأعلى يرمقها بعينيه الرمادتيتن اللتين أصبحتا تشبهان الدخان المتصاعد من حريق للتو وهي مذعورة تهمس باسمه:

-بدر أنا.. أنا..

ولن تتحدث..

فقط سحبها من مقعدها يحيط رسغها بقوة دون أن يأبه لألمها وبعد خطوتين كان الآخر قد استعاد وعيه وأسرع يسدد ضربة من الخلف.. صرخت فاستدار له من جديد بعد أن حماها خلف ظهره..

و لكمة.. فأخرى.. ركلة وأخرى.. واحدة أخيرة لينتهي أمر الحقير..

وعاد يسحبها خلفه من جديد والغضب يكاد يفتك به.. الغبية كيف تسمح لحقير كهذا يتطاول عليها بتلك القذارة! لطالما كانت في نظره مختلفة.. لطالما كان مسئولًا وحاميًا ثالثًا لها.. لم إذً تشوه صورتها الجميلة بهكذا أفعال؟

وقبل أن يزج بها داخل سيارته رغما عنها نفضت ذراعها من بين أصابعه وهي تصرخ فيه:

- كفايه بقى.. كفايه فضايح لحد كده.

عاد يتملك من ذراعيها.. يرجها بغضب ويهدر بعنف:

- فضايحي أنا ولا فضايحك أنتِ.. إيه القرف اللي شفته ده؟

- وأنت مالك ماهو كل واحد يعمل اللي هو عاوزه.. أنا مش صغيرة ياريت تخليك في حالك ومالكش دعوه بيا خالص أنت فاهم!

ولا علاج لصراخها الهستيري سوى صفعه فوق وجنتها علها تصحو من هالة الغباء والحماقة المحيطه بها.. والصفعة الواحدة كانت أكثر من كافية لإطلاق نوبات الجنون لتصرخ هذه المرة بحرقة وعينيها تطلقان الشرر:

-أنت نسيت نفسك.. لأ فوق وافتكر أنت إيه ومين و أنا أبقى مين وبنت مين.. ولا علشان عايش وسطنا افتكرت نفسك واحد مننا!

وقصفت ابنة الشافعي جبهة الرجل وأصابته في أغلى مايملك.. كرامته.

(١١)

التصادف.. قدرهما

قبل الشهر..

انتهت استراحة الأطباء وهي مازالت مع ملائكتها..

سيفضح أمرها وحينها ستحرم من صعود الطابق الثاني للأبد، فلا يوجد سبب لوجودها هنا؛ فالطبيبة المسئولة عن قسم الحاضنات باشرت عملها منذ خمسة أيام، والعمل يسير برتابة وانتظام ولا سبب مقنع لوجودها..

والآن ماذا إن رآها أحد ما و أخبر دكتور مراد؟..

لا، ستتدارك الأمر ولن تخسر متعة خلوتها برفقة صغارها.. أسرعت تركض للخارج بتعثر وسوء

الحظ يصاحبها في أوقاتها الحرجه كالعادة..

طبيبان في مواجهتها.. انتهى أمرك لمار..

لا ليس بهذه السرعة.. الاختباء أفضل الحلول في تلك الأزمات و أسرعت للرواق الجانبي.. اقتحمت أول حجرة قابلتها وما إن دلفت حتى أغلقت الباب من خلفها.. ترفرف بأهدابها وكفها يعتلي قلبها تتنفس الصعداء..

دقائق قليلة وتخرج بعدها وكأن شيئًا لم يكن.. أخذت تتجول داخل الغرفة ببطء الغرفة مليئة بزجاجات المطهر وأدوات أخرى تخص التعقيم وعلب بيضاء مصطفة بتجاور فوق أحد الأرفف.. طاولة متوسطة الحجم بأحد الأركان يعتليها

ملابس رجالية! ربما هي لأحد العاملين هكذا فكرت..

والآن عليها العودة.. لكن ما إن إقتربت خطوتين للباب حتى تناهى لمسامعها أصوات رجالية وضحكات.. تبعثرت خلجاتها يالها من ورطة...
يبدو أن الاختباء كان قدر وليس اختيار من البداية.. أخذت تتجول بسرعة أكبر وأخيرا تذكرت أحد الأفلام العربية حيث البطلة تختبأ خلف الستار وفي غضون ثوان كانت هي مختبئة خلف الستار الثقيل..

وإقتحام آخر للحجرة..

-تمام هاخد شاور بس وجاي على طول.

أغلق الباب عقب كلماته و استدار..

شهقت دون صوت..

رباه.. إنه هو، لم يضعه القدر دائمًا في طريقي؟

لحظة..

لحظة..

ماذا يفعل ذلك الوقح.. لم ينزع عنه ملابسه!!

جحظت عيناها من خلف الستار بحذر حتى لا يراها ولا تصدق فيما هي عالقة.. حجرة موصدة عليها مع رجل غريب ولا يكفي هذا بل عاري الصدر!

أغلقت جفنيها بقوة ترفض تلك الفكرة المخزيه.. تناهى لمسامعها وقع أقدام تخطو داخل الغرفة..

فعادت تفتح عينيها ببطء وأناملها متشبثة بقماش الستار تعتصره بين كفيها.. تنفست الصعداء حين تحرك ناحية المنضدة الجانبية متناولًا ما عليها من ثياب، ذهب بعدها لركن آخر وفتح بابًا صغيرًا كان موصدًا لم تتنبه لوجوده غير الآن وماهي إلا ثوان حتى أتاها صوت رشاش الماء..

ضربت رأسها بكفها علامة للغباء ..

طبيب يرتدي ملابس خاصة بغرف العمليات حتما انتهى لتوه من إحدى عملياته الجراحية وهو هنا حتى يبدل ملابسه.. وذاك القميص الأزرق مع البنطال الأبيض هما له..

رباااه.. أي أزرق و أبيض الآن! تحركي قبل أن يجدك أمامه يا حمقاء.. خطت سريعا نحو الباب تدير المقبض و لا فائدة.. تأكدت بعد دقائق أن الباب موصد من الخارج!

الآن بات الأمر ورطة حقيقية بما تعني الكلمة من معنى..

حين اختفى صوت الماء عادت من جديد خلف الستار تاركة ثقبًا صغيرًا حتى تتمكن من المراقبة دون أن يراها..

لترى ما ذا سيفعل هذا الإسلام في حل تلك المعضلة، مؤكد سيخرج لن يظل عالقًا هنا للأبد..

خرج أخيراً عاري الصدر كما دخل يقابلها في وقفته أثناء ارتداء قميصه.. حدقت فيه و أنفاسها تزداد، لأول مرة ترى مشهد كهذا خارج شاشة تلفاز و بعيدًا عن شواطئ البحر وبذلك القرب..

ضخم البنية بمنكبين عريضين لديه عضلات تكفي لهزم كائن هلامي.. توقف بصرها عند ندب خط طريقه طوليًا فوق موضع قلبه بقليل.. عقدت حاجبيها في تفكير، موضع الندب ينبئ عن جرح قديم لم يكن هين!

أخذت تفكر.. فلا يبدو عليه من نوعية الشباب التي تهوى الشجار وفرد العضلات.. بل العكس يبدو هادئًا ومتعقلًا..

نهرت نفسها مؤنبة.."مابالك اليوم تغوصين بتفكيرك في أشياء غريبة، ما شأنك في ألوان ملابسه وندوبه"

قطع عنها شرودها حين تحرك ناحية الباب وما إن تيقن أنه موصد من الخارج نفخ بسأم وعاد يجلس على مقعد مجاور للطاولة.. وفقط!

وكأنه قرر إمضاء بقية اليوم هنا..

مرت نصف ساعة كاملة ولا جديد، قدميها تؤلمانها بشدة وذلك الستار الثقيل بات يخنقها، وجهها وشعرها تعرق بطريقة مريبة والأخ لا حراك لا أي فعل.. نكست رأسها للأسفل تنتظر وتمني نفسها بفرج قريب..

ولتكتمل الحكاية..

إحدى الحشرات عديمة الرحمة تقترب منها دون رأفة أو ضمير يردعها.. تقترب وتقترب و...

- ااااااااااااااه.

انتفض من فوق مقعده مذعور ينظر بارتياب لخلف الستار.. أحدهم أو للدقة إحداهن _فصوت الصراخ أنثوي_ تختبئ خلف الستار وتركل الأرض بقدميها مع صراخ متقطع كأنما أحد ما يهاجمها!

تقدم في ثوان وأزاح الستار بغتة وهتافه المتعجب يقابل عينيها المذعورتين:

- أنتِ!

صرخت ومازال الذعر يتملكها:

-حشراااات في حشراااات..

جذبها من مرفقها وأصبح هو مكانها يتفقد ويبحث.. جال ببصره ثم عقد حاجبيه ودار برأسه يواجهها وسبابته تشير نحو الأسفل باستنكار:

-ده !!

هزت رأسها عدة مرات بالإيجاب فعاد هو للمسكين داهسًا إياه بحذائه حتى يهدئ من روع تلك المذعورة مردفًا بتهكم:

- ده صغير خالص، أكيد دخل من الشباك المفتوح ده.. ألف مرة أقول اتأكدوا منه مافيش فايدة فيهم خالص.

أغلق النافذة المواربة وجسدها مازال يرتعد فرفع لها حاجبيه متعجبًا:

- اهدي.. الوحش في عداد الموتى خلاص.

الحرج يكتنفها، تحركت حذرة حتى توسطت الغرفة لا تجرؤ على رفع بصرها وتهمس بخفوت:

- الباب ده مش هيتفتح بقى؟

تحرك بدوره بضع خطوات، ارتكز على الطاولة بجسده نصف جالس مشبكًا ساقيه وكفيه

داخل جيبي بنطاله.. فالوضع يبدو مسليًا، مال برأسه وهمس بمكر:

- يعني ممكن بعد ساعة، اتنين.. أنتِ ونصيبك.

بذهول وشفاه مفغرة:

-إيه!

والإجابة مؤكدة:

- وقت ما يحتاجوا حاجة من هنا أكيد هيفتحوها.

هزت رأسها بعدم فهم وضيق يزداد بداخلها فهتفت حانقة:

- طيب كلم أي حد يجي يفتح لنا بسرعة.. أنا مش فاهمة حاجة، هو مين قفلها وليه؟!

اقترب بحذر يفصل بينهما خطوة واحدة.. و إجابته ماكره تدّعي البراءة، وتتزامن مع يده الممتدة لجيبه عنوه، تضغط على زر القفل الخاص بهاتفه وانتهى الأمر.. كذبة بيضاء لن توقع ضرر كبير:

- للأسف هنا مفيش إرسال نهائي وبيقفلوها علشان فيه حرامي بيسرق الديتول والشوز بتاع الدكاتره..

وأردف بأسف مصطنع:

-الدنيا مابقاش فيها أمان خاالص.

تستمع له ببلاهه وتفكيرها ذهب لذاك اللص المسكين، ياترى بأي مصيبة واقع هو حتى اضطر

لسرقة تلك الأشياء!.. بينما هو يتابع شرودها ومؤشر المتعة يكاد يضرب السقف.. عاد يرسم الجدية فلا بأس بقليل من المشاكسة مع تلك الحلوة.. رفع أحد حاجبيه يسألها بتوجس ويرمقها بنظرة جانبية:

-لا مش ممكن! معقول أنتِ.. تؤ تؤ.

وعادت تنظر لعينيه بقوة وقد فغرت فمها، عقدت حاجبيها وتزوم بشفتيها، ذلك الأرعن يتهمها بالسرقة.. وماذا!!

وإجابتها ساخطه توازي تكتف ذراعيها، ونبرتها متهكمة:

- أكيد لأ طبعا ده منظر حراميه.. وبعدين لما أنوي أسرق مش هسرق ديتول و شوز بلاستك يعني!

إبتسم بمكر:

- يعني النية موجودة؟

رمقته بغضب ولفت بوجهها بعيدًا عنه..

إن قبلها الآن هل من مشكلة؟

تنحنح ليطرد تلك الأفكار حتى لا يفقد سيطرته وتابع بجدية:

-ماتزعليش كنت بهزر، نتكلم جد شوية.. كنت بتعملي إيه هنا؟

دارت ببصرها في أنحاء الغرفة تبحث عن جواب.. هل تخبره عن الحقيقة لكن ماذا إن منعها؟ لا لن يفعل بتأكيد.. ولم لا هو صاحب المشفى ولن يسمح لأيّ كان بتجاوز القوانين.. حسنا فلنجرب طريقة اللف والدوران:

- أنا كنت هنا صدفة.. أقصد يعني كنت جاية أشوف تالا.. آه تالا صاحبتي وكده.

يستمع لها تتلعثم تبحث عن مخرج، تفرك كفيها تارة وأخرى تعبث بخصلاتها صاحبة لون الكاكاو.. وللحقيقة ليست بارعه في التمثيل أبدا.. ظل صامتًا يتابعها بعينيه وثغره يرسم أجمل بسمة جمعت بين المكر والروعة، وحينما طال

صمته عادت له بعينيها تسأله إن كان يصدقها أم لا.. وأتاها الجواب:

- بس إيه هيجيب تالا هنا.. غريبه! هنا ماحدش بيجي غير الدكاترة الخاصة بقسم الكانسر أو للاستعداد للعمليات.. يعني إللي هيجي هنا لازم يكون قاصد هنا؟

صمتت ونكست برأسها أرضًا فاقترب أكثر يهمس بجانب أذنها:

- أو ممكن حد كل يوم وقت بريك الدكاترة يدخل عند الأطفال ويفضل معاهم وبعدين يخرج بسرعة قبل ما حد يشوفه، علشان عارف أن ده غلط ومش مسموح بيه..

ارتعدت فرائصها عنوة من قربه الخطير وما إن ابتعد حتى رفعت رأسها ببطء.. لقد كشف أمرها ومن البداية.. بادلته نظراته بحرج، بنبرة خفيضة أقرب لتهدج قالت:

-أنا عارفة إنه مش مسموح بس صدقني والله بخاف عليهم ومستحيل أأذيهم.. أنا ماعرفش اتعلقت بيهم ازاي في وقت قصير كده..وجودهم بقى مهم قوي في حياتي.. أرجوك اسمح لي.

تتوسله بعينيها، وما أنتِ بحاجة لتوسل يا حمقاء.. فقط انظري في عينيّ وأخبريني..

تنهد بقلة حيلة وأكمل دور البراءة :

- الموضوع ده مش بإيدي، ده يخص دكتور مراد وأنتِ عارفه هو قد إيه شديد في حاجة زي كده ومستحيل يسمح لاي حد.

ستفعل المحال لا يمكنها التخلي عن صغارها بهذه السهولة:

- لو أنت ماقولتش له مش هيعرف..

وتابعت بصوت متحشرج :

- أنا بس بحاول أخفف عنهم وأحسن من حالتهم النفسية شوية.. ده هيساعدهم يتعالجوا أسرع.. أرجوك فكر قبل ما ترفض.

وسكتت ترفض أن تتخاذل دمعاتها أمامه..

فاقترب يلامس وجنتها الناعمة، تتسارع نبضاته، يرنو أكثر يقبل عيناها برقة واحدة تلو الأخرى ثم يقربها لصدره ويشدد من ضمها، يهديها أمانه وحمايته، يستنشق عبقها المحلى وما أروعه فيعود يحتضن رأسها بين كفيه ينظر لعمق عينيها ويغرق فيهما حد الضياع.. يقترب أكثر وأكثر.. و..

وتلوح أمام صفحة وجهه بكفها، فتخترق سباته بنبرتها القلقة:

- دكتور إسلام أنت سامعني؟

استدار للخلف يخطو نحو الطاولة بخطوات سريعة، يتنفس بقوة..

رباه.. هل كان يحلم في صحوه!

استجمع شتات نفسه وعاد لها يحمل محرمة ورقيه بعد ما التقط لمعة عبراتها، يناولها إياها دون أن ينظر لعينيها وإلا سيضيع في عالم الأحلام من جديد وهذه المرة النتيجة غير مضمونة..

تناولتها منه وعادت تسأل بتوجس:

- هتقول له؟

عاد يتشرب ملامحها الهادئة ويعطي ما تمنت:

- لو أنتِ مش عايزة خلاص.. مش هقول.

وأخيرًا عادت شمسه تبسط نورها.. أخيرًا منحته ابتسامتها الرائعة فرأى غمازتيها حبيبتيه..

وتهمس براحة امتزجت بالسعادة:

- يعني أعتبر ده سر ماحدش هيعرفه؟

اومأ برأسه متبسما بحنو وهمس بدوره:

- ماتخافيش.. ده سرنا.

تبسمت له في امتنان وبعد برهة تململت في وقفتها بعد ما طالعت ساعتها:

- وبعدين هنفضل محبوسين.. اتأخرت قوي أنا عندي كشوفات دلوقت.

- طيب أنا هخبط على الباب يمكن حد يسمعنا.. بس أنتِ روحي استخبي وراء الستاره، بلاش حد يشوفك هنا.

فهمت مقصده فاكتنفها حرج شديد، وتحركت تفعل ما طلب منها دون حديث، لكن ما إن خطت خطوتين حتى عادت له قائلة بتوتر:

-أنا هستخبى في التواليت أحسن.. ممكن يكون في حشرات تاني.

هز رأسه بالإيجاب متبسمًا من جبنها وحين أدركت ذلك وضحت سريعًا بتلعثم:

- مش خايفه على فكره.. أنا بس بقرف منهم، عادي يعني.

ثم أسرعت تختبئ، وما إن رفع كفه وقبل أن تصل للباب أوقفته ثانيةً:

- استنى..

رفع حاجبه بمعنى ماذا الآن؟

فتابعت وقد رسمت على شفتيها أعذب ابتسامة وهي تهمس بخفوت، كأنما يوجد غيره من يسمعها :

- لما تخبط ، خبط بشويش علشان الأطفال نايمين دلوقتي.. بلاش نعمل دوشه ونقلقهم.. حرام مش كده؟

هز رأسه يمنة ويسرة ببطء و وجوم، متعجبا من تلك المخلوقة.. وعاد يطرق "بشويش" كما أمرت قطعة السكاكر حتى أتى الفرج بعد ثلث الساعة..

وكم تمنى أن تبقى أسيرته وهو سجانها.

* * * * *

"خاين، حيواااان وحقير كمان"

رددتها "تالا " مرارًا وتكرارًا وهي تشهق بقوة بين ذراعي "لمار"..

- اهدي يا تالا علشان أفهم.. كنت فين بقالك يومين وموبايلك مقفول كمان، حصل إيه مزعلك قوي كده؟ طيب بطلي عياط وفهميني، ولا أقولك تعالي نخرج من المستشفى أحسن.

لم تلقِ لأسئلتها بالًا و زادت من بكائها ونحيبها مما أثار البلبلة بين الممرضات وبدأن يتجمّعن واحدة تلو أخرى بينما لمار عاجزة عن تهدئتها أو سحبها بعيدًا.. قطع توسلها صوت إحدى الممرضات وهي تنظر لتالا بتعجب:

- في حاجة يا دكتورة لمار.. محتاجة مساعدة ولا حاجة؟

رددت لمار بحرج :

-ميرسي يا فاطمة تالا تعبانه شوية بس مش أكتر.

- تعبانه تاخد إجازة يومين كمان زي ما اخدت اليومين اللي فاتوا بمزاجها، بدل المناحه اللي عملاها دي ولا كأننا واقفين في مستشفى محترمه.

توترت لمار أكثر من حديث بدر الساخط وعينيه الغاضبة وهمت بالرد والاعتذار إلا أن تلك المنتحبة رفعت رأسها كالملسوعة وهتفت بزعيق:

- وأنت مضايق نفسك ليه وكمان جاي تزعق وتشخط.. مين سمح لك أصلا تكلمني بالطريقة دي ولا تكلمني ليه من الأساس!

ازدردت لماريقها للمرة العاشرة فهي تعرف صديقتها وتحفظها عن ظهر قلب متسرعة، تقذف كلماتها كالرصاص وتعود بعدها للندم، اكتسبت سلاطة اللسان من زوجة أبيها المقيمة بصحبتها..

تسب نفسها سرًا أين كان عقلها حين فكرت فيها كزميلة لها هنا مع بدر المتذمر على الدوام.. يا الله ومن سيوقفهم الآن..

-أنا مش هرد عليك علشان أنتِ ست وأنا مابردش على ستات.

قالها متهكما فشهقت تالا بقوة ونسيت تماما أمر حزنها وفضلت التفرغ لذلك الأرعن:

-يعني إيه مش بترد على ستات.. لو عندك رد قول واجهني، بلاش تهرب.. عايزة أعرف مشكلتك إيه معايا من أول ما جيت هنا وأنت مش طايق لي كلمة ممكن افهم ليه؟

نفخ بملل ودمدم بحنق:

- اللهم طولك ياروح.

- إيه إللي بيحصل هنا بالظبط؟

كانت تلك جملة إسلام الصارمة بعد ما اقتحم الشجار القائم عقب ما أخبره أحد العاملين بوقوعه.. لم يأته جواب الكل صامت، بدروجهه

يكتنفه الغضب، تالاتستعد لقتال شرس فقط تنتظر شراره، والمسكينه لمار ضائعه بينهما وتستنجد به بنظراتها حتى يخلص الموقف..

تحدث إسلام بلهجه قاطعة وعالية لفض الجموع الذي ينتظر نتيجة المعركه بين الطبيب الغاضب والطبيبة الشرسة:

- الكل على شغله، خلاص خلصت مستنين إيه..

انتفض الجميع من مكانه منهم من يلتهم الدرج وآخر نحو المصعد ولم يبقى غير الأربعة.. تابع إسلام بحزم وهو يجذب بدر من ذراعه:

- تعالى معايا يا بدر.. وأنتِ يا دكتورة تالا أنا بعتذرلك ولو تعبانه تقدري تأخدي النهاردة إجازة.

وتحرك ساحبا بدر لغرفته أما لمار فضلت أخذ رفيقتها لخارج المشفى.

....

رمى بجسده فوق صوفا جلدية في محاولة لطرد الغضب الذي اكتنفه منذ أن أثارت تلك التالا حنقه بأفعالها غير المبالية.. وإسلام يقف أمامه ضاربًا كفًّا بآخر:

- أفهم بقى إيه اللي أنت عملته ده.. في حد يزعق كده!

والرد ينبض غيظًا:

-إسلام ماتعملش فيها عبيط لو أنت مستحمل علشان حبيبة القلب أنت حر لكن أنا مافيش حاجة تجبرني على حرقة الأعصاب دي كل يوم والتاني.. مرة الآقيها ترغي في الموبايل ومرة تظبط ميك أب و تالته ورابعة، ماعرفش إحنا هنا في مستشفى ولا في كوافير؟ ولا المصيبة الكبيرة تأخد سيلفي مع المواليد في الحضانه وتشير الصور! سهوكة بنات ومياعه وآخر قرف.. وفي الآخر غايبه بقالها يومين ولما شرفت حضرتها قلبت الدور كله مناحة..

تابع بحنق أكبر ونبره أعلى:

- ياعم دي واحدة فيوزاتها ضاربه خالص..!

جاهد إسلام لكتمان ضحكاته لكنه عجز عن ذلك وانفجر ضاحكًا رغما عنه بينما الآخر يكاد يتميز من الغيظ.. حاول تهدئته حين هتف من بين ضحكاته :

-طيب وأنت زعلان ليه.. دي لذيذة خالص، شخصية اجتماعية ومرحه ده حتى كل الدكاتره تعرفوا عليها وحبوها.

دمدم متهكمًا:

-مش حرماهم من حاجة، ضحك ورغي، قهوة وشاي مايحبوهاش ليه.

نهره إسلام بجدية:

-بدر إحنا لينا شغلنا وبس .. مالناش حكم عليها وأنا شايف أنها بتتعامل بعفويه، ده طبعها مش إللي في دماغك بلاش سوء الظن يا أخي.

تغضن جبينه وغمغم مدافعًا:

-انا ماقصدتش حاجة وحشه.. على كل حال أنا وهي مش على إتفاق، قربنا على الشهر مع بعض و أنا غصب عني بفقد أعصابي وعلشان اللي حصل ده مايتكررش بخلي مسؤوليتي من الحضانات، شوف دكتور غيري يتابع هناك معاها.

أذعن لرغبته دون نقاش فهو أكثر من يعرف طبيعة صديقه:

-خلاص ولا يهمك سيب الحضانات خالص أنا هتصرف.. المهم ماتزعلش.

* * * * *

مازالت في حالة البكاء والنحيب والأخرى تسأل عن الأسباب حتى تملكها الغيظ ولا جواب..

فهتفت حانقة:

-كفايه يا تالا حرام عليك، جبتي لي صداع يابنتي.. شربتي لترين ليمون ولسه بتعيطي!

كفكفت تالا دمعاتها وتحدثت بنبرة متهدجة:

-طيب إقفلي الباب كويس مش عايزة مامتك تسمعنا أو لارا.

أحكمت غلق الباب وعادت لها تجاورها فوق الفراش:

-هااا.. إنطقي بقى.

- كوكي!

-ماله سي كوكي..

تنهدت تالا وهتفت بحنق:

- الحيوان بيخوني.

فغرت لمار فمها وهتفت بضيق:

- ده حيوان ومايستهلش تعملي كل ده علشانه.

وضحت أكثر:

- الندل بيخوني مع الحيزبونه لينا!

شهقت لمار بقوة:

- أختك!

هزت تالا رأسها في أسى هامسة:

-شوفت قد إيه هما حيوانات.

حركت لمار رأسها بعجب من حال البشر المثير للاشمئزاز:

- وأنتِ تعيطي ليه، حيزبون ولقى حيزبونه شبهه في داهيه.

عقدت تالا حاجبيها في إستنكار وهتفت بنفاذ صبر:

- أنتِ هبلة يا لومي.. أكيد يعني مش بعيط عليهم يغوروا الاتنين ما أنتِ عارفه أن خطوبتي تمت علشان أخلص من زن بابى مش أكتر.

جحظت بعينيها وتساءلت بعدم فهم:

- طيب المناحه إللي من الصبح دي كانت ليه؟

اكتسى وجهها بالحزن والضيق قائلة بقلة حيلة:

- ماهو أنا والحيزبونه الكبيرة مرات بابى اتخانقنا جامد قوي.. وهي قالت له كل حاجة وهو نازل مصر الأسبوع الجاي ومصمم يأخدني معاه أمريكا علشان أعيش هناك مع مراته الأمريكية، حاولت أفهمه مافيش فايدة وأنا مش عايزه أسافر.

شعرت لمار بالضيق لحال صديقتها، ربتت على كفها وهتفت بعد تفكير:

- ما يمكن هناك أحسن من هنا يا تالا.

حركت رأسها برفض قاطع:

- لا مش عايزه أعيش معاه في مكان واحد.. طول الوقت نتخانق وهو كل همه يفرض أوامر وخلاص.

- طيب نامي دلوقت وما تشغليش بالك كل مشكلة ولها حل.. لما يرجع اتكلمي معاه وحاولي تقنعيه.

تبسمت لها في امتنان:

- ميرسي علشان هتخليني أنام في سريرك، أنتِ جدعه قوي يا لومي.

اقتربت منها لماروودست نفسها داخل الفراش تجاورها:

- ومش بس في سريري أنا هنيمك في حضني كمان.

* * * * *

تدوي صدى كلماتها داخل أذنيه دون هواده..

"أنت نسيت نفسك.. لأ فوق وافتكر أنت إيه ومين و أنا أبقى مين وبنت مين.. ولا علشان عايش وسطنا افتكرت نفسك واحد مننا"

أغمض عينيه بقوة، يعتصر كفيه حتى ابيضت مفاصلهما.. هل تعايره ابنة الجراح، تخبره أنه مهما درس واجتهد وأصبح طبيبا يشيد الجميع بمهارته سيظل في نظر الجميع ابن الأحياء الشعبية، لا ينتمي لمجتمعهم الراقي!..

لا يزعجه ذلك هو راضٍ بما هو عليه والرزق من الله لا من غيره وعالمهم ذاك هو لا يحبذه من الأساس، مزيف كالقشرة نظيفة من الخارج ومن الداخل يحمل عفونةلا يتحملها.. عاش طفولته وشبابه بينهم، خالطهم لأنه أحبهم فقط.. اتخذ إسلام أخًا لا صديقًا وإخوته بمثابة أخوة له.. وهي كان يدللها دائمًا، لطالما كره دلال الفتيات الزائف لكن هي كانت غير الجميع.. لم إذن تؤذيه

بتلك الكلمات، توجعه في كرامته وتقلل من شأنه وتشعره بالدونية.. لأنه خائف عليها؟ أم لأنه يريد حمايتها من نفسها؟ هو فقط فعل ما يجب أن يفعل أي أخ يرى أخته في وضع كهذا.. يالها من حمقاء بدلا من أن تصفع ذاك الحقير تطلق عبارات الترجي، ماذا إن لم يكن مارًا هناك صدفة ورأى سيارتها مصفوفة أمام ذلك المقهى المشبوه.. لأي حال كان سيتمادى معها..

تخلل خصلاته بأنامله، يزفر بضيق، أرهقه كثرة التفكيرو يبدو أن ليلته ستكون طويله للغاية..

- دكتور بدر ممكن أتكلم معاك شويه؟

رفع رأسه بغتة يواجه الصوت الأنثوي، تعجب من وجودها وبما تريد محادثته، فهما لم يتحادثا

منذ ذلك الشجار الحاد الذي قام بينهما منذ أيام.. مد كفه للمقعد المواجه له كدعوة للجلوس..

جلست في تردد وكلمة واحدة فقط هتفت بها دون مقدمات، وهي أكثر من كافيه لجعل الجالس أمامها يحدق فيها حتى كاد أن يقتلع حدقتيه من محجرهما:

- تتجوزني؟

(١٢)

عرض زواج

منذ أن قررت واتخذت خطتها قيد التنفيذ وهي تقيّم كل رجلٍ تصادفه من رأسه لأخمص قدميه.. لكن هذا يرتدي سلسال حول عنقه وآخر يلوك بين شدقيه علكة! وغيرهم يضحك مع هذه وتلك ونظراته تلتهم الجسد الماثل أمامه.. اللعنة ماذا أصاب الرجال؟ هي طلبها واضح وصريح هي تحتاج رجل لا أشباه الرجال، تحتاج من يستطيع مواجهة

"عاصم رسلان"

تصارعها الأفكار وتتخبط هي من الداخل فقد عاد والدها منذ يومين وأمرها بإعداد ما يلزمها والاستعداد للرحيل، أمريكا تنتظرها.. والخلاصه غربة و أب يأمر وينهى يطالبها بطاعة وهو من تخلى عنها بسبب نزواته ومتعته، منذ صغرها يسافر هنا وهناك يتزوج بتلك ويترك تلك.. يحن عليها بمكالمة من وقت لآخر يطمئن عليها بها، فهي لديها مربيتها تهتم بها، ولديها الأموال التي تغني عن الجميع ماذا تريد إذًا؟!

في نظره هو يفعل جل ما بوسعه.. وكبرت دون حنان أم أو حماية وأمان أب.. اعتادت الأمر إن كان هم استطاعوا وضعها في منطقة الهوامش' لم لا تستطيع هي؟ لكن يكفي إصدار أوامر

وفرمانات من الحاكم بأمره بداية أرغمها على
ابن صديقه، أذعنت فقط حتى تتخلص من
ضغوطه، وبقرارة نفسها تلك الخطبه لن تتم
ولكنها ظنت يوما أن الموعو"كريم" ليس بالسئ
وفكرت في إتمام تلك الزيجة، حتى اكتشفت
خيانته مع أختها التي تركت جهازها اللوحي
الخاص مفتوح بالقرب منها عن قصد حتى تتوالى
الرسائل والرنات بقربها، وحين قررت خرسه
تفاجأت بصورة خطيبها المحترم تحتل شاشته
المسطحه وأخذت تنبش بعدها على أدلة أقوى،
والحقيقة لم تضيع وقت كل شيء كان واضحًا
للعيان حين بدأت تقرأ المحادثات الدائرة بينهما

والتي أقل ما يقال عنها مبتذلة لا حياء فيها، وحين واجهتها أجابت بكل حقارة دون إنكار. .

"والله يا ست تالا أنا ماضربتوش على إيده أنتِ إللي مش مالية عينه"

خلعت حلقته من بنصرها وأنهت تلك المهزلة.. وكان رد أبيها هو الابتعاد عن زوجته وابنته الغاضبتين حتى تهدأ الأجواء وتعيد التفكير في أمر خطبتها، فأختها المصون ابنة السابعة عشر من عمرها وهي في نظرهم جميعًا طفلة، فلا داعي لتحميلها ذنب هي ليست واعية كفاية لتفاديه، أما الخطيب المبجل يبرر بأنها نزوة عابرة لم إذاً تضع العقدة في المنشار!..

وصلت مع أبيها لطريق سد عليها من كافة الجوانب.. حسنًا وهي لن ترضخ ولن تستسلم لأفكارهم العقيمة.. هي فقط تحتاج رادع يمنعها من السفر ولا يستطيع أبوها تفاديه وأهداها تفكيرها بعد أيام لخطة مضمونة ..

ميثاق غليظ أو عقد قران.. أيا يكن المسمى فهو سيمنع أبيها فالزوجة إقامتها مع زوجها، جيد فكرة رائعة، بسيطة، كل ما تحتاجه فقط .. زوجًا!

رأته من إحدى النوافذ_فاليوم مناوبتها المملة_ يدلف من بوابة المشفى والأعمى يبصر الغضب الذي ينطلق شرارات من بين عينيه.. تبسمت لحالها بانتصار، يبدو ذاك الغاضب مناسبًا

تمامًا لإتمام خطتها، حاد الطباع ومتقلب المزاج لكن الأهم هولا يخاف أحدًا وهذا هو المطلوب..

حسنًا قليل الذوق ولا يفقه شيء عن معاملة الأنثى لكن لا بأس فلا وقت للبحث عن غيره..

تراقبه من البعيد، يجلس في استراحة الأطباء يمدد ذراعيه أمامه على المنضدة.. ينظر نحو الفراغ منذ مدة، يبدو غارقًا في تفكير عميق فالمكان فارغ لا يوجد أحد غيره.

ظلت تراقب لمدة من الوقت حتى شعرت أن ملامحه باتت أهدأ.. تقدمت بثبات خارجي ترسم على ملامحها الأسى ويبدأ مشهدها الدرامي، تطلب إذنًا للحديث بأدب وهو متعجبًا ثم يدعو

للجلوس وترمي هي ما يحتجز داخل حنجرتها بكل وداعة الكون وتنتهي..

- تتجوزني..؟

ظل يحدق فيها بذهول يعجز لسانه عن التفوه بالكلمات.. امرأه تعرض عليك الزاوج يالهنائك يا رجل.. لكن أليست هذه هي نفسها تلك الشرسة التي كادت أن تشطر رأسي لنصفين منذ أيام!

تابعت "تالا" توضح له الصورة أكثر.. تهمس بكل استسلام وهدوء:

-أرجوك خليني أكمل كلامي اسمعني للآخر وفكر كويس قبل ما ترد عليا.. خد وقتك.

رفع حاجبيه في استنكار وشفتاه انفرجت ساخرة بمعنى

" كمااااان "

بينما تابعت هي فلا مجال للتراجع هي اتخذت قرارها و وجب التنفيذ في أقصى سرعة، فالوقت ليس في صالحها أبدًا.. توضح علاقتها بأبيها الذي تركها تتربى وسط زوجته الحقودة وابنتها، والآن يرغمها على الهجرة لبلد لا تعرفها أبدًا ولا تود معرفتها معه، تؤكد أنها ستكمل خطتها به أو بغيره.. والآن بات الأمر واضحً بالنسبة له والكرة في ملعبه وهي صمتت تنتظر..

لا يعلم هل نبرتها المتذبذبة خلف كل ذلك الثبات التي تحاول جاهده الظهور به، أم غضبه من

ذاك المدعو أبيها كيف لرجل أن يترك ابنته هكذا ويبدل في النساء كيفما يشاء؟ اجتاحه الغضب ويقسم لو رآه الآن أمامه لربما أهداه بضع لكمات أو كمية سباب تليق به!

ربااااه لم الآن؟ جزء من عقله يسخر من الموقف برمته والجزء الآخر يسترخي بغرور ذكوري يجتاح داخله وكرامة ظنها مهدورة منذ قليل وتأتي تلك الشقراء فتدعمها ببساطة.. ولم لا؟ جميلة بل رائعة بكل المقاييس.. ابنة لرجل يعد من أهم طبقات المجتمع الراقي، تختاره هو دون غيره، دون الاكتراث للأسباب فالنهاية واحدة.. كان بإمكانها فقط أن تشير بطرف

إصبعها وتجد بدل الزوج عشرة.. لكن هي لجأت إليه هو بالتحديد..

يغمض عينيه يمسد جبينه في تفكير.. لم يكن يوماً مشوش التفكير كان دائمًا يتخذ القرار الصائب، لكن هل ما يفكر به الآن من الصواب؟ رفع بصره إليها يطالعها بصمت، يدقق فيها النظر ويدمدم:

- وياترى الكومبارس اللي هيقوم بدور زوج معاليك هيستفيد إيه من الحبكة دي كلها.. إيه المقابل لعرضك العظيم؟

تتابع بإصرار بعدما رأته اتخذ موضع التفكير والقرار:

- أنا عندي مجوهرات كتير وحساب في البنك هو مش كبيرقوي بس مع المجوهرات صدقني مش هتكون خسران.

رمقها بنظره عميقه عن عينيها لا يحيد لعدة ثوان ثم هتف أخيرا بقراره:

- حلو، أنا موافق.. بس بشروطي.

* * * * *

"يا أهل الدار، أنتم فين؟.. أنا جيييت ماحدش مستقبلني ليه!"

زعق بها باسل فور دخوله من بوابة الفيلا.. جال ببصره هنا وهناك ولا حياة داخل الدار.. التهم الدرج في خطوات واسعة إلى الطابق العلوي

متجهًا لغرفة شقيقته.. طرقات سريعة فاقتحام أسرع وهتاف حاد:

-أنتم فين يا سو؟

و"سو" تتوسد فراشها، تحتضن دميتها الضخمة وغارقة في دوامة من البكاء والنحيب تلعن نفسها آلاف المرات في الدقيقة وجملة واحدة تهمس بها لحالها كل ثانية

"ده بدر يا غبيه!"

تجذب هاتفها النقال وتنوي اتصالًا تعتذر فيه وتطلب السماح لكنها تعود وتلقي به بقوة فوق الفراش، هو لن يجيب مهما حاولت فهي تحفظه عن ظهر قلب كما تحفظ أخويها تمامًا..

حين رأته أمامها لم تدرِ هل تسعد لوجود حاميها الذي حتمًا سيخلصها من ذاك الحقير أم تتمنى أن تنشق الأرض وتبتلعها لترتاح من وضعها المخزي أمامه..

ترى ماذا يظن بها الآن!

ولتتخلص من حرجها غضبت وثارت كالمجنونة وصرخت فيه، كأنها تتهمه بمجيئه و رؤيته لها في صورة كتلك..

رفعت ساندي رأسها شاهقة من وسط دمعاتها ووجنتها المحمرة من آثار البكاء، دمدمت بحنق متهدج:

- مش تخبط.. خضيتني يا أخي.

اقترب من طرف الفراش يجاورها عاقدا حاجبيه

في قلق:

- مالك بتعيطي ليه؟

محت عبراتها بكفها محاولة رسم ابتسامة باهتة:

-مافيش.. أنا كويسه.

رفع ذقنها بأنامله ينظر لعينيها التي اكتست

باللون الأحمر، ويعود يسأل بحنو أكبر:

-كل الدموع دي ومافيش؟ في إيه بجد أنتِ عارفه

مش هسيبك غير لما أعرف؟

عادت مرة أخرى تنهمر عبراتها بغزارة وتنتحب

بخفوت.. ثم أجابت بشفاه مرتعدة:

-صدقني مافيش، كل الحكاية مخنوقه شويه..

حاسه إني وحيدة يا باسل.

وضاع باقي حديثها بغصتها فقربها لصدره يضمها بذراعيه يمسد ظهرها وشهقاتها مازالت تتوالى..

ربت فوق رأسها واستطرد:

-ليه تقولي كده إحنا كلنا معاك و بنحبك قوي..

أنتِ مش لوحدك إياك تقولي كده تاني.. خلاص بقى بطلي عياط.

رفعت رأسها تمحي عبراتها وتهمس ببسمة هادئة:

-وانا كمان بحبك قوي.

داعب أرنبة أنفها بسبابته وهتف بمشاكسة غاضبة:

-هنفضل نحب في بعض كتير.. شاهي فييين؟ انا

جعااااااان هي الوليه دي ملهاش ابن تسأل عليه

وتتشحتف كده زي ما كل الأمهات بتعمل ولا

إحنا اضحك علينا ومامى طلعت صيني!

ضحكت ساندي وهتفت بتحذير:

- ماما في أوضتها ولو سمعت كلامك أنا ماليش

دعوة بأي رقاب هتطير.

غمغم بخوف وتراجع:

-لا ياعم دي فيها رقاب خلاص مش لاعب.

أومأت برأسها وتتنهد بقلة حيلة فتابع هو هتافه

مع نهوضه:

-قومي يلاعلشان تاكلي معايا وكمان نعدي على ماما أسلم عليها.

-ماليش نفس روح أنت بالهنا والشفا مقدما.

ودون مقدمات مد ذراعيه أسفل ركبتيها وحملها فوق كتفه متحركا لخارج الغرفه بينما هي تتشبث بقميصه خشية السقوط وتركل الهواء بقدميها صارخه بغضب:

-بطل سخافه يا باسل نزلني .. هو عافيه إيه الرخامه دي.

والإجابة هادئة باردة متزامنة مع تلاعب الحاجبين:

-آآه عافيه محتاج حد أرخم عليه وأنا بأكل عند حضرتك مانع!

وأكمل طريقه للطابق السفلي في مهمة البحث عن الطعام وهو يدندن بمقطوعات مختلفة دون أن يعير للمحمولة فوق كتفه أدنى اهتمام لصراخها الحانق.

* * * * *

اهتمت بأطفالها كعادتها وتركتهم ملوحة على وعد بلقاء جديد في الغد.. ترمق بطرف عينيها ذلك المتطفل الذي شاركها وقت بهجتها لليوم، تفاجأت به يتوسط الحجرة يلاعب الأطفال ويقلدها في كل ما تفعل! يرمقها بنظرات لعوب بين الفينة والأخرى كأنه يهددها إن إعترضت

سيفضح أمرها وهي فقط تجاريه وماعساها أن تفعل.. وما يزيد حنقها وغضبها أن ملائكتها انسجموا معه تماماً بل كادوا أن ينسوا أمرها، هي من تترك الجميع لأجلهم يفضلون اليوم ضيف غيرها؟..

وهذا الأحمق منذ متى يحبذ مجالسة الأطفال؟ حتى صغيرتها "مريم" الأقرب لقلبها من بين جميع الأطفال لم تسلم منه جعلها تتطبع العديد من القبلات فوق وجنتيه وهو يضحك ويقهقه كأنما يريد أن يفضح الأمر وينتهي..

زفرت بحنق وهو يتابعها ويتعجب لغضبها..ويكاد ينفجر ضاحكا، حتما هي تشتهي قتله الآن.. كم مرة خنقتها العبرة وكادت أن تصرخ فيه باكيه

حتى يترك لها صغارها.. الأيقونه تغاروكم هي رائعة وقتما تفعل..

هتف أخيرًا ليكسر الصمت، هو لن يفوت الرواق الطويل بصحبتها في الصمت المطبق:

- حلوين قوي.. كان عندك حق اما قولتي هحبهم أنا فعلا حبيتهم جدًا.

همست بغيظ تحاول جاهده إخفاءه:

-أنت كل يوم هتطلع لهم ولا إيه؟

غضن جبينه يرمقها بتعجب:

-هوماينفعش؟

تضع كفيها في جيوب معطفها وتتلعثم في إجابتها:

-لا ما أقصدش بس خايفه حد يشوفنا ويقول لدكتور مراد، أنت كنت بتضحك بصوت عالي قوي ربنا ستر المرة دي وماحدش سمع.

اعترض ببراءة:

-أنا!

هزت كتفيها وتابعت السير دون تعقيب على اعتراضه اللئيم.. ليتابع هو بحزن مصطنع:

-هو للأسف صعب كل يوم وقتي مايسمحش، بس هحاول أكررها في أقرب فرصة.

تنفست الصعداء.. جيد هذا يعني أنه لن ينوي على هذا كل يوم حقا جيد، أطفالها لها وحدها وهي تغار على صغارها من أي دخيل بينهم..



عاد يسألها بمكر:

-صحيح هي مريم لما كنا خارجين وشوشتك وكانت تبص عليا وتضحك.. كانت بتقول لك إيه؟

هتفت بعفويه:

-كانت بتقول لي أن عينيك شبه البليه!

توقف رافعاً حاجبيه في تعجب ثم غمغم في تساؤل:

-وده يعني تشبيه حلو ولا وحش؟

عضت فوق شفتيها في حرج عقب جوابها الذي خرج بعفوية دون أدنى تفكير ولتتخلص من ذلك المتطفل:



-مش عارفه..

اقترب يربكها أكثر وأنفاسه تلفح وجهها وعيناه تنظر لعينيها هامسًا بجرأة:

-طيب أنتِ رأيك عينيا حلوة ولا وحشه؟

تقهقرت للخلف في توتر وإجابتها متلعثمه للغاية توازي متابعة سيرها علها تتخلص منه:

- لأ، آه.. أقصد ابقى اسألها أنا ماعرفش.

وفي غضون ثوان كانت قد احتلت المصعد وغادرت الدور بأكمله وهو نال حمرة خديها وبريق عينيها المتذبذب وأسكره عبقها الخاص.. وأخيرًا ابتسامة رضا غمرته لينطلق بعدها متابعًا عمله مفكرًا في خطوته القادمة.

* * * * *

بعد يومين..

يقف خلف النافذة بحجرة صديقه يحمل في كفه اليسرى مشروبا يتناوله بتلذذ واليد الأخرى تحمل مجموعة من الأوراق يقلب فيها بصره.. والآخر قابع خلف مكتبه كلما وصل الحديث على طرف لسانه أبى أن يخرج يحاول جاهدًا ولا فائده.. كيف يخبره أن بعد سويعات سيعقد قرانه!

لم يخبره من قبل كان سيقف له بالمرصاد وينهال عليه بالنصائح والحكم وهو اتخذ قراره والعروس قبلت بشروطه وانتهى..

تنحنح يجلي حنجرته وقذف ما بخاطره قبل أن يتراجع:

-أنت معزوم النهاردة على كتب كتابي!

والإجابة خرجت ساخرة فهو ليس بمتفرغ الآن لمزاح الأخ:

- والله! طيب الف مبروك.. عقبال البكاري يا سيدي.

ترك سخريته جانبا وأكد بجدية:

- بعد صلاة العشاء ماتتأخرش.. ماحدش غيرك هيشهد على العقد.

رفع إسلام بصره بغتة ينظر له ولنبرته الجادة ثم ترك ما بيده وتحرك يواجه ويسأل بتوجس ودهشة:

-أنت بتتكلم جد؟!

اومأ بدر برأسه ولم ينبس بحرف.. فحدق فيه بذهول والكلمات تخرج دون ترتيب:

- ازاي يعني.. مش فاهم حصل امتى ده.. أنا كنت فين وليه ماقولتش قبلها؟

والإجابة هادئة:

-كل حاجة جات بسرعة ومن غير ترتيب.

يغضب من هدوئه ويتحدث بنبرة زاعقة:

- أنت بتهرج يا بدر.. أنت فاكرني أهبل ولا لسه هنعرف بعض.. قول في إيه بالظبط أنت مخبيه، قول وخلصني.

تنهد ثم نهض يلملم أشيائه من فوق مكتبه ويجاور صديقه قائلا:

-مافيش وقت للشرح لينا قعدة مع بعض هشرح لك فيها كل حاجة بس دلوقت لازم أمشي يدوب أجهز نفسي.. ماتتأخرش أنا ماليش غيرك.. عصام ماقدرش ياخد إجازه علشان ينزل.. و زي ما أنت عارف والدتي تعبت في الفترة الأخيرة وعلشان تنزل من البيت وتطلع تاني عايزة معجزة.

ضربه على كتفه مردفًا بمزاح:

-يعني مافيش غيرك اتدبست يا صاحبي.

وخطى نحو الخارج سريعا قبل ان يعود الآخر من حالة الوجوم ويسأل من جديد.. لكن ما إن خرج حتى عاد برأسه هاتفا:

-أنت مسألتش العروسة تبقى مين؟

رفع له رأسه ينظر إليه ولم يتحدث.. فتابع بدر:

-تالا.. العروسة تبقى تالا.

غادر العريس والصديق لا يميز المزاح من الصدق اختلط عليه الأمر..

ماهي إلا دقائق حتى إستعاد وعيه واندفع لخارج الحجرة يلحق به.. هو لن يظل ضائعًا هكذا

سيوضح ذاك المجنون ويشرح له وبعدها لكل حادث حديث..

هبط على الدرج سريعا لكن على مايبدو قد تأخر فلا أثر للمدعو بدر.. عاد أدراجه ويكاد عقله ينفجر من التفكير،ما الشيء الذي قد يدفع صديقه للزواج بتلك السرعة ومِمَّن؟ تالا!

اصطدم بوجه آخر يحدق في بوابة المشفى بوجوم.. سارع إليها بالخطى ينظر لها وهي كأنها فارقت عالم الأحياء وأصبحت جثة باردة لا روح فيها.. ربت على وجنتها برفق حتى تفيق..

- لمار.. تالا فين؟

وكما كانت خارج عالم الأحياء عادت له مع نبرة صوته وهي تحرك رأسها له، تحدق فيه مذهولة وتهتف بحدة:

-المجنونة بتقول رايحه تجهز نفسها.. قال فرحها النهارده!

دمدمت تشابك الخيوط ببعضها دون وعي:

- علشان تخلص من موضوع السفر تتجوز بالطريقه دي؟ ومن صاحبك!

عقد حاجبيه في استفهام:

-سفر إيه مش فاهم؟

أردفت بحنق:

- هو صاحبك مقالكش؟

- لا مقالش، تعالي معايا لازم أعرف الموضوع ده بالظبط من البداية لحد اللحظة دي.

وبعد مرور بعض الوقت كانت قد وضحت الصورة تماماً، زفر بهدوء وهو يمسد جبينه بكفه.. فهتفت لمار بحدة :

- أنت هتفضل ساكت كده مش هتعمل أي حاجة توقف المجانين دول؟

نظر لها بتمعن رافعًا أحد حاجبيه:

- أوقفهم ليه؟

كتفت ساعديها أمامها والنبرة متأففة:

-يعني أنت موافق على اللي بيحصل ده؟

حرك كتفيه وهتف موضحًا:

-وأنا مالي الاتنين مش صغيرين ويقدرو يتحملوا قرارهم أيًا كانت عواقبه.

والصمت المطبق ساد لعدة دقائق يتفحص ملامحها الحائرة ليقطعه ناهضا:

-يلا قومي يدوب نلحق احنا كمان نجهز نفسنا..

-أنت كمان هتروح!

والإجابة مؤكدة:

-أكيد مش هسيب صاحبي في يوم زي ده.

اكتست ملامحها بالأسى وهي تغمغم:

-بس اللي هيعملوه ده غلط.

تبسم هو برفق واقترب من مقعدها يطالعها من علو ويهتف بجدية:

-ولا غلط ولا حاجة ده جواز مش نهاية العالم يعني.. ياريت أنتِ كمان تيجي، على حسب ما فهمت منك تالا مالهاش حد يقف معاها في يوم زي ده.. على الأقل أنتِ كوني معاها.

هزت رأسها بهدوء في إيجاب تبسم له.. ثم أردفت حائرة:

-أيوه بس أنا ماعرفش كتب الكتاب امتى ولا أروح فين بالظبط.. المجنونه رمت القنبله في وشي ومشيت على طول.

أردف في استغلال ماكر غامزًا بعينه:

-روحي أنتِ دلوقت وظبطي الدنيا أحمر هنا، أخضر هناك و أنا هعدي عليك نروح سوا.

وقبل أن تعي ما قال كان قد غادر المكان برمته..

لتتبسم لحالها بخفوت:

-وده كمان مجنون رسمي.. أحمر إيه وأخضر إيه!

* * * * *

ارتدى حلة رمادية مع رابطة عنق تناسبها.. يرتكز على مقدمة سيارته ينتظر أميرة عصره وزمانه.. أخبرها أنه من سيقلها وهو لا يتراجع عن كلمته مهما كلفه الأمر، وحتى يمنع عنها أي إعتراض.. مهاتفة صغيرة لوالدها يطلب منه الإذن بكل أدب الكون حتى يقوم بتلك المهمة النبيلة، والوالد لم يعارض بل شكره مقدما.. فالعم مراد يقوم بدوره على أكمل وجه وأصبح والد الأميرة ضمن قائمة أصدقاء العم ودون شك أخبره أن

ابن أخيه مستعد للزواج من ابنته المصون اليوم قبل الغد فقط يلزمه بعض الوقت حتى يستحوذ على قلب العروس أولًا وبعدها تسير الأمور برسمية تامة فرحب ولم يعترض..

والآن باتت الأميره تحت الأمر الواقع.. واختارت أسوأ أنواع العقاب فهو ينتظرها أسفل البناية منذ قرابة النصف ساعة، أهلكه فيها العريس مهاتفات يتعجله..

وطلت أميرته..

بفستانها الأسود يحتضن جسدها في نعومة بطبقات الحرير والشيفون، أكمام حد المرفقين وزين خصرها حزام ماسي يتناسب مع حذائها

البراق الذي زادها طولا بعض الشيء لتنافس طفولتها بأنوثتها..

لأول مرة يراها خارج إطار السروال الجينز والقميص العملي ومعطفها الأبيض.. وهذا كثير عليه!

خصلات الشيوكولا لم ترحمه بل تحتضن وجهها بحميمية بينما عينيها تلمع اليوم بإغراء ينافس شفتيها الوردية والقلب يخفق دون هوادة..

اقتربت هي تلقي التحية وتهتف بعجل:

-يلا اتأخرنا قوي.. تالا كلمتني فوق العشر مرات.

وهو مازال قيد السحر.. لو أنه فقط يختطفها بعيدًا وتنتهي تلك المأساة.. اقترب متناولًا كفها برقة ولثم ظهره بقبلة صغيرة مردفًا بهمس:

-أنتِ شبه الأميرات بجد.

تخضبت وجنتاها وهي تسحب كفها برفق.. تتمتم بخجل:

-ميرسي.

فتح لها الباب الأمامي تجاوره في مقعده..
وانطلقا حيث وجهتهما..

هائمة هي مع مداد البحر ليلا لكن شارده في ذاك الذي تجاوره.. الأعمى يبصر ما يحمله بين عينيه.. نظراته لها مختلفة حديثه مختلف حتى

بسمته.. هو كله مختلف حين يكون معها، و تالا
أكدت لها ذلك فهي لاتكف عن إلقاء الكلمات
والدعابات السمجة هنا وهناك كلما اجتمعتا..
تحاول جاهدة جعل الأمر طبيعي لكن الحقيقة
ما بداخلها ليس طبيعيًّا أبدًا بل صراعات من
الأسئلة والاستفهامات، أهمها متى أحبها لتلك
الدرجة؟ هي لم تقدم له شيئًا حتى يمنحها تلك
المشاعر بل حينما اقترب أوجعته بكلماتها، وهو
يتناسى الأمر تمامًا وكأن شيئا لم يكن.. لكن
كيف لها أن تعود وتثق، كيف تحب من جديد!
من أحبته خذلها كيف إذًا بهذا ربما ما إن تبادله
مشاعره يتركها كما فعل غيره.. لكن شيء آخر
نبت مؤخرًا يدفعها دفعًا حتى تنظر لعينيه وقتما

يتحدث معها تلك النظرات تخترق كل الحواجز،

وضحكته! صدقًا لم ترَ ماهو أجمل منها.. وكثيرًا

ما يروادها ماذا لو كانت منحت فرصة!

نهرت نفسها مؤنبة لقد انحدر التفكير لحد

خطير.. ربما بسبب تلك البذلة الرسمية التي

يرتديها التي زادت من وسامته.. يخبرها أنها تشبه

الأميرات وماهو إلا أمير وسيم..

تنهدت بيأس لا خلاص الليلة من حرب الأفكار

تلك..

قطع هو صمتها بهتاف عابث:

- ما احنا حلوين أهو و بنسمع الكلام امال ليه

يوم المطره طلعتِ عيني علشان تركبي..؟

نظرت له فجأة عاقدة حاجبيها وتثرثر بدفاع:

-على فكره أنا كلمت تالا وعرفت العنوان كنت هروح لوحدي، لقيت بابا بيقول لي فجأة أنك تحت مستنيني، حاولت أقنعه أروح لوحدي بس ماعرفش قولت له إيه علشان يرفض وصمم أروح معاك بحجة يكون مطمن عليا أكتر.. ماكنش في لزوم تتعب حضرتك على فكره.

تبسم لها بخفوت:

- ماينفعش تروحي لوحدك.

زمجرت بعناد:

- ليه بقى إن شاء الله صغيرة مثلا؟

والإجابة صريحة عابثة:

-أخاف حد كده ولا كده يعاكسك لكن لما أنا اوصلك.. أنا بس اللي هعاكس.

حدقت فيه بذهول لثوان، ثم استدارت ناحية النافذة بعيدًا عنه وآثرت الصمت..

دائما مايقصد التطرق لتلك الأحاديث عن قصد وهي لن ترضخ لكلمات منمقة وأفضل الطرق هي التجاهل.

* * * * *

خرجت العروس من بوابة صالون التجميل في حين كان الثلاثة في انتظارها.. حدق فيها بدر لثوان كانت حقًا عروس كاملة فقد اختارت ثوب مناسب كما إشترط عليها..

كان أول شروطه الثوب.. يجب أن يكون هادئ مناسب لعقد قرآن وكفى فلا يوجد حفلة عرس ليكون الثوب مبالغ فيه يكفي لونه الأبيض كي يقتل الشكوك وتظهر داخل إطار العروس.. والحقيقة هي التزمت لكن بمرواغة بعض الشيء وإن لم تفعل لن تكون تالا..

الثوب ينساب فوق جسدها الممشوق وقد رسم تضاريسها بمنتهى الدقة.. تتلألأ من البعيد بفعل تلك الماسات الصغيرة المتناثرة على الثوب بأكمله وخصلاتها الذهبية رفعتها لأعلى وتركت القليل يداعب وجنتها بعد ما زينتها بتاج رقيق.. إذاً تصر تلك التالا على الظهور بمظهر العروس الكاملة..الرائعة بما تعني الكلمة..

تقدمت لمار تضمها وتهتف بمباركة والعروس تضحك ببهجة لوجود صديقتها في حين اقترب العريس يهمس جانب أذنها بحنق:

-مش قولنا حاجة بسيطه ليه عامله الحفله دي كلها!

رمقته باعتراض واقتربت بدورها تهمس:

-مش كان شرط من لستة الشروط بتاعتك أن الجوازه تظهر عادية خالص وإننا مبسوطين وفرحانين والكل يعرف انك أنت اللي طلبت إيدي مش أنا اللي طلبت!

يكز فوق أسنانه بغيظ ويعود يهمس:

- أنا مش إمبارح طلبتك من نفسك وأنتِ وافقتي! يبقى تنسي موضوع إيدي و إيدك ده مش بدر إللي واحده ست تطلبه للجواز.. مفهوم ولا أقول كمان؟

نفخت بسأم.. بينما اقترب إسلام يقطع الهمس القائم :

-مش ورانا كتب كتاب يا جماعة ولا هتقضوها وشوشه؟

تبسمت تالا ملئ شدقيها تهتف بمرح وتتحرك ناحية السيارة:

-آه يلا تأخرنا فعلا..

وإسلام يكتم ضحكاته تحت تهديد صديقه إن تجرأ وأطلقها:

-إسلام مش وقتك خالص.

ضبط ملامحه واقترب بدوره يهمس:

-بس يا بدر البدور وشها مش بيجيب ألوان ولا حاجة!

زفر بدر بحنق من هذا الأخير الذي يبدو أن الوضع مسلي له حتى بعد معرفته بكل تفاصيل تلك الزيجه العجيبة.. ألا يكفيه تلك البلهاء التي تظن حالها بمسرح وتقوم بدور البطولة فالجميع على علم بما يجري وهي مازالت تؤدي دورها بمرح ولهو دون أن تأبه لمنزلها الذي تركته

منذ ساعات وهي تنوي عدم العودة مجددًا ولا لطائرة الغد التي تنتظرها مع أبيها لمغادرة أرض الوطن..

بأي فخ أوقعت حالك يا ابن زهران!

* * * * *

وانتهى عقد القرآن ..

وحصلت تالا على رادعها.. منذ الليلة هي زوجة لـ "بدر زهران"

أصر بعدها إسلام على الذهاب لأحد المطاعم الشهيرة على الشاطئ لتناول العشاء جميعًا بعدما أرغم بدر المعترض رغما عنه.. وبعد الانتهاء انتظرت العروس بصحبة رفيقتها داخل

السيارة.. بينما يقف هو بالجوار ينتظر بدر حتى يسدد فاتورة الحساب ويبدو أن الصديقتين منسجمتان حتى لم تلحظا وجوده بالقرب منهما فطرق مسامعه سؤال لمار الذي عزف على أوتار قلبه..

-تالا.. هو بجد في حب من أول نظرة!

اقترب بحذر يستمع لبقية الحوار.. أفقدته تلك اللمار الكثير القيم والمبادئ فالتجسس أصبح له مؤخرا أسلوب حياة..

-اممم أظن في.. يعني مثلا معانا هنا واحد متيم وواقع من أول نظرة ولا أنتِ مش واخده بالك يا لومي؟

-ممكن تخرسي بقى وخليك في الهبل بتاعك.. أنا الغلطانه أصلا اسأل واحدة مجنونه بتاع إيه!

وجواب العروس مع هروبها المتلعثم أكد ظنونه.. أخيرا تمكن من شغل حيز تفكيرها وسيطر عليه.. وما أجملها من بسمة زينت محياه قطعتها عودة الآخر..

قام إسلام بإيصاله إلى منزله الموجود بإحدى المناطق الشعبية نوعا ما.. وما إن وصلا حتى أطلق بوق السيارة عدة مرات متتالية.. فتلألأت الأنوار الملونة وافترشت السماء بالألعاب النارية ثم أطلقت فرقة المزمار مقطوعاتها المميزة مع زغاريد النساء التي صدحت من داخل الشرفات وانقلب الشارع حفلة عرس من نوع خاص..

ترجلوا جميعًا من السيارة.. بادله بدر النظرات معاتبًا فهو لم يرد حفلة من الأساس والأخ جعل الحي بأكمله يحتفل..

عانقه إسلام هاتفا بمرح:

-حبيبي ياعريس سامحني.. بس ماينفعش أخويا يتجوز سوكيتي.

تبسم له بهدوء ثم زفر بيأس وهو ينظر لتالا المندهشة.. فقد ظن أنها ستصاب بالإحباط والندم ما إن تخطو ابنة الأكابر داخل شارعه البسيط.. لكنها كالعادة تفاجئه فضحكاتها تكاد تغطي على صوت المزمار!

ودع إسلام ولمار العروسين بعد ساعة من زمن الاحتفال.. وعادت تجاوره داخل سيارته، ترتكز برأسها على الزجاج البارد شارده في اللاشئ، ظنت أن ليلتها ستكون سيئة لكن على العكس صديقتها المجنونة تبدو سعيدة حقا، لا تعلم سبب كل تلك السعادة هل لأنها ابتعدت عن حياة لم تحبها يوما أم لانها تثأر لنفسها من والدها وتثبت له أنها ليست بحاجته وأنها عاشت بدونه وستظل..

التفتت ببطء لذاك الذي تجاوره منذ أن دلفا وهو في حالة سكون ينظر أمامه و بسمة هادئة تعلو ثغره و لم ينطق بحرف واحد على عكس عادته مما أثار داخلها الشك والريبة..

أمام بنايتها ترجلت من العربة كما ترجلت من قبل لكنه لم يتحرك كما فعل سابقًا ظل قابعا مكانه محتفظًا ببسمته على محياه فقط التفت لها برأسه فودعته هي:

-ميرسي قوي على التوصيل.. الليلة كانت حلوة قوي.

أومأ بصمت فبادلته نظراته بأخرى حائرة لثوان، استدارت بعدها مبتعدة وما إن وضعت قدمها داخل البناية حتى تعالى صوت هاتفها النقال برنين.. تناولته من حقيبتها الصغيرة تنظر فيه.. فيخفق نابضها وهي تمررعينيها فوق كلمات رسالة نصية حديثة الوصول..

"مفيش حب من أول نظرة بس في خطفة من أول نظرة.. اللي ممكن منها تبتدي أجمل قصة حب في الدنيا"



(١٣)

أول دقة

قالو من قبل أن لكل عاشق وطن وأن قلب المحبوب هو المرسى.. وهو أضنته الهجره وآن الآون حتى يعود. كلمات بسيطة صدرت منها بعفويه كانت لها مفعول السحر وضاع الصبر وسط ذبذبات العشق واتخذ العاشق إسلوب الهجوم.. ألقى شباكه ورحل عنها تاركاً إياها مع كلماته التي خطها قلبه قبل أنامله.. فليكن تخبط المشاعر رفيقها الليلة لتتذوق من ما يؤرق مضجعه كل ليلة..

تلوى بجذعه ينزع عنه سترته في هدوء عاكسه

إقتحام همجي دون سابق إنذار:

-كنت فين بالبدله الرمادي.. انطق!

بادل مزاحه ضحكاً ملئ شدقيه:

-كنت بجوز الواد بدر.

غص باسل من كلمات أخيه لا من قضمة

التفاحة المحتجزه بحلقه، هتف بعدها بغباء

وحدقتيه مندهشتان:

-بدر مين؟

والجواب متذمر:

-نعرف كام بدر يعني.

عقد باسل حاجبيه ودمدم بإستفهام:

-ومين دي بقى إللي قررت تضحي بنفسها وتتجوز سي بدر.. وبعدين أنا مش معزوم ليه؟!

بدل ملابسه بأخرى قطنية أكثر راحة وتحرك نحو الفراش عاري الصدر يرتدي كنزته العلوية بتمهل مع جوابه الهادئ:

-السؤال الأول أفضل تسأله لبدر شخصياً وهو هيرد عليك بطريقته أظن عارفها كويس.. أما بقى أنت مش معزوم علشان مافيش فرح أصلا، حفلة كده على الضيق يعني مالوش لزوم حضورك.

توقف بصره عند الندب الموجود قرب قلب أخيه يطالعه بصمت ووجوم وهو يعلم لو كان تأخر قليلا لكان ذاك النصل إخترق قلبه دون

رحمة ولكان الآن ضمن عداد الموتى.. نفض رأسه من تلك الأفكار السوداء التي سيطرت عليه وعاد يرسم بسمة هادئه توازي إقترابه من الفراش، يتمدد بجسده متكأ برأسه على مرفقه يجاور أخيه بوضع عكسي، يقضم التفاح بصمت ويتابع شرود الأخ.. تنحنح أخيراً مضيفاً في حدقتيه مغمغما:

-وأنت يا نحنوح لسه فقرة التسبيل ماخلصتش؟

تبسم وإسترخى بأريحيه ليهتف غامزا بعينه:

-لا النهاردة لمحت بإعتراف.

مط باسل شفتيه ممتعضا:

-أنت يا بني أنا مش من إسبوعين قولت لك كفاية تسبيل وإمسك خط الهجوم.. وأول الهجوم بوسه!

تنهد إسلام في يأس:

-أبوسها! قلبك أبيض..

إستلقى باسل على ظهره رافعاً ساق فوق الأخرى عاقدا ذراعه أسفل رأسه ويهتف بملل:

-يعني واحد مصاحب بدر زهران هيكون حاله إيه غير خيبه.

عبس إسلام معترضاً على لقب "خيبه" ضاربا ساق باسل بقوة حتى كاد يسقطه أرضا:

-إيش فهمك يا حيوان أنت في الحب والمشاعر النبيلة.. أنت أخرك بوسه ولا حضن في الخباثه.

رماه باسل بإحدى الوسائد في وجهه وهو يعلق ساخرا:

-مشاعر نبيله! الله يرحم..

همس إسلام بسباب لا يمت للمشاعر النبيلة بأي صله بينما الآخر يضحك ويزيد من الدعابات السمجه خاصته.. قطع حديثهم الذي تلون بالفظاظه دخول ساندي، تقف بين إطار الباب تحدق فيهم بإتساع والألوان قد خالطت وجهها، تغمغم في وجوم يناسب وقفتها المتصلبه:

-يا شباب.. في ضيفة هتشرفنا الليلة وإحتمال اليومين الجايين..

تجمدت حركاتهم بوجوم ثم عقد الإثنان الحاجبان وخاض كل منهما وضع التفكير الذي إنقطع مع هجوم مفاجئ دفع ساندي من الخلف حتى كاد أن يسقطها أرضا لولا تشبثها بالباب.. وتطل الضيفة المصون تعدل من وضع نظارتها الكبيرة التي تناسب تماما الجديلتين المتدليتين من أعلى رأسها من كلا الجانبين.. وتهتف بمرح يملئ شدقيها:

-مثاااء الخير.. وحشتوني.

* * * * *

"مفيش حب من أول نظرة.. بس في خطفه من أول نظرة إللي ممكن منها تبتدي أجمل قصة حب في الدنيا "

يا إلهي!

هل يعترف بحبه هكذا ببساطة! ما إن انتهت من قراءة كلمات رسالته استدارت ترفع بصرها نحوه في تحديق دون تفكير.. فصدمتها عيناه الضاحكة. يجلس بكل هدوء داخل سيارته يطالعها بإبتسامة دافئه وعيناه تخترق المسافة بينهما و ترسل ذبذبات عشقه رويداً رويداً حتى انتشرت القشعريرة بأنحاء جسدها وشعرت بأشياء ما لا تفقه كنها تجتاحها دون هوادة بينما صدرها يعلو ويهبط بقوة وبعد دقائق عادت لها

أنفاسها الآهثه فدارت متعثرة بعيون زائغه تخطو بعيداً عنه، حتى أتاها صوت إطارات سيارته تعلن رحيلها، فتفست الصعداء ضاغطه على زر المصعد تتوسل وصوله فقدميها لم يعودا قادرين على حملها..

بعد فترة وجيزه دلفت لمنزلها.. تخطو داخله فيقابلها الهدوء إلا من ضوء خافت يتسرب من باب الصغيرة لارا.. أدارت مقبض الباب وطلت برأسها متبسمه فقابلها وجه أختها الباسم وهي قابعه خلف مكتبها الصغير وأمامها أكثر المواد مللا تستذكرها.. تحدثت لمار بإشفاق ونبرة حنون:

-لسه صاحيه.. كفاية مذاكرة وقومي نامي شويه.

تبسمت لارا بتعب وهي تفرك عينيها:

-حاضر شوية صغرين بس وهقوم، أصل في مسألة معصلجه معايا ومش عايزه تتفهم لحد ما صدعت بسببها.

هتفت لمار بلؤم:

- فين سي رامي سايب المسألة المعصلجه دي ليه؟

احمرت وجنتيها في خجل وهي تجيب بصوت خفيض:

-بصراحة صعب عليا بيذاكر لنفسه ومع ذلك مصمم يراجع لي كل حاجة علشان يتأكد أن بذاكر ومش بضيع وقت.. أنا النهاردة كلمته مرتين وفي كل مرة مش أقل من ساعة يشرح لي وياريت

في الآخر بفهم في التلفون، ولم زهق مني إتنرفز وقال لي ماتتصليش تاني وبكره هجيلك نذاكر سوا.

تبسمت لمار بخبث وهي تتقدم لداخل الحجرة هاتفة ببراءة:

-طيب هاتي إللي مش فهماه أنا هشرح لك وسيبي رامي في حاله، حرام عليك ده ثانوية عامة بردو كده الولد هيضيع.

إنتفضت لارا من فوق مقعدها وهي تغلق كتابها بقوة.. تتجه نحو الفراش هاتفه بتثاؤب:

-ماهو كده كده جاي بكره علشان نذاكر سوا وأنا خلاص مش قادرة أفتح عينيا.. تصبحي على خير يا لومي.

ضحكت لمار بخفوت أثناء خروجها من الحجرة مغلقة بابها برفق.. فشقيقتها الصغرى عاشقة.. بل تفشل في إخفاء ذلك..مرحى!

إتجهت بعدها لغرفتها.. جلست على طرف الفراش تخلع حذائها العالي تقذفه جنبا برفق، مدت يدها عنوه دون تفكير تخرج هاتفها.. تفتح كلماته تقرأ مرة واثنين وثلاث وأخيراً تنهيده طويلة توازي تمددها فوق الفراش بالعرض.. تطالع السقف بوجوم فيخيل لها وجهه راسما أحلى

ضحكة رأتها في حياتها فتتنهد مرة أخرى بيأس وتغمض عينيها..

تنهر نفسها.. ما بكِ لمار؟ لم هادئة هكذا.. الأ يجدر بك أن تغضبي! بكل غباء العالم ترفعين رأسك نحوه كأنك تخبريه أن رسالته وصلت بأمان، بل كان لها بالسحرعليك حتى بت غير قادرة على إبتعاد عن أسر عيناه لدقائق ليست بقليلة.. تعلمين أنه يتسلل لداخلك بسلاسه وليس من الليلة فقط بل من منذ أن وطأت قدمك مشفاه.. لكن الليلة كان إعترافًا صريحًا بحبه لك .. لا تنكري أن وجوده يشغل حيزًا داخل حياتك العملية لا بأس به والليلة لأول مرة تراه خارج إطار تلك الحياة.. كان لطيفا للغاية

أضفى لليلة جو رائع بمزاحه وتلك المفاجاة التي أعدها للعروسين فأسعدهما أو أسعد تالا على الأقل.. وكلما وقع بصرك عليه تلتقطك عيناه بشكل لم تعاديه من قبل كأنما يضمك بهما!

حين وصلت لتلك النقطة من أفكارها المتخبطه كانت قد غرقت في سبات عميق.. فاليوم لا يوجد مقارنة بين هذا وذاك لا خوف من خداع جديد أو جرح آخر لقلبها لا مكان لماضٍ يؤرق مضجعها..

الليلة فقط لديها زائر جديد يطوف بوجهه داخل أحلامها طيلة ليلتها فتنفرج شفتيها بين الفينة والأخرى ببسمة ساحرة تخترق سباتها بنعومة مهللةً ومرحبةً بأول دقة.

* * * * *

شرط أول فيه وعد بطاعة..

وثان إلتزام بعادات وتقاليد..

وآخر ضمن شروطه فيه تخلي عن حياة الرفاهية

والرضا بالعيش مع من أختارته زوج و.. و..

عدة شروط وضعها أمامها وهي فقط تحرك

رأسها بالموافقة حتى ينتهي من وصلة شروطه

الطويلة التي لم تسمع منها واحد بل دخلت كلها

من أذن وخرجت من الأخرى.. فكل ما يهمها كان

إتمام تلك الزيجة حتى تنتهي من مشكلتها وتفكر

بعدها ماذا ستفعل.. هكذا هي عادتها لا تحمل

للعالم مثقال ذرة لا تنظر للغد فليأتي على أقل

من المهل..

صعد بدر الدرج يتقدمها وهي تتبعه بأنفاس

متقطعة، تقبض كفيها على ثوبها ترفعه قليلا

حتى لا تتعثر وتسقط متهشمة العظام وهكذا

ينتهي زفافها بأجمل النهايات، فهذا حقا ما

ينقصه..

تأففت وهي تهتف بتعب و أنفاس لآهثه:

-لسه كتير؟ أنا تعبت..

رمقها بنظرة جانبيه مع إلتواء ساخر زين ثغره

إلتقطته هي رغم الأربع درجات الفاصلة بينهم و

وصلها هتافه الساخر:

-إطلعي، إطلعي بلاش دلع.

زفرت تالا بحنق وهي تنظر للأعلى متمتمه بسخط.. وما إن توقف أمام إحدى الشقق حتى تنهدت بإرتياح تلتقط أنفاسها.. بينما قام هو بفتح الباب ودلف بعدها لشقته المتواضعة.. وما إن أغلق الباب خلفهما حتى أخذت تدور في أرجاء المكان تطالعه بصمت.. حسنا شتان بين منزلها وبين تلك الشقة الصغيرة نوعا ما، بسيطة في ألوانها بسيطة في أثاثها.. أنهت جولتها ودارت بعينيها تبحث عنه لكنه كفص الملح قد ذاب!

شعرت بالهلع لثوان وهي تنظر كالمذعوره يمنة ويسرة حتى طل برأسه من داخل الغرفة القريبة

من الباب فتنهدت براحة وهي وتلتقط إشارة كفه ونبرته الخشنة:

-تعالي..

تقدمت نحوه ببطء وما إن دلفت إلى الغرفة حتى طالعتها امرأة مسنه بجسد ممتلئ، جليسة فراش تنظرلها من خلف نظاراتها السميكة.. بينما هو تقدم يجاورها يمسك بكفها متبسما هاتفا بهدوء:

- تالا يا أمي.. مراتي.

ودون سابق إنذار انخرطت المرأة في نوبة بكاء وهي تهتف بعتب:

-كده يا بدر تتجوز من غير ما تقول لأمك

ياخسارة تربيتي فيك.

حدقت تالا في وجوم بينما رفع بدر نظره للسقف

متنهدا ثم عاد لها بوجه متبسم:

-أنا قولت لك يا حبيبتي قبل كده.. معلش أكيد

نسيتي.

ربتت المرأة على كفه بحنان وتابعت بحنو:

-يظهر أن بقيت أنسى أغلب الأوقات يابني..

ماتزعلش مني وألف مبروك يا حبيبي عروستك

زي القمر.

إعتدل يقبل جبهتها ثم أشار لعروسه الواجمة

حتى الآن حتى تقترب، وما إن اقتربت مدت يدها

بتردد بينما كف العجوز كانت أقوى حيث جذبتها لأحضانها تقبل وجنتها بعشرات القبل والأخرى ليس بعدد أقل، تربت على ظهرها تارة وتمسك بخديها تارة أخرى والمسكينة تالا تتبسم بذعر من تلك السيدة ومن تلك القبل المهوله التي لم تتلقاها بعمرها كله..

غادرو الغرفة بعد ما ناولها بدر دوائها لهتفت تالا بتردد:

-أنت مش قولت أن مامتك معانا في نفس البيت!

إستدار لها يرمقها بغضب ورغم ذلك أجابها بهدوء:

-أولاً أسمها مقولتليش ياريت تعدلي لسانك..

ثانياً إحنا إللي معاها في بيتها مش العكس.. أنتِ

مسألتيش على تفاصيل يبقى بلاش أسئلة

مالهاش لزوم دلوقت.. يلا روحي نامي.

أنهى كلامه مشيراً بسبابته نحو حجرة أخرى

والتي على ما يبدو الأخيرة فلا أثر لاي غرف

أخرى.. طالعته بصمت حانق من حديثه الصلف

والجاف ثن تحركت تحمل حقيبتها الكبيرة، ثقيلة

الوزن تخطو بها إلى الحجرة بلآمبالا حتى وصلتها

نبرته القوية:

-هاتي موبايلك..

عادت ببصرها عاقده حاجبيها في عدم فهم فزفر

هو هاتفا بقسوه:

-مش المفروض إن السيد الفاضل.. والدك ..هيتصل يطمن على بنته ياترى إيه اللي أخرها برا البيت لنص الليل! والواجب إننا نطمنه ولا إيه؟

رمقته بنظرات أكثر حنق، ماذا يعني بذلك الحديث عديم الذوق.. ومع ذلك أخرجت هاتفها النقال من حقيبتها بصمت لتضعه بغضب فوق السفره الصغيرة الكامنة وسط المكان واتجهت بعدها لتلك الحجرة صافقه الباب خلفها..

بينما هو أخذ يرخي ربطة عنقه حتى تخلص منها تماماً ثم تبعها بسترته وألقى بهما فوق أقرب مقعد ثم جذب أحد مقاعد تلك السفرة وجلس يفكك أزرار قميصه العلويه حتى يتنفس بحرية

أكثر، ممد بعدها ساعديه أمامه ينظر لذاك الباب المصفوق منذ ثوان.. يفكر في تلك المخلوقه والتي مع الأسف منذ سويعات قليلة أصبحت حرمه المصون.. فما أختبره معها خلال الأيام القليلة الماضية يجزم أنها كتلة من الآمبالا والإهمال عديمة العقل لا مجال للتفكير لديها.. فقط تفعل ما يخطر ببالها ولا يهمها العواقب أيا كانت.. وضع قائمة لشروط طويلة عريضة حتى يختبرها ويرى مدى جديتها وإستيعابها لم تقوم به، ومع كل حرف كان ينطق به كانت تهز رأسها بالموافقة حيث أنه أعاد بعض الكلمات عدة مرات حتى تلاحظ أو تعقب على أي أمر، وصل أنه خلط الأمور وتحدث بأحاديث واهيه فقط

لتنطق وتعير حديثه أي نوع من الجدية

والإهتمام لكن كانت تبدو كمن يفكر في أمر ما

حتى يتخلص من ذاك الحديث الممل، والذي

بالمناسبة يخص حياتها القادمة.

إلى أي حد تلك الفتاة غبية!

مضت ساعة وتلاها أخرى وهو على نفس جلسته

يصارع أفكاره التى قطعها رنين هاتفها.. نظر إليه

بقوة يتفحص إسم المتصل والذي دون ب

Dady

h لتقطه وقبل أن يضغط زر الرد سمع صوت

باب الغرفة يفتح بسرعة.. تقف داخل إطار

الباب تنتظر نتيجة تلك المهاتفه باضطراب..

تجاهل وجودها وأجاب بصوت رخيم حتى أتاه الصوت المتعجب بعد ثوان:

-أنت مين.. وجبت الموبايل ده منين؟

ترك التجاهل وقابلها بعينيه.. ينظر لها بعمق مع إجابته الهادئة:

-بدر زهران.. جوز بنتك.

* * * * *

" أنت نوعك إيه يا أخي في حد ينزل الشغل في يوم زي ده!"

زعق بها إسلام في وجه بدر ما إن رآه يطأ أرض المشفى منذ بداية الصباح.. ليرد له جملته بهتاف بارد:

-مال الجواز بالشغل مش فاهم.

هز إسلام رأسه في قلة حيلة ثم تسآل بنبرة حادة:

-بدر أنت ناوي على إيه..؟

حرك بدر كتفيه بلآمبالا وقال بصوت رخيم..

متبسم:

-هربها!

حدق في ذهول رافعاً حاجبيه ضاربا كفوفه

ببعض بينما تحرك بدر مبتعدًا دون زيادة

حديث.

-دكتور إسلام ..

استدار سريعًا إثر نبرتها الحاده، ملامحها

المذعوره تبدو كمن وقع في مأزق للتو.. التهم

مايفصل بينهما من خطوات يستشعر أنفاسها

اللآهثه هاتفًا بقلق:

-في إيه؟

تفرك كفيها في توتر وتجيب بتلعثم:

-روان بتولد ساعدني أرجوك!

....

ولج برفقتها لإحدى الغرف ينظر لتلك المدعوه

روان، وشاحها غير مهندم وبطنها المنتفخ بقوة

بينما كائها يختلط مع أنينها.. اقترب منها متبسما

حتى يهدأ ويخفف من خوفها وما ان أمسك

رسغها ليطمئن على نبضها دفعت بيده بعيداً

صارخه في الصديقة:

-قولت لك لأ يا لمار أنتِ ما بتفهميش!

اقتربت لمار أكثر تربت على كتفها وتهتف بترجي:

-مافيش دكتورة في الوقت ده مافيش غير دكتور إسلام أودكتور بدر.. علشان خاطري يا روان خليه يطمنا عليك أنتِ تعبانه.

هزت روان رأسها برفض غاضب وازى صياحها ببضع كلمات تسيء للواقف بالجوار..

هل تعرض لسبابٍ الآن!

رفعت لمار له بصرها شاهقه، تعتذر بعينيها عن الحماقه التي تفوهت بها صديقتها لتو.. وهو يبادلها نظراتها بعتب أهذا هو الرد على إعترافه ليلة أمس!

ظن أن اليوم سيكون مختلف وبالفعل هو مختلف لكن ليس الإختلاف الذي تمناه على الإطلاق.. تنهد بيأس وصب كل إهتمامه على مريضته المعقده على ما يبدو.. وبعد ترجي لطيف منه سمحت له بمعاينتها بعد ما إستعصى عليها الألم وزاد عن حد التحمل وكانت نتيجة المعاينة التوجه لغرفة العمليات.. فوراً.

....

ترجته طويلاً حتى يسمح لها بحضور تلك العملية التي تخص ابنة خالتها ورفيقة طفولتها.. إعترض بهدوء وعادت ترجو وترجو وماذا يفعل المسكين غير الإذعان لتلك العيون الراجيه.. بدلت ملابسها بأخرى مناسبة، وقفت جوار روان

تمسك بكفها تدعمها رغم غيابها عن عالمهم

بفعل المخدر وما إن بدأ خطواته برتابه وإعتياد

حين راقبت النصل الحاد يشق بطنها والدماء

تنبثق منه حتى داهمها قسراً دوار طفيف..

ليحرك رأسه ممتعضا، ماذا لو سمعت لرفضه

من البداية وبإشارة منه كانت خارج الغرفه.

لا تعلم كم مر من الوقت وهي تنتظر حتى أنتهى

أخيراً.. يخلع ذاك الغطاء الأبيض من فوق رأسه،

يتقدم إليها ببطء.. وقفت على الفور تسأله

سريعا:

-طمني أخبارها إيه؟

أجاب بخفوت:

-ماتقلقيش هي بخير بس..

صمتت وعيناها تلتقط تردده ليتابع بعد برهه:

-واحدة من البيبي دخلت الحضانه وحالتها صعبة شوية..

ثم تابع بصوت أجش وملامح متغضنه:

-واضح جداً أنها تعرضت للضرب!

حركت لمار رأسها بغضب وعبراتها تلتمع في قهر لتهمس بحنق:

-جوزها.. منه لله.

هتف إسلام بخشونه وإقرار:

-لازم تعمل محضر..

جلست على المقعد دون تعقيب فهي أكثر من يعلم أن روان من المحال أن تفعلها.

* * * * *

ترقد فوق فراش أبيض تنظر نحو النافذة، تطالع السماء الصافية عند بعد، رغم الألم القوي الذي تشعر به أسفل بطنها والذي بدى الآن لا شيء مقابل ألم روحها.. نعم فألم الجسد مهما طال أثر حتما سيزول.. لكنها تعاني من ذاك الوجع الذي يمس الكرامة والنفس ليذهب بعدها بريق الروح.. إلى أي مدى ستتصدع روحك يا ابنة الزيان؟ بأي حق تهدرين حقك كامرأة، إلى متى ستتحملين روحك الباردة والتي باتت موجعة، موجعة حد تمزق الوتين..

لم تكن علاقتها بأمها قوية يوماً بل عادية للغاية بل أقل من العادية فهي لم تلحظ ولو لمرة ذلك الحزن الذي يسكن عيناها ولا روحها المريضة، كأنما المرض يسكن الجسد فقط فهناك أوجاع تفوق وجع الجسد بمراحل حيث لا دواء لها.. شقيقتها الكبرى زوجها وبيتها لم يتركا لها وقتا حتى لمار أصبح فرص اللقاء بها تكاد تكون نادرة تتعمق في عملها حتى باتت لا تغادره والزوج أبعد ما يكون عنها، لا أحد حولها لا أحد يشعر بها..

شردت نحو البعيد.. ما قبل ساعات طويلة حين قررت زيارة "السيدة إيمان" جارتها الطيبة التي تحتويها وتضمها دون حتى أن تطلب، منذ أول زيارة لها حين ضمتها على حين غره إستشعرت

الدفء بين أحضانها.. حضن غريب ترمي ما

تشعر به داخله لتعود بعدها لحال أفضل،

تعددت الزيارات وكثرة الأحضان وكل مرة قبل

الإفتراق تربت على يدها بحنو وتبتسم، تخبرها أن

هناك غد أفضل هناك آخر مشرق ينتظرها

وحين غابت عنها تلك الحنون لعدة أيام متتاليةٍ

شعرت بالقلق وقررت الإطمئنان عليها وما إن

دقت بابها حتى فتح لها إبنها الشاب الجامعي..

تعرفت عليه من قبل في إحدى الزيارات

صادفته أثناء رحيلها والذي بالصدفة أيضا

يسمى "عمر" لاتنسى ضحكتها الساخره آنذاك

التي خرجت رغما عنها وكأن ذاك العمر سيظل

يلاحقها إن لم يكن بخيالها وأحلامها سيكون

بإسمه الذي يجلب ذكراه.. كما لم تنسى أيضا النظرة الذي رمقها بها ذاك الشاب بسبب سخريتها الغير مقصودة..

توترت من مظهره فقد كان قميصه مفتوح لآخره عاري الصدر، يبدو أنه كان ينوي تبديل ملابسه وهي قررت مقاطعته.. دارت برأسها بعيدا وسألت في حرج:

-أنا كنت جاية أطمن على الست إيمان..

ليجيب بأسى :

-ماما في المستشفى تعبانة شوية وأنا جيت أغير هدومي وأخد شوية حاجات تلزمها وراجع لها.

حزنت لأجلها وأخذت تسأل عن حالها وقبل أن تصلها آخر الإجابات من الشاب كانت أصابعه تنغرس في لحم ذراعها وتجرها للأعلى نحو الدرج بغضب وشتائم لا تعيها بسبب ذعرها وقتها.. كل ما تتذكره أن زوجها قام بسب ابن الجارة بلفظ قمئ ومن ثم سحبها خلفه كمن يجر البهائم غير آبه لبطنها المتكور الضخم ولا الضرر الملحق بها.. وما إن دلف بها حتى ألقى بها للداخل تمسكت بأحد المقاعد بأعجوبه قبل أن تسقط أرضا بينما صراخه يشق الجدران:

-واقفه مع راجل غريب قدام باب بيته تعملي إيييييه..؟!

وقبل أن تجيب كانت الصفعة لفحت وجنتها بقوة حتى سقطت على الأرض وهي تتمسك ببطنها تحمي صغيرتيها من بطش أبيهم، صرخت.. وضحت.. عله يفهم لكن لاحياة للثور الهائح، هبط لمستواها، جذبها من شعرها بقوة يهزها بعنف حتى تألمت والصفعة أصبحت إثنان وثلاث وهي تصرخ وتترجى أن يتركها وهو فقط يزعق و يصرخ عاليا بقلة إحترامها كامرأة وأن والدته كانت محقه بشأن عدم تهذيبها وبعد ما أخرج شحنة غضبه تركها كما هي على الأرض تتأوه بعذاب وتشهق ببكاء لم تتذوقه يوما وتتمنى لو فقط تعود الأيام للخلف حتى تمحي صورة هذا الكائن من حياتها للأبد ولو كان فيها موتها..

بعد دقائق تعالى صوت الجرس،نهضت بتثاقل

وما إن فتحته حتى قابلتها لمار أمامها متبسمة

تحمل بين يديها مثلجاتهم المفضلة معا، تعتذر

عن غياب طال وترشوها لتحصل على الصلح..

لكن ما إن طالعتها حتى ألقت بهم أرضا واقتربت

منها تضمها وهي فقط تنتحب وتشهق بمرارة حتى

تحولت شهقاتها لصراخات ألم لم تستطع تحمله

وما كان من لمار غير أنها أتت بها للمشفى على

الفور..

و وضعت طفلتيها..

وما إن عاد وعيها حتى رأت والدتها وأختها ورامي

حبيب قلبها جميعهم حولها يهنئون بقدوم

طفلتين رائعتين وللعجب لم يلحظ أيا منهم ما بها

الكل يظن أنها توابع ما بعد القيصرية وحدها
لمار ترمقها بغضب تنتظر إشارة منها حتى تنفجر
في وجه الجميع وأولهم زوجها الحقير الذي تكرم
و جاء بعد ساعات طويلة وما إن علم بنوعية
المواليد تمتم بشتائم لا تليق أبداً برجل من
المفروض أنه أصبح أبا.. يتهمها بالفشل حتى في
إنجاب الذكور كما تفشل في أي شئ بحياتها
ووالدتها المسكينة تهدئ فيه وتحثه على إخفاض
صوته فجو المشفى غير مناسب لتلك الأحاديث
وتستعطفه حتى يراعي ظروف زوجته التي لم
تنبس بحرف بسبب ألمها وقلقها على طفلتها
المحتجزه فما كان منه غير أنه خرج متأففا
ساخطا على حظه العثر..

وهاهو يومها الثالث في المشفى حالة من السكون تعيشها لا دموع ولا حديث يترجم ما بداخلها..

لم تحادث أحد ولم تسأل على طفلتها المريضة ولا ضمت الأخرى ولو مرة واحدة، تركتها لأختها المتلهفه للأمومة تعتني بها لحين تشفى هي من إكتئاب ما بعد الولادة، هكذا طمئنهم الطبيب بأنها حالات واردة وطبيعية فقط عدة أيام بالمشفى وستعود كما قبل بل وأفضل.

* * * * *

جاورته داخل السيارة بتأفف وهي تعدل من وضع سترتها وتهتف بغيظ :

-إيه مافيش صبر.. إهدى شوية يا أخي.

ضغط على مزود السرعة وهو يغمغم بحنق:

-ساعتين تلبسي حاجه تقرف.. وبعدين أنا كنت رايح لوحدي أنتِ مسكتي فيا زي العيال.

هزت رأسها بملل ثم قالت:

-مش لو رحنا البيت أحسن.. في حد يبارك لحد على جوازه في مستشفى!

أجاب ببساطة:

-كلمته وقال أنه في المستشفى ولسه شوية على ما يمشي .. المهم مشوار ونخلص منه علشان مايمسكش علينا ذله.. أنتِ عارفه بدر قلبه إسود قوي ومش بيسامح بسهولة.

نعم هو لا يسامح القريبين منه بسهولة لكن لا
مكان للسواد بقلبه فهو يحمل قلبا أبيض من
الثلج.. منذ أن علمت بخبر زواجه من أخيها
شعرت بوغز داخل قلبها لا تعلم له سببا بل
تعجبت لعدم سعادتها..

ظنت أن يوم يزف لها ذلك الخبر ستصفق
بسعادة كما فعلت مع أخيها من قبل.. لكنها لا
تدري ربما يعود السبب لطريقة التي علمت بها في
سط موجة المزاح الثقيل بين أخويها حين تبادلو
كلمات تخص زواج بدر من طبيبة تدعى تالا
لتشعرت بضيق غريب يجتاحها وإختلت بنفسها
وهي تعقد العزم لمقابلته يكفي فقد مضى عدة
أيام وهي تحاول كل يوم أن تهاتفه لكن دون

فائده والآن ستذهب إليه تقدم إعتذارها ولن تتركه قبل أن يسامحها بصفاء قلب وبعدها يمكنها أن تقدم مباركتها لزفافه والتمنى له بالسعادة..

أجفلت على صوت باسل القوي:

-هاااااي.. ردي على موبايلك صدعني، ساعة يرن وأنتِ ولا هنا.

تنبهت لصوت هاتفها فتناولته سريعا وهي تهتف باسم المتصل:

-دي فرحة..

للحظة إهتزت حدقتيه وهو يرهف السمع مع شقيقته عل صوتها يطرق مسامعه أو حتى يكون أكثر حظا وتطلب ببساطة محادثته..

خابت آماله حين سمع ساندي تنهي المهاتفه..
تنهد في إحباط وساد السكون والصمت المكان و لكل منهم موال يغنيه..

حتى وصلا وجهتم وترجلوا من السيارة.. أمسك بكف شقيقته يعبر بها الرصيف ليوقفهم في منتصف الطريق شجار قائم بين أحد السائقين وآخر.. وقف يتأفف من الزحام الذي يعيقه من المرور لطرف الآخر حتى يصل للمشفى.. رفع ذراعه بعفوية يحيط كتف ساندي، يضمها إليه حتى لا تلامس جسد ذاك المتطفل الذي يتقدم

أكثر وأكثر حتى يسمع سبب الشجار القائم .. وبين حركات رأسه من اليمين للشمال بحثاً عن أي منفذ تسمر مكانه وللحظة تصلبت شرايينه أثناء وقوع بصره عليها تجلس في إحدى سيارات الأجرة وبدورها تحدق فيه.. وبشدة

تلك البريئة التي أنقذها يومًا من بين براثن الأمواج الغادرة، تغنى لها بعدها أمام الجميع ومن ثم تركها مغروقة العينين فوق الشاطئ تبكي عشقها المفقود.

(١٤)

غياب + اشتياق = ؟

تسمر مكانه وللحظةٍ تصلبت شرايينه أثناء وقوع بصره عليها، تجلس في إحدى سيارات الأجرة وبدورها تحدق فيه..

تلك البريئة التي أنقذها يومًا من بين براثن الأمواج الغادرة، تغنى لها بعدها أمام الجميع ومن ثم تركها مغروقة العينين فوق الشاطئ تبكي عشقها المفقود..

تلاقت الأعين للحظاتٍ قبل أن ينفض الشجار وتتحرك بها العربة ومع ذلك ظلت عيناها التي أصابته في الصميم معلقةً به حتى توارت من

أمامه.. شيعته بنظرةٍ تحمل عتاب الكون أجمع، اخترقت قلبه، ودمغته بقوةٍ كأنما تذكره بما مضى وكأنه نسى يومًا..

تنبه على ذراع ساندي تحثه على التحرك، انصاع جسده وتحرك لكن عقله ظل تائهًا مع ماضيه الذي صادفه للتو والذي جدد شعوره بالخزي بغزارة..

دلفا للمشفى وانتهى بهما الأمر داخل حجرة بدر.. تبسم لهما مرحبًا، ليتقدم باسل يعانق، ويقدم مباركته والتي حتمًا رُفضت!
فغير كونه يقدم تهنئة زفاف داخل مشفى هو آتٍ صفر اليدين!

دمدم بدر بوضوحٍ دون تجميلٍ:



- شكلك زبالة قوي يا باسل..

بنبرة غرورٍ هتف متفكهًا:

- يابني كون تنازلت وجيت أبارك بنفسي ده في حد ذاته أكبر من أي حاجة.

تبادلا بعضًا من دعاباتهم الثقيلة التي تبدأ ما إن يجتمعان، وبعد هنيهةٍ استأذن باسل ذاهبًا لمراد بينما ظلت هي عند الباب عقب ما أخبرت شقيقها أنها ستلحق به بعد لحظاتٍ.. لم يوجه لها ولا كلمة واحدة، ظل يمازح باسل ولم يعيرها هي مثقال ذرةٍ، شعرت بصعوبةِ الأمر فهذا يعني أنه مازال غاضبًا..

اقتربت هي تقتصر المسافات تهمس باسمه بصوتٍ خفيضٍ حتى يترك تلك الوريقات اللعينة التي يتظاهر بالانشغال بها:

- بدر..

ترك ما بيده وظل مكانه يوليها ظهره وحين فقدت الرد منه همست مرةً أخرى بصوتٍ متحشرجٍ عاتبٍ:

- مش عايز تبص لي.. للدرجة دي يا بدر!

وصلتها تنهيدته الطويلة ومن ثم استدار لها ببطءٍ:

- مافيش داعي نتكلم في اللي فات يا ساندي.

هزت رأسها برفضٍ وتابعت بنبرةٍ خفيضةٍ:

- مش همشي قبل ما أعتذر وتسامحني.. سوري يا بدر بجد، أنا ماكنش قصدي أجرحك.

أطرق برأسه للأسفل وساد الصمت المطبق للحظاتٍ قبل أن يصلها هتافه الخشن وهو ينظر لعينيها المغشية بالدموع:

- كلامك العبيط ماجرحنيش.. اللي زعلني أن الكلام ده طلع منك أنتِ.

تساقطت دمعات لم تستطع كبحها، وضاعت الكلمات بين الغصة، فاكتفت بدمعاتها تقدم الإعتذارت اللآزمة.. وكانت أكثر من كافيةٍ ليرفع ذقنها بأنآمله، يواجه عينيها بصرامةٍ، وهذه المرة بسؤالٍ ينتظر إجابته منذ آنذاك:

- مين ده ياساندي وإيه علاقتك بيه؟ عايز أعرف الحكاية كلها من غير لف ودوران.

محت عبراتها بأناملها وأجابت بخجلٍ وحرجٍ دون مواراةٍ:

- فهمني أنه هو الشخص اللي بيبعت لي ورد.. قابلته مرة واحدة فضول والله مش أكتر وبعدين ألح كتير وأحرجني علشان أقابله مرة تانية..

صمتت لثوانٍ ثم تابعت وهي تتحاشى النظر إلى عينيه الغاضبة:

- وافقت.. وبعد ما قعدنا اعترف أنه مش هو بتاع الورد وأنه عرف الموضوع ده صدفه فأخده حجة.. أول ما قال كده وقفت علشان أمشي بس

هو مسك في إيدي وشدني جامد وبدأ يتطاول عليَّ.. خفت وماعرفتش أعمل إيه وقبل ما أفكر كنت أنت جيت.

وحينما لم تتلق أي رد فعل منه تجرأت ورفعت بصرها نحوه، رأته عابسًا مكفهرَ الملامح.. فهتفت سريعاً تنفي أي ظنونٍ قد تهاجمه دون أن تبتعد بعينيها تلك المرة:

- والله ماشفته تاني من بعدها وكمان غيرت رقم الموبايل وما أظنش أنه هيفكر يقرب تاني بعد العلقة إللي أخدها.

سألها بحدةٍ:

- تفتكري لو وقتها ماكنتش هناك بالصدفة.. تخيلي كده لو الحيوان ده كان تمادى معاكِ.. كنت هتعملي إيه؟!

طأطأت في خجلٍ هامسةٍ:

- بس أنتَ كنت هناك.. وأنا إتعلمت خلاص، أوعدك هاخد بالي بعد كده ومش هكررها.. خلاص سامحتني..؟

- أنا كمان آسف ياساندي.. جنانك كان مستفز و فقدت أعصابي غصب عني وماعرفش عملت كده إزاي.. حقك عليّ.

تبسمت له فبادلها بأخرى هادئة.. هتفت بعدها بحبورٍ:

- دلوقت أقدر أقول لك مبروك.

رفع أحد حاجبيه في إستنكار وهتف بجديةٍ:

-مش بقبل تهنئات هنا يا آنسه.. عنوان البيت وحافظينه، يلا بقى بلاش عطلة أكتر من كده.. وآآآه ماتنسيش تقول لي للجلف أخوكي يجيب حاجة معاه، منظره وحش قوي.

ضحكت ساندي وهتفت ببراءةٍ تلونت ببعض السماجة:

- والله قولت له هات برتقان ندخل بيه.. قال لي كبري دماغك.

-برتقاااان!!

أنهت سبابته الحوار، يشير بها إلى الباب في أمرٍ بالمغادرة..

ضحك بعدها لمنظرها المخزي وهي تهرب سريعاً خوفاً من أن يرميها بشيءٍ ما يشطر رأسها لنصفين.. ثم شرد قليلًا مع نفسه ليعترف بصدقٍ.. زواجه بالفعل لا يليق به سوى بضع برتقالات.. متعفنة ربما!

* * * * *

فوق الفراش شاردةٌ تنظر نحو اللآشيء، فكلُ شيءٍ بات لا شيء.. لا تصدق أنه رحل هكذا ببساطة، لم يتمسك بها كما كانت تبغي، في طفولتها تركها والآن أعاد الكرة.. من يلومها إذن على فعلتها؟



كان معها كل الحق في رفض مصاحبته.

لازالت طرقاته الغاضبة على باب المنزل تضرب مسامعها كطرقِ الحديد، فما إن صرح له بخبر الزواج وبعدها العنوان لم تمضِ سويعات قليلة وتعالت الطرقات، وما إن فتح الباب حتى كان والدها يتوسط المنزل بهيبته وملامحه القاتمة التي تنبئ عن بركانٍ ثائرٍ.. قابله بدر بوجهٍ صامتٍ دون ملامحٍ واضحةٍ بينما الآخر يدور برأسه يميناً و يسارًا يبحث عنها ويظن أن تلك مجرد مزحة ثقيلة وسيعاقب فاعلها ما إن يتأكد.. لكن كل شيءٍ انتهى حين ظهرت هي تتمسك بإطار الباب، وتهمس بصوتٍ شبه متماسكٍ؛ تبرر له فعلتها:

- أنا آسفة.. بس بسببك أنت عملت كده، قلت لك مش عايزة كريم لكن صممت عليه حتى بعد عملته الحقيرة مش شايف أنه غلطان.. قلت لك مش عايزه أسافر مافكرتش حتى تعرف أسبابي.. تعبت من كوني جزء في حياتك تحركه وقت ما تحب وعلى حسب راحتك أنت.

رغم الشرر المنبعث من بين عينيه إلا أنه تحدث بصوتٍ هادئٍ.. خطيرٍ:

- هو ده الكلام اللي نصب عليكِ بيه.. مش عايز كلمة زيادة يلا قدامي كلامنا هنكمله بعدين، أما الحيوان ده أنا هعرفه مقامه كويس.

أنهى حديثه وهو يشير بسبابته نحو بدر المتصلب.. آتون يتفجر داخله.. قبض كفيه بقوةٍ

حتى ابيضت مفاصل أصابعه وأنفاسه الهادرة باتت كالحمم.. ليدمدم بصوتٍ صارمٍ دون أن ينظر إليه ضاربًا وعد التأني والصبر الذي قطعه على نفسه في عرض الحائط:

- اطلع بره..

زاد عبوسُ الرجل وهو يقيمه باستنكارٍ من أعلى لأسفل لتتدخل تالا تنهي تلك النيران الموشكة على الإشتعال:

- أنا اتجوزت بدر بإرادتي ومش هخرج من بيته.. أنا آسفة.

لا تعلم هل أسفها المكرر لأبيها أم لنفسها.. لم تعِ بأي مصيبةٍ أسقطت حالها سوى الآن.. هدر أبيها بصوتٍ زاعقٍ:

- لآخر مرة هقول لك أمشي معايا وهيطلقك ورجلك فوق رقبتك.. أنتِ عايزه تفضحيني على آخر الزمن!

عن أي فضيحةٍ يتحدث هذا الرجل؟! ماذا عن زواجه بامرأةٍ وتركه لأخرى ألا يعد ذلك من ضمن الفضائح! بل على أي شيءٍ يحاسبها هي فعلت ما يفعله ويتباهى به طيلة الوقت..

أظلمت عيناها في قسوةٍ وهي تردد بجفاءٍ مكتسبٍ وعنادٍ وسمت به منذ الأزل:

- مش هخرج من هنا ومش هسافر معاك..

هعيش حياتي زي ما أحب حتى لو كانت غلط..

سافر أنت وأتجوز أعمل اللي عايزه وسبني زي ما

كنت دايمًا سايبني.

تحدث عاصم بصوتٍ قاسٍ.. حازمٍ:

- ولو خيرتك بيني.. وبينه ؟

أظلمت عيناها أكثر وهي تحرك رأسها بأسى..

رمقه بدر بعيونٍ حادةٍ كالصقرِ وتحدث بهدوءٍ

باردٍ لا يمت ما يشعر به بصلةٍ:

- قالت لك مش هخرج وبعدين مين قال لك

هسمح بده.. من اللحظة اللي بنتك بقت فيها

مراتي بإرادتها القرار ده مابقاش يخصها لوحدها.

ضحك بسخريةٍ وهو يقيم منزله تلك المرة ويسأل بتعالٍ:

- عايزة تقنعيني أنك تقدري تعيشي هنا!

ودون انتظارٍ أردف بجديةٍ تامةٍ:

- اختاري يا ترجعي معايا دلوقتِ وأنا كفيل بحل المهزلة دي أو تنسي أن ليك أب عايش وتتنازلي عن كل حاجة و أولهم الكريدت كارد، مفاتيح البيت والعربية، مجوهراتك إللي أخدتيها من البيت.. ها قررتي إيه ؟

خيم الصمت لدقائقٍ وهي تطالع والدها في ذهولٍ وتساؤلٍ.. هل حقًا يخيرها؟ هل انتهى الأمر هكذا!

حينها فقد بدر المتبقي من أعصابه، وهدر بصوتٍ زاعقٍ ذي نبرةٍ حادةٍ أجفلت على أثرها:

- مش سامعة!.. ردي.

استدارت ببطءٍ ووجومٍ لداخل الحجرة، وما هي إلا ثوانٍ حتى عادت.. وقفت أمامه تنظر لعينيه ويدها تمتد بما تنازلت عنه، وهي تهمس للمرة الأخيرة:

- آسفة..

ارتفع كفه وحط به فوق وجنتها، فتأوهت بصمتٍ.. وهي تنظر جانبًا تتحاشى النظر إليه ليجذب الأشياء من بين يديها مغادرًا المكان.. أجفلت على صفق الباب بغضبٍ وعيناه التي

تقدح شررًا.. اقترب منها يغرز أصابعه في ذراعها هادرًا بعنفٍ وهو يهزها:

- مش قلت لك سيبي كل حاجة وحذرتك تكسري كلامي.. ليه تحطيني في موقف زي ده؟

صاحت بغضبٍ وهي تتلوى من قبضة كفه القوية:

- يعني أسيب حاجتي لبنته ومراته.. وبعدين كان لازم أدفع لك تمن الجوازة دي بعد ما قررت أنها مجرد جوازة..

التوت شفتيها قليلاً وهي تتابع بوقاحةٍ:

- من غير أي حقوق!

حدجها بصمتٍ ثم اقترب من أذنها يهمس بخشونةٍ:

- أنتِ قليلة الأدب.. وتستاهلي القلم اللي أخدتيه من السيد الوالد وإن ماكنش عملها كنت هقوم أنا بالمهمة دي.. ولو عايزة تجربي تاني ماعنديش مانع..

تقهقرت للخلف قليلاً تنظر له بحنقٍ وخوفٍ تخفيه خلف مقلتيها المتذبذبتين.. نفض ذراعها بعيداً عنه بغضبٍ وهتف بقوةٍ:

- إمشي من قدامي.. حالًا.

في لمح البصر كانت تصفق الباب بعنفٍ للمرة الثانية.. استلقى بعدها على الأريكة يسب نفسه

قبل غيره، فلو عاد بذاكرته للوراء بعمره كله لن يجد أكثر جنونًا وغباءً من فعلته أو مصيبته الأخيرة.. تلك الكامنة في غرفته والمسمى عروسه..

يهاتف رجلًا غريبًا ببرودة الكون، ويخبره بكل صلفٍ أنه زوج ابنته، ويمنحه فرصة إهانته بل يسمح له بذلك دون أن يحطم صف أسنانه على الأقل.. كيف يفعلها والرجل معه كل الحق.. بل توقع منه ماهو أكثر؟!.. هل بسيارة ومجوهرات وصفعة واحدة حلت المعضلة وانتهت!

فقد ظن أن الرجل سيقيم الدنيا رأسًا على عقب لأنها ابنته!

عاد ببصره إلى الباب الموصد عاقدًا حاجبيه في تفكيرٍ.. لابد أنها تبكي الآن على وجنتها المتضررة

وبم ستهتم غير ذلك؛ فهي لم تذرف حتى دمعةً واحدة!

تبدو كالأحجية تلك التالا.. عاجزٌ عن فهمها منذ أن رآها أول مرةٍ.. تارةً مجنونة وأخرى هادئة مستكينة وكأن براءة العالم اختصرت بها والآن تناطح والدها بثباتٍ وقوةٍ لم يظن لوهلةٍ أنها تمتلكها والأدهى تعتذر، ثم تصرح بوقاحةٍ أنها عروس شاملة الخدمات، ولا تمانع من تسديد ديون تلك الزيجة بجسدها!

رائع.. حقًا رائع

حمقاءٌ وتحمل من الغباء أطنانًا.. متهورةٌ تريد تحريك العالم من حولها بطرقعة إصبعٍ.. لكن

رغم كل ذلك الصخب الذي تحيا فيه هي صادقة..

فذاك الصدق أخبره أنها تنحدر نحو هوةٍ عميقةٍ ستسحقها ما إن تصل إليها بإرادتها، وقتها كانت ستضيع بعالمٍ آخرٍ أكثر ضراوةً من عالم أبيها الذي تمقته والتي تظن ما إن تتخلص منه ستكون قد تخلصت من أكبر عقبةٍ تواجهها وهي في الحقيقة ستكون حينها عالقةً في ماهو أكبر من العقبات..

شعورٌ.. فقط شعورٌ يخبره أنه مسئول عن تلك الكارثة عقب ما ألقت بحملها كله على عاتقه كأنها فرض عليه.. وببساطة قبل بعرضها

العظيم بفضل ذاك الشعور اللعين مجهول المصدر.

زفر بضيقٍ وهو يعتدل جالسًا يراقب ضوء الشروق المنبعث من الشرفة بخجلٍ.. من الأفضل الذهاب للمشفى يؤدي عمله بدلاً من الجلوس هكذا كالمطلقات وقبل أن يستكمل أفكاره كانت تقف قبالته متكتفة الذراعين مشعثة الشعر، عيناها الزرقاء ثائرة.. وعلى ما يبدو لم يحن الوقت بعد لتتخلص من ثوبِ زفافها الأسطوري..

ألجم أفكاره الساخرة، وتحرك متجاهلًا إياها ينوي الإبتعاد عنها وعن البيت بأكمله.. لكن سرعان ما أوقفته نبرتها الحادة:

- طلقني!

تسمر مكانه قليلاً لم يتحرك فقط عيناه محدقة. أكلمت هي متخصرةً تتحدث بصوتٍ حانقٍ وغاضبٍ:

- طلقني كفاية كده.. المطلوب كله حصل وبابى صدق المسرحية حتى من غير أي إثباتات. كلفنا نفسنا فستان وبدلة وقسيمة كنت فاكرة هي الحل طلع الموضوع أسهل بكتير وكان هيمشي تمام قوي من غير جواز كان ممكن نعمل الشويتين دول وبعدين كل واحد يروح لحاله.

عاد بخطواته للخلف حتى جاورها عكسيًا. جذب ذراعها دون أن ينظر إليها ثم سحبها بقوةٍ وهي تتعثر خلفه وتطالب بالطلاق!

دفعها للداخل الغرفة واستدار يواجهها ينظر لها بعمقٍ ويربت فوق وجنتها المصفوعة مسبقاً بسبابة والوسطى وإجابة طلبها:

- روحي نامي وماتنسيش تتغطي كويس.

وآخر كلماته ختمها بصفعة ثالثة للباب المسكين.

انتفضت تالا من شرودها على طرقاتٍ عاليةٍ تكاد تخترق الباب، تحركت بتثاقلٍ تفتح الباب برفقٍ ليقابلها نفس الوجه الأنثوي للمرة الثالثة على التوالي كل يومٍ في نفس التوقيت تحضر تلك الفتاة ذات الملامح الهادئة تحمل بين يديها طبقًا كبيرًا فيه عدة أنواعٍ من الطعام المختلف..

قابلتها ككل يومٍ راسمةً إبتسامة صفراااء، تتناول ما بين يديها بعدها تصفع الباب بكل صلفٍ،

دون حتى التفوه بكلمةٍ واحدةٍ أو السماح للطرف الآخر بالحديث..

وضعت الطعام فوق المنضدة بقوةٍ وغضبٍ فانسكب بعضه.. تخصرت واقفةً في منتصف الردهة تدرو برأسها وتهمس لنفسها..

"تخلصت من قيد عاصم رسلان لتصبحي مقيدة بآخر صدئ يحمل اسم ذاك الغبي الذي يظن نفسه بطلًا قادمًا من الستينات يأمر وينهى.. لا خروج من المنزل لا عمل حتى يحدد هو ذلك.. وها أنتِ وحيدة داخل بيت لم تعرفيه من قبل تسكنه عجوز شمطاء تنظر لك كما ينظر ابنها فيدب الرعب داخلك من كليهما"

رمت بجسدها على الأريكه بتهالكٍ تنظر نحوها بمللٍ.. رفعت كفها تنظر لأظافرها متحسرةً تبدو كأظافر المشردين! تحرك كفها نحو شعرها المشعث تتلمسه بضيقٍ وهي تشهق بخفوتٍ على حالته..

رباه.. تحتاج لأسبوعٍ كاملٍ داخل صالونات التجميل حتى ترمم نتاج الأيام السابقة.. وقع بصرها على قميصه المرتاح فوق الأريكة وبدا كأنه يتبسم لها بسماجةٍ كصاحبه. جذبته بعنفٍ وأخذت تخرج به طاقتها المكبوتة وهي تحاول تمزيقه لكن لا فائدة كفها الرقيق لم يساندها، نهضت بكل عزمٍ تبحث عن المسمى"مطبخ " وأول سكين قابلها كان يشق القماش بعرضه وطوله

حتى بات القميص خرقةً عديمة المنفعة! عادت به تلقيه كما كان وتتبسم له بدورها.. تنهدت ببطءٍ وأخذت تجمع خصلات شعرها الذهبية حتى كونت عقدة فوق رأسها وهمت بالبحث عن شيءٍ آخرٍ تخرج به باقي غضبها المكبوت لكن تحرك المزلاج ينبئ عن عودة الغالي.. كتفت ساعديها تهز ساقها و تنظر لبرودة أعصابه وقبل أن يراها صرخت بقوةٍ:

- أنت مش من حقك تحبسني كده.. ده مش أسلوب!

لم تتحرك به عضلةٌ واحدةٌ، فقط استدار بهدوءٍ فقد بات معتادًا على نوبات الجنون المصاحبة

لعروسه المصون.. تحدث بصوتٍ هادئٍ مصدومًا مشيراً بكفه نحو الباب:

- أنا حابسك! مين قال كده؟ إتفضلي الباب مفتوح..

احتقن وجهها بشدة هل يهينها الآن.. يعلم أنها بلا ملجأ أو مال.. أكثر ما تتمناه الخلاص لكن أين ستذهب!

كزت على أسنانها بغيظٍ:

- اتخنقت من البيت.. عايزة أنزل.

لآحظ جبنها وتراجعها وكم أسعده ذلك.. تظاهر بالإنشغال في هاتفه وتحدث بجدية:

- إسلام عازم نفسه وصاحبتك كمان كام يوم..

وأردف ساخرًا:

- يعني يدوب تفكري وتنفذي المطلوب.

شهقت بخفوتٍ وهتفت بصدمةٍ:

- أنا!

ثم تابعت بتعجبٍ:

- وبعدين ما تقول للبنت الشغالة أنا مالي..

صحيح هوليه الشغالين عندكم في بيت وأنتم في بيت.. ليه مش سوا!

اقترب منها حتى بات لايفصل بينهما سوى خطوة واحدة،ضيق حدقتيه وسألها بتوجسٍ:

- تقصدي مين بالشغالين؟

أجابت بنفاذ صبرٍ ملوحةً بكفها:

- البنت اللي كل يوم تجيب الأكل ده وتمشي على طول، وغالبًا بتروح الشقة اللي قصادنا بسمع صوت الباب.

نظر نحوالطعام المسكوب بكل عنجهية فوق المائدة متخللًا شعره بأصابعه.. يهمس لنفسه من الواحد للعشرة حتى يتفادى تلك الكارثة، لكنه عاد وتمعن في ملابسها فعبس.. كانت ترتدي قميصًا قطنيًا كحلي اللون بالكاد يصل لمنتصف فخذيها يلتصق بجسدها، ذا حمالتين لا داعٍ لوجودهما من الأساس بل ما الداعي من القميص بأكمله!

لفحتها أنفاسه الهادرة وهتف من بين أسنانه:

- أنتِ فتحت الباب كده!

حركت رأسها ببراءةٍ فعاد وهتف بحدةٍ محاولاً التمسك بآخر ذرات الصبر:

- أولاً مافيش شغالين هنا، البنت دي تبقى أماني بنت الست معالي جارتنا وكل أفعالهم دي محبة في أمي وفاهمين أنك عروسة وكده فكتر خيرهم بيفكروا فيكِ..

قبض على ذراعها وتابع هسيسه:

- ثانياً آخر مرة تلبسي الهدوم دي أو تقابلي أي حد بالمنظر ده.. مفهووم؟

وأكمل محذرًا:

- كلامي مش بكرره.. وآه مسموح لك تطلبي مساعدة أماني في تحضير العزومة بدل ما تفضحينا.

ظلت تنظر له بعيونٍ شرسةٍ وما إن انتهى حتى خلصت ذراعها بقوةٍ من بين أصابعه، واستدارت تهرب لغرفتها قبل أن تخونها عبراتها المكبوتة، وتنفجر أمامه وكأن هذا ما ينقصها!.. صفعت الباب قبل أن ترى إبتسامته التي خطت طريقها فوق ثغره قسرًا محققًا نظرية المثل الشهير

"هم يضحك وهم يبكي "

* * * * *

بعد أيام..

مضى نهارٌ طويلٌ وأتى ليلٌ آخرٌ يترنح على مهل.. اقتربت بحذر من طفلتها تحملها برفقٍ بين ذراعيها.. داعبت وجنتها الناعمة الوردية بأناملها فسقطت دمعةً ثقيلةً وتبعتها أخرى وأخرى حتى زادت شهقاتها الخافتة وتحولت لنحيبٍ خافتٍ وهي تضم الصغيرة لقلبها.. لا تعلم كم من التبلد تملك منها وكم من البرودة اكتست بها روحها لم يكسرهم سوى لحظة إدراكها لفقدانها إحدى طفلتيها!

لم ترها ولم تقبلها ولو لمرةٍ واحدةٍ.. أخبروها ببساطةٍ أن صغيرتها الأخرى رحلت لأنها خلقت بقلبٍ ضعيفٍ، لم يتحمل الحياة سوى لأيامٍ، لكم بكت كما لم تبكِ من قبل.. فقد رحلت

سريعاً قبل أن تأسف لها لعدم ضمها لقلبها تأسف لقسوتها المكتسبة من روحها المعطوبة مرارًا..

أيٌّ طفلٍ يتمناكِ أمًا له روان!

خاطبت بها روحها الكسيرة.. فتبسمت الصغيرة برفقٍ ليخفق قلبها.. طفلتها تتبسم وإن لم يكن لها، كم مضى من الوقت لم تشعر بقلبها ينبض للحياة وكأن تلك المنمنمة كالبلسمِ الرطبِ رغم الألم الذي يحتلها تشعر بها نسمةً دافئةً تدغدغ روحها المتألمة.. قربتها لصدرها أكثر ترضعها، تبني جسور مع تلك الصغيرة علها تستمد منها الدفء فتطيب بها كدمات الروح والجسد.

* * * * *

خلق الغياب لإدراك الإشتياق..

وهي تعلنها صريحةً لنفسها أنها تشتاقه حد الظمأ.. خمسة أيامٍ من الغياب لم تره يراقبها من البعيد ولم تفاجئ بتصادمٍ مقصودٍ.. لم تلمح عيناه تختلس النظر إليها خفيةً ولم يتطفل عليها أثناء خلوتها مع ملائكتها وكأن المشفى بأكمله أصبح راكدًا وبلا حياةٍ، أم لعلها روحها هي من باتت راكدةً بعد الصخب الذي تناله في حضرته.

بحثت عنه بعينيها وحين لم يظهر لها كعادته أصابها القلق وعلى مايبدو لاحظ صديقه ذلك فقرر أن يريحها بإجابته دون سؤالها:

"إسلام في مؤتمر.. كام يوم وراجع بإذن الله"

تنهدت خفيةً وهي تتبسم له في حرجٍ.. لم تكن تعلم أن اليوم دونه طويلًا مملًا للغاية.. عنفت نفسها في اليوم الأول والثاني بأن نتيجة شعورها أنها اعتادت وجوده لكن مع حلول اليوم الثالث أيقنت أنها تشتاق وجوده، تفتقده هو لا غيره وكلما زاد غيابه زاد إفتقادها.

ألقت نظرةً أخيرةً على صورتها المعكوسة داخل مرآتها تتأكد من تمام أناقتها.. فقد طويت أيام الغياب وحان موعد اللقاء بعد سويعاتٍ قليلةٍ في بيت العروسين.. بدلت ملابسها عدة مراتٍ حتى استقرت أخيراً على فستان فيروزي هادئ حد الركبتين وأسدلت شعرها كما تفضله دائماً.. تبسمت لصورتها إبتسامة حقيقية رسمتها

بروحها.. فمنذ أيامٍ ظنت أنها بعد رؤية ماضيها ستضيع وسط ذكرياتها من جديد.. لا تصدق أنها رأته أمامها بعد كل تلك الشهور الطويلة وبين ذراعيه أخرى!

لم يكن الحزن من استحوذ عليها بل كان الغضب سيد الموقف.. أرادت الصراخ به.. تخبره بكل قسوةٍ أنه لم يعد يمت قلبها بأي صلة.. أنه تم نسيانه بنجاحٍ كما نساها هو.. يومها ودون تفكيرٍ اتجهت نحو حاسوبها تمحي بأناملها آخر روابط عشقٍ ظنته يومًا يستحق.. محت ذاك المقطع الذي كان يومًا إعترافًا بحبها خرج متنغمًا من بين شفتيه أمام الجميع..

والعجيب رغم كل تلك المتاهة التي كانت تحيا فيها بسبب لقاءٍ جاء من الماضي على حين غرة، كان هناك شعاع عسلي يخترق عينيها وعقلها بقوةٍ.. فتتناسى الماضى بكل ما فيه ويبقى العسل فقط بحلاوته ينصهر بروحها المشتاقة.

* * * * *

جالسةٌ فوق منضدة المطبخ تؤرجح ساقيها بهدوءٍ وبين أصابعها حبة من الجزر تتناولها بهدوءٍ.. تطالع تلك المدعوة "أماني" تتحرك وسط المطبخ كالفراشةِ تعد هذا وذاك.. لا تصدق أنها ذهبت إلى الغرباء تطلب المساعدة في طهي بعض الطعام! لكن لابأس هي الآن تقوم بدور المتفرج بينما أماني قاربت على الإنتهاء..

ارتكزت أماني بجذعها فوق منضدة المطبخ تجاورها، ثم سرعان ما هتفت بسعادةٍ وارتياحٍ:

- الحمد لله خلصنا.. كده كل حاجة تمام.

توسعت إبتسامة تالا وهي تردف براحةٍ:

- لو فضلت أشكرك لسنة قدام مش كفاية.. أنتِ خرجتيني من ورطة حقيقة.

هتفت أماني وقد زادت إبتسامتها هي الأخرى:

- ماتقوليش كده إحنا جيران وخالتي راوية ودكتور بدر أكتر من أهل.. وأنتِ كمان بقيتي في غلاوتهم وأكتر أنا حبيتك قوي.

غمغمت تالا بإمتنانٍ وهي مازالت تؤرجح ساقيها:

- ميرسي قوي يا أماني وأنتِ كمان كيوتة ولذيذة جداً.. تعرفي أنتِ الوحيدة إللي إرتحت لها في المكان العجيب ده.

-تعرفي كل الستات في الحتة هيموتوا ويتعرفوا عليكِ، ملهمش سيرة غير عينيك الزرقاء وشعرك الذهبي، ولا جمال عودك وبشرتك البمبي.. نفسهم يعرفوا سر جمالك علشان يقلدوكِ يمكن يعجبوا.

ختمت أماني حديثها بضحكاتٍ متتاليةٍ فشاركتها تالا ضحكاتها متسآئلة:

-وأنتِ يا أماني متجوزة؟

احمر وجه الفتاة وأجابت بخجل:

-لا لسه.. بس فرحي كمان شهر.

نهضت تالا من جلستها لتهتف بحماسٍ:

-يبقى أنا عليا أعملك ماسكات لبشرتك وشعرك وشوية حاجات كده قبل الفرح علشان تعجبي عريسك.. وبكده أكون رديت لك جزء من تعبك معايا.

تبسمت عروس المستقبل في خجلٍ مما أثار ضحكات تالا القوية، وهي تتعجب داخلها عن خجل وإحمرار تلك الفتاة الزائد.. كل هذا لأنها عروس!

....

بعد سويعاتٍ..

غادر المدعوين بسلامٍ.. وضعت آخر الكئوس الفارغة فوق منضدة المطبخ.. استدارت تغادره وهي تناشد الراحة عقب يوم طويل متعب، لكن كان هو هناك كالسد المنيع في إطار الباب..

حاولت تجاوزه لكن لا فائدة امتد ذراعه يمنعها عن متابعة طريقها.. رمقته بإستفهام فاقترب يرنو من وجهها ينظر لعينيها، يمط شفتيه ويهتف بهمس ممتعضٍ:

- مش عيب تسرقي مجهود أماني وتكذبي على الضيوف؟

كتفت ذراعيها وهتفت بحنقٍ متلعثمٍ:

- أنا ماكذبتش.. أنا فعلًا ساعدتها.

رفع أحد حاجبيه ورمقها بنظرةٍ مستنكرةٍ لتدمدم بغضبٍ:

- ممكن تعديني بقى.. مش خلاص خلصنا ولا لسه في أوامر تانية.

رمقها بتعجب وأشار بعينيه من خلف كتفها هاتفًا بإستفهام:

- والكارثة دي مين هينضفها، ولا نجيب أماني بردو؟!

نظرت خلفها ففغرت فاهًا بأسى من منظر المطبخ الكارثي.. عادت له ترجوه عله يتركها لحال سبيلها، لكن قابلتها الصرامة، وتحدٍ بالرفض وبكلمةٍ واحدةٍ كانت أمام الحوض تبدأ أولى مهام

التنظيف بينما جلس هو على أحد الكراسي يراقبها بكل صلفٍ ويملي عليها الخطوات المطلوبة.. يرشدها لطريقة تنظيف الأواني بهدوءٍ واضعًا ساقًا فوق الأخرى، وبين كفيه أحد كتب التاريخ.. يتابعها بعينيه ويخفي إبتسامة انتصارٍ خلف كتابه.. بعد مدةٍ وجيزةٍ عقد حاجبيه ساخطًا:

- ياريت تهدي شوية على الحال ده مش هنلاقي طبق سليم.

تبسمت له في سماجةٍ وتابعت عملية تعذيب الأواني بضميرٍ مرتاحٍ وبعد هنيهة همست بتوجسٍ:

- هي مامتك مجنونة؟!

* * * * *

لم أعد أدري إلى أين أذهب

كل يوم أحس أنك أقـرب

كل يوم يصير وجهك جزءاً من حياتي

ويصبح العمر أخصب

وتصير الأشكال أجمل شكلاً

وتصير الأشياء أحلى و أطيب

قد تسربت في مسـامات جلدي

مثلما قطرة الندى تتسرب

اعتيادي على غيابك صعب

واعتيادي على وجودك أصعب

"نزار قباني"

***

استكانت جواره داخل العربة عائداً بها إلى بيتها للمرة الثالثة.. تحاول جمع شتاتها المبعثر منذ أن تلاقيا.. تحاول تهدئة نبضاتها التي تدوي كالطبول بين أضلعها ولا جدوى.. تبتعد بعينيها عن مرمى عينيه المتربصة فتشعر نظراته تحاوطها من كل اتجاهٍ..

سحبت نفسًا طويلًا وسألت بشجاعةٍ ماكان يقتل فضولها:

- فاكر لم قولت لي في إعتذار ثالت وهو الأهم بالنسبالك وقتها مكملناش كلامنا.. ممكن أعرف كنت تقصد إيه؟

رفعت رأسها تنتظر إجابته فأربكتها إبتسامته..

ظل ينظر لها قليلًا يتشرب ملامحها يحفظ تفاصيلها.. عينيها اللآمعة.. خجلها الوردي.. ضحكتها الهادئة وغمازتيها الساحرتين.. شعرها وعبقها.. كل ما فيه يصرخ مناديًا بإشتياقٍ.

لم تغب عنه للحظة خلال فترة غيابه كانت دائمًا حاضرةً في صحوه وفي نومه حاضرةً.. لفظ اسمها من بين شفتيه كان ينعش قلبه.. حين أخبره بدر أنها مسحت المشفى بعينيها بحثاً عنه، تدور قلقًا وتخجل من السؤال الصريح تمنى

وقتها لو يقطع كل تلك المسافات ويحضر أمام عينيها ليرى الشوق بهما ويستشعره كما يستشعره الآن.. فخجلها وتلعثمها ويدها المنتفضة على أثر السلام بينهما تخبره أنها كانت في إنتظاره كما كان.

أطرقت برأسها خجلًا حين طال صمته في حين قرر أخيراً أن يريحها فأجاب بصوته الرخيم ناظرًا أمامه نحو الطريق:

- فاكرة يوم المطر؟ وقتها عينيك قالت أنك مش فاكراني رغم أننا كنا اتقابلنا مرتين قبل كده.. وده زعلني قوي وقتها.

عقدت حاجبيها وتلك الذكرى تلوح في الأفق بينما تخجل من رفع عينيها فتقابلها نظراته

العاتبة.. هي حقًا يومها لم تتعرف عليه وحالتها المأساوية ساعدت على ذلك آنذاك.. لكنها الآن حفظت ملامحه عن ظهر قلبٍ رغمًا عنها.. ألا يكون ذلك شفيعًا؟

وحين طال شرودها رنا منها قليلًا ليهمس:

- وصلنا..

رفعت رأسها تطالع البناية من خلف النافذة، حتى المسافات باتت أقصر في حضرته.. دارت برأسها ببطءٍ ليجفلها قربه.. تمالكت نفسها سريعاً وهمست بدورها تقدم له إعتذاره الأخير:

- أنا آسفة..

تذبذبت عيناها بإعتذارٍ قبل أن تنطق به وما إن خرج من بين تلك الشفتين الورديتن وبكل تلك الرقة التي جلبت له شوقًا آخرً فوق جبال أشواقه، فما كان منه غير أنه أطبق على شفتيها بقبلةٍ مباغتةٍ يبتلع بها أسفها، و يبثها ما يعتمل داخله في تلك اللحظة.. يخبرها بها كيف كان حاله في أيام غيابه.. وصدق همسته أكدت ذلك:

- وحشتيني.

ابتعد قليلًا حتى تلتقط أنفاسها اللآهثة بينما عيناها تحدق فيه كأنما تسأله

"ماذا فعلت للتو!"

بادلها النظرات وأجابت عيناه

"أطفأت نار أشواقي"

استدارت برأسها بغتةً فلفحته خصلاتها، تبحث عن مقبض الباب تنوي هربًا سريعاً وما إن فتحت الباب حتى جذبها من ذراعها بقوةٍ، فكادت ترتطم بصدره العريض.. وصله لهاثها القوي وحشرجة أنفاسها.. لكنه ملَّ الإنتظار وأضحى الصبر ليس من سماته؛ فهمس أمام شفتيها.. وعيناه لا تبارح عينيها:

- بحبك وعايز أتجوزك.

وأردف متوجسًا:

- موافقة..؟

يترقب..



ينتظر..

وأصبحت الآن أنفاسه هو اللاّهثة بدرجةٍ خطيرةٍ،

وبعد صمتٍ دام لدقائقٍ قليلةٍ سحبت ذراعها

ببطءٍ وترجلت من السيارة بملامحها المبهمة..

تخطو أمامه مبتعدةً وخيبات الأمل تطرق بابه

من جديد.. أطبق جفنيه زافرًا بضيقٍ يلعن غبائه

وتسرعه.. ألم يستطع الصبر قليلًا؟!

ليصله نبرتها تحمل اسمه مجرداً:

- إسلام.

انتفض في جلسته يتأكد من ما سمع.. فوجدها

مازالت تقف أمام البناية تنظر له متبسمةً خجلًا

وتهز رأسها بالإيجاب!

وبعدها استدارت وقد تركت لساقيها العنان لتهرب بعيداً قبل أن يدرك موافقتها على طلبه فيحتجزها بين ضلوعه ويمطرها عشقًا لا شوقًا..

توسعت إبتسامته وهو يصدق أخيه القول تلك المرة.. فأميرته رضخت لعشقه بعد القبلة.

(١٥)

خطبةٌ

تبقى الأمومةُ مِنْ أقوى غرائزِ المرأةِ، وهى حين تتفتحُ تُزين الدنيا بأرق وأرقى عواطفِ البشر وأبقاها.. إنَّ هذه الصحبةَ الطويلةَ –المؤلمةَ المحببةَ– للجنينِ بالجسمِ والنفسِ والأعصابِ والمشاعرِ هي التي تُولد الأمومةَ وتُفجر نبعها السخي الفياض بالحنو والعطف والحب.. هذا هو جوهر الأمومة.. بذلٌ وعطاءٌ وصبرٌ واحتمالٌ ومكابدةٌ ومعاناةٌ.

تغيرت حياتها الباردة وتبدد الصقيع رغمًا عنها وكيف لا وقد أشرقت شمسٌ دافئةٌ بددت عتمةَ

روحِها القاتمةِ، روحٌ صغيرةٌ لا حولَ لها ولا قوة، طولها لا يتعدى بضع إنشات وعمرها أيام معدودة، تتبسم لها من وقتٍ لآخرٍ فتنفرجُ شفتاها ببسمةٍ مماثلةٍ لتلك الصغيرةِ، حينما تضمها لأحضانها تشعر بدفءٍ يكسوها وحنانٍ يغمرها تستمده هي مِنْ صغيرتها، أصبحت مولودتها محورها الذي تدور حوله وفقط..

جلست بأريحية أكثر على مقعدها الهزاز الوثير فقد أصبحت جلستها المفضلة هنا داخل حجرة الصغيرة بالقرب مِنْ النافذة حيث يمكنها رؤية القمرِ والنجومِ المبعثرةِ وتصلها رائحة البحرِ المعبقةِ باليودِ، جالسة تهز جسدها برفقٍ فيتحرك الكرسي برتابةٍ وبين ذراعيها تحمل "تاليا

" الصغيرة نورها وجنتها الدنيوية.

قربتها لقلبها.. فهكذا تُفضل حملها.. قريبةً مِنْ قلبها تستنشقُ عبقها وتُلاعب وجنتها الناعمةِ وكفيها الرقيقين بشفتيها، نظرت نحوها والحزن كسى عينيها رغمًا عنها؛ فلوحُ الجليدِ لم يتأثرْ وأبوته لم تهزمْ صقيعه وبرودته كما فعلت معها، يتعامل مع صغيرته وكأن معه عشرات الإناث غيرها ولا يكف عن الثرثرة بتمنيه لمولودٍ ذكرٍ يحملُ اسمَه واسمَ العائلةِ.. كلُ يومٍ يأتي متأخرًا وما إنْ تبدأُ الصغيرة وصلةَ البكاءِ الليليةِ الطويلةِ حتى يطردها هي ووالدتها من غرفته مناديًا براحةٍ بعد تعب وشقاء النهارِ.. وحتى لم يذكرْ زهرته الأخرى الراحلة عن دنياه بكلمةٍ تعبر

عن كونه ينتمي للبشرِ، بل سمعته يخبر والدته
بكل بروده أنها كانت تعاني من مشكلةٍ ما في قلبها
ومِنْ لطفِ الله ورحمته به أنْ ردها إليه سريعًا
قبل أنْ تُضنيه بمرضها.. ألا يكفي كونها أنثى
حتى تكون عليلة أيضًا!!

ضحكت روان بمرارة وهي تُدرك بداخلها أنَّ مِنْ
حظها هي ورحمة الله بها أنها حُرمت مِنْ أبٍ
مثلك لا مكان للإنسانية بقلبه، وأما صغيرتها
الأخرى غنيمتها هي ستحميها وتُبدد كل قسوةٍ قد
تُلم بها أو ترثها مِنْ لوحِ الجليدِ ذاك.

وفي النهاية اتخذت روان مِنْ غرفةِ الصغيرةِ
ملجأهم الليلي حيث هي والصغيرة ومقعدها
الهزاز وضوءِ القمرِ يشاركهما أمسياتهما

الطويلة.. رغمًا عنها تذكرت كلماته القاسية وتعديه عليها بالضربِ أهانها بقسوةٍ ولم تطرقْ حتى برأسه فكرة الإعتذار بل أكملَ تجبره بمنعها من زيارة جارتها.. المرأة الحنون.

وهي كعادتها مستسلمة.. لا جدالَ.. لا اعتراضَ.. لا حديثَ.. إيماءة صامتة وكفى! لينتفخَ بعدها بغرورٍ ذكوريٍ.. منتشيًا بلذةِ السيطرةِ على أنثى وحتى إنْ كانت تلك الأنثى زوجته وأم طفلته وابنة عمه قبل كل ذلك.

زفرت روان بألمٍ وهي تنظر لطفلتها النائمة على صدرها، ثم رفعت رأسها نحو النافذة تنظر للقمرِ المضيء بعينيها اللامعة بالعبرات الحبيسة.. ليت تلك العبرات تُخلصها مِنْ كل ما يعتمل بداخلها.

تحتاج لترجمةِ كل ما تشعر به لكنها ببساطةٍ تعجزُ عن فعلِ ذلك؛ فلو تحدثت لأيامٍ لنْ يخرجَ كلُ ما بداخلها ربما لأن ما يعتملها تعدى منطقةَ الكلامِ والبوحِ.. قطع شرودَها رنينُ هاتفها، عقدت حاجبيها بتعجبٍ وعدم فهمٍ، من تلك الرسالةِ النصيةِ صاحبة الرقمِ الغريبِ والتي حمل مضمونها كلمة واحدة لا غير..

(اكتبِي)!

*****

- بدر، هي مامتك مجنونة!!

لثوانٍ شُلت حركته ثم أنزل كتابه ببطءٍ وهو يرمقها بغضبٍ وليدِ اللحظة، يفكر لها في عقابٍ

مناسبٍ لما نطقت به للتو، استدارات تالا سريعًا تواجهه، تُوضحُ سؤالَها الغبي؛ لعلها تُهدئُ مِنْ غضبِه قبل فورةِ الاشتعالِ:

- أنا ما أقصدش والله.. أصل النهاردة الصبح قلت أطمن عليها بما إنها مش بتخرج من أوضتها خالص، بس أول ما شافتني فضلت تزعق فيا وتقولي منك لله يا عبير! قولتلها أنا مش عبير يا طنط وحاولت أفهم هي تقصد مين معرفتش فضلت برضو تزعق جامد قوي ..

قَستْ ملامحه و تبادلوا النظرات الصامتة، قطعها صوتُ رنينِ هاتفِ تالا، اقتربت تنظر للمتصل، عبست قليلًا وهو تنظر للهاتف بوجومٍ، أجفلت على صوت بدر القوي:

- مش هتردي؟

قابلت نظراتَه الصارمةِ بنظراتٍ حانقةٍ ثم رفعته على أذنها تتحدث بصوتٍ أقرب للهمس لكنه كافٍ ليستمعَ له بدر بوضوحٍ:

- هاااى يا مامي.. الحمد لله.. هو قالك.. الله يبارك فيكي.. ميرسي.. ولا يهمك عادي بقى يا مامي متشغليش بالك أنا كويسة.. أوك براحتك... بااااي.

قذفت الهاتفَ فوق المنضدةِ بغضبٍ، وهتفت تُواجه بدر بحنقٍ:

- بتبارك لي على الجواز.. كتر خيرها.. وبلغتني إنها مش هتقدر تنزل أجازة الصيف ده كمان أصل ظروف جوزها مسمحتش..

صمتَ بدر يُتابعُ علاماتَ الغضبِ والضيقِ التي كست وجهها، أدركت تالا تَسرُعها وغضبها واستدارات تُكمل عملها دون التفوه بمزيدٍ مِنْ الحديثِ.. قطعَ الصمتَ هذه المرة صوتُ تحطيمِ زجاجٍ و صرخةٌ صغيرةٌ خرجت بتأوهٍ مِنْ بين شفتيها الورديتين، نهضَ بدر مِنْ فورَه، ينظرُ لإصبعها المجروحِ عاقدًا حاجبيه، بينما هي تُغمضُ عينيها بقوةٍ، ابتعد لثوانٍ وعادَ سريعًا؛ جاذبًا كفها برفقٍ، واضعًا إصبعها المجروحِ بين مكعباتِ الثلجِ، ظلت تتألمُ قليلًا حتى خدر الألمَ

تمامًا وبدأت تفتحُ عينيها ببطءٍ.. قابلتها عينيه الرمادية تنظر لعمقِ عينيها بقوةٍ.. هتف بدر بصوته الرخيمِ وهو مازال ممسكًا بكفها يغمره بالثلج:

- عبير تبقى مرات أخويا الوحيد "عماد".. أمي وعبير عمرهم ما اتفقوا، كانت دايمًا بتقسي عماد على أمي وهو للأسف كان بيسمعلها وآخر اقتراحات عبير كان السفر برا مصر، يعني فرص عمل أحسن وفلوس أكتر وهو كالعادة سمع لها وسافروا وطبعًا أمي مبقتش تشوف ابنها غير بالسنين وتسمع صوته كل شهور.

صَمَتَ لثوانٍ ثم تَابَعَ بضيقٍ عاقدًا حاجبيه:

- أمي مريضة يا تالا.. تنسى أكتر ما تفتكر، بقت تغلط وتنسى أقرب الناس ليها، أحيانًا تفتكرني عماد وتفضل تكلمني لساعات كأني هو وأحيانًا تانية ترجع بالزمن لسنين فاتت.

ظَلَّ يُتابع نظراتها و صمتها المطبقِ قليلًا ثم جذبها خلفه لخارجِ المطبخِ، جلست على الأريكةِ بأمرٍ منه، وبعد عدةِ دقائق كان يجثو أمامها يُنهي تعقيمَ جرحِها وتضميده.. وهي شاردةٌ تائهةٌ وكأنها في عالمٍ آخرٍ، تَنبهت أخيرًا أنه انتهى، جذبت كفها مِنْ بين كفيه برفقٍ ونهضت بصمتٍ، دلفت لغرفتها وأغلقت بابها برفقٍ، تَابع رحيلها الصامتِ حتى اختفتْ مِنْ أمامه، لمْ يستطع منعَ نفسه مِنْ الإقترابِ وما إنْ أرهفَ سمعه حتى أغمض

عينيه متنهدًا بضيقٍ بعد ما وصله صوتُ شهقاتها ونشجيها الخافتِ كما توقع تمامًا.

*****

حربٌ شنعاءُ قائمةٌ داخل بهوِ منزلِ الشافعي!

شاهي تَصرخُ بصوتها الذي رجَّ جدرانَ المنزل:

- على جثتي يا إسلام.. مش هتتجوزها.. إنتَ اللي قلت مش عاوزها.. رجعت لجنانك تاني ليه؟

وإسلام يدورُ خلفها مِنْ مكانٍ لآخرٍ هاتفًا باستعطافٍ وإقناعٍ:

- يا ماما افهميني عشان خاطري بقى.. ماهو أنا مش هتجوز غيرها..

وأبوه جالسٌ في ركنِه المفضلِ ممسكًا بجريدته و يغمغم بهدوءٍ:

- قولنالك مش هنروح نخطب لا تاني ولا تالت هو لعب عيال يا ولد !

ويصرخُ إسلام بنفاذِ صبرٍ مِنْ بين أسنانه:

- استهدى بالله بس إنتَ يا حاج دورك لسه جاي.

وساندي فوق الأريكةِ الكبيرةِ تحملُ حاسوبها فوق ساقيها وتُدافع بنزاهةٍ:

- يووو ماتوافقوا وتخلصونا بقى، في فستان عاجبني هموت وألبسه خليه يتجوز عشان ألبس الفستان!

صرختْ شاهي مرةً أخرى بتصميمٍ:

- نفس البنت مستحيييييييييل.

وتَابع عزيز بهدوءٍ مغيظٍ:

- فعلًا نفس البنت مينفعش، شوف واحده غيرها يا إسلام.

وَقَفَ إسلام في وسطِ البهوِ مقلبًا نظره بين الجميعِ بيأسٍ وإحباطٍ، قائلًا بضيقٍ:

- أشوف غيرها إيه بس يا بابا هي صينية كنافة!

رَمَشَتْ ياسمينا المجاورة لساندي بعينيها الكبيرتين مِنْ خلف زجاج عويناتها وهتفت بإستفهامٍ:

- قولي يا إثلام هي العروثه حلوة.. تثتاهل يعني كل الدوشة اللي عاملها من إمبارح دي؟!



ابتسم ببطءٍ حتى ازدادت إبتسامته اتساعًا مغمغمًا بحنوٍ:

- حلوة إيه بس يا ياسمينا.. قولي تجنن.. قولي تهووووس.

حرَّكتْ ياسمينا رأسها بتعجبٍ بينما زعقتْ شاهي بجنونٍ:

- ابنك اتجنن يا عزيز؛ شايف بيتكلم إزاااي ؟!

دافعتْ ساندي للمرة الثانية وبنزاهةٍ أيضًا:

- فعلًا يا ماما اتجنن خالص ده حتى مش مراعي مشاعيري أنا وياثمينا.

رَمَقَها إسلام بحنقٍ ثم أَخَذَ نفسًا قويًا.. هادرًا بحزمٍ:

- شوفو بقى مفيش قدامكم غير يا توافقوا.. يا إما توافقوا.. يا توافقوووووو!

نظرَ له والده بصرامةٍ عاقدًا حاجبيه بمعنى "يا عيني على الرجال"

فَهَمَ إسلام نظراته ووصله معناها، لكنه ببساطةٍ تجاهلها والتفت نحو والدته يستعطفها لعلَّ قلبها يرقُ وترضخُ لطلبِهِ الغيرِ قابلٍ للرفضِ مهما طالت مدةُ الإقناعِ.. لكن والدته تُنظفُ، وتُقلمُ، وتُنعمُ أظافرها تاركةً إياه مشتعلَ الدماءِ!

وقبل أنْ يصرخَ فيهم مجددًا، علا رنينُ هاتفِه الكامنِ بين كفه اليسرى، رفعه لأذنه هاتفًا بغضبٍ وحنقٍ:

- في إيه يا زفت إنتَ كمان.

ردَّ الطرفُ الآخرُ بهدوءٍ مستفزٍ:

- اهدى يا عم إنتَ المفروض عريس وداخل على دنيا جديدة والعصبية مش كويسة.. هااا لسة موافقوش؟!

تَحدثَ إسلام مِنْ بين أسنانه يَكتمُ غيظًا كادَ أنْ يفتكَ به:

- يابني إنتَ مش لسه مكلمني من ساعة وقلت لك لسة هو أنا لحقت؟! باسل متكلمنيش تاني أنا مش فايق لك.

أتاه رد باسل حزينًا:

- مش عارف بابا وماما بقم قاسيين كده ليه مش شايفينك وإنتَ متشحتف كده ياحبة عيني

والحب مبهدلك.. إحساسي بيقول لي مش هيوافقوا أبدًا!!

صَرَخَ إسلام تلك المرة بصوتٍ جهوريٍ رَجَّ المكانَ حوله وكادَ أنْ يصمَّ محدثه بالهاتف:

- وإنتَ من أمتى يعني بتحس عشان جاي تحس دلوقتي !! هتجوزها يعني هتجوزها إن شاء الله أولع في البيت وبعدين أخطفها وأتجوزها.

تَحدث باسل بامتعاضٍ ومسكنةٍ:

- طب وتولع في البيت ليه بس.. وأنا أروح فين لما أنزل أجازة؟.. تشرد أخوك على آخر الزمن عشان تتجوز إنتَ.. مكنش العشم يا واد عمي !

زَفَرَ إسلام بقلةِ حيلةٍ قاطعًا المهاتفة بوجه أخيه دون وداعٍ.. متحدثًا بنبرةٍ متعبةٍ:

- إيييه العيلة المجنونة دي !! لا أنا أحسن حاجه ألم هدومي وأطلع على مراد وبلا هم ووجع قلب بقى.

واستدار صاعدًا الدرجَ يلتهم كل درجتين مرةً واحدةً، بينما انفجر الجميع ضاحكًا حتى أدمعت أعينهم على العاشقِ المسكينِ؛ فقد أوشكَ أنْ يفقدَ عقلَه منذ الأمسِ.. الكلُ اتفقَ على تعذيبه قبل الرضوخِ لطلبِه ماعدا شاهي.. كان صراخُها نابعًا مِنْ رفضها التامِ لتلك الزيجةِ.

*****



بعد عدةِ أيامٍ

خَرجَتْ ببطءٍ تُلوح بكفها وتنثر قبلات رقيقةً مِنْ البعيدِ؛ تُودع بها ملائكتها بعد ساعةٍ مِنْ البهجةِ المُؤلمةِ، قَضتها بينهم تَحقنُ هذا، وتَمسحُ عبرات ذاك، وتُهدهدُ مُدللتها مَريَم، تَسيرُ في الرواقِ الطويلِ مُطأطئةَ الرأس، شاردةً في اللآشيء..

وفجأةً.. ذراعٌ قويةٌ جذبتها مِنْ معصمها لتوقف سيرها، شهقت بخفوتٍ وهي تحاول الاتزان على قدميها حتى لا تسقط، وما إنْ كَشفتْ هويةَ الفاعلِ حتى عَقدت حاجبيها وهتفت بغضبٍ هامسٍ:

- إيه اللي بتعمله ده ؟!

والردُ واثقُ وجادُ ... بريءٌ:

- إيه.. عاوز أعاكس عروستي!

رددت خلفه ببلاهةٍ:

- عروستي!

اتسعت ابتسامته بثقةٍ أكبر وتحدث بصوته الأجش:

- مش خطوبتنا بكرا تبقي عروستي ولا مش عروستي ؟

كتفت ذراعيها وهتفت باعتراضٍ طفوليٍ محببٍ:

- أيوه بس ده برا مش هنا وسط المستشفى.

كتف ذراعيه يُقلدها وحرك رأسه نفيًا هاتفًا باعتراضٍ على اعتراضها:

- تؤ تؤ إنتِ حبيبتي هنا وبرا وفي كل حتة !

تَخَضّبَت وجنتاها خجلًا، وهتفت بتلعثمٍ خجلٍ:

- أنا هنزل بقى أشوف شغلي.

وقبل أنْ تستديرَ.. أوقفها للمرةِ الثانيةِ معترضًا طريقها، رافعًا ذقنها بأصابعه، نظر لعينيها وهتف بحنوٍ:

- مش قبل ما تقولي لي زعلانة ليه؟

كان عسلُ عينيه الدافئ كافٍ لتفضيَ له كل ما بجعبتها دون أنْ يُلح حتى، ازدردت لعابها بتحشرجٍ وغمغمت في خفوتٍ:

- مريم تعبانة قوي.. وكمان زياد ومحمد طول الوقت بيعيطو وأنا مش عارفة أساعدهم ازاي.. ساعات بحس إني بخفف عنهم وساعات تانية...

ضاعت باقي كلماتها في حشرجتها وصمتت تنظر لعينيه.. فتحدث هو بصوته الرخيم:

- إنتِ فعلًا بتساعديهم وبتخففي عنهم، واحنا مفيش في إيدينا غير ندعي لهم بالشفاء... وربنا معاهم هو أحن عليهم من أي حد.

صمت قليلًا يستشعرُ ألمها النابعِ مِنْ بين حدقتيها وحزنها الذي لَوَّنَ روحُها الصافيةِ، ثم تَابَعَ بنبرته الخشنةِ القلقةِ عليها قبل أي شيءٍ:

- لمار.. بلاش الموضوع ده لو هيأثر عليكِ ويتعبك، بلاش تروحي لهم كل يوم أو على الأقل كفاية مرة ولا مرتين في الأسبوع.

حرَّكت رأسها فورًا باعتراضٍ غيرِ قابلٍ للنقاشِ، ونبرتها حازمةٌ:

- أنا هتعب بجد لو بعدت عنهم.. أنا بحبهم ومقدرش أستغنى عنهم.

وما كان منه غير أن ابتسمَ بحنوٍ، وغَمغَمَ بخفوتٍ:

- طيب يا ستي.. يااابختهم.

تَبسمت له برقةٍ، واستدارتْ مبتعدةً عن عينيه، تتحسُ نابضها بأناملها، تشعرُ بخفقاته القويةِ..

تتحسسُ وجنتها الساخنةِ بفعلِ كلماتِه ونظراتِه الثاقبةِ..

لكم يُربكها هذا الرجل، ويُبعثرُ خلجاتَ قلبها بنظراتِه الحانيةِ، وضحكتِه العابثةِ بمكرٍ، الجذابةِ بهلاكٍ.

تنفست الصعداء وهي تدلف لحجرتها الخاصةِ، تتمنى بقلبٍ صادقٍ أن يأتيَ الغدُ بنسائمٍ عطرةٍ تُعبقُ يومَها.. لا تصدقُ أنها مِنْ الغدِ ستكون مخطوبةً رسميًا للسيدِ إسلام الشافعي !

ضَحكتْ بخفوتٍ وهي تتخيل صورًا لهما معًا يُغازلها بعينيه وما إنْ يتوفر الوقتَ المتاحَ، لا يدخرُ جهدًا للمغازلةِ حرفيًا.. وما أجمله مِنْ شعورٍ يَنمو بداخلها ويَزدهرُ يومًا بعدَ يومٍ.

وأما عن إسلام فقد بات يعدُ الدقائقَ والثوانِ حتى يجمعه مع محبوبته رباطٌ مقدسٌ، ويضمها تحت سقفِ بيته، ويمتلكها قلبًا وقالبًا، كم تمنى أنْ تكون خطبةُ الغدِ عقدَ قرآنٍ بزفافٍ سعيدٍ، وتسدل الستار على قصةِ حُبِهِ التي أرهقته للغاية حتى وصل لمبتغاه بعد مثابرةٍ ونزاهةٍ..

لكن عليه الصبر لشهرٍ كاملٍ كما أمرَ العزيزُ "حماه المستقبلي"، وكأنَّ الكل اتفق على تعذيبه بدايةً مِنْ والدتِهِ التي استغرق إقناعها، وترقيق قلبها يومين كاملين مِنْ نسجِ عباراتِ الغزلِ والتدليلِ حتى وافقت في النهاية.. والآن يعذبونه بقلبٍ باردٍ، ويماطلون في زواجه شهرًا كاملًا، يالهم مِنْ قساةِ قلبٍ!!

دَلَفَ لحجرته فاصطدم ببدر المتعجل، قطب جبينه مِنْ مظهره القلقِ وملامحه القاسية، هَتَفَ فيه قبل أنْ يبتعد مستفهمًا:

-بدر.. إنتَ يا بني.. في إيه طيب!!

واختفى بدر مِنْ أمامِه دون جوابٍ؛ فهو لا يبدو قد سمعه مِنْ الأساسِ.. حَكَّ ذقنه النابتة قليلًا كعادته ماطًا شفتيه في تفكيرٍ عن مابه ذاك المجنون!

استرخى على مقعده طاردًا بدر وغير بدر مِنْ تفكيره، متبسمًا بخفوتٍ وهو يتذكر أنَّ الغدَ خطبته رسميًا.. حسنًا فلنرى أيتها الجميلة الخجولة إلى متى ستهربين؛ فأنا رجلٌ لا يكفيني شعورك بالإعجابِ، أو الإنجذابِ، أو كل ما درج

تحت ذلك مِنْ مُسمى.. فأنتِ مدينةٌ لقلبي الغارق

في دوامة عشقك باعترافٍ مشابهٍ لاعترافِ قلبي..

تُعلنين فيه غرقك بين أمواجِ عشقي ورضوخِ

قلبك لمليكه. اعترافٌ مِنْ بين شفتيك الورديةِ

وعن طيبِ خاطرك مليكتي.

*****

تتلفتُ بعينيها يمينًا ويسارًا بذعرٍ حقيقيٍ تسأل

الغادي والرائح.. تبتهلُ بداخلها، تسألُ الله،

وترجوه أنْ تجدها قبل أن يصل.. يا إلهي ماذا إنْ

لم تجدها، ماذا ستكون نهايتها؟! سيقتلها؟ أم

ربما يُذيقها ألوانَ العذابِ أولًا ثم يقتلها؟!

انتفضت بذعرٍ حين غُرزت أصابعه القوية في

ذراعها تجذبها له بقوةٍ، وكأن أفكارها تجسدت

الآن، نظرت له بعينيها المحدقة بخوفٍ وذعرٍ لتقابلها عيناه الرمادية العاصفة والغاضبة.. الغاضبة جدًا.. قَصت له ما حدثَ مِنْ البدايةِ بتوترٍ وتلعثمٍ.. كيف دخلت حجرةَ والدته صباحًا؛ تطمئنُ عليها ككل يومٍ وجدتها ترتدي عباءتها السوداءِ الفضفاضةِ، وتلفُ وشاحًا يماثلها اللون، وتُخبرها ببساطةٍ أنها تحتاج لبعضِ الأغراضِ مِنْ السوقِ، وستنزل لشرائها، ولأنها لا تعلم إنْ كانت السيدةَ "راوية" في حالتها الطبيعية أم أنها مسافرةً إلى حقبةٍ مِنْ زمنٍ آخرٍ ؛ لذا آثرت السلامةَ، وبدلت ملابسها ونزلتا سويًا للسوقِ، ولم تمر نصف الساعة على تجولهم هنا وهناك بقيادةِ راوية بالتأكيد؛ فتالا جاهلةٌ بكلِ

طرقِ تلك المنطقةِ، لكن حدث ما لم يكن في حسبانها واختفت السيدة راوية ولا أثر لها!!

فقد أخبرتها ألا تتحرك مِنْ ذاك المقعد حتى تنتهيَ مِنْ تنقيد البائعِ في الجوارِ، وما إن انتهت، وعادت لها على الفور لم تجدها، بحثت عنها وسألت هذا وذاك وحينما أوشكت هي الأخرى على الضياع؛ فهي لم تعد تعلم بأي شارعٍ ولا أي حارةٍ تسير، فلم تجد بدًا من مهاتفته وطلب المساعدة..

أنهت حديثها وصمتت تنظر له بتوجسٍ، بينما هو مسَّد جبينه المتعرقِ في قلقٍ، بل خوفٍ على أمه المسنةِ، المريضةِ.. يا إلهي ! هل هي ضائعةٌ بالفعلِ منذ أكثرِ مِنْ ساعتين كما ذكرت تلك

الكارثة، جذبها مِنْ كفِها دون أنْ يُوجه لها أي حديثٍ، يجرها خلفه حتى كادت أنْ تسقطَ مِنْ خُطواتِهِ الواسعةِ.. يسألُ كل مَنْ يُقابله في وجهه، يدخل في زقاقٍ ويخرجُ مِنْ آخر، وكلما مرَّ الوقتُ.. كلما زادت ملامحه قسوةً وتصلبًا، وعيناه تهتز بذعرٍ وازى ذعرها وأكثر، وهي خلفه تراقبه بصمتٍ، تتبعه بتعثرٍ حتى علا رنينُ هاتفِهِ، فأخرجه بأنفاسٍ لاهثةٍ، ينظرُ لشاشته بتأملٍ ويرد بلهفةٍ، فتهدأ ملامحه، وتتظلل عيناه بطمأنينةٍ ويزفر أنفاسه ببطءٍ، منهيًا المهاتفة:

- تمام.. أنا جاي حالًا.

ويعودُ يجذبها مِنْ جديدٍ دون أنْ ينظر لها، حتى وصلا أمام بنايةِ منزلهم، وقتها فقط ترك كفها

بغضبٍ، وصعد يلتهم الدرج حتى وصل أمام الشقةِ المواجهةِ لشقتهم وطَرَقَ البابَ.. ففتحت له أماني بوجهٍ بشوشٍ تدعوه للدخول.

اقتربت تالا مِنْ البابِ المفتوحِ تُقدم قدمًا وتعود بأخرى.. حتى وقفت أمامه تنظر لبدر الذي يتوسط المنزل وأمامه سيدة تشبه أماني لحدٍ كبيرٍ تربت على كتفه، وتهتف:

- متقلقش يا بني صدقني كويسة ونايمة كمان.. ادخل اطمن عليها.

دَلَفَ للداخل، وبعد لحظاتٍ خَرَجَ بملامحٍ مُستكينةٍ أكثر.. تخلل شعره ببطءٍ، ثم سألَ السيدة قائلًا:

- جات هنا إزاي ؟!

ردت السيدة ببساطةٍ:

- قابلتها أم مصطفى جارتنا في السوق بالصدفة ولما إتكلمت معاها فهمت إنها تقريبًا تايهة ومش عارفة ترجع البيت.. بعدين جابتها على هنا، الست كتر خيرها مرضيتش تمشي إلا لما اطمنت عليها..

هَزَّ رأسه بفتورٍ، وتحدث بصوته الرخيم:

- طيب لو مفهاش إزعاج ياست معالي خليها نايمة بلاش نصحيها، وأول ماتصحى هاجي أخدها بنفسي.

ضَحكت المرأة ببشاشةٍ وغمغمت في عتابٍ:

- إزعاج!!إخص عليك.. ده لو مشلتهاش الأرض تشلها رموش عنينا، وبعدين لو مكنش الباب في الباب يعني، روح إنتَ وإرتاح دلوقتي وياسيدي أول ما تصحى هجبهالك بنفسي.

وَدعها بإبتسامةٍ فاترةٍ، وتقدم يتخطى تالا التي لم يهدأ ذُعرها للآن، بل للأمانة قد زَادَ مع نظراتِ بدر المتوعدةِ، فَتَحَ البابَ، ووَقَفَ ينظر أمامه بجمودٍ.. تقدمت تالا تخطو بتثاقلٍ حتى أغلق الباب خلفها، أغمضت عينيها، تزدرد لعابها مرةً تلو الأخرى حتى شعرت بهديرِ أنفاسِهِ الساخنةِ يلفحُ عنقها مِنْ الخلفِ، استدارت ببطءٍ تواجهه، تفتحُ عينيها ببطءٍ يوازي همسها الخافت:

- أنا.. أنا.. والله ما كنت أعرف.. هي.. قالت..

قَطعتْ حديثها بشهقةٍ مِنْ منظرِ عينيه المتوحشةِ، والتي كادت أنْ ترديها قتيلةً في لحظتها.. عادتْ للخلفِ بِذعرٍ حتى اصطدمت بالحائطِ مِنْ خلفها فرفعت كفها المرتعدِ تضعه فوق خافقِها الذي يدوي كقرعِ الطبولِ، بينما هو في خطوتين كان التهم المسافةَ بينهما، ووقف أمامها هادرًا بعنفٍ وغضبٍ، وسبابته تنقر على جانب رأسها:

- إنتِ إيـــه!! عقلك ده فيـــن ؟!!

حركت رأسَها بسرعةٍ نفيًا وإيجابًا، وعادت تُنفي مرةً أخرى، وعيناها متسعةٌ في تحديقٍ قويٍ.. وما إنْ رأت يده ترتفعُ عاليًا في قبضةٍ مكورةٍ بقوةٍ

غاضبةٍ، حتى انتفضت صارخةً تتعلقُ برقبته، تدفنُ رأسها في تجويفِ عنقه، بينما جسدها كله يرتعدُ ويهتزُ بخوفٍ، وشفتاها تتحركان على بشرته بتمتمةٍ مُختنقةٍ.. مُنتفضةٍ.. كباقي جسدها:

- لا.. يا بدر.. والله آخر مرة.. مش هعمل كده تاني!!

نظرَ ليدِهِ المعلقةِ في الهواءِ بعبوسٍ، لقد كان ينوي ضربَ الحائطِ؛ ليفرغَ شحناتَ غضبِهِ حتى لا يؤذيها!

ما بها؟!

لِمَ تنتفض هكذا كالفرخ المبلل؟!

هل ظنت أنَّه سيضربها؟!!

أَنزلَ يدَه ببطءٍ، وأَخَذَ يُهدئ أنفاسه اللاهثة،
وهي مازالت متعلقةً به.

صوتُ أنفاسها المرتعبةِ، وخفقاتُ قلبِها المذعورةِ لا تهدأ، صدرُها يعلو ويهبطُ فوق صدرِه، رَفَعَ يديه يُفككُ ذراعيها المعقودين ببعضهما خلف عنقه؛ أبعدها عنه ببطءٍ، ينظرُ لوجهِها المحمرِ بدرجةٍ خطيرةٍ، وعيناها الهاربة بعيدًا لاتقوى على النظرِ نحوه.. وبعد قليلٍ مِنْ الوقتِ استدار مبتعدًا بصمتٍ ليرحمها، أو ربما ليلملمَ شتاتَ نفسه.

*****

هل عندكِ شَكٌّ أنَّكِ أحلى امرأةٍ في الدُنيا؟.

وأَهَمَّ امرأةٍ في الدُنيا ؟.

هل عندكِ شكٌّ أنّي حين عثرتُ عليكِ . .

ملكتُ مفاتيحَ الدُنيا؟

هَمَسَ لها وحدها بتلك الكلماتِ الغزليةِ، وأصابعه تُزينُ بنصرها بخاتمه الذهبي ذي الحجرِ الماسي، فتوردت خجلًا وهي تُزينُ بنصره بدورها.. تنظر لعينيه العاشقةِ.. فترى انعكاسَ صورتها الذهبية داخل مقلتيه العسليةِ..

كانت جميلةً، جذابةً، تخطفُ الأنفاسَ بثوبها الذهبي.. تشبه تلك الفراشة الذهبية المثبتة بجانبِ خصلاتِها البنيةِ الكثيفةِ المنسدلةِ على كتفيها.. أيقونةٌ لامعةٌ كما تخيلها دائمًا.. أما هو فكانت عيناهُ المشعةُ بسعادةٍ كافيةً ليكونَ أميرًا

ساحرًا تحيط به آهات الإعجاب، غمغم هامسًا لها بصوته الرخيم:

-مبروك عليَّ.

تبسمت له وقَطَعَ ردَها الهامس ذراعُ والدتِها تجذبها لأحضانها، وتبعها الأهلُ والأصدقاءُ وهو كذلك.. كان فقط ينقصه أخوه الغائبُ مِنْ بين كلِ هؤلاء المهنئين، أخبره أنه سيتأخر قليلًا.. لكن انتهى نصفُ الحفلِ تقريبًا وهو لمْ يحضرْ حتى الآن، وبعد مرورِ بعضٍ مِنْ الوقتِ حضرَ الغائبُ أخيرًا، ونظرًا لتأخرِه استقل سيارة أجرة فور خروجه مِنْ المطارِ لعنوانِ صالةِ الحفلِ مباشرةً.. لم يسعفه الوقتُ لتبديلِ ملابسِه، فحَضَرَ بحلتِه الرسميةِ.. وكم يكون جذابًا بها، مُلفتًا للأنظارِ..

رآه إسلام أولًا فأشار له يَحثه ليتقدمَ، لوحِ له الآخر متقدمًا بين الجموعِ، ومع كلِ خُطوةٍ يخطوها كانت بسمتُه تُصبحُ.. فاترةً.. خافتةً..

حتى أصبحَ على بعدِ خطوتين.. فتلاشت تمامًا مع استدارةِ عروسِ أخيه.

وإنْ كان الفراقُ مؤلمًا ذات يومٍ.. فاللقاءُ في تلك اللحظةِ قاتلٌ!

(١٦)

لقاء بعد رحيل

لماذا؟

لماذا طريقنا طويل مليءٌ بالأشواك؟

لماذا بين يدي ويديك سربٌ من الأسلاك؟

لماذا حين أكون أنا هنا تكون أنتَ هناك؟

"نزار قباني"

***

صرخت وذرفت دموعًا.. مرةً تتوسل وأخرى تستعطف.. وأبوها رأسه كحجرٍ من الصوانِ، رفض وغضب.. ولتضرب رأسها في أعرض

حائط.. والواقع الآن، تحتل أريكتها المنجده تحت النافذة ترفع ساقيها تضمهما لصدرها بذراعيها.. لا غناء اليوم كعادتها.. اليوم تنتحب وتنشج بصمتٍ فقد تعبت من كثرة الصراخ والعتاب منذ الصباح.. ولا تعلم هل كل تلك الدموع المتدفقة بحرقةٍ على وجنتيها لأجل رفض أبيها أن تذهب لخطبة ابن خالها أم أنها تشتاق الآخر وتفتقده حد الألم؟! أم ربما السبب هاجسٌ يطاردها صباح مساء بأنها أصبحت لا تعني له شيئًا؛ فقد انتهت من اختباراتها النهائيه منذ ثلاثة أسابيعٍ لو كانت الدراسة حجته، ما المانع إذًا حتى يتقدم لها ويريحها من كل تلك الهواجس.. هل ضاع حبك وعشقك فرحة مع

قرص الشمس الراحل؟ هل كنت له حبَ مراهقٍ يخرجِ به كل هوس تلك المرحلة وحينما كبر، ونضج، وأصبح رجلًا.. أصبحتِ مجرد بطلةٍ لذكرياتٍ من ماضٍ؟.. لو فقط تراه لمرةٍ واحدةٍ! تنظر لعينيه؛ وهما ستخبرانها بالحقيقة.. وهنا ازدادت دموعها أنهارًا. اقتربت منها عمتها تربت على شعرها بحنوٍ.. فدارت برأسها بعيدًا تنظر نحو النافذة، تلاحق قرص الشمس الراحل، لكنه اختفى ولم يبق سوى الغسق الذي يلزمه هو الآخر عدة دقائق ليختفي تمامًا.. و سؤالها البغيض يعود و يدور في خلدها من جديد..

هل غاب حبك وانتهى؟!

* * * * *

وفي مكانٍ آخرٍ.. جالسة وبين يديها تحمل طفلتها الصغيرة، ترفض أن تتنازل عنها حتى في وقتٍ كهذا.. فأصبح حملها بين ذراعيها واستنشاق عبقها إدمانها اليومي.. تراقب "لمار" من البعيد، وتتذكر حين أخبرتها ذات يومٍ أنها لن تتزوج إن لم تكن عاشقةً لرجلٍ يعشقها.. وهاهي اليوم تخطو أولى خطواتها نحو عاشقها، وتلك الغبية عاشقةٌ له، لكن يلزمها بعض الوقت حتى تكتشف قوة ذاك العشق الكامن بين ضلوعها، ربما تخاف من الإعتراف به لأنها ببساطةٍ تخاف فقدانه.. حدثتها بقلبها وكأنها تسمعها:

"لا تخافي يا حمقاء، انطلقي واسعدي بعشق رجلٍ يكاد أن يبتلعك بعينيه العاشقة"

رفعت رأسها على زمجراتِ أخيها الغاضبة، فهو منذ نصفِ الساعةِ تقريبًا يصرخ بكبتٍ مغتاظٍ في تلك "اللارا" المسكينة، والسبب بضع أصباغ لطخت بها وجهها لأجل حفل خطبة أختها الوحيدة، وسبعُ الرجال يغار على حبيبته من نظرات الشباب هنا وهناك..

- أنا مش نبهت عليكِ ماتحطيش الزفت ده على وشك؟!

كتفت لارا ذراعيها بغضبٍ، مغمغمةً بحنقٍ:

- دي خطوبة أختي ماتخنقنيش بقى يا رامي.

لم يتحدث، لكن قبضته المكورة وشفتاه المتحركة بتمتمةٍ هامسةٍ تعني وعودًا قاسيةً.. هنا هتفت روان لتهدئ من الوضع:

- خلاص يا رامي ماتكبرش الموضوع.

ورامي يهتف بنزعةٍ ذكوريةٍ بحتةٍ:

- أنا نبهت عليها وهي مصرة تعاندني.

تنهدت روان ودارت برأسها بعيدًا عنهم في يأسٍ.. فعلى ما يبدو أن أخاها قد نال على بعضٍ من جينات رجال الزيان ولو القليل.. ألقت نظرةً على هاتفها المستريح أمامها فوق المنضدة.. وتسأل حالها.. هل تنتظرين رسالة رابعة؟! بعد وصول ثلاث رسائلٍ على مدار ثلاثة أيامٍ ماضيةٍ،

وجميعهم يرافقهم نفس المضمون

"اكتبِ"

بغير زيادةٍ أو نقصانٍ.. من هو ذاك الغريب..

وماهو مقصده؟ وهل يقصدها هي بالتحديد؟!

ألا يوجد مجال للخطأ بعد ثلاثة مرات؟!

وعلى بعد أمتارٍ قليلةٍ.. جدًا

لا مجال للخطأ يا ابنة الزيان؛ فالغريب مجهول الهوية.. قريبٌ منكِ الآن لدرجةٍ تتعدى خيالك الحالم.. يقف بجوار أحد الأعمدة.. يرتكز عليه بجزعه، متكتف الساعدين.. يراقب تلك الجميلة الهادئة بثوبها الأزرق، ووشاحها يماثله في اللون.. رقيقة.. ناعمة.. وحنونة.. فرغم انكسار قلبها الواضح، وعينيها التي أسرت حزن العالم

داخلهما.. ثغرها الرقيق مزينٌ ببسمةٍ.. يشوبها الحزن نعم، لكنها ساحرة.. والسبب يعود لتلك الملاك الصغير.. ابنتها..

ولكن قلبه يحدثه أن تلك البسمة ستتخلص من كل تلك الشوائب الحزينة وتعود تصدح بصفاءٍ يلائم صاحبتها.. وهو رجل يؤمن بما يحدثه به قلبه الصادق.

* * * * *

وفي ركنٍ قصيٍ من تلك الخطبة.. قابعةٌ في أحد الأركان تنظر للجميع ببسمةٍ هادئةٍ، امتدت يدها عنوةً على وشاحها حول كتفيها.. فعضت على شفتيها وأفلتت منها ضحكةٌ خافتةٌ، فرفعت رأسها تلقائيًا تبحث عنه.. وكان هناك يقف مع

أحدهم يتحدث برزانةٍ وشموخٍ مع بسمةٍ هادئةٍ تزين ثغره وعينيه الرمادية وآآآه من رمادية عينيه.. لازالت تتذكر كيف تعلقت بعنقه كطفلةٍ مذعورةٍ لتحتمي من بطش غضبه، احتمت منه بين أحضانه!.. لم تره بقية اليوم، لكنها فوجئت به يطرق بابها صباحًا، يخبرها بكل جمودٍ أن تستعد لحفل الخطبة في المساء.. وما إن أتى المساء حتى طرق بابها للمرة الثانية يتعجلها بنفاذ صبرٍ، وخرجت بعد دقائقٍ متأنقةً بثوبٍ أسودٍ كلاسيكيٍ، وللعجب كان طويلًا حد كاحليها.. بينما هو ارتدى حلة أنيقة بلون عينيه بقميصٍ أسود دون ربطة عنقٍ، فتلك القيود لا تناسب أمثاله..

رمشت بعينيها عدة مراتٍ كأنها تراه للمرة الأولى.. خصلاته القصيرة، ذقنه الناميه بعض الشيء.. رائحة عطره المسكرة التي مازالت عالقةً بين أنفاسها منذ ما احتضنته عنوةً.. أخذت نفسًا عميقًا وهي تراه عاقدًا حاجبيه في صمتٍ وعيناه تتجول على ذراعيها المكشوفين.. يا إلهي لقد اختارت أكثر أثوابها احتشامًا حتى لا ترى تلك النظرة بين عينيه.. بل انتظرت كلمة إطراءٍ ولو على سبيل المجاملة! يا له من أحمقٍ لا يجيد معاملة النساءِ بل لايفقه عنهن شيئًا.. ولأجل ذلك هتفت بحنقٍ قبل أن يفكر في إصدار أيٍ من أوامره الفذة الآن:

- ده أطول فستان عندي.

خرجا بعدها بصمتٍ بعد أن ترك والدته تحت وصاية الجارة السمينة وابنتها.. جاورته بالمقعد داخل سيارته، وللحماقه مازالت تنتظر كلمة الإطراء.. واحدة فقط يا أعمى النظر!

لكنه توقف في منتصف الطريق بغتةً حتى كادت أن تصطدم في الزجاج الأمامي، ترجل سريعًا وعاد بعد دقائقٍ معدودةٍ، يحمل بين يديه لفافةً ورقيةً وضعها بين يديها بصمتٍ، ولم يتحرك.. بل نظر لها يدعوها لتفتحها.. وبالفعل ابتعدت بعينيها المندهشة عنه وفتحتها بأصابعٍ مترددةٍ لترى وشاحًا بلونٍ صارخٍ تجهل اسمه! نظرت له بغتةً بحاجبين معقودين، ليشير لها بعينيه نحو ذراعيها.. فغرت فاهها، وكزت من بين أسنانها:

- مستحيل ألبسه !! ده لونه وحش قوي ومش مناسب خالص مع فستاني.

وبصمتٍ.. لا ليس صمتًا تمامًا.. بشبه عاصفةٍ حانقةٍ جذب الوشاح من بين يديها، وبعدها ترجل مرةً أخرى صافقًا الباب بقوةٍ وحنقٍ؛ ليعود بعدها بآخر وردي.. وهذه المرة لبت رغبته الغير قابلة للرفض أو ربما خوفًا على الأمسية اليتيمة التي نالتها منذ أن تزوجت به؛ فإن اعترضت.. ستحرم. وما إن وضعته حتى لمحت طيف إبتسامةٍ أفلتت منه أثناء عودته للقيادة وحينها لم تفكر سوى بشيءٍ واحدٍ.. لو كان أهداها تلك البسمة مع ذاك الأول ذي اللون الصارخ ربما كانت قبلت به! .. وسرعان ما عاد

مرةً أخرى وأدهشها حينما احتضن كفها بين أصابعه القوية فور ترجلهما من السياره ولم يتركها، حتى قام أحدهم بندائه.. تركها جالسةً هنا بوشاحها الوردي مع أمرٍ صارمٍ بعدم الحركة حتى يعود.. تدور برأسها بمللٍ؛ فالجميع حولها غرباء لا يوجد سوى العروس صديقتها والتي لم تكتفِ من إرسال عشرات القبل المهنئة لها عبر الهواء؛ فهي حقًا سعيدة لأجلها. فذاك الذي يجاورها يذوب بها عشقًا.. أجفلت على ظله المشرف عليها بغتةً.. دار حول المنضدة المستديرة ليجلس بجوارها.. ويهمس بالقرب من أذنها بخشونةٍ:

-مش كفايه بوس! الناس بدأت تاخد بالها.. نلم نفسنا شوية بقى.

أفلتت منها ضحكةٌ خافتةٌ فرمقها بنظرةٍ جانبيةٍ.. صمتت ولم ترحل عن شفتيها بسمتها الجذابة، لكنها اختفت مع ظهور تلك التي تتقدم نحوه، ولم تكتفِ بل وضعت كفها على كتفه هاتفةً بمرحٍ:

- مش تعرفنا يا بدر؟

تهتف باسمه مجردًا وهو يبتسم بألفةٍ.. وأيضًا يتحدث بهدوءٍ:

- تالا، ساندي.. ساندي، تالا.

وتحيةٌ جافةٌ صاحبتها ملامسة أطرافٍ باردةٍ من كلا الطرفين.. لترنو بعدها وتهمس له بجانب أذنه، وتعود لتضحك وهو يشاركها ضحكاتها!

ومنذ متى وهو يضحك بتلك الطريقة؟! بل يضحك من الأساس؟! أم عقد الحاجبين والصراخ لها وحدها؟! تلك الحمقاء ذات الثوب الأبيض القصير بدت كفراشةٍ سخيفةٍ بخصلاتها القصيرة تلك.. هكذا فكرت تالا بحنقٍ.. وما إن رحلت تلك الفراشة سألته ببرودٍ وهي تمط شفتيها باشمئزاز:

- مين الرخمة دي ؟!

والجواب مختصرٌ.. هادئٌ تمامًا:

- أخت إسلام.

تنظر له بصمت تنتظر أن يكمل.. لكنه كتف ذراعيه وصمت..!

ذلك الأرعن.. يبدو أن التهذيب لا يليق معه، حسنًا.. لنا عودة للمنزل ولنرى حينها. هدأت من فورة غضبها التي اجتاحتها دون سببٍ واضحٍ.. لكنها تركت هذين الأحمقين على جنبٍ.. لتزداد عيناها في التحملق حتى باتت محدقةً بذهولٍ.. تنظر إليه وعيناها تتجول على حلته الرسمية والتي بدت شاذةً بين الجميع.. وبداخلها تهتف بصدمةٍ:

"طيار!!..يا إلهي ماذا يفعل ذاك الحقير هنا!"

نعم هي تعرفه وتلك الملامح لن تخطأ بها، هو بذاته صاحب ذاك الفيديو اللعين التي شاهدته

بدورها عدة مراتٍ بصحبة لمار من قبل، لكن ما الذي أتى به؟ وعلى ماذا ينوي ذاك المخادع ؟!

تركت أسئلتها المتخبطة و رفعت ذراعها تشير نحوه وتسأل بدر دون مواراةٍ:

- مين ده؟!

ضيق عينيه وهو يصوب بصره نحو المشار إليه.. وأجاب متوجسًا بحنقٍ محاولًا فهم تعابير وجهها الغامضة:

- باسل.. أخو إسلام.

هبوط كتفين.. ارتخاء حاجبين.. و تنهيدة تزامنت مع استدارة نحو صديقتها العروس.. عروس!.. وهل بعد تلك الكارثة ستظل عروسًا؟!

* * * * *

"في المسافة بين غيابك وحضورك انكسر شيءٌ ما، لن يعود كما كان أبدًا"

"غادة السمان"

***

ومع كل خطوةٍ يتقدمها كانت بسمته تصبح.. فاترةً .. خافتةً.. حتى أصبح على بعد خطوتين.. فتلاشت تمامًا مع استدارة عروس أخيه..

وإن كان الفراقُ مؤلمًا ذات يومٍ.. فاللقاءُ في تلك اللحظةِ قاتلٌ!

انتفض جسدها لثوانٍ معدودةٍ.. أطرافها ترتعد رغمًا عنها.. بينما عيناها محدقةٌ توازي خافقها

الذي بات يضرب بين جنباتها بقوةٍ مؤلمةٍ،

وسؤالٌ واحدٌ يكاد يفتك برأسها.. ماذا يفعل

هنا؟! في حفل خطبتها على آخر!

بينما هو لم يكن أفضل حالٍ.. تنفسه بات

كمتسابقِ ماراثون.. عيناه تدور بين أخيه وبين

تلك التي تجاوره..

رباه!

من بين كل النساء اختارها أخوه.. هي لا غيرها!

واقترب وانتهت الخطوات، وبات اللقاء حتميًا لا

يحتمل هروبًا أو رحيلًا.

ازدرد لعابه بارتباكٍ، وجلب بسمةً مصطنعةً

مصوبًا إياها نحو أخيه.. الذي بدوره لم ينتظر،

قام باحتضانه عنوةً.. يلومه على تأخيرٍ.. بينما

هو لا يقوى على شيءٍ غير ابتسامته المصطنعة تلك.. قطعها إسلام بتعارفٍ سعيدٍ:

- لمار خطيبتي.. باسل أخويا.

ومع لفظ كلمة "أخويا" سقط الخافق بين قدميها.. قبضت على كفيها وكورت أصابع قدميها داخل حذائها، تقطع عن أطرافها انتفاضهم الفاضح.. وإيماءة صامتة خرجت منها لتنهي ذاك التعارف..الغير سعيد بتاتًا.

بينما الآخر يبتلع لعابه للمرة الألف ربما.. و حبات العرق تنبت على جبينه.. ليلقي لها بمباركةٍ خافتة.. بينما أخوه يميل نحوه يهمس له بعبثٍ غامزًا:

- الجنية.

ربت باسل على كتفه مع ابتسامة جانبية خرجت بتهنئةٍ خافتةٍ، باردةٍ.. وما إن استدار العريس نحو عروسه الجامدة.. ابتعد هو بخطواته سريعًا.. يبتعد، ويبتعد عن مرمى أعين الجميع.. حتى بات قابعًا وحيدًا في أحد الزوايا المظلمة.. أنآمله تتخل خصلاته الطويلة، أغلق بعدها عينيه بقوةٍ، وعقله رافض التصديق.. من المحال أن الفتاة التي عشقته يومًا.. تكون اليوم عروسَ أخيه.. لا ليست عروسه؛ هي حبيبته التي تمناها، وجنيته التي تسحره يومًا بعد يومٍ.. بحق الله أي هراءٍ يحدث!

* * * * *

انتهت الخطبة..

وعاد بها لمنزلها للمرة الرابعة.. ولكنها بالتأكيد مختلفة عن كل المرات السابقة.. هتف بمرحٍ بعد ما أوقف السيارة دون أن يترجلا:

- وصلنا يا ست هانم وياريت العشرين جنية المرة دي تكون ناشفة لحسن بتاعة المرة اللي فاتت غلبتني.

تبسمت رغمًا عنها وذكرى تلك الليلة تلوح أمامها.. نظرت له وتساءلت بهمسٍ:

- لسة فاكر؟

ليجيب هو بهمسٍ مماثلٍ:

- أنا مابنساش أي تفاصيل تجمعنا.

وتلك المرة التمعت عيناها وابتعدت عن مرمى عينيه، تنظر أمامها. ولم تمر ثوانٍ حتى استجمعت قوتها وعادت له بجسدها دفعةً واحدةً.. تهتف بشجاعةٍ وليدةِ اللحظة:

- إسلام إنتَ ليه ماسألتنيش عن الشخص اللي كان في حياتي؟! مش عايز تعرف هو مين؟ طيب مش عايز تعرف ماكملناش ليه؟!

نكست رأسها بضيقٍ، وتابعت بصوتٍ خفيضٍ:

-مش عاوز تعرف حاجة.. أي حاجة؟

انتظر حتى تنتهي تمامًا.. فهو لم يفته نظراتها الضائعة، وجسدها المرتبك طيلة الوقت، وحين سألها اكتفت بقول لا شيء.. وهو يعلم أنها

خائفة، متأرجحة بين طوفان عشقه الذي اكتسحها عنوةً وبين ماضٍ لا يعلم عنه شيء سوى أن هناك شخص ما خذلها، وترك قلبها متصدعًا بعدة شروخٍ وقبل أن تضمده، ظهر هو ليقوم بتلك المهمة رغمًا عنها. اقترب.. أمسك بكفها ولثم باطنه بقبلةٍ طويلةٍ.. زفر بعدها وعاد ببصره لعينيها.. مغمغمًا بحنوٍ صادقٍ:

- كل اللي فات مايهمنيش.. لو عايزه تتكلمي أنا سامعك.. لو مش حابه بلاش.. صدقيني ما يهمنيش.. كل اللي يهمني بجد هو الجاي، المستقبل كله ملكي وبتاعي، وأنا مش ناوي أضيعك مني.

بالله عليكم أخبروني.. أيُّ قلبٍ هذا يمكنه اغتيال تلك الفرحة النابعة من بين مقلتي العسل؟.. أيُّ قلبٍ هذا يمكنه خذلان رجلٍ رائعٍ كهذا؟.. رجلٌ يحمل دفء الكون بأكمله؛ فالنظرة منه بمثابة شمسٍ دافئةٍ في أشد أيام ديسمبر برودةً..! هطلت دمعتان وحيدتان، وهي تهمس بصوتٍ مختنقٍ:

- بس ده حقك.

صعد بكفيه نحو وجهها ليحيط به.. وقطع دمعتيها بإبهامه.. يجيب بهدوءٍ وثغره يرسم أجمل بسمة:

- أنا حقي أخدته يوم ما حبيتك.. وباخده في كل مرة عينيكي تبصلي، وأشوف نفسي فيهم.

صمت لثوانٍ ثم هتف بإمتعاضٍ جديٍ.. عاقدًا حاجبيه:

- صحيح ليه كل ما تشوفيني تعيطي.. هو أنا كئيب للدرجة دي، ولا فقر ده ولا إيه بالظبط؟!

أفلتت ضحكتها رغمًا عنها، وهي تمحي آثار دموعها، محركةً كتفيها بجهلٍ.. هاتفةً بحيرةٍ:

- حقيقي ماعرفش ليه كل ما أشوفك أحس إني عاوزة أعيط!

- تقصدي إني نكدي؟!

لفظها بتهكمٍ محركًا رأسه باعتراضٍ لذيذٍ.. هاتفًا بنصف عينٍ:

- ربنا يسامحك يا أستاذة.. طالما كده ابقي شوفي لك تاكسي تاني مرمطيه معاكِ.

ترجلت من السيارة بهدوءٍ.. محركةً كتفيها بلامبالاةٍ تحت أنظاره المتابعة:

- براحتك يا أوسطى.

* * * * *

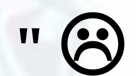
مر أسبوعان من السعادة الحقيقة، وكأنما تعلمت على يديه معنى أبجديات العشق، وتذوقت نكهة الغرام الخاصة، اجتاحها بعشقه، وهي تائهة ضائعة بين دهاليزه.. لا تعلم كيف ولا متى، كل ما يهم أنها سعيدة بحقٍ.. سعيدة كما

لم تسعد من قبل، امتزج بين أدق تفاصيل حياتها حتى أنه خالط أنفاسها وبات يعدها..!

حين قال أن المستقبل له وحده لم يكن يكذب أبدًا بل كان يعني ما قال فعلًا لا مجازًا.. والغريب أنها تشعر بالأمان لقربه بتلك الدرجة.. بعد ما لون حياتها، ومن اعتاد الألوان لا يمكنه العودة لسابق عهده حيث الأبيض والأسود فقط..

أخذت نفسًا طويلًا وهي تتناول الورقة الصغيرة بحرجٍ من بين أصابع إحدى الممرضات بالمشفى.. فتحتها ببطءٍ وعيناها تتبسم ضاحكةً مع حروفه المخطوطة بيده

"مستنيكي في الجونينه...متتأخريش عندي ولادة

 "



رباه!

كم يهوى الفضائح ذاك الإسلام..! طوت الورقة من جديد ثم وضعتها بجيب معطفها.. تحركت بعدها نحو الخارج حيث خطيبها المنتظر.. والنظرات حولها تكاد تلتهمها، ومصمصة شفاه الممرضات صاحبات السن الأكبر التي اعتادتها.. بينما الهمسات تلازمها أينما ذهبت؛ فالجميع على يقينٍ الآن أنها ذاهبة نحو حديقة المشفى الأمامية لتناول فطورها أو للدقة فطورهما؛ فهو يصر على تناول الفطور سويًا.. وبما أن الوقت لديه لا يسمح لخارج المشفى.. أصبح الركن الأيمن من الحديقة خاصًا بهما، حيث منضدة بلاستيكية الصنع مربعة الشكل ويماثلها الصنع

مقعدين دون ظهر.. وفطائر ساخنة بحشوات مختلفة ذات مذاق شهي.. مع قدحين من الشاي الساخن يأتى بوصاية خاصة من داخل المشفى.. وأهم من كل ماسبق.. زهرة صغيرة صفراء اللون بأوراق متفرقة قُطعت من أزهار الحديقة المهملة، مستريحة فوق المنضدة تنتظرها..

وها قد وصلت تختال أمامه، استقبلها ببسمته المعتادة.. وما إن جلست حتى امتدت يده لزهرته، ومالت هي للأمام قليلًا حتى ثبتها بجانب شعرها ككل يومٍ.. ربما يكون المنظر رائعًا للبعض ورديئًا للآخر.. لكنه ببساطةٍ يبهجها. نظرت حولها ثم هتفت بجديةٍ:

- إنت شطبت على الورد في أسبوعين.. وأصلاً الجنينة محتاجة حد يهتم بيها حرام سايبنها كده ليه؟

قدم لها إحدى الفطائر متبسمًا.. وقال:

- كلمت واحد ومن بكرا هيبدأ فيها ويظبطها أحلى تظبيط عشان نفطر بمزاج بعد كده.

رفعت حاجبيها وهتفت باستنكارٍ:

- هو إحنا هنفطر هنا كل يوم؟!.. إنتَ شكلك مش واخد بالك من نظرات الدكاتره والممرضات.. أنا بتكسف منهم قوي يا إسلام.

مال بجذعه للأمام حتى اقترب منها وهمس بعبثٍ مقلدًا صوتها في جملتها:

- أهو بعد "أنا بتكسف منهم قوي يا إسلام دي"، مستعد أخليها غداء وعشاء كمان.

هزت رأسها بيأسٍ، مع من تتحدث؟!.. أخذت نفسًا عميقًا وتركت مابيدها.. نفضت كفيها.. نظرت له قليلًا.. وتحدثت بنبرةٍ مترددةٍ بعض الشيء:

- إسلام..ممكن بقى نتكلم جد شوية، الفرح قرب.. وتقريبًا ماتكلمناش كلمتين جد على بعض.. لازم نتكلم عن حياتنا الجاية.. يعني في حاجات كتير لازم تعرفها عني.. وأنا كمان محتاجة أعرف عنك تفاصيل كتير.. إنت طول الوقت مشغول هما يادوب العشر دقايق بتوع الفطار وبالليل بتروح هلكان.. أنا مش بلومك؛ أنا

عارفة أنه غصب عنك.. بس.. بس.. بجد احنا محتاجين نقعد قعدة طويلة ونتكلم فيها جد بعيدًا عن هزارك والذي منه.

نظر لها بمكرٍ وعاد يهتف بعبثٍ:

- بعيدًا عن الهزار ماشي، لكن الذي منه ماوعدكيش.

زفرت بحنقٍ، متكتفة الساعدين بصمتٍ مغتاظٍ.. فتحدث هو تلك المرة وبجدية تامة:

- خلاص جد اهه.. النهاردة هخلص بدري ونروح نتعشى في أي حتة تختاريها وهنتكلم للصبح لو تحبي.. تمام؟

هزت رأسها بإيجابٍ، فتبسم لها وقبل أن يعود لدعاباته السمجة، علا رنين هاتفه فوق المنضدة، فزفر بامتعاضٍ وهو يقطع الرنين بالرفض.. فسألت بتوجس:

- مين؟

والرد حانق:

- مرات أبويا !

ارتفع كفها يكتم شهقتها الخافتة.. وهتفت متسعة العينين:

- هو أنكل اتجوز ؟!

قهقه بقوةٍ من مظهرها المصدوم، وأردف من بين ضحكاته موضحًا:



- أقصد بدر.. أرخم من مرات الأب الزنانة.

شاركته ضحكاته.. بينما نهض هو مغتاظًا.. ألا يستطيع الجلوس مع خطيبته لنصف ساعةٍ فقط دون مقاطعة؟.. نظر لساعة معصمه مغمغمًا:

- معلش عندي عملية ولازم أطلع دلوقتي.. أوعدك هنعوضها بالليل.

تبسمت بتفهمٍ.. واستدار هو مغادرًا بتثاقلٍ.. أدخلت يدها في جيبها فتذكرت.. لحقت به سريعًا هاتفةً باسمه.. وما إن استدار لها حتى أخرجت ما بحوزتها وقدمته بخجلٍ:

- اتفضل جبتلك معايا شيكولاتة، وكنت هنسى أديهالك.

التهم المسافه بينهما، وبعد ما قابلها في وقفتها تناول قطعة الشيكولا وهو يضحك بصفاءٍ:

- أهو أنتِ اللي بتشديني للذي منه.. بعدين ترجعي تزعلي.

تخضبت وجنتيها خجلًا..فاقترب منها يهمس بدفءٍ:

- لو سألتيني دلوقتي بتكره إيه؟ هقولك مابكرهش في حياتي قد الطب...

علا رنين الهاتف مجددًا.. فأردف بحنقٍ زاعقٍ:

- وبدر.

ليختفي بعدها من أمامها.. وهي مازالت تطالع أثره الراحل، وبسمتها تختفي شيئًا فشيئًا.. حتى باتت معدومة..

إلى متى لمار؟ إلى متى ستظلين مأسورة بين نظراته وكلماته؟.. إلى متى ستظلين ضعيفةً؟.. مجرد اعترافٍ.. هو ماضٍ لا أكثر.. ارمي بثقلك له حتى يرتاح قلبك وتسعدي من أعماقك.. تخلصي من تلك الشوكة التي تنغز بكِ دون رحمةٍ..

أخبريه أنه كان عشقًا ضعيفًا للغاية اختاره قلبكِ حينها، فتغاضى عن أبسط حقوقه كمهنته التي عرفتها بالصدفة من حلته!..

أخبريه أنكِ أحببته لصورته لاغير؛ فأقصى معلوماتكِ عنه كان اسمه..

أخبريه أنه كان بالضعف الشديد، ونسيته

بمجرد ظهور عشقٍ حقيقيٍ تملك منكِ فتخلصتي

من ذاك المزيف..

أخبريه.. فقط أخبريه.

رفعت كفها ووضعتها فوق خافقها وتردد بذهنها..

رباه! أي جنةٍ وأي نارٍ اللتين أحيا بينهما.. هل

أخفي الأمر كما تفضلت "تالا" قائلةً؟

هل سيدير ظهره ويتركني ما إن يعلم؟!

أم أعترف له كما نصحت "روان" وأترك له حرية

الخيار؟

لكن ماذا إن تركني؟!

زفرت بضيقٍ وهي تفرد ذراعيها بقلة حيلةٍ.. ألهذه

الدرجة تخافين فقدانه؟.. كم هي غريبةٌ عجلة

الأيام، لقد جاء لمنزلكِ منذ شهورٍ طالبًا الوصال،

ورفضته لأجل أخيه!

والآن أنتِ من تخافين فقدانه.. لا تكوني

ضعيفةً.. اقتنصِ الفرصة وأخبريه..

كم من الفرص ضيعتها والزفاف يقترب.. وأنتِ

لن تكوني زوجته قبل أن تخبرينه.. لن تخدعيه؛

فهو لا يستحق... أبدًا لا يستحق.

أنهت حوارها مع نفسها، وعادت لعملها تمارسه

بتكاسلٍ وخمولٍ على غير عادتها.. تحضر بذهنها

وتنمق اعترافها الذي ستدلي به الليلة.. لا

مجال.. ستخبره وانتهى.

* * * * *

في المساء وفى بوعده واصطحبها لعشاءٍ هادئٍ في أحد المطاعم على الشاطئ حيث هواء البحر المنعش ورائحته الخاصة.. تناولوا عشائهم بصمتٍ إلا من بعض كلماته الغزلية التي كان يلقيها من وقتٍ لآخرٍ.. وهي صامتةٌ تدخر آخر لحظات السعادة؛ لا تعلم هل ستعيشها من جديدٍ بعد ما تدلي باعترافها الآن كالمذنبين..
طالعت وجهه الباسم للحظاتٍ بصمتٍ بينما هو يطالع نظراتها الغريبة تلك بتوجسٍ.. ولا يعلم مما هي خائفة على الدوام، لم لا تستشعر معه الأمان وتستكين بين قلبه وتريحه. لقد تغير لشخصٍ آخرٍ يفعل أشياءً لم يكن يومًا ليفعلها

لولا وجودها هي، غادره تعقله ورزانته وأصبح يتصرف كمراهقٍ لا رجلٍ على أبواب الثلاثين.

فتحت فمها تنوي حديثًا، و تلك المره لا رادع سيوقفها.. وقبل أن تصل حروفها للخارج.. علا رنين هاتفه اللعين مرةً أخرى.. وفي غضون دقائقٍ انقلب العشاء لحالة طوارئ، الهاتف لا يكف عن الرنين..

رجل يزعق بأن زوجته تلد، ومهاتفة من المشفى يطالبون بحضوره على عجل.. ويعود الزوج مرةً أخرى.. وهو يتنهد بضيقٍ، ويصدر أوامرًا بتجهيز حجرة العمليات ومن ثمَّ يهدئ ذاك الزوج بأن كل شيءٍ سيكون على مايرام.. وهي فقط تطالع نظراته الغاضبة بصمتٍ، وما إن هدأ هاتفه حتى

نظر لها بأسى.. فقطعت هي تلك النظرات هامسةً بضيقٍ:

-مفيش مشكلة.. نكمل كلامنا بعدين.

نهض من مكانه غاب لدقائقٍ وعاد بعدها.. وما إن نهضت بدورها حتى ترحل؛ فطريق المشفى ومنزلها مختلفان تمامًا، قطعها هو بصوته الأجش:

- استني رايحه فين؟ أنا كلمت باسل.. عشر دقايق وهيكون هنا؛ هيوصلك للبيت.

ازدردت لعابها، وحركت رأسها بوجومٍ رافضٍ ثم همست بتحشرجٍ مرتبكٍ:

- لا.. لا.. أنا هروح بتاكسي مافيش داعي.

والرد مع رفع الحاجبين:

- تاكسي إيه ! شايفة الساعه كام؟ لا طبعًا مينفعش.

وأردف بهمسٍ حانٍ.. دافئٍ:

- أخاف عليكِ.

تجاهلت همسته الحانية، تجاهلت بسمته التي احتوتها كلها.. فقط رفعت عينيها تستجديه أن يتركها ترحل وكفى:

- يا إسلام بجد ما...

قاطعها هو بكفه المرفوعة تجاه فمها حتى تصمت.. وبالفعل صمتت بعد جملته ونظرة عينيه من فوق كتفها:

- خلاص أهو باسل وصل.

وببساطة غادر بعد أن تركها.. بأمانة أخيه.

(١٧)

هدية أولى

كم من غريبٍ أصبح قريبًا

وكم من قريبٍ بات غريبًا

أليست هذه الحياة.. هذه خياراتنا، الصائبة حينًا والخاطئة غالبًا..

أصابعه ضاغطةٌ فوق عجلة القيادة بقوةٍ، بينما عيناه تلاحق انكماشها بالمقعد الخلفي.. لا يكسر الصمت المطبق بينهما إلا أنفاسها اللاهثة الموجهة ناحية النافذة، أصابعها التي لا تتوقف عن التشابك والإنفلات بتوترٍ.. وحتى يخلصها

من ذلك ويخلص نفسه من انتظار تلك اللحظة التي لابدَّ لها أن تتم في يومٍ ما؛ فقد كان ينتظرها.. وحينما أتت له الفرصة لم يتردد لثوانٍ.

اخترق مسامعها بنبرته الأجشة.. الهادئة:

- ماقولتيش ليه..؟

دارت برأسها بغتةً بقسماتٍ متجهمةٍ على أثر نبرته الهادئة.. ابتلعت غصتها الشبيهة بكرةٍ من الوبر وهي تطالع انعكاس عينيه في المرآة، ومع ذلك خرج جوابها الهامس جامدًا.. هادئًا مثله تمامًا:

- ماقدرتش..

جاء دوره ليطلق تنهيدةً كبيرةً، حارةً ليتابع بعدها بهمهمةٍ خفيضةٍ:

- ماتقوليش حاجة.

صمت لبرهةٍ يراقب فيها تصلب ملامحها من ثم تابع بنفس هدوئه المقيت:

- معرفته مش هترجع الزمن لوراء.. إسلام ماينفعكيش يا لمارولا أنتِ تنفعيه.

هتفت دون وعيٍ بقسوةٍ غاضبةٍ:

- تقصد مانفعوش علشان رفضته زمان.. علشانك!

صمتت..

قطعت حديثها الغاضب، وهي ترمقه بازدراءٍ كريهٍ، بينما هو أوقف السيارة على حين غرةٍ على جانب الطريق وصريرها المزعج يرافق استدارته المباغتة لها.. يواجهها بوجهٍ غاضبٍ أكثر، وصياحه هذه المرة يعلو فوق هتافها القاسي وبالتبجح يختصر الكلمات:

- بالظبط كدهماينفعش يتجوز واحدة مشيت مع أخوه.

لآحظ بوضوحٍ عينيها الجامدة بدمعاتٍ حبيسةٍ، أنفاسها المتحشرجة داخل صدرها الذي يعلو ويهبط بألمٍ.. وفي ثوانٍ عاد لهدوئه المستفز ليدمدم ببساطةٍ:

- عارف أنا غلطت في حقك، وأنا مستعد لأي حاجة تطلبيها..

ونظرة الاحتقار المنعكسة داخل مقلتيها جعلته يتابع بإقرارٍ:

- بس إسلام ماينفعش.. قربك منه هيأذيه.

رفعت عينيها الجامدة إليه ولا تقوى على التفوه بكلمةٍ.. فاستطرد:

- لو بتحبيه بجد.. ابعدي.

شعرت بدوارٍ يجتاحها..

كيف؟

ومن؟

بماذا يهذي هذا المعتوه؟!

هكذا ستحل المعضلة وتنتهي كأنما لم تكن..!

خرجت نبرتها متلعثمةً، صبغها القهر:

- وياترى بعدي عنه هايمحي حقارتك دي؟

عقب سؤالها المتوقع التوت شفتاه ساخرةً..

مغمغمًا:

- صدقيني الحقارة اللي بتتكلمي عنها دي ولا حاجة.

ابتلعت لعابها تلك المرة برعبٍ حقيقيٍ.. انزوت للخلف أكثر، تلتصق في المقعد حتى كاد أن يبتلعها وهي تنظر له بذعرٍ كأنها تراه للمرة الأولى..

رباه!

كيف أحبت شخصًا كهذا من قبل؟!

وهو جُلّ مافعل أن استدار ببطءٍ عائدًا لوضعه السابق.. حرك المقود وعاد يكمل طريقه هاتفًا بتهكمٍ ساخرٍ:

- ماتخافيش، مأذتكيش قبل كده علشان أعملها وأنتِ خطيبة أخويا.

وعاد الصمت من جديد.. هو اكتفى من الحديث وهي اكتفت حتمًا بما سمعته.. وما إن وصل أسفل بنايتها حتى هربت سريعًا دون أن تنظر للخلف ولو لمرة.. يتابع هرولتها المتعثرة وكفاه يضغطان على المقود أكثر فأكثر.. أجفله رنين هاتفه فتناوله من الجوار وظلّ يطالعه بصمتٍ

قبل أن يرفعه لأذنه ببطءٍ، ونظراته تزداد قتامةً مع الهسيس الخطير المنبعث عبر الهاتف:

- أخدت فرصة وضيعتها.. كده أنتَ تستاهل أول هدية.

وأردف بهسيسٍ ساخرٍ قبل أن يقطع الإتصال:

- سلام يااا.. كابتن.

* * * * *

يومٌ طويلٌ مشابهٌ لكل أيامه، كل عالمه راكدٌ منذ زمنٍ، بلا روحٍ.. لم يتغير شيءٌ سوى منزله المتواضع هذا، باتت تدب فيه روح ذات خصالٍ ذهبيةٍ، وعيونٍ زرقاءٍ.. لا ينكر أنها تنتشله من عالمه الراكد بحمقاتها وثرثرتها الطويلة، ضحكتها

على أقل كلمةٍ يتفوه بها أو فعل يقوم به والمثير للعجب أنه اعتاد تلك الضحكات وباتت تؤنسه.. تلك المجنونة ماذا تفعل به؟.. هو حقًا لا يعلم!

أغلق الباب خلفه وسار بخطواتٍ متأنيةٍ؛ حتى يرى ماذا تفعل تلك الكارثة الليلة.. توقف جانب حجرة والدته؛ حتى يتابع المشهد المكرر يوميًا.. لكن بمضمونٍ مختلفٍ كل ليلةٍ..

في إحدى المرات عاد ليجدها تتعارك مع أمه العجوز، والسبب أوراق اللعب وكل منهما تتهم الأخرى بالتزوير، والليلة التي تلتها وجدهما قد تصالحتا، وتالا تطعمها بفمها بكل ودٍ.. والليلة ليته ماعاد من الأساس حتى لا يتوقف قلبه من هول مايرى!

فأمه.. حبيبة قلبه.. حقل تجارب لتلك المعتوهة!.. اقترب أكثر فلم يعد يحتمل الوقوف كمتفرجٍ.. يقترب وحدقتاه تكاد تنفجر من التحديق بينما كفه يلامس قلبه يحثه أن يصمد حتى النهاية، وعيناه مازالت تتابع والدته المرتاحة فوق الفراش بسكينةٍ.. شملها بنظراته بدايةً من شعرها المتشبع بخصلات بيضاء كثيفة، وقد تم تصفيفه على شكل عقدة مستديرة عالية تجاورها زهرة حمراء بينما تلون وجهها بأصباغٍ متدرجة الألوان و..

يا رب السموات!

أمه العجوز تضع أحمر شفاه بلون نبيذي قاتمٍ! ولم تكتفِ بفعل كل تلك الكوارث، بل منكبةً

بكل تركيزٍ تطلي أظافرها بلونٍ لعينٍ يشابه لون شفتيها.. تبًا لك تالا!

ما إن لمحت ظله ينعكس على الفراش حتى رفعت رأسها بغتةً.. وشهقتها كادت أن تصل للشقة المجاورة، انتفضت من جلستها و لم تهتم بأدواتها الثمينة التي تبعثرت فوق الأرض بهمجيةٍ.. تنظر إليه برعبٍ وتتمتم بدفاعٍ متعثرٍ:

- هي اللي طلبت أعمل لها كده علشان.. علشان باباك راجع من السفر النهاردة.

عقد حاجبيه في تعجبٍ وعاد يذكرحاله.. ألم يغادر والده عالم الأحياء منذ زمنٍ؟! هل الجميع أصبحوا غير أسوياء أم هو فقط يعاني من فقدان للذاكرة؟

اللعنة!

اقترب بحذرٍ بينما حجزت هي حالها بالزاوية وعيناها تراقبه.. سحب بضع محارمٍ ورقيةٍ بحاجبين معقودين ينوي تنظيف ما قامت تلك المصيبة بفعله حتى تعود له والدته التي يعرفها كما كانت.. رفع يده وهو يتمتم بكلماتٍ ساخطةٍ لاتتعدى مسامعه لكن كف العجوز كانت له بالمرصاد وهي تمنعه من الإستمرار هاتفةً فيه بسخطٍ:

- في إيه ياواد مالك وراجع بدري ليه؟ روح خلص مذاكرة بدل ما أقول لأبوك وهو يتصرف معاك.

همس بحنقٍ من بين أسنانه:

- الله يرحمه ارتاح وسابني أنا.

والشهقة مع الصفعة الخفيفة تزين وجنته مع تعنيفٍ يستحقه:

- الشر بره وبعيد عاوز تموت أبوك يابدر.. طيب إيه رأيك أنتَ محروم من المصروف لشهر قدام.. وبردو هقول للحاج وهو يتصرف معاك.

وقبل أن يُدرك أنه نال صفعةً من كف والدته بهذا العمر، صدحت ضحكات تالا في أرجاء الغرفة أثناء هروبها السريع.. وبعد محاولاتٍ مستميتةٍ مع العجوز لم يستطع فعل شيءٍ سوى الخروج مغلقًا الباب من خلفه بهدوءٍ حتى تنعم والدته بخلوتها مع والده العائد من السفر!

رفع أكمام قميصه حد مرفقيه.. تخلى بعدها عن ساعة معصمه، من ثم توجه نحو باب الغرفة الموصد مضيقًا عينيه الرمادية العاصفة بتوعدٍ.. طرق الباب عدة مراتٍ وصوته الصارم ينفذ إليها:

- افتحي أحسن لك.. اتقِ غضبي، أنتِ لسه ماشفتيش حاجة.

لسوء حظها تعجز عن التخلص من نوبة الضحك التي انتابتها.. فقد حُرم من مصروفه ونال صفعة بسببها!

هتفت من بين ضحكاتها:

- مش هفتح..على جثتي.

وتوعده الخطير وصلها أيضًا:

- كده! استحملي بقى..

هدأت أنفاسها، وهي تستمع لوقع أقدامه الراحلة.. ولم تمر دقيقتان حتى شهقت بعلوٍ، وغادرتها ضحكاتها للأبد وهي ترى شيئًا ما يحشر في مزلاج الباب ودقيقتان إضافيتان و فُتح الباب ببساطة..

تقدم إليها بخطواتٍ وئيدةٍ يتلذذ فيها بنظرات الرعب التي تزين زرقة عينيها.. تركض بعيدًا ولا مهرب الآن، اعتلت الفراش تترجاه، وهو يتقدم ولا يعير كلماتها مثقال ذرةٍ.. قفزت لجهةٍ أخرى و ما إن استدار ناحيتها حتى عادت تعتلي الفراش مرةً أخرى، وبخدعةٍ بسيطةٍ منه كان يقبض على

معصمها بكفٍ، والآخر يثبت به خصرها حتى لا تتحرك.. والآن لا خلاص من عينيه الثاقبة التي تخترق زرقة عينيها بحدتهما وأنفاسهما اللاهثة باتت متبادلةً..

تحدث أولًا بنبرته الخشنة:

- بقى تستغلي غيابي وتعملي كده في الست العيانة؟

تحاول الإبتعاد.. فيزيد من الضغط حتى التصقت بصدره العريض.. خرجت أخيراً نبرتها البريئة تصاحبها رفرفة الأهداب:

- هو أنا عملت إيه؟ هي كده كده كانت ناوية تقابله، بس كده هتقابله وهي مبسوطة وبعدين ليه مصر نعاملها كأنها مريضة؟

تابعت وقد بدأت تفقد ثباتها وتغوص داخل نوبة ضحك جديدة:

- بس والله ما كنت أعرف أنها هتحرمك من مصروفك و..

عضت فوق شفتها السفلى تكبح ضحكةً منفلتةً قسرًا.. تهرب من نظراته حتى لا تنفجر من جديدٍ وتقع في المحظور.. ضيق عيناه من مكرها الذي بات يعرفه وهمس بخطورةٍ:

- بلاش حركاتك دي معايا.. خافي على نفسك.

حركت كتفيها بلامبالاةٍ وكفها الحر يستريح فوق

صدره:

- شوف تحب تعاقبني إزاي وأنا جاهزة.

ولأن الوقت متأخرٌ ولا يناسبه عقاب تنظيف

الأواني أو المنزل أو حتى الزعيق والصرآخ في

وجهها.. فماذا إن أزعج البشر في وقت كهذا

وأقلق منامهم؟!

هي تعدت حدودها الليلة ومازالت تضحك ولا

تبالي.. لهذه الدرجة أصبح متهاونًا معها؟ إذن

وجب لها عقابٌ قاسٍ يلائم فعلتها..

ودون تفكيرٍ أكثر مال بشفتيه نحو شفتيها؛

يذيقها عقابًا من نوعٍ خاصٍ.. جديدٍ عليها وعليه

من قبلها.. تخلى عن قيد معصمها ليتملك من

خصرها ويقربها منه أكثر.. ليرتفع ذراعيها تلقائيًا حول عنقه وتلك المرة ليس بطلب حماية، بل لتبادل قبلته الشغوفة بأخرى تماثلها شغفًا.

ابتعد وتركها لاهثًا يطالع وجهها المحمر إثر قبلته القوية.. انتظر حتى تفتح عينيها لينشغل بهما، ويترك شفتيها المنتفضتين واللتين تثيران بركانه الخامد.. ولأنها لم تفعل ذلك لزمه تكرارُ العقاب مرةً.. وأخرى.

وستقضي المسكينة ليلتها في العقاب، والمعاقب لا يشعر بالإكتفاء.

....

مستكينةٌ بين ضلوعه تستمع لدقات نابضه المنتظمة، وعلى ثغرها أجمل إبتسامة.. لا تعي كيف اجتاحها بطوفانه دون سابق إنذارٍ، كيف و متى لا تدري جل ما تدركه أن هناك شيءٌ ما يجذبها لذلك الرجل.. رجولته.. عنفوانه.. مزاجه المتقلب.. بسمته التي تفلت منه وقت غضبه، نظراته التي تخترقها فتربكها.. كانت تسعى لإكتشافه في كل يومٍ بخطوةٍ لكن الليلة هو من قفز إليها متخطيًا عدة حواجز سبق و وضعها بنفسه..

رفعت رأسها قليلاً من فوق صدره المكشوف، تطالع ملامحه الهادئة وترتكز بذقنها عليه فتراه مسبلَ العينين بأنفاسٍ رتيبةٍ، ظنت أنه قد راح

في سباتٍ عميقٍ حتى وصلها صوته الرخيم

ومازال على وضعه:

- مالك؟

همست بعد تفكيرٍ.. بترددٍ:

- ليه عملت كده؟

افترق جفناه ببطءٍ ينظر لعمق عينيها قائلًا

بصوته الأجش:

- أنتِ مش مراتي ولا إيه؟!

بادلته النظرات الحائرة قبل أن تعود لوضعها

السابق تلتصق فيه كقطةٍ شريدةٍ تنشد دفئه

وملآذه الآمن:

- أنت مش ندمان على اللي حصل.. ومش هتسبني.. مش كده؟

شدد على ضمها لصدره وهو يهمس بدوره:

- أنا عمري ما ندمت على حاجة عملتها.. وسواء ده حصل بيننا أو لأ في الحالتين مستحيل أسيبك.

وكلماتٌ كتلك ودفءٌ كهذا الذي يحتويها أكثرُ من كافٍ لتغرق في نومٍ هادئٍ، فتهفو لقلبها دغدغاتٌ محملةٌ بنفحاتٍ من السعادة تذوقتها فقط بين يديه.

* * * * *

حبيبي .. مهما سافرت.. مهما بعدت

ومهما غبت.. يا روحي عني .. قريب مني

مهما طالت رحلتك .. مستنياك .. قلبي معاك

يا حبيبي .. في غربتك

مستنياك يا روحي بشوق كل العشاق

مستنياك تعبت تعبت من الأشواق

مستنياك وأنا دايبة يا عيني من الفراق

حبيبي ... حبيبي

أمرها بدر ليلة الخطبة أن تتوقف عن قبول تلك الباقات المجهولة لربما كان مرسلها سيءُ النوايا لذا من الأفضل قطع كافة الطرق من البدايةِ فإن كان ينوي خيرًا.. لِمَ لَمْ يظهر و يكشف عن نفسه حتى الآن؟

في النهاية انصاعت لأمره مرغمةً.. وظل يرسل، وهي تتلقى لمدة أسبوعٍ كاملٍ ومن بعدها إنقطعت الباقات، لا ورود ولا زهور وعادت لنقطة الصفر دون أن تعلم هوية المرسل، وكأن لا يكفيها حزنها على فقدان باقاتها اليومية؛ فالجميلة فرحة مكتئبةٌ نوعًا ما.. تحادثها كل ليلةٍ كعادتها، ولا فائدة.. تثرثر هي والأخرى تستمع بصدرٍ ضيقٍ، وآخر حكاياتهم الليلة كانت تخص تلك التالا التي شاهدتها ليلة الخطبة وكفها بين يدي زوجها..

هتفت ساندي بضيقٍ:

- بنت مايعة كده بشعر أصفر وعينين زرقاء ماعرفش عجبته في إيه..؟

أخفضت صوت الراديو الصادح بأغنية "مستنياك " واعتدلت في جلستها تهتف متذمرةً ليصل الأخرى الرد المتأفف عبر شبكات الهاتف:

- على فكرة أنا شفت صورها على الفيس وطلعت زي البدر ليلة تمامه.. وشكلها لذيذ مش ملزقة زي ما بتقولي.

لتعود ساندي لهمسها الحانق:

- لذيذ! أنتِ بس ماشفتهاش في الواقع علشان كده مخدوعة فيها.

غمغمت فرحة بجديةٍ مغتاظةٍ:

- هوالراجل حلي في عينيك بعد ما إتجوز! إللي يشوفك كده مقهورة يقول غيرانة منها.

ردت بصرامةٍ:

- أنتِ إتجننتي بدر أخويا.. يعني زي إسلام وباسل كده ومن ناحية بحبه فأنا بحبه فعلًا وقوي كمان وحاسة إن جوازته دي وراها سر بحاول أدعبس وأعرف من إسلام بس عامل زي القفل المصدي ماعرفتش أطلع منه بحاجة.. كل الحكاية إن بدر ابن حلال وغالي قوي عندي، كنت أتمنى له واحدة تناسبه بدل المايعه دي.

- ياستي ربنا يسعده.

وبعد حديثٍ طال بينهما في نقاشاتٍ وخلافاتٍ متتعددةٍ هتفت فرحة بقوةٍ حتى كادت أن تخرق أذن محدثتها:

- دلوقت روحي قولي له كده وسيبي الخط مفتوح عايزة أسمعه بنفسي.

- أيوة بس افرض عرف أن بنعمل عليه فيلم أنا ماضمنش إيه العواقب؟!

وفرحة أصرت على رأيها ولن تتزحزح؛ فقد ملت الإنتظار وتعب قلبها المسكين والتاع، وهو لا يبالي.. إذًا فلتتحرك هي..

وبالفعل نهضت ساندي مرغمةً بعد إصرار ابنة عمتها لتتجه نحو حجرة باسل بترددٍ.. أخفت الهاتف بجيبٍ منامتها ودلفت الغرفة، نظرت حولها لم تجده.. مدت يدها نحو الهاتف تخبرها أن الخطة فشلت من قبل البداية؛ فالغرفة فارغة لكنها أعادته سريعاً بإرتباكٍ ما إن وصلها

صوت باب الحمام الداخلي يفتح، وقفت بثباتٍ تستجمع قواها وتبدأ التنفيذ.

خرج بعد ساعة ونصف الساعة من تحت رشاش الماء البارد.. خصره ملتف بمنشفة عريضة، بينما شعره وجسده يقطر ماءً.. رآها تتوسط حجرته دون سابقِ دعوةٍ، لم يهتم وتحرك ناحية الصوان يقلب فيه ورغم قسمات وجهه الغير مريحة لم تتراجع..

هتفت بتلعثمٍ:

- باسل كنت عايزة أتكلم معاك في موضوع.

والرد جاف:

- خير..

تنحنحت وأخذت خطتها قيد التنفيذ:

- فرحه.. يعني.. أقصد متقدم لها عريس وأنكل حسن تقريبًا موافق و.. و يعني هو حد كويس وكده.. ها بقى أنتَ رأيك إيه؟!

ارتكز بكفيه على الصوان، بينما رأسه مائلٌ للأسفل وأنفاسه اللاهثه تزداد ضراوةً ليغمغم بعدها بصوتٍ هادئٍ.. جامدٍ:

- خليها تشوف نصيبها..

صاحت فيه بصوتٍ مصدومٍ.. مغتاظٍ:

- أنتَ بتقول إيه..!

والجواب تلك المرة غير هادئٍ تماماً.. ضرب فوق الصوان بقوة حتى آلمه كفاه وهو يعيد جوابه بنبرةٍ أقرب للصراخ القاسي:

- قلت لك خليها تشوف نصيبها بعيد عني..

واستدار يواجهها بعينيه المحمرة القاسية؛ ليردف سائلاً إياها بحدةٍ:

- صعبة دي؟

ظلت تطالعه بوجهٍ جامدٍ لا تعرف ما أصابه.. هل هذا توأمها؟! لقد نفذت خطة فرحة كما طلبت منها لأنها واثقة أنه لن يسمح بذلك لكنه.. يا إلهي!

تحركت تهرول لخارج الغرفة، استلت الهاتف،

وأخذت تهتف باسمها تخبرها أنه ليس على ما

يرام وأنهما قد اختارتا التوقيت الخاطئ

فليخبرناه أنها مزحة فقط لاغير..

لكن لا مجيب سوى صوت المذياع..

للدرجة ديا .. تغيب عليا

وتهون عليك دمعة عينيا .. ويهون هواك

خايفة الأسية .. تاخد شويه

من شوقي ليك أسال عليا .. وإنت هناك

* * * * *

كان قد قارب الفجر على البزوغ حين ارتمى

بجسده فوق الأريكة خاصته داخل غرفته

بالمشفى.. بدأ أمسيته بعشاء معبق برائحة البحر برفقة الحبيبة وانتهى به الأمر داخل حجرة الولادة.. أي هناءٍ هذا الذي يحياه؟!

استل هاتفه يفتح تطبيق "الواتس أب" وأرسل لها على الفور..

- نمتي؟

* لسة .. روحت؟

- لا عندي جراحة تانية كمان ساعتين.. كسلت أروح وأرجع تاني.

- لمار

* همممم

-أنا آسف.. عارف أن إعتذراتي كترت وأنتِ مالكيش ذنب لكن والله غصب عني.

* أنا أكتر حد يعرف طبيعة شغلك علشان كده مافيش داعي كل شوية تعتذر.. بس بكره لآزم أتكلم معاك ضروري، هخلص كشوفاتي وأطلع لك نتكلم.. أوك؟

- في إنتظارك من دلوقتي ☺

* روح نام بقى، ساعتين أحسن من مفيش.. أكيد مش قادر تفتح عينيك.

-هو أنا قولت لك إني بحبك قبل كده ♥

* كتيييييير -_-

- طيب ما تيجي نتقابل 😉

* دلوقتي!! إزاااااي 😳

- في الحلم 😊

*ربنا يهديك 😤 يلااا تصبح على خيييير.

-وأنتِ من أهلي 💋 💋

*الأيموشن ده تاني 😒

-أي حاجة فيها بووووس بحبها 😚

*قليل الأدب 🙉 🙊 🙈

-عااااارف 😎

أجمل ما في تلك التطبيقات أنها لا تنقل الشعور كما تنقل الكلمات.. تركت هاتفها على الكومود المجاورلفراشها وضمت جسدها بقوةٍ.. عيناها

تحوم في الظلام الدامس من حولها بينما كلماته لا تزال تدوي وتخترق السكون.. لم تعِ شيئًا ولم يصلها ماذا يريد تحديدًا.. لم يريدها أن تبتعد عنه هكذا ببساطة لتكسر قلبه من جديد؟ بل كيف تفعلها؟!

ماذا أصاب ذاك المعتوه ليقل كلامًا كهذا..

رباه.. يبدو حقًا كمعتوهٍ حقيقيٍ مصاب بخللٍ ما في عقله، يريد أن يحافظ على صورته أمام أخيه وحتى يفعل ذلك عليها هي أن تدفع الثمن، وتبخس من نفسها أمامه، تشوه صورتها بعدما ما أصبحت تخصه، تطعنه دون وجه حقٍ ولأجل من؟

مئات من الأسئلة والأجوبة مبهمة غير واضحة والحل هو واحد لا غيره.. هذه المرة لا سبيل للرجوع لتنهي تلك الحكاية، وفي جميع الأحوال سيكون أهون من عذابها الذي باتت تتعايش معه منذ أن رأت الآخر، ولا يكتفي بل يزيد رعبها الليلة بحديثه الغريب، و ألآعيبه التي مازال يخترعها حتى يبرر ما قام به.

* * * * *

كان ما قد كان.. مات

كان في عينيك حلم

خانني وسط الطريق

حين صار الموج وحشًا

لم يعد يرحم أنات الغريق

كان في عينيك حلمٌ

يعزف الألحان في عمري.. وعمرك

أغنيات للطيور..

كان سرًا من خبايا الصبح حين يجيء

في ليل جسور

بحر عينيك توارى

جف ماء البحر في صمت

وصار الآن أسماكًا

تساقط جلدها بين الصخور

كيف صار اللؤلؤ المسحور

أحجارًا على الطرقات حائرة

وفي هلع.. تدور؟

كيف صار الموج في عينيك شيئًا.. كالرفات؟

كيف مات الطهر فينا

كيف صرنا كالأماني الساقطات؟

آهٍ من عينيك آهٍ

لست أدري في رباها غير عنوان

أراه الآن ينكرني

قلت يومًا.. إن في عينيك شيئًا لا يخون

يومها صدقت نفسي..

لم أكن أعرف شيئًا

في سراديب العيون

كان في عينيك شيءٌ لا يخون

لست أدري.. كيف خان؟

ليس يجدي الآن شيء

فالذي قد كان.. كان

احرقي الأحلام والذكرى

فما قد مات .. مات

وأخرسي دمعًا لقيطًا

ما الذي يجدي لكي نبكي على هذا الرفات؟

" فاروق جويده "

***

هل جربتم من قبل إحساس النصل الحاد المغروس بين ضلوعكم فيصيب القلب دون غيره؟

هل ذاك الشعور مؤلمٌ؟

ماذا إذًا إن كان الطاعن أقرب ما يكون للقلب المطعون، هل يدرج ذلك الشعور تحت مسمى الألم أيضًا!

مقطع فيديو مرسل لحسابه الشخصي لم يهتم من يكون المرسل بل في الأصل هو ممتنٌ له.. فقد بات يعلم الآن لم كانت تبكي عروسه ليلة خطبتهما، ولم اختفى أخوه دون سابق إنذارٍ، وهو من كان ينتظر قدومه، وحين سأله أجابه ساخرًا أنه هو من كان لا يرى أحد غير عروسه..

انطفأ شعاع العسل داخل عينيه وتحول دفئهما لبرودةٍ امتدت وتشعب صقيعها حتى قبضت على قلبه المطعون واعتصرته دون هوادةٍ.. والسبب نظرة عينيها العاشقة لغيره التي رآها من قبل وأرقت مضجعه لشهورٍ.. فبات يميزها من بين ملايين النظرات.. والآن تجسدت أمامه بشكلٍ آخرٍ وسط حفل زفاف وشقيقه يتنقل بين الحضور بجيتار يخصه يعرفه حق المعرفة بينما عيناه لا ترى غيرها.

وهي.. هي تبادل نظرته بأخرى مماثلة بل تبدو عاشقة!

نعم أخبرته من قبل أنها على ذمة عاشقٍ، وقلبها ملكٌ لآخر لكنها لم تخبره أن ذاك العاشق والمالك لقلبها هو في الأصل أقرب له منها.

(١٨)

مواجهة

التِرياقُ الأفضلُ للقارئِ العليلِ.. هو الكتابةُ

"غابرييل وسيرريكو"

***

مهما بلغت الأسطرُ والحروفُ قد لاتبوح إلا بقليلٍ مما في دواخلنا إنما جعلت الكتابة متنفسًا للقليلِ مع كثيرٍ من الكتمان.. فبها نفرغ ما بداخلنا لربما نرتاح قليلًا، رغم أن الحروف حُفرت على الورق، ولكن يظل الألمُ الحقيقيُ محفورًا داخل القلوب.

فوق مقعدها الوثير تترنح ببطءٍ كعادتها المكتسبة مؤخرًا، وبين يديها تلك المرة دفترُ مذكراتها منذ كانت ابنة السادسة عشر.. تُقلب بين صفحاته وتلوح ذكرى أيامٍ مرَّ عليها الزمانُ فتضحك تارةً، وتدمع مآقيها في أخرى، كان يلازمها طيلة الوقت تخط فيه خواطرها وأشعارها الحالمة.. وصلتها اليوم رسالةٌ نصيةٌ جديدةٌ بمضمونٍ مختلفٍ، فحواها بريد إلكتروني لإحدى صفحات "الفيس بوك" تحمل عنوان "همسات حواء"، وما إن فتحتها حتى وجدت أشعارها الحالمة مبعثرةً هنا وهناك وبعد دقائقٍ من التصفح وصلتها رسالةً أخرى بمضمونٍ مختلفٍ..

"اهمسي حواء.. تخلصي من قيدك الصدئ..

انبذي ضعفك"

عزفت تلك الكلمات ألحانها على وترها المهمل بفعل الزمن ولم تستطع إلا أن تقوم بإجراء اتصالٍ لصاحبها.. صدح الرنين وطال، ولم يكن هناك مجيبًا.. وحين أعادت الكرة، قابلتها تلك الرسالة السمجة التي تخبرها أنه خارجُ النطاقِ أو ربما يكون مغلقًا، وحينها لم تترد وقامت بفعل المثل وخطت بيدها رسالةً نصيةً ثم أرسلتها، كأنها تفرغ ما بجعبتها لصديقةٍ قديمةٍ وقد كان مضمونها..

"ابتعدتُ عن عالم الكتابة منذ زمنٍ، وأنا الآن لم أعد قادرةً على ترتيب حروفٍ مفهومةٍ.. ربما

أحتاج مساحةً أكبر كي أبوح دون أن يقرأني أحدٌ."

وانتظرت ساعةً وإثنين حتى باتو ثلاثًا ولا رد.. لذا قررت إزالة الغبار عن مذكراتها تسترجع معها حلاوةَ الذكرى.. وسؤالٌ واحدٌ يدور بخلدها، كيف وصل ذاك الغريب لكلماتها تلك؟ صحيح لم تكن تخفي ما تكتب بل كانت تقوم بمشاركة صديقاتها آنذاك من داخل العائلة و خارجها حتى تنال التشجيع منهن وتكمل مسيرتها بروحٍ عاليةٍ.. لكن مع مرور السنوات وإنقلابات حياتها نسيت أحلامها ونسيت روحها معها..

قطع شرودها وصول رسالةٍ جديدةٍ، جذبت الهاتف سريعاً لتقرأ ما وصلها..

"كوني حواءً كما يجب أن تكون.. لأجل صغيرتك."

وبسمةٌ لا تعلم منبعها شقت الطريق بين شفتيها فانفرجتا ببسمةٍ عذبةٍ وهي تدور برأسها تنظر خلفها لطفلتها النائمة.. ملاكها الصغير، هديتها من القدر.. ودون تفكيرٍ سحبت قلمًا، وفتحت دفترها العتيق على إحدى صفحاته الفارغة وبسمتها تزداد عذوبةً بينما يدها تخط في المنتصف..

[حواء كما يجب أن تكون]

* * * * *

داعبت خيوطُ الشمس رموشها الكثيفة، مرفرفةً بخجلٍ وهي تتماطئ بتكاسلٍ.. امتدت يدها عنوةً للفراش فوجدته خاليًا.. نهضت بتثاقلٍ بعد ما ارتدت ملابسًا مناسبةً.. خطت نحو الخارج متيقنةً أنه مازال هنا حين أتاها صوته القوي المنبعث من حجرة والدته.. يطعمها فطورها ويناولها دوائها بنفسه كل يومٍ في نفس التوقيت ليرحل بعدها للمشفى .. كان قد أنهى مهامه حين ارتكزت بجذعها على إطار الباب تراقبه بصمتٍ.. ودع والدته ببسمةٍ وقبلةٍ حانيةٍ، من ثم غادرها..

لتصدم عيناه بها.. ترتدي منامةً فضفاضةً، وشعرها الذهبي مشعثٌ، كانت كطفلةٍ مدللةٍ قضت ليلتها في العقاب بحق!

وحين جاورها عند الباب تحدث بصوته الرخيم:

- صباح الخير.

وتهمس هي متبسمةً:

- صباح الورد.

تأكد من هندامه سريعاً ثم حمل حقيبته الصغيرة ينوي ذهابًا.. كانت تراقبه بصمتٍ وقلبها يسألها ما به اليوم مختلفٌ ليبدو جذابًا هكذا بتلك الخطورة؟ ماذا يفعل بكِ تالا! بحق الله ماذا يفعل بكِ هذا الرجل، وكيف تبدلت بتلك السهولة، بتُ لا أعرفكِ هل هذه أنتِ تالا؟!

وأجابت على حالها حين هتفت باسمه دون وعيٍ، وما إن استدار لها حتى اقتربت دون خجلٍ.. ترتفع

على أصابع قدميها حتى تصل لوجهها بينما كفاها يتشابكان من الخلف.. اقتربت أكثر حتى لامست وجنته بشفتيها وطبعت قبلةً دافئةً لتبتعد بعدها هامسةً برقةٍ:

- خد بالك من نفسك.

عضت فوق شفتها خجلًا، وهي ترى نظراته المتعجبة والتي شملتها من رأسها حتى أخمص قدميها ومع ذلك تقدم بدوره طابعًا قبلته فوق جبينها ليبتعد بعدها متبسمًا بحنوٍ:

- وأنتِ كمان.

وصل للباب فعاد لها برأسه يتحدث تلك المرة بجديةٍ:

- وماما يا تالا مش عايز جنان خلي بالك منها..

ماشي؟

هزت رأسها برفقٍ ليرحل بعدها وتأخذ هي نفسًا عميقًا، تقلب بصرها يميناً و يسارًا مفكرةً في بداية يومها المختلف هذا.. كيف ستكون؟

* * * **

وقتما تجسد خيالاتنا وجوهًا مجهولةً تكون الصورة مبهمةً، مشوشةً ومع مرور الوقت تتوارى وتختفي في أغلب الأحايين وتصبح شيئًا لا يُذكر، والعكس صحيح حين تكون الوجوهُ مألوفةً وقتها يتجسد الخيال كفيلمٍ وثائقيٍ يعاد ويكرر وبعدها تترك لخيالك البراح ليكمل ما ترفض رؤيته..

وهو على حاله منذ ليلة أمسٍ، قابعٌ خلف مكتبه بصمتٍ، يضم وجهه بين كفيه بينما مرفقاه مرتكزان على المكتب، عيناه تنظر بجمودٍ نحو حاسوبه المستريح أمامه كأنما توقف الزمن.. لم يشعر حين فتح أحدهم الباب ودلف للداخل إلا حينما أتاه الصوتُ الأنثوي يخترق عزلته:

- دكتور إسلام.. يادكتور حضرتك سامعني؟

انتفض إثر نبرتها القوية، ظل يطالعها بصمتٍ زاويًا ما بين حاجبيه حتى عادت تثرثر:

- أوضه العمليات جاهزة يادكتور ومدام هالة وصلت.. مستنيين حضرتك بس.

هز رأسه ببطءٍ صامتٍ لتذهب بعدها مساعدته ونهض هو بعد ما أغلق الحاسوب وكأنه هكذا ينهي الأمر.. تحرك بعدها لغرفة التبديل بآليةٍ، وحينما انتهى توجه منها إلى حجرة العمليات.. أعطى إشارةً لطبيب التخدير ليبدأ مهامه وما إن انتهى حتى جاء دوره ليباشر عملية استئصال ورمٍ ليفيٍ لامرأةٍ أربعينيةٍ، بدأ خطواته بتمهلٍ مستعيذًا من الشيطان الرجيم وخياله اللعين لا يتركه لحال سبيله، بل يتجسد ويضرب ناقوس خيالاته رغمًا عنه، فيتجسدان أمامه بفعل عقله الباطن وتتوالى الأسئلة دون هوادةٍ.. هل أمسك بكفها وسحبها من بين الزفاف لتقضيَّ ليلتها تستمع لكلامه الغزلي المعسول الذي يعرفه

حق المعرفة؟ وربما زادت الحميمية بينهما فاجتاحهم الشغف، وفعل -كما فعل هو- وتذوق رحيق شفتيها!.. وهنا وفي تلك اللحظة انتفضت يده، ولأولِ مرةٍ منذ أن بدأ يمارس الطب، فسقط ما بيده.. مسح جبينه المتعرق بظهر كفه والتقط آخرًا من يد إحدى مساعديه وعاد يكمل..

واللعنة!

يده لا تكف عن الارتجاف مع كل حركةٍ، في حين نظرت له إحدى الممرضات التي تجاوره بتوجسٍ وهمست باسمه عدة مراتٍ وكأنه لايسمع..! وبعد دقائقٍ قليلةٍ كان الصديقُ يقتحم الغرفة بعد ما أرسلوا في طلبه على الفور..

ليتقدم هاتفًا بقلقٍ:

- إسلام أنتَ كويس؟

وما إن خرج سؤالُ الآخر حتى نظر له بحدةٍ صامتةٍ، وعاد يكمل ما يفعل، ولم تمر ثوانٍ حتى قبض بدر على يده المنتفضة وقبل أن يتكلم دفع به بقوةٍ وهو يهتف بحدةٍ صارمةٍ:

- أنا كويس.. أخرج أنتَ.

وبعد برهةٍ قصيرةٍ كان يجذبه من تلابيبه يدفع به بقوةِ كفيه معًا في صدره لينتهي به الأمر خارج الحجرةِ وهتاف بدر الزاعق يفوق هتافه:

- في إيييه أنت إتجننت.. الست هتموت في إيدك!

ولم يزد بعدها حرفًا؛ ليعود للداخل مرةً أخرى يكمل ما بدأه صديقه ولم يتمه على أكمل وجه على غير عادته، بينما الآخر ينزع عنه كمامته بعنفٍ، يقذف بها أرضًا، من ثم يعود لوضعه السابق.

وبعد الساعتين كان يضرب الباب بعنفٍ ليقتحم خلوته وغضبه يزداد، لم يعيره أدنى إهتمامٍ لمنظره الرث، بل صرخ فيه بقوةِ غاضبٍ:

- عايز أفهم إيه اللي حصل ده وإزاي إيدك كانت ترتعش كده؟! كنت هضيع نفسك ومسقبلك يا مجنون.

منكسُ الرأس بينما أصابعه تتشابك من خلفها، ضاغطًا بقوةٍ فوقها.. تحدث دون أن يرفع له عينيه، وكانت نبرته ضائعةً، والسؤالُ مضطربٌ:

- حصلها حاجة؟

والجوابُ مزمجرٌ بلمحة عتابٍ:

- الحمد لله الحالة مستقرة بس كان إحتمال يكون في نزيف ومتاهات إحنا مش قدها.. دي روح بني آدم يعني الغلطة بفورة يا صاحبي.

رفع رأسه بغتةً يطالعه بعيونٍ جاحظةٍ، وكأن عقله يستوعب صدمته للتو:

- كان ممكن تموت بين إيديا يابدر.. كنت هقتل روح!

ودون كلمةٍ أخرى.. جذب سترته بعنفٍ غير آبهٍ لعلامات القلق التي انتابت صديقه وانطلق يخطو بخطواتٍ واسعةٍ لا يرى فيها غير السواد.

* * *

ترجل من السيارة وما إن خطى بخطواته، حتى أجفلته نبرته الحادة، تعلو باسمه والتي تحمل بين طياتها غضبًا لا يستطيع تقديره وهو يعلم السبب، وكيف لا وتلك في الأساس كانت هديته الأولى!

اقترب باسل بدوره يتطلع لقسماتِ أخيه القاتمة أو أجدر بالذكر المخيفة.. رغم أن نصف ملامح وجهه اختفت تقريبًا بفعل الضوء الخافت لكن

النصف الآخر أظهر ما يجب أن يراه وقبضتاه المضمومتان بقوةٍ تعنيان ذلك..

إذن حانت المواجهة..!

وكان باسل هو المتحدث أولًا، نفسٌ عميقٌ، وهتافٌ أجشٌ:

- ناوي تتكلم ولا تتغابى؟

ولكمةٌ قويةٌ سددها لفكه كانت جوابًا كافيًا، ترنح للخلف على إثرها ثم عاد واتزن سريعًا ليردف تلك المرة بغضبٍ:

- يبقى قررت تتغابى.

وقبل أن يكمل ثرثرةً، كان الأكبر ينهال عليه بلكماتٍ مستعرةٍ بغضبٍ أهوجٍ تحط عليه أينما

كان.. والباسل يتحمل ويتحمل رُغم آهات الألم الواهنة، ويهتف بثباتٍ:

- اضرب لو ده هيريحك..

ليزداد بعدها حنقه و يستعرغضبه أكثر وأكثر، وهو يزأر كأسدٍ حبيسٍ، ويصرخ فيه بعلو صوته وركبته تصيب معدته:

- ليه يا باسل تستندل مع أخوك.. ليه هي بالذات ليييييه؟!!

وجوابه خرج متقطعَ الأنفاس، واهنٌ، يوازي سقوطه على ركبتيه:

- ماكنش أعرف.. والله ما كنت أعرف أن هي غير يوم الخطوبة.

جذبه من تلابيب قميصه حتى نهض من جديدٍ، ينظر لعينيه ويطبق على عنقه حتى كاد يحبس أنفاسه من ثم يصرخ فيه بعيونٍ تقدح الشرر:

- وبعد ما عرفت عملت إيه؟ استغفلتوني!.. مش ناوي تنضف بقى هتفضل طول عمرك ندل وتافه..

وحينما أوشك على الإختناق من قوة قبضته حول عنقه، دفعه بعيدًا وهو يسعل بقوةٍ بينما جسده عاد يترنح ولسانه يهتف بحدةٍ:

- أنا عمري ما كنت ندل ومعاك أنتَ بالذات.

وكأن غضبه لن ينتهيَ الليلة، ولن تخمد ناره.. عاد، ولكمه بقسوةٍ من جديدٍ دون وعيٍ.. وتلك

الأخيرة استهدفت أنفه مع صياحه القوي الذي اخترق السكون ودوى من حوله:

- أنا كنت هقتل روح النهاردة، عارف يعني إيه؟.. وأنتَ السبب.

تنافرت الدماء على سائر وجهه وطال بعضًا منها يد الغاضب.. ترنح وارتطم بطول جسده فوق الأرض الصلبة، بينما عيناه مازالت تقاوم حتى تحتفظ بآخر صورةٍ مشوشةٍ، وكلمات شقيقه الأخيرة تدوي داخل عقله..

قتل

روح

وهو السبب



وما أبشعها من كلماتٍ!

وببساطةٍ التقى جفناه دون أدنى مجهودٍ حتى ضاعت الرؤية تماماً..

والآخر يطالعه من علوٍ بجمودٍ، وهو يراه كالجثةِ الهامدةِ، والدماءُ قد لطخت سائر وجهه.. أنفاسه تستعصي، وتأبى الخروج حتى تريحه.. فقط تتحشرج داخل حلقه حتى باتت بهياجٍ مسموعٍ..

وفي تلك اللحظة.. خرجتا ساندي وشهيرة، تقتربان بذعرٍ بعد المشهد المخزي الذي شاهدتاه من الشرفة العلوية.. ومع رؤية أحد أبنائها ممدٍ دون حراكٍ، والآخر يطالعه بصمتٍ مكتفيًا بدور المتفرج.. صرخت فيه بذعرٍ:



- قتلت أخوك يا إسلام!

نظر لها بجحوظٍ من وقع الكلمة.. بينما اقتربت هي من الآخر تضم وتهتف بجذعٍ، تملس بأنآملها فوق وجنتيه وجبهته ببطئٍ.. وبعد حين تحركت يده تمسد أنفه، منطقته المصابة بفعل الثور الهائج ذاك، أخذ جفناه يفترقان عن بعضهما ببطئٍ، ينظر لعيني أخيه المستقرة فوقه فيدمدم بسخريةٍ:

- ماتخافش هو أينعم إيدك تقيله زيادة عن اللزوم بس لسه مامتش.

تحركت ساندي تتمسك بذراع الأكبر وتسأل بقلقٍ:

-حصل إيه يا إسلام علشان تضربوا بعض كده؟

ليتابع باسل سخريته:

-بعض! فين بعض ده؟ وكمان عمياء ياسو.

كان ينظرله من علوٍ.. يخترق عيناه وشعاع العسل المنطفئ يخبره أنه قد خذله وحطم فؤاده لعدة شظايا، لا يعلم إن كان سيجمعها ويعود به لسابق عهده أم أن حطامه بات رمادًا.. واكتفى بصمته ليغادر بعدها المنزل تاركهم خلفه.

والآخر يستشعر خذلانه والألم الذي يحيا فيه بسببه.. زفر بقوةٍ في محاولةٍ للنهوض رافعًا ذراعيه هاتفًا بضجرٍ:

- قوموني..

طالعته شهيرة بنصف عينٍ بعد ما اطمأنت عليه لتغمغم في حيرةٍ:

- أنت عملت إيه علشان يتجنن عليك كده؟

عافر وتحامل على نفسه حتى نهض دون مساعدةٍ، تجاهلهم خلفه وسار بخطواتٍ ركيكةٍ.. فاقتربت منه ساندي تسانده قائلةً بامتعاضٍ هامسٍ:

- أكيد هببت مصيبة، إسلام مش هيتجنن كده غير لما يكون جاب آخره.. عملت إيه إنطق؟

- كسرت له قلبه.

خرجت همسته خفيضةً توازي ملامحه المبهمة..

فعقدت حاجبيها في عدم فهمٍ وهمت بطرح المزيد.. لكنه أوقفها بتعبٍ:

- هششششش مش عايز أسمع حرف.

دلف لغرفته وغادرت ساندي بأمرٍ منه.. استلقي فوق الفراش عرضيًا، ويده تعبث بجيب سترته الداخلي.. أخرج حافظة نقوده وسحب منها ما يخفيه عن حاله قبل أيٍ كان..

صورتها

يتأملها ويشبع جوع عينيه، يحادثها قلبه لا لسانه، يملس بأنامله كثها الأسود الطويل "ليله".. الحالك وعشقه الأزلي الذي يتيه بين

سواد خصلاته، فترتفع عيناه نحو "قمره"..
عيناها أثيرتاه بنظرتهما المسكرة وأخيراً ضحكتها..

ليطلق بعدها تنهيدةً طويلةً ويهمس لصورتها
كأنها تتجسد أمامه:

- لو تعرفي بس وحشتيني قد إيه ومحتاج لك قد
إيه.

* * * * *

بدأت يومها بجرعة نشاطٍ لم تنلها من قبل،
تستشعر حالها كفراشةٍ في نهار ربيعي، قلبها
الأحمق يخفق بنبضاتٍ ثائرةٍ.. حتى ابنة الجارة
تراها اليوم بوجهٍ مختلفٍ، كأن الكون وما فيه
يزداد جمالاً!

استأنست بتلك المدعوة أماني؛ فهي عروسٌ وزيارتها تزداد مؤخرًا بفضل وصفات تالا الرائعة.. ومن بين ثرثرتهم الصاخبة التقطت أذنيها تلك الكلمات..

"دكتور بدر بيعشق حاجة اسمها ملوخية"

إذن فلتكن الليلة مميزة وضيف الشرف "ملوخية هانم"

أخذت خطتها قيد التنفيذ في التو واللحظة بقيادة الجميلة والمنقذة دائمًا وأبدًا أماني.. لكن قيادة نظرية تلك المرة.. أعطتها الوصفة وكررتها على مسامعها عدة مراتٍ قبل الرحيل.. وبدأ التطبيق العملي بأيدي الجميلة ذات الخصلات الذهبية بنفسها.. نفذت الخطوات بحذافيرها،

وانتهت بحمد الله دون خسائر فادحة إلا من كأسين، وثلاث أطباقٍ حُطموا شر تحطيمٍ، لملمت الحطام المبعثر على عجلٍ تخفي آثار الجريمة بل تمحوها من الوجود..

واتصالٌ صغيرٌ مع حلول المساء و اقتراب موعد العودة..

"لا مفيش حاجة اطمن.. أنا بس حبيت أقول لك بلاش تأكل بره النهاردة.. هستناك نتعشى سوى.. أوك.. باااى"

ونفسٌ طويلٌ

فتأنقٌ سريعٌ

تبعه إعدادُ المائدة

فعودة سيد الرجال وحاجبه المرفوع بتوجسٍ، ونظرة عينيه المتعجبة كانا من أجمل ما رأت يومًا.. أما عنه قرر منح معشوقته أول قضمةٍ، لكن ملامحه المتغضنة فجأه تنبأ عن خطبٍ ما.. عاد سريعًا وتبسم برزانةٍ بعد ما أزاح المعشوقه بصحنها جانبًا واكتفى بهتافٍ أجشٍ:

- أنا هشرب شوربه.. ماليش نفس للملوخية.

حركت رأسها بقلقٍ، وهي تتابعه بصمتٍ.. وبدأ هو برفع أول ملعقةٍ.

سعلةٌ قويةٌ، فأخرى، وأخرى.. حتى كادت أن تزهق روحه، وهنا رغمًا عنه فقد أعصابه وهدر بعصبيةٍ مختنقةٍ:

- حرام عليكِ يا تالا سكر وشطة مع بعض!

عقب كلماته الصادمة تلك.. جذبت ملعقتها تتذوق صنع يديها، لترفع نظرها إليه في حرجٍ وتهمس بصوتٍ متهدجٍ:

- الأتنين أبيض واحترت بينهم.. فعملت حادي بادي.

رفع حاجبيه بذهولٍ، وهم بالنطق الحانق.. لكن بكائها المفاجئ أخرسه.. لِمَ تبكي تلك الحمقاء الآن؟!

لم تفعلها يومَ ذهب أبوها وتركها، ولا حين منعها عن ممارسة عملها، ولم تفعلها حين صرخ عليها مرارًا وتكرارًا.. دائمًا ما كانت ترتدي قناع الصلابة، ولو من باب العناد وتأتي الآن وتبكي لكونها أبدلت الملح بالسكر..! وأخيراً ترك

تحليلاته الرهيبة واقترب منها بعد ما رقَّ قلبه لنشيجها الخافت، امتدت يده عنوةً دون سابق تفكيرٍ تمحي دمعاتها بأنامله وعيناه تتابع عينيها، عقد حاجبيه متسائلًا:

- ممكن أفهم ليه العياط دلوقت؟ محصلش حاجة يعني؛ عكيتي الدنيا المرة الجاية هتظبط.. وبعدين لو كل ما حاجة تبوظ تعيطي كده مش هنخلص!

قال آخر جملته بسخريةٍ مرحةٍ.. فسكنت شهقاتها قليلًا وهمست من بينها:

- أنا بعيط علشان جعانة.

لو أخبروه من قبلٍ أنه سيجاور يومًا ما امرأةً بعقلِ طفلةٍ، و تدعى تالا، تبكي وتشهق لأنها جائعة.. لكان دهس صاحب الخبر بإطارات سيارته دون رحمةٍ..! تنهد بيأسٍ ثم سحبها من خلفه، وسار بها إلى المطبخ، وبعد دقائقٍ كانت تتوسط الطاولة بمؤخرتها، تؤرجح ساقيها في تسليةٍ، بينما هو يرتدي مريول الطبخ فوق بنطالٍ بيتي مريحٍ رمادي اللون؛ يعلوه قميصٌ قطنيٌ أبيضٌ بأكمامٍ قصيرةٍ.. يدور هنا وهناك، يتلاعب بالأدوات بكل حرفيةٍ.. هل يوجد شيءٌ لا يجيد فعله ذلك الكائن؟

مالت رأسها بحالميةٍ وعيناها تبعث بقلوبٍ حمراءٍ من بين منبعهم الأزرق وهي تعيد وتكرر ذاك السؤال..

ولتكسر الصمت وتتلاعب مع ذاك الجميل هتفت مسرعةً:

- استنى ده سكر!

طالع العبوة في يده ثم تحرك نحوها ببطئٍ.. توقف قبالتها وارتفع حاجباه بنبرةٍ صارمةٍ:

- افتحي..

حملقت فيه دون فهمٍ، فحرك حاجبيه مرةً أخرى بإشارةٍ نحو فمها، فاستجابت لأمره صاغرةً وفتحته ببطءٍ وتوجسٍ، وقبل أن تعي ما يريد كان

قد فرك من بين أنامله بضع ذراتٍ، فعبست قسرًا من الملوحة المذابة في ثغرها وهتفت عابسةً:

- أنتَ مؤذي قوي.

عاد لقدره يحرك محتوياته ببطءٍ مدمدمًا بإقرارٍ:

- وأنتِ متدلعة.

ضحكت بخفوتٍ من نطقه المتهكم لوصفها الذي حتمًا يليق بها.. انتهى أخيرًا من إعداد طبقين من المعكرونة الفاخرة، فمهما تغير الزمن تظل السيدة معكرونة منقذة الجميع..

لتصفق بمرحٍ وهي تسرع الخطى نحو الخارج استعدادًا لتناول وجبتها بعد جوعٍ مفرطٍ.. بينما

هو يتمتم خلفها بسخطٍ، على الأقل تتفضل وتقدم الطعام هل يطهو هو ويقدم أيضًا!!

بأي زمان يحيا البشر!

لو يراه إسلام الآن لادخر نوباتٍ من الضحك لدهرٍ قادمٍ.. إسلام ذلك الأحمق خرج منذ الصباح، ولم يعد للمشفى مرةً أخرى، وهاتفه خارج النطاق.. ماذا به يبدو كمعتوهٍ اليوم..! ترك الأطباق بحنقٍ فوق المائدة طاردًا إسلام وغيره من تفكيره.. يكفيه تلك المتشردة التي تلتهم الطعام كمن لم يتذوقه منذ أيامٍ..

- هممم حقيقي أنت شاطر.. طعمها حلو قوي.. كل يوم عاوزين من ده.

- كل يوم من ده! وحضرتك هتعملي إيه؟

شردت بتفكيرٍ ثم قالت وهي تجيد تمثيل الجدية في كلماتها:

- طنط راوية عندها مقابلة بكرة مع أنكل مصطفى، من وراء أهلها ومحتاجة مساعدتي.. أصلها لسه مخطوبة سمعتها بقى وكده.. هي قالت لي وأكدت عليا ماقولش لحد وأنا طبعًا ماقولتش لحد خالص.

أنهت كلماتها بضحكاتٍ عذبةٍ تحاول كتمانها.. وعجزت ببساطةٍ جعلته يتبسم رغمًا عنه:

-ي ظهر كده الآنسة راوية والأستاذ مصطفى -الله يرحمه- كان حكايتهم حكاية.

- مامتك سكر قوي يابدر.. مش بزهق وأنا معاها.

- طبعًا مش حقل تجارب لهبل حضرتك.

رفعت حاجبيها هاتفةً باعتراضٍ ثم دفاعٍ:

- هبل! على فكرة بقى انا بعمل شغل أحسن من أي خبيرة تجميل.. أنت بس اللي مش فاهم، أصل من زمان بعشق الميك أب وإتعلمت حاجات كتير من النت وكان نفسي قوي أكون خبيرة وأفتح بيوتي سنتر.. بس بابا بقى هو السبب في دخولي مجال الطب وأنا أصلا مش بطيقه.

هتف بامتعاضٍ:

- كوافيرة!

كزت فوق أسنانها:

- خبيرة تجميل.

صمت قليلًا ثم أردف بتوجسٍ:

- بمناسبة سيرة بابا محاولش يكلمك؟

تلآشت بسمتها وتركت ما بيدها وهي تنهض قائلةً بخفوتٍ وإيجازٍ:

- لأ.. أنا شبعت هغسل الطبق بتاعي وبعدين أنام.. تصبح على خير.

لاحقت عيناه رحيلها حتى أغلقت بابها خلفها ببطءٍ.. مهما تظاهرت بالآمبالاة والنسيان.. بات يعلمها جيدًا ويعرف خباياها، تخلت عن كبريائها وعنادها التي ترعرعت عليهما خوفًا من أن يتركها بدوره كما فعلت والدتها من قبل ثم أبيها..

خافت من فقدآن مأوى بعد ما جردها أبوها من

كافة حقوقها، وهي تعلم أنها بمفردها قليلة حيلة لن تفلح في شيءٍ.. هي تحتاج للسند والأمان كي تتفتح وتزدهر بكل ما فيها من حياةٍ، وصخبٍ، وما إن يحدث العكس تعود تذوي، وتذبل كأنها تغدو تائهةً، ضعيفةً بوحدتها.

* * * * *

دعني وجرحي فقد خابت أمانينا

هل من زمانٍ يعيد النبض يحيينا

يا ساقي الحزن لا تعجب ففي وطني

نهرٌ من الحزن يجري في روابينا.

"فاروق جويدة "

تعتلي فراشها ويهتز جسدها للأمام ثم الخلف في رتابةٍ، تقضم أظافر كفها بتوترٍ وبالآخر يكمن هاتفها الخلوي فوق أذنها وذات الرد يواجهها منذ الصباح، الهاتف مغلق ..

غادر المشفى باكرًا، هكذا أخبروها حين تسائلت عنه، حتى أنه لم ينتظرها ليتحادثا كما اتفقا ليلة البارحة.. قلبها يخبرها أن هناك خطبٌ ما قد حدث فتلك ليست عادته، لم يتناولا فطورهما الصباحي وهو لم يهتم بالأمر أو يعتذر كعادته أيضًا، حتى لم يهاتفها ولو لمرةٍ واحدةٍ منذ الصباح، وهي من كانت تغضب لكثرة إتصالاته ورسائله أثناء عملها وكان رده على غضبها ضحكةٌ عابثةٌ تحمر على إثرها خجلًا.

فكرت في مهاتفة ساندي.. لكن عادت وتخاذلت خوفًا من بث القلق في قلوبهم.. ربما كان الأمر عملٌ ما خارج المشفى وانشغل به قليلًا. قطع تفكيرها المضطرب رنين الهاتف بين يديها، وما إن لمحت اسمه يضيء فوق الشاشة جذبته من فورها لتهتف بقلقٍ:

- إسلام فينك قلقتني عليك!

- إنزلي..

لفظها باردةً.. جامدةً.. كفيلةً لجعل أوصالها ترتعد وقلبها يخفق بجنونٍ.. لتهمس متوجسةً:

-أنزل فين دلوقت! بابا وماما نايمين؟

- مستنيكي تحت البيت.. إنزلي.



وأغلق الخط..

لتطالع هي الهاتف مشدوهةً..! نهضت من فورها نحو النافذة تتأكد من وجوده، وما إن لمحت سيارته مصفوفةً هناك أمام البناية زاد خوفها وتحركت تلبي طلبه..

دقائقٌ قليلةٌ وكانت تستريح جواره داخل سيارته، تنظر لملامحه الشاردة وتسأل بقلقٍ:

- في إيه؟

لم يتحدث.. فقط ينظر أمامه نحو الفراغ بينما كفاه يقبضان على عجلة القيادة.. مرت بعينيها فوق آثار الدماء على كفه اليمنى وحين طال

صمته، ولم يصلها ردٌ، أردفت وقلبها بدأ يفقد نبضاته تلقائيا:

-كنت فين طول اليوم، أنا طلعـ....

- لسه بتحبيه!

قطعت حديثها إثر سؤاله المباغت.. وصمتت تنظر إليه بجمودٍ.. بأنفاسٍ باتت مختنقةً..

- تقصد إيه؟

دار بجسده بغتةً، يخترق عينيها بنظراته الحادة ويهتف بجمودٍ:

- باسل.. لسه بتحبيه؟

واسترسل غاضبًا بقسوةٍ:

- كام مرة قال لك بحبك.. كام مرة رديت بـ وأنا كمان..!

انتفض جسدها وغشت مقلتيها العبرات، وهي تنظر له من خلف غشاوتها، وترى فيهما إتهامات.. آه وأين ذهب شعاع العسل! ماذا فعلتِ به لمار؟ اختنقت الحروف والكلمات داخل حلقها وانسابت دمعاتها أمام ناظريه تحرق وجنتيها وقلبها يحترق ألف مرة.. استدار بعيدًا عنها عائدًا برأسه للخلف في حين خرجت نبرته متعبةً بوهنٍ.. متألمةً:

- ليه يا لمار.. ليه تعشميني بأحلام أنتِ مش قدها، وليه أنا أحبك كل الحب ده، وليه أنتِ

وباسل.. ليه تكسري قلبي وتقتلي فرحتي بيكِ..

ليه كل ده ليه؟

كانت تشهق مع كل سؤالٍ يخرج من بين شفتيه، وتسأل حالها بآخر..

"ولم حديثك كنثرِ الملح فوق الجراح"

محت عبراتها بظهر كفها هامسةً بصدقٍ:

- لو كنت أعرف إنه أخوك ماكنتش رجعت، وماكنتش عشمتك بأحلام أنا صدقتها قبلك، ولا كنت خليتك تحبني كل الحب ده، ولا كسرت قلبك وقتلت فرحتك بيا زي ما بتقول.. صدقني أنا نفسي ماعرفش ليه كل ده؟

عاد ينظر لها ويهمس بإتهامٍ:



- خبيتي..

- خفت.. خفت أخسرك.

التوى جانب شفتيه في سخريةٍ، فرفعت يدها تجذب كفه، تضمه بين كفيها الصغيرين وهمستها تلك المرة وازت دمعتها المنسابة بألمٍ ورأسه المرفوعة نحوها:

- خفت أوجعك زي ما وجعتك قبل كده.

كيف اجتمع بكِ الحب والألم يا امرأة؟
كيف تعتصرين قلبي عشقًا ووجعًا في آنٍ واحدٍ؟
منذ أن رأتكِ عيناي وأصبحتِ حلمًا جميلًا أحيى فيه..
لم طريق قلبك مليءٌ بالعثرات.. وأي ظلمٍ هذا

يكون؟

سحب كفه من بين يديها هامسًا بخفوت:

- إنزلي يا لمار.. إمشي.

لم تنبسْ بحرفٍ، فقط أذعنت لطلبه بصمتٍ.. استدارت على صرير السيارة المنطلق بقوةٍ لتسرع الخطى عائدةً إلى فراشها.. تدفن رأسها بين ساقيها وتضم نفسها بذراعيها.. تنتحب وتشهق بينما قلبها ينزف ألمًا يواسي قلبه المطعون، أخيراً اجتمعا سويًا لينثران الثرى فوق مرفأ الوجع..

وتهمس لحالها بكلماتٍ متقطعةٍ مصدرها صميمُ قلبها:

- وأنا قلبي حبك.. والله حبك.



* * * * *

(بعد أسبوع)

عاد بعد أسبوعٍ كاملٍ قضاه في بلدته الريفية، بين أحضان جدته التي تواسيه وتربت بحنوٍ دون أن تعلم سبب حزنه، تقصُ عليه حكاياتٍ من الشرق ومن الغرب وهو يستمع، ينصت لها بصمتٍ، يتبسم بهدوءٍ وسكينةٍ.. ترك مشفاه وغادر عروس البحر بأكملها.. كان يحتاج وقتًا طويلًا كي تهدأ روحه وتسكن آلامه حتى لا يؤذي حاله ومن حوله.. وكانت رحلته ذات أثرٍ طيبٍ على نفسه بعد ما حصل على السكينة لبعض الوقت.. لكن العودة حتمية مهما طال البعد أو قصر، كان لا بد من العودة؛ حيث مشفاه

ومرضاه الذين أهملهم ورمى بكافة الحمل على

عاتق بدر الذي يتحمل لأجله الكثير.

بعد يومٍ طويلٍ مليءٍ بأحداثٍ عديدةٍ عاد

لغرفته، خلع عنه سترته تاركًا إياه فوق الفراش

وتحرك ناحية الصوان، استوقفه أزيز الباب

ودخول آخر شخصٍ يتمنى أن يراه في تلك

اللحظة، لذا زعق مسرعًا مشيرًا بيده نحو

الباب:

- اطلع بره يا باسل مش ناقصك..

والآخر يتقدم بإصرارٍ، سيتحدث وسيسمع رغمًا

عنه:

- إسلام ممكن تهدى وخلينا نتكلم بالعقل من غير عصبية.

ضرب الصوان بقوةٍ كفيه، وهو يهتف فيه غاضبًا:

- أنت إيه يا أخي مابتحسش!

شوح الآخر بيده في الهواء وهو يغمغم بنفاذ صبرٍ:

- لو عايز تتجوزها روح ماحدش هيمنعك.. ولو هتسمع مني يبقى بلاش.

زمجر بحدةٍ وهو يسأل بهياجٍ:

- بلاش ليه؟

- بلاش وخلاص البنت دي لا تنفعني ولا تنفعك.

والثوانِ التالية كان يقبض على تلابيبه ويصرخ فيه من جديدٍ بإصرارٍ لا يفهم كنهه:

- بلاااش ليه يا باسل!!

حاول فك وثاق كفيه وهو يبادله نظراته الحادة..

ازدرد لعابه وأجاب دون خجلٍ:

- يعني أكيد مش هتتجوز واحدة مشيت مع أخوك!

ارتخت أنامله ببطءٍ و تراجعت خطواته للخلف بينما عيناه مصلبةٌ عليه وأنفاسه مهتاجة حد الألم..

اللعنة عليكَ باسل!

من أي طينةٍ أنتَ؟

كيف تتبجح وتتذرع بالنذالة هكذا بكل بساطةٍ!

همهم وتعابير القرف تخط فوق ملامحه:

- أنتَ إزاي حيوان كده..؟!

ودون إضافة حديثٍ مطولٍ.. فقد ملَّ وبات الحديثُ معه ماسخًا بمرارة العلقم وليته يجدي، تقدم نحو سترته جذب شيئًا ما وعاد يخطو إليه، سحب كفه بقوةٍ واضعًا بها حلقة ذهبية مزينة بحجر ماسي ظنه يومًا رباطًا جمع بينه وبين من تمناها.. ليهتف بعدها ونبرته خرجت ساخرةً بمرارة:

- فكر كده كويس يمكن تحن للماضي وتلاقيها تنفعك.

ثم رمقه بنظرةٍ أقرب للإحتقار، توازي ضحكته الساخرة واستدار تاركًا له غرفته.. ما إن خطى في الرواق حتى كان الآخر يتبعه، وقبضته تعتصر حلقة عشق أخيه.. كيف يخبره ويزرع بعقله الصلد هذا أنه لم يخفِ الأمر إلا لأجله لا لشيءٍ آخر وحين يطالبه بالعزوف عن الزواج منها ذلك لا يعني أبدًا أنه يبغيها لنفسه.. جذبه باسل عنوةً من ذراعه حتى أوقف خطواته فالتفت له وكل منهما يكاد يقتل شقيقه بنظراته الحادة.. حآن دوره ليتكلم ويصرخ فيه؛ فقد ملَّ خيالاته الشيطانية التي تتحكم فيه وترسم له خيالاتٍ

سوداءٍ تكاد تفتك به، وهو مازال على عناده يستمع لها ويحللها كما يريد وقد بات إحتمال الإتهامات ثقيلًا..

قاطعهما صوت شقيقتهما المنبعث من الرواق على بعد خطواتٍ منهما:

- لا يا بنتي كده أحلى فعلًا، طيب ثواني يا فرحة خليكِ معايا..

رفعت بصرها تقلبه بينهما.. ترمقهما بازدراءٍ، وهي ترتشف من مشروبها البارد رشفةً صغيرةً قائلةً بزمجرةٍ:

- في إيه.. واقفين كده ليه؟ أنتم هتتخانقوا تاني..!

وعادت تلتقي نظراتهما بشراسةٍ ليتقدم -أحدهما- نحو ساندي بعزمٍ لا يقبل التراجع، يخطف الهاتف من بين أصابعها و..

- فرحة.. تتجوزيني؟

(١٩)

زواج مبارك

أين كنتَ ذلك المساء

حين شاهدتُ آخر عودِ ثقابٍ في العالم ينطفيء

وكنتُ وحدي؟

"غادة السمان"

***

عدةُ طرقاتٍ خفيفةٍ تبعها بدخولٍ، ليراها جالسةً على طرف الفراش وبين أصابعها طلاءُ الأظافر تتلاعب به وتطلي في هدوءٍ وسكينةٍ.. اقترب حتى جاورها وبعد هنيهة جذب علبة الطلاء عنوةً؛ كي

يقطع انشغالها المصطنع، طالعته بهدوءٍ فبادلها بأخرى أكثر قوةً.. تناول كفها ليقربها أكثر، وهو فعل المثل حتى باتا متواجهين في جلستهما في بقعتهما منتصف الفراش.. رفع رأسها المنكسة بأنامله وهتف بصوته الرخيم:

- احكي لي عنك..

صمتت تالا قليلًا وبدت كأنها تفكر حتى همست:

- ما أنا قولتلك كل حاجة.

تبسم بحنوٍ مردفًا بهدوءٍ:

- عن طفولتك، عن حياتك عمومًا قبل ما أعرفك.. عايز تفاصيل.

عادت تهمس وثغرها يحمل بسمةً مشوهةً:

- طفولتي كانت مختلفة شوية عن باقي الأطفال.. يعني من أول ما بدأت أفهم و وعيت على الدنيا زي ما بيقولوا فهمت حاجة واحدة بس، أن بابا الراعي الرسمي لمقولة (امرأة واحدة لا تكفي).

ضحكت بسخريةٍ وأكملت:

- وماما زي ستات كتير مش بتحب الشريك، كانت فاكرة إنها هتقدر تغيره أو هو أقنعها بكده وعلى مر السنين زهقت من نزواته وجوزاته وطلبت الطلاق وهو رفض.. أصل عاصم بيه مابيعملش حاجة غير بمزاجه وبعد خناقات وحرب طويلة وصلوا لحل وسط، تتنازل عني مقابل الطلاق ..

أخفضت بصرها نحو الفراش وأناملها تتلاعب،

وتلتف حول الشرشف وبعد صمتٍ دام لثوانٍ

عادت بصوتٍ متهدجٍ:

- وتنازلت.. وبعد ما عدتها خلصت إتجوزت

وسافرت الكويت مع جوزها وخلفت بنتين

شفتهم كام مرة مش كتير، وأنا ربنا بعت لي أحن

وأجمل ست في الدنيا "دادة كريمة" ست سكره

زي مامتك بالظبط، بس من سنة سابتني.. الله

يرحمها.

وصمتت لم تزد حرفًا.. فسأل هو:

- وبابا ؟

رفعت له عينيها وما لبثت حتى انفجرت ضاحكةً:

- بابا ده عسل، إتجوز حرباية مصرية أصيلة علشان يأمن ليا جو أسري مميز ويسافر بقى ويتجوز وهو مطمن، وفعلا كنا أسرة مميزة جداً ماكنش يعدي يوم إلا والجيران تشتكي من الصوت العالي والإزعاج، وحضرته كان يتكرم ويجي كل شهر تقريباً ويسكتنا بالفلوس والهدايا، وآخر محطاته لحد علمي يعني كانت أمريكية، إنما الحاجات السريعة دي على رأي دادة كريمة العدد في الليمون..

توقفت ضحكاتها وتبدلت نبرتها لأخرى أكثر شجنًا:

- غصب عليا أدرس الطب وكل حاجة بالفلوس كانت تتظبط و بعدين عرض ابن صاحبه،

رفضت وصمم وعرفت أنه مش هيزهق من الموضوع ده وعلشان أريح دماغي وافقت وقلت أتصرف بعدين بطريقتي.. ودخل كريم حياتي، حسيت في أوقات أنه شخص كويس ونويت أكمل معاه بعدين إكتشفت ببساطة أنه خاين وحقير بس مش ده اللي وجعني، موافقة بابا وإصراره أن أكمل في الجوازه دي بعد كل اللي عرفه كان بالنسبالي جرح جديد وكانت النتيجة طلبت منك تتجوزني.. أنا كنت عايزه ابعد عنه بأي طريقة وأي شكل ومش مهم العواقب.

عضت فوق شفتها، وأخفضت بصرها من جديد وعادت تتلاعب بالشرشف لكن تلك المرة كانت العبرات تتسابق وتتقافز من بين زرقة عينيها

منتهيةً بإستقرارٍ فوق الفراش، وهو يراقب من البداية همسها الضائع وضحكاتها المتألمة، لم يكن سهلًا عليها أن تعري روحها أمامه بل سمحت لدمعاتها بالهطول دون أن تردعها أو ربما وقت الردع قد فات..

زاد نشيجها، ولاحظ إهتزاز جسدها ببطءٍ بينما ارتفعت يدها تلقائيًا فوق عينيها ترتاح عليها بظهرها فتحجب عنها الرؤية كطفلةٍ تخبأ دموعها المنسابة..

ونبرتها المتحشرجة في ألم أصابته في الصميم:

- كنت لوحدي.. عشت عمري كله لوحدي، ملقتش حد يقول لي على الغلط غلط والصح صح، حضن أعيط فيه كل يوم وأشكي له، ولما

دادة كريمة ماتت حسيت باليتم وبردو ملقتش حد يواسيني..

ضاعت باقي كلماتها بين انتفاض جسدها إثر شهقاتها القوية، ونحيبها المتألم فزرعها بين ضلوعه عنوةً.. يضمها فتتشبث فيه أكثر، يمسد بحنوٍ فتزداد شهقاتها..

- هششششش إهدي.. أنا معاكي.

رفعت رأسها له لتهمس بألمٍ ورجاءٍ من بين بكائها:

- أنا بكرههم يا بدرزي ما هم بيكرهوني.. مش عايزه أرجع لهم تاني.

أبعدها عنه قليلًا ليحتضن رأسها بين كفيه وعيناه لا تحيد عن عينيها بينما نبرته الأجشه خرجت بتملكٍ:

- ماحدش يقدر يخرجك من هنا طالما مش عايزه كدة.. أنتِ مراتي.

لم تكن لتنتظر حتى يعاود ضمها، قفزت هي تتعلق بعنقه وتدفن رأسها في تجويفه فسقط بها على الفراش بفعل ارتطامها الجسدي به.. وفي النهاية هو ممدٌ يحيطها بذراعيه وهي متشبثةٌ فيه.. طفلته المشاغبة بدأت ليلتها بضحكاتٍ صاخبةٍ، ومائدةُ عشاءٍ ذات مذاقٍ خاصٍ وأنهتها بكلماتٍ خرجت من أعماقها البعيدة لتمزق بها نياط قلبه.. لو فقط يعود بهما الزمن لكان آنس

وحدتها، ملأ فراغات روحها ولملم جراحها، لكان لها الأهل والسند لكان وكان..

أخفض بصره إليها فتبسم، غفت و مازالت متشبثةً فيه بقوةٍ..

ولن تتركه ما حيت أبدًا؛ فالغريق يتعلق بقشة.. وهي نالت على طوق نجاةٍ لا قشة.

* * * * *

"مبارك لكما ومبارك عليكما وجمع الله بينكما على خير"

نطق بها المأذون الشرعي أثناء اختطاف المنديل الأبيض من فوق كف حسن الجارحي المعانق لكف ابن الشافعي

بعرض زواجٍ عبر شبكات الهاتف..

مع بذلةٍ سوداءٍ أنيقةٍ..

و ثوبِ زفافٍ فاخرٍ..

[نال الباسلُ فرحته]

وأفضل ما قام به أن عرضه تم عبر الهاتف؛ فالعروس أصابتها شبه حالة إغماء من هول الصدمة..

ماذا لو كان العرض بثًا مباشرًا إذًا؟!

وعقب أسبوعٍ بالتمام، كان يقف أمام منزلها في بلدتهم الريفية بحلته السوداء ينتظرها بعد ما تم عقد القرآن بالمسجد المجاور بحضور والده والعم مراد وبعضٍ من الأهل والأقارب؛ فمراسم

العرس تنتهي بعقد القرآن.. عارضت العروس رغبةً منها في إقامة حفل عرس يخصها، ماذا ينقصها حتى تحرم من أجمل لحظات العمر لفتاةٍ بعمرها؟ والجواب كان هامسًا بأذنها هي فقط عبر شبكات الهاتف أيضًا.. يخبرها أنها ستنال على ما هو أجمل وأروع من حفلة زفاف تنتهي بعد سويعات، ومن هي لتعترض وتقاوم نبرته العابثة التي تتلاعب بها وتعزف ألحانًا ورديةً ستجمعها قريبًا مع خليل الروح..

وفي غضون أيامٍ كانت قد انتهت من أمر الثوب الأبيض الهفهاف بطبقاتٍ من التل والدانتيل، وها هي ترفل به أمامه من أعلى الدرج الداخلي للمنزل وهو بالأسفل.. يراقب ضحكتها النابعة

من القلب، خصلاتها الحالكة تتراقص حولها تشاركها فرحًا وسعادةً.. قطع تأمله بقبلة فوق الجبين ووداع للأهل يصاحبه توصية دامعة من الأب الحنون على جميلته الراحلة.. والرد وعدٌ بالحماية والسعادة حتى لفظ آخر أنفاس الحياة

..

ضغط على مزود السرعة وتحرك بالسيارة حذرًا؛ حتى لا تنغمس إطاراتها بوحلٍ طينيٍ أو ما شابه، وهي بثوبها المنفوش تعيق حركة يده كلما وجهها هنا أو هناك.. نظر لها فوجدها تبادله النظرات العاشقة فتبسم بحنوٍ قبل أن يشرد في كلمات أخيه الغاضبة..

"أنت مجنون! فاكر جوازك من فرحة هيحل المشكلة"

ليجيبه آنذاك بنبرةٍ واثقةٍ:

"جايز مش هيحل مشكلتك، بس على الأقل هتطرد أي أفكار سوداء من دماغك ممكن تجمع بيني و بينها "

وبعدها أتى الأمر الصارم:

"متتجوزهاش يا باسل.. فرحه متستاهلش إنك تلعب بيها وتدخلها في متاهاتك"

وجوابه كان صادقًا تلك المرة موازيًا لكفه الممدودة نحو جيب أخيه يعيد له ملكه الذي تخلى عنه في فورة غضبٍ:

"جايز التوقيت علشانك.. لكن أنا هتجوز فرحة علشان بحبها يا إسلام، ودي حقيقة مش قابله للشك"

والنبرة كانت ساخرةً:

"أما أنت أمرك عجيب يا أخي، مش دي اللي قولت عليها من كام شهر بس أنها بطلة الطفولة والمراهقة وخلاص كبرنا والزمن تغير وماعرفش إيه!.. ما ترسى على بر يا كابتن يمكن نفهمك."

لينصرف عقب كلماته عائدًا لغرفته، ولم يتقابلا إلا ليلة ما قبل الأمس حين ذهب إليه طالبًا منه الحضور، وكان الرفض التام ردًا عن طلبه ودون كلمةٍ أخرى استدار خارجًا، فأتاه صوته الصارم بغضبٍ مكبوتٍ..

"لو آذيت فرحة كمان يا باسل.. صدقني وقتها مش هرحمك."

ليجيب عليه ومازال مواليًا له ظهره:

"قولت لك قبل كده هتجوزها علشان بحبها.. يعني لو حد فكر يمس شعرة منها أنا اللي مش هرحمه، ومع ذلك متأكد أنك هتكون لها الحامي في وجودي أو غيابي"

ليغادر بعدها دون كلمةٍ أخرى من أيٍ منها..

عاد من شروده على سؤالها الخجول:

- بتبصلي كده ليه؟

همس بحرارةٍ، ويده تجذب كفها عنوةً؛ ليطبع قبلةً طويلةً داخل باطنه:

- أنتِ حلوه قوي يا فرحة.

ضحكت بخفوتٍ وهمست بعتابٍ:

- بأمارة ما كنت عاوزني أشوف نصيبي بعيد عنك مش كده؟

ترك كفها ليتحكم في قيادته وضحكاته تعلو بعبثٍ:

- ما أنتِ اللي باعته ممثلة فاشلة تقول كلام مايتصدقش أصلًا.. كنت مستنية إيه؟ كويس أنها جات على كده بس ومانزلتش البلد وقتها مخصوص علشان أكسرلك دماغك.

زمجرت بغيظٍ:

- ما أنت اللي استفزتني بإهمالك وبرودك لدرجة قولت نسيتني!

هدأ سرعته تمامًا واقترب بغتةً مقتنصًا قبلةً سريعةً من شفتيها المضمومتين بغضبٍ مصطنعٍ جعله يفقد صوابه، ويطبع ختامه الخاص جدًا فوقهما، وهمسه الأجش خرج دافئًا، قريبًا منها حد الإرباك:

- أنا عمري ما نسيتك.. أنتِ فرحتي.

وطمع بأخرى يختم بها جملته الدافئة، وكان الدفع نصيبه بعد ما صبغ وجهها بحمرة الخجل، تهمس ورأسها يتحرك يمينًا ويسارًا بتوجسٍ:

- احنا في الشارع يا باسل إيه اللي بتعمله ده!

حرك كتفيه بلآمبالاةٍ وعاد يتنبه لأمر الطريق:

- براحتك العرض ساري حتى نفاذ الكمية.

أنهى كلماته بغمزةٍ ماكرةٍ، فضحكت واستدارت برأسها إلى النافذة بعيداً عن مرمى عينيه العابثة.. فصمت بدوره وشرد مرةً أخرى نحو البعيد.. فاليوم سيكون له وحده، يحق له ببعض من الأنانية حيث يطرد إسلام وخطيبته السابقة ربما، وحيرته بسؤال يخصه؛ هل سيعود لحبه الأوحد ويصفح عن ماضٍ سُطر دون إرادة أحدٍ، و رغمًا عن الجميع؟ هل ستنتهي تلك الزوبعة ويعود مع أخيه كما كان من قبل.. أم ما بينهما تصدع ولن يعود كما كان؟

زفر بضيقٍ وهو يرخي ربطة عنقه.. حسنًا هو كان أنانيًا من البداية، وليست رغبةٌ وليدةَ اللحظة حين اقحم فرحه بعالمه منذ أن عرض عليها الزواج، لم يكن ذلك في سبيل إقناع أخيه وطرد أفكاره السوداء كما أخبره.. بل كان لأجله.. لأجل باسل قبل كل شيءٍ.. تلك الجميلة هي حبيبته منذ الصغر وبعمر الشباب ومازالت، لطالما كانت هي ولم تحتل غيرها إنش واحد من قلبه، لكن التوقيت غير مناسب بالمرة، يعلم أنه ارتكب أكبر خطأٍ بزواجه منها في الوقت الراهن، وجب عليه الإنتظار، كان عليه التخلص من كل العثرات والأشواك التي تملأ طريقه حتى لا تؤذيها.. لكن الضعف والهوان أصاباه بعد ما حدث بينه و

أخيه وفي لحظة تهور معدومة التفكير نال محبوبته.

لكن بعد نظرة العشق تلك المنبعثة من بين عينيها ورؤيتها ترفل إليه بثوب الزفاف.. فليكن أنانيًا!

هتفت بخفوتٍ لتكسر صمته وشروده الذي طال عن ذي قبل:

- باسل..

- هممممم..

اقتربت منه لتهمس بضيقٍ:

- بابا هيوحشني قوي.

وبنبرةٍ متأنيةٍ، سمجة.. غمغم:



- نلف ونرجع؟

ضربته فوق كتفه بقبضتها المكورة هاتفةً بحنقٍ:

- تصدق أنك رخم.. بس بردو قاعدة على قلبك.

والإجابة تتزامن مع حاجبين يتلاعبان بمشاكسةٍ:

-خليك على قلبي زي العسل.

استكانت بصمتٍ في مقعدها، متكتفة الذراعين، وخافقها المجنون يبعث بأجمل البسمات الهادئة لتزين مفترق شفتيها رغمًا عنها.. لم يرحل حبكِ فرحه ولم ينتهي بل تورد وازدهر أكثر وقلبُ الباسل لك وحدكِ.. فعيناه مرآتك السحرية تعكس لك ما يحمله بين جناباته ودائمًا ترين بهما ما تتمنين وأكثر.. جذبها من ذراعها لتستريح

بين أحضانه وكأنه فهم ما يدور بخلدها، عيناه وعيناها على الطريق المطوية أمامهم بصمتٍ..

وبعد برهةٍ رفعت رأسها ببطءٍ تنظر لوجهه القريب وتهمس:

-باسل إحنا إتجوزنا بجد.. خايفه أكون بحلم!

تبسم ببطءٍ وبينما عيناه تتابع الطريق نال على ماتبقي من حمرة شفتيها في قبلةٍ متملكةٍ تلك المرة، وحينما انتهى خرجت همسته أمام شفتيها وعينيها المغمضتين:

- صدقتي؟ ولا نعمل حادثة ونخلص!

ضحكت بخجلٍ دون ما تفتح عينيها، عائدةً لوضعها السابق.. رأسها تستريح فوق صدره،

ذراعه الأيمن يضمها ويقربها أكثر، بينما الأيسر وعيناه يتوليان أمر القيادة.

* * * * *

لماذا أراك وملء عيوني

دموع الوداع؟

لماذا أراك وقد صرت شيئا

بعيدًا.. بعيدًا..

توارى.. وضاع؟

تطوفين في العمر مثل الشعاع

أحسك نبضًا

وألقاك دفئًا



وأشعر بعدك.. أني الضياع

"فاروق جويدة"

***

متمددٌ فوق الفراش عاقدٌ ذراعه الأيمن خلف رأسه، بينما الآخر مرفوعٌ أمام عينيه، وبين السبابة والإبهام حلقة ذهبية ينظر لها بعيونٍ جامدةٍ، مثل اليوم أتت إليه.. إلى حجرته بمشفاه.. بعد أسبوعٍ قضاه بعيدًا عنها وعن الجميع، وكأنما كانت تنتظر عودته لتأتي وتظهر أمامه بعيونٍ خجلةٍ، وقدمان تسيرآن ببطءٍ حتى جاورته في وقفته، وحينها لم ترفع رأسها المنكسة.. بل خلعت حلقتها وامتدت يدها لكفه تبسطها وتضع فيه مابحوزتها.. ثم ابتعدت قليلًا



وعيناها ترتفع لعينيه تصاحبهما همستها المتحشرجة..

"بلاش تحتار.. أنا مش هخليك تختار بيني وبينه، أصلًا ماينفعش تختار.. هو في النهاية أخوك وأنا مابعملش حاجة غير إني أجرحك كل مرة.. وأنت ماتستاهلش كده"

كان يقف مواجهًا للنافذة الكبيرة يستمع لحديثها بصمتٍ وقبضته تزداد على تلك الأشبه بجمرةٍ مستريحةٍ داخل كفه.. استدارت عنه بعد ما أنهت كل شيءٍ.. هكذا ببساطة!

وقبل أن تختفي عادت وحينها استدار بدوره، ولمح طيف الدمعات بمقلتيها.. والنبرة متهدجه للغاية:

"على فكرة ولا مرة قال لي بحبك"

واختفت من أمامه..

لكنها لم تختفِ من حياته، ويا ليتها فعلتها وانتهى.. اختارت مبدأ التعذيب الصامت، تأتي للمشفى كل يومٍ تتجنب رؤيته، بل لا تمر جوار زاوية يحتمل وجوده فيها، وحينما يقدر لهما بتصادفٍ قدريٍ توجعه عيناها الذابلة وضحكتها الباهتة.. عبراتها المودعة لملائكتها يراها تمحوها فتعود وتتقافز من جديد، لا يعلم هل تواسيهم بها أم تواسي حالها..

كاد أن يصرخ بها يومًا طالبًا منها الرحيل..

لترحم قلبَ رجلٍ أضناه الحب والكره حتى بات لا يميز بينهما..

قلبه يصرخ ويخبره دون موارةٍ أنها تخصه، أنها ملك رجلها الأوحد وماهو أحد غيرك يا أحمق، فيتدخل العقل بخيلاته البغيضة وأسئلته الغير منتهية.. هل أحبت باسل بصدقٍ؟ تشتاقه؟ ربما كنتَ تذكرها به لذا تقبلتك داخل عالمها؟! لم تتفوه بحبك لمرةٍ واحدة وأنتَ من كنت تمطرها بغزلك وحديثك المنمق لها خصيصًا، ماذا تفعلين لمار.. أي لعنةِ عشقٍ أنتِ!

قبض على المحبس وتحرك بذراعه واضعًا إياه فوق عينيه.. يزفر بقوةٍ.. فيستغفر ربه عدة مراتٍ عله يتخلص من ذاك الثقل الذي يكاد أن يطبق

على أنفاسه متمنيًا أن ترحل منه كما رحلت عنه.

فتح الباب على مصراعيه عنوةً لتدلف ساندي بشبه عاصفةٍ رمليةٍ، فاعتدل مخبئًا ما في قبضته داخل جيبه سريعًا.. وقفت أمامه متخصرةً بينما قدمها تطرق الأرض بحنقٍ.. فبادر هو بنبرةٍ باردةٍ:

- رجعتوا بسرعة يعني.

توقفت عن طرقها للأرض وتكتفت هاتفةً بحنقٍ:

- ممكن أفهم إزاي حضرتك ماتحضرش فرح أخوك؟ أنا كنت فاكرة أنك بتهزر وقت ما قولت مش رايح!

تخلل خصلاته بضيقٍ هاتفًا بغضبٍ مكبوتٍ:

- هيفرق قوي وجودي من عدمه؟

تخلت عن حنقها وجاورته فوق الفراش تسأل بهدوءٍ:

- طيب ممكن تحكي لي حصل إيه بينك وبينه.. من يوم خناقتكم وأنتم تقريبًا مبتكلموش بعض خالص.. إيه هي المشكلة الخطيرة اللي منعتك تحضر فرح أخوك وكمان تسأل إذا كان وجودك هيفرق!

صمتت قليلًا حين لم تجد منه رد، ثم تابعت بعتابٍ:

- كل شوية كان يبص في ساعته.. اتحجج بكلام فاضي وأخر ميعاد كتب الكتاب.. كان مستنيك أنا حسيت بكده.

رفع بصره وسألها بنبرةٍ فارغةٍ لا تحمل شيئًا:

- كان مبسوط؟

- حاول يعمل فيها الواد التقيل بس عينيه فضحته.. أما فرحه لو وصلت عش الزوجية بقلب سليم تبقى معجزة..

ضحكت بقوةٍ، فتبسم لها بهدوءٍ لتكمل ثرثرتها:

- طمطم وبابا وماما كانوا فرحانين قوي، ده حتى ماما عينيها دمعت وهي بتسلم عليه وفضلت تتحايل عليه علشان يرجعوا معانا إسكندرية

يومين على الأقل بس باسل رفض وقال مش عايز حد غير عروستي، فماما زعلت منه بس هو نمس عرف يصالحها في ثوان.. بعدين ودعنا العرسان وبما ان بابا ومراد عندهم شغل مقدرناش نقعد أكتر من كده وطلعنا بعدهم بساعة.. بصراحة فرحنا وإنبسطنا قوي ماكنش ناقصنا غيرك.

هز رأسه ببطءٍ، وبسمةٌ باهتةٌ تعلو ثغره بينما هي تتابعه بصمتٍ.. من ثم امتدت يدها عنوةً تسحب يمناه وتسأل بتوجسٍ:

- فين دبلتك؟

بادلها النظرات الصامتة بحيرةٍ، فأردفت هي سريعًا تتحدث دون مواربةٍ:

- بدر كلمني يسأل عن حكايتك أنت ولمار وقال لي أنها كمان مش لابسه دبلتها، هو سأل مراته بس رفضت تتكلم في أي حاجة تخص الموضوع ده.. إسلام هو أنت ولمار فسختوا الخطوبة؟

- كل شئ نصيب.. إحنا مش مكتوب لنا نكون لبعض.

كتمت شهقتها بكفها وهتفت قائلةً:

- ماتقولش كده مافيش مشكلة ومالهاش حل، وبعدين لمار بنت كويسة وطيبة مش هتلاقي زيها.. والأهم أنت بتحبها يبقى إزاي تسمح لأي سبب كان يفرق بينكم بسهولة كده؟

تعالى صوت الحق ينادي الصاحي والنائم، ينبئ عن ركعتي خير من الدنيا وما فيها.. ولأنها تعلم أنه لن يتحدث ولن يفضي بما يحمله في جوفه لأيٍ كان، طالما لم يرد ذلك ربتت فوق ساقه ونهضت تهتف قبل رحيل:

- هسيبك تصلي الفجر وتنام بس الأول أوعدني أنك تحل المشكلة اللي بينكم.. تخيل بقى رد فعل بابا أما تقول له مش عايزها زي ماعملت قبل كده وبعدين ترجع تزن زي النحلة علشان تخطبها تالت.. والله الحاج ممكن يولع فيك وقتها.

قابل مشاكستها بهمسٍ خفيضٍ:

- اللي ربنا عايزه هيكون.

* * * * *

بين هدوء الليل وصوت الرياح العابث بأغصان الشجر كانت منزوية بغرفتها، تعتلي فراشها و تضم ساقيها بذراعيها لصدرها و بين أصابعها تحمل صورته التي حصلت عليها سرًا من شقيقته.. أناملها تتبع ملامحه بينما عيناها مثبتةٌ فوق ثغره الباسم فتبادله ضحكته بأخرى توازيها دمعةً ثقيلةً تهطل دون إرادتها.. لكم تشتاق حديثه ومرحه التي اعتادت عليهما في يومها، اشتاقت لفطورهما بذاك الركن الخاص بهما والذي بات مهجورًا منذ أسبوعين؛ فبعد آخر شطيرة ناولها إياها بيده لم تستسغ من بعدها أي طعام.

وعدتِ خاوية الروح أكثر من ذي قبلٍ لمار،

والفراّق تلك المرة موجعٌ، ومؤلمٌ، ولن تتغلبي

عليه لو عشتِ عمرك كله تقاتلين لأجل ذلك..

فذاك الطبيب سكن روحك، تلبس كينونتك

وانتهى..

لو لم يأمرها مراد بأن تعيد له محبسه.. والله ما

كانت لتزيله من بنصرها إلا بطلبٍ منه، كانت

ستتحمل بعده وثورة غضبه، حتى لو قرر

معاقبتها بشتى الألوان كانت ستتحمل بصدرٍ

رحبٍ، كانت ستفعل المحال وألا تتخذ هي أول

خطوةٍ بالهجر.. لكن غيابه لأسبوعٍ كاملٍ كان

كافٍ لتذهب إلى مراد وتقص له ما يخفيانه في

الآونة الأخيرة، والذي يثير دهشةَ وفضولَ الجميع..

أخذت تسرد كل شيءٍ منذ البداية

باسل

بحرٌ وغرقٌ

زفافٌ بعرضٍ خاصٍ

وخضوعٌ لدقات قلبٍ

عاشقٌ يعرض خطبة

وقتالٌ لأجل دقات القلب

فرحيلٌ أول.. تبعه ثانٍ

وجعُ قلبٍ

فعودٌ أحمد للعاشق الولهان

وخضوعٌ كاملٌ للقلب.. لا مجرد دقات

فخطبةٌ محملةٌ بصدماتٍ

وباتت الأحلام الوردية مجرد سرابٍ راحلٍ من بين

أناملها

عقب جملة مراد القاسية..

"رجعي له دبلته"

رفعت بصرها بغتةً تنظر له في تحديقٍ و تعاتبه

بوهنٍ.. جئت إليك أيها الرائع لأجل مساندتي،

جئت متشبثةً بآخر خيوط الأمل، وأنت تخبرني

أن أحل آخر قيد يربطني فيه!

لم تقوَ على الحديث فحركت رأسها برفضٍ يوازي

بريقًا دامعًا سكن عينيها..

فزفرو اقترب بجذعه منها..

"إفهمي يا لمار.. إسلام في وضع صعب أي راجل مايقبلوش على نفسه وأنتِ خبيتي عنه وده خلاك في موضع إتهام، ياريتك قولت له صدقيني وقتها كان الوضع هيكون أحسن، على الأقل ماكنش عرف من غيرك، أنت وباسل غلطتوا لما سكتوا ومتكلمتوش"

نكست رأسها تمحي عبراتها المنسابة وتهمس بخفوت

"والله حاولت.. بس كل مرة ماكنتش بقدر.. كان صعب عليا قوي"

يستشعر نبرتها المتألمة كما يستشعر ألام ابن أخيه.. ربت على كفها بحنوٍ متابعاً:

"رجعي له دبلته وسيبيه يختار بلاش تخلي حبك نقطة ضعف ليه.. لو قدر ينسى ويسامح يبقى رجع بإرادته ولو مرجعش لازم تعرفي أنه عمل المستحيل بس ماقدرش، كان هيأذيك ويأذي نفسه فقرر البعد.."

وهمستها المتحشرجة أوجعته:

"مش هقدر أسيب المستشفى.. مش هقدر أبعد أكتر من كده"

فتبسم حينها هامسًا بدوره:

"مين قال لك سيبيها.. مش هسمح لك أصلًا"

محت دمعاتها وغادرته بعد ما طمأنها أنه آمنٌ بين أحضان جدته وسيعود حينما يقرر هو ذلك..

وعاد..

وأخذت بنصيحة مراد وخلصته من قيدها مانحةً إياه حرية الإختيار تاركة له قلبها الغر مع حلقتها المنزوعة.. ولم تكن تعلم أن القادم أشد علقمًا من الراحل، عيناه تحكي لها مجلدات خط سطورها بحبر من العتاب والألم.. يسألها بهما عن رحيلٍ؟

فتجيب..

موتٌ أرحم من فرآقٍ يا طبيبي..

لن أصنع بيدي فرصة تعتاد فيها غيابي..

سأظل معبقةً روحك وقلبك ولا خلاص مني..

أعلم أنك تتألم، أعيق صفاء ذهنك وأسرق منك راحتك

ولست أفضل منك حالًا..

أنت من جذبني لخضم أمواجك المتلاطمة حتى غرقت بك..

والآن.. لا نجاة من دوامة عشقك.

* * * * *

وصل إلى شقته المستأجرة بعد رحلةٍ طويلةٍ غير مملةٍ بالتأكيد.. كيف يمل ومعه جميلة جميلات القرية!

عفوًا..

كيف يمل وقد تزوج من جميلة الجميلات..

والجميلة تبدو كالساحرة الشريرة بوقفتها المتحفزة..

نظرة عينيها المخيفة توازي نبرتها العنيفة:

- مش هدخل غير لم تشيلني يا باسل، يعني مش هدخل غير لم تشيلني!

وباسل يقذف الحقائب بثقلهم أرضاً.. ألا يكفي ثوب زفافها المنفوش ذاك، أمرها بتبديله لشيءٍ آخرٍ أكثر راحةً حتى لا تكون عرضةً للغادي والرائح وألا يكون عائقًا له أثناء القيادة، لكن هل ستسمع له؟!

ومن ظن أنها اكتفت بذلك فهو أحمق.. أرغمته

على الوقوف جانب الطريق الصحراوي؛

فالجميلة جائعة ولا تحبذ الأكل داخل العربة بل

هددته بإفراغ كل ما تحويه معدتها منذ عامٍ

مضى لو أرغمها على ذلك.. نهاية الحديث

افترشت الطريق بقطعة قماشٍ؛ لتخرج علبة

طعام من صندوق السيارة لا يعلم من وضعه

هناك من الأساس.. لتقدم ما بها من طعامٍ أقل

ما يقال عنه شهي..

لكن هنا وسط الصحراء بين السيارات المارة

وهي.. هي بثوبِ زفافٍ منفوشٍ على الأرض تتناول

الطعام بنهمٍ، غير آبهةٍ للأحمق الذي يُدعى زوجها،

والذي جلس بدوره مرغمًا؛ فرائحة الطعام هدمت كل حصونه..

أصابع ورق العنب المحشي المنمقة بعنايةٍ وقد زينتها شرائح الليمون مع زوجين من الحمام المحمر بالسمن البلدي.. من هو ليقاوم كل ذلك؟!

وبينما هوغارقٌ بتلذذٍ مع الطعام، كان يرمقها بطرف عينيه بإمتعاضٍ.. فتقابله شفتاها المتبسمة بعبثٍ.. وأكتمل المشهد الكارثي حينما امتدت يدها لفمه وقبل أن تتمتم بصحة وهناء على قلب الباسل.. مرت بالجوار سيارة محملة بعددٍ من الشباب، هدأت سرعتها تمامًا حتى توقفت قبالتهما ليصدح من داخلها صفير عالٍ

اخترق الصحراء قبل مسامعهما ورؤوس بشرية خرجت من النوافذ تهتف بجملٍ عديدةٍ..

"أيوه بقى عاااااش يا سطاااا"

"الله يسهلووو، يلزمك مساعدة يا باشا "

"لا بس المزة تستاهل تتشرد عشانها "

ورحلوا بضحكاتٍ صاخبةٍ بعد ما أفقدوه شهيته فنهض بغضبٍ، والجميلة تعض فوق شفتها بأسفٍ، فحملها عنوةً، وقام بحشرها داخل السيارة وعاد يكمل طريقه ونظراته المتوعدة لا تفارقها وبدورها ترفع رأسها بنزقٍ كأنها تخبره

"إن لم يأتِ أولئك المزعجين لكنت التهمتني بالخطأ في وسط مجاعتك، فلا تخبرني أنك كنت مرغمًا على ذلك أو تنازلت لأجلي".

والآن بعد صعود تسع طوابق عبر الدرج حاملًا حقيبتين من الوزن الثقيل -فعلى وجه العروس تعطل المصعد- و قبل أن يلتقط أنفاسه تأمر بحملها!

زمجر بعنادٍ حانقٍ:

- مش كفاية فضايحك في الطريق.. لمي الليلة بقى علشان أنا مش هشيل حد.

حركت كتفيها بلآمبالاةٍ وارتكزت بجذعها على إطار الباب، إبهامها يتلاعب ويلتف حول خصلةٍ

من شعرها، وشفتاها تدندن بهمسٍ لنفسها..

رمقها بنصف عينٍ ومن ثم لوح بكفه بمعنى:

"خليكِ عندك للصبح"

وبعد دقائقٍ قليلةٍ، جال بخاطره فضيحةٌ أخرى بين جيران البناية تلك المرة فنهض على مضضٍ؛ حتى جاورها رافعًا ذراعها فوق كتفه بغضبٍ، ونزل بذراعه حتى منتصف ظهرها، والآخر أسفل ساقيها، وأخيراً رفعها بين ذراعيه ودلف بها عش الزوجية مغلقًا بقدمه الباب من خلفه.. فتتعلق بعنقه وقدماها يتأرجحان بإنتصارٍ.. فيبتسم رغمًا عنه.

وداخل حجرة نومه أنزلها برفقٍ على قدميها وعيناها تعانق الأرض، يقطب لها جبينه متعجبًا

من نفحة الخجل التي هبطت عليها فجأةً لايعلم من أين! فتتقدم يده نحو خصلاتها المنسابة على قدها يقربها من أنفه يشتم عبقها بقوةٍ.. واقترابٌ آخرٌ فيه نية إقتناص أول قبلة داخل قاهرة المعز، فتدفعه بعيدًا هاتفةً بإمتعاضٍ:

- عايزه أغير هدومي.. اطلع برا.

فيرفع حاجبه ساخرًا:

- وأطلع ليه؟

ويردف غامزًا:

-ما يمكن تحتاجيني، سوستة هنا.. سوستة هناك.

فتدفعه بقوةٍ لخارجِ الغرفة وأسنانها تكز باسمه... فيتحرك مرغمًا وهتافه الساخر بعبث يصلها:

- قال يعني وش كسوف قوي.

وبابٌ موصدٌ في وجهه جوابٌ كافٍ لسخريته..

تحرك نحو الخارج حتى تنتهي الكونتيسة وتمنحه تصريحَ المكوث داخل حجرته بين أحضانها.

و رنينُ هاتفه ينبئ عن وصول رسالة تقطع عنه خيالاته السافرة بشأن عروسه..

"حلوة "

عقد حاجبيه من محتوى الرسالة وهم بإعادة الهاتف لموضعه السابق فقطعه رنين بوصول أخرى..

"عروستك.. حلوة"

ازدرد لعابه وأصابعه تطبق على الهاتف حتى كادت تهشمه بينما عيناه زاد تذبذبهما وأنفاسه اللآهثة بإضطراب باتت مسموعةً مع وصول الثالثة..

"خد بالك منها كويس.. وحقك تخاف عليها"

(٢٠)

كارثٌ رابحٌ

إذا سقطتُ لن أشكو أو أتلو فعل الندامة..

المهم أنني عرفتُ نشوة أن أطير..

أغامر وأطير..

"غادة السمان"

***

قدحٌ من القهوة، وصوتُ الفيروز يدندن قربها، بأناملها تخط وتشكل حروفها كما تريد وتشعر، ترفرف بقلمها وتطير به نحو البعيد.. حالةٌ من السلام النفسي والسكينة تحيط بها، تطوف

داخل بحور الكلمات وتتغلغل نحو الأعماق
فتعود روحها تطفو بسعادةٍ، تخرج مايعتمل
داخلها من كلماتٍ عجز لسانها عن ترجمتها
وتجسدها في شخصياتٍ على الورق.. خواطرٌ
عابرةٌ وكثيرٌ من الأحايين تلخصها في بيتِ شعرٍ..
باتت الكتابة مرفأ السعادة لابنة الزيان، تلتقي
بروحها التائهة منذ زمنٍ فتعانقها وتربت عليها
بحنوٍ.. فيطيب خاطرها المكسور.. ساعدها
غيابُ زوجها عن البيت، فمن بعد ولادة طفلتيها
وهو لا يعود إلا في الثلث الأخير من الليل، وما إن
يستيقظ حتى يبدل ملابسه ويخرج من جديدٍ، لا
تتذكر متى كانت آخر وجبة تناولاها سويًا، وعن
لياليها فهي تقضيها داخل حجرة طفلتها، لا يهتم

بإيقاظها عند عودته وهي بدورها اعتادت الأمر..
اتخذت من الكتابة متنفسًا يحركه الشغف بينما
طفلتها تؤنس وحدتها..

تركت قلمها عنوةً حينما أتاها صوت الباب،
طالعت الساعة لتجدها قد تخطت الواحدة
صباحًا فتعجبت لعودته باكرًا، ظلت في شرودها
لدقائقٍ فاقت منه على حركة المقبض ودخوله
العاصف دون إنذارٍ:

- أنتِ إستحليتي النومه هنا! ماتعرفيش أن ليك
راجل وله حق عليكِ يامدام؟

همست بصوتٍ خفيضٍ، مترددٍ من نبرته
الغاضبة والغير مفسرة لها:



- رجعت بدري يعني؟

اشتاط غضبًا، وزعق بقوةٍ:

- كمان هاتحسبيني رجعت بدري ولا متأخر.. سيبك من التفاهه إللي في إيدك دي وتعالي.. عايزك.

أنهى كلماته وغادر..

ألقت نظرةً على الصغيرة النائمة، ونهضت كعادتها تلبي أوامره دون رفضٍ.. أنفاسه الغير نظيفة تخنقها، تحاول وتجاهد لتتحمل فيطرق مسامعها كلمات ذاك الغريب

"تخلصي من قيدك الصدئ"

"انبذي ضعفكِ"

ولا يوجد أصدأ من لوح الجليد ذاك.. لكن كيف يأتي الخلاص؟ هل تعد التعاسة سببًا وجيهًا للخلاص؟ ومن يستمع لها من الأساس! أبوها الذي يرى فيه الزوج المتكامل؟ أم أمها التي تراها تأخذ كافة شيءٍ بعواطفها الحالمة ولا تنفك تلقي محاضراتها عن تعمير البيوت الزوجية وتحمل تصرفات الزوج من أهم المتطلبات؟.. كيف يُنبذ الضعف وقد صارت كالفتات بين يديه، لا مقاومة ولا رغبة في خوض متاهات ستخرج منها خاسرةً دون شكٍ..

انتهى منها مواليًا ظهره كعادته فانسحبت من جواره ببطءٍ.. قضت ساعة وأخرى تحت رشاش الماء.. لتلقي بنفسها بين يدي ربها تبثه شكواها في

سجودها، تطلب صبرًا.. الكثير من الصبر لتتحمل هكذا حياة باردة تحيا فيها.. تبكي وتتضرع فتهدأ روحها وتعود بإذن الله تحط على مرفأ السكينة والرضا بالمكتوب.

* * * * *

- ممنوع دخول أي حد غير المسئولين.. دي أوامر يا دكتورة.

هتفت بها ممرضة بجسدٍ ممتلىءٍ وقامةٍ قصيرةٍ في وجهها ما إن وضعت يدها على باب حجرة صغارها تنوي بدأ زيارتها اليومية، عادت للخلف خطوتين، تنظر لوجه المرأة بملامحٍ مبهمةٍ، ثم قامت بدس يدها داخل جيب معطفها؛ تنوي

إخراج بضع وريقات نقديةٍ كما اعتادت معها..

قاطعتها المرأة قائلةً بجديةٍ:

- للأسف مش هقدر بردو دي أوامر دكتور إسلام مانع أي حد يدخل.. خصوصًا أنتِ!

حدقت فيها بذهولٍ، هل ينتقم منها بتلك الطريقة؟ يريد إيلامها كما فعلت هي؟!.. وها قد نجح فقد اختار وأصاب.. تركت المرأة خلفها وأخذت تطرق الأرض بحنقٍ وغضبٍ وليدٍ حتى وصلت لحجرته..

نفسٌ عميقٌ، من ثم دفعت الباب دون مقدماتٍ محدثةً صوت ارتطام، رفع على أثره رأسه بغتةً من خلف مكتبه، ينظر لها في صمتٍ فتبادله

نظراته بقوةٍ غاضبةٍ، طال صمته وطالت النظرات قبل أن تقطعتها بهتافٍ مختنقٍ:

- قول لهم يدخلوني.

لم يتحرك له ساكن سوى عضلة فكه اهتزت لثوانٍ، فعاد ببصره لأوراقه ينهي ما كان يدونه قبل اقتحامها المفاجئ لحجرته.. وصمت فانفجرت أوردتها غضبًا من صمته وغمغمت بغضبٍ تلك المرة:

- لو عايز تعاقبني أنا قدامك أهوه لكن بلاش دي يا إسلام..

تابعت بنبرةٍ تهدجت رغمًا عنها:

- أنت عارف كويس قوي هما إيه بالنسبالي.

تحدث أخيراً مغمغمًا بجمودٍ دون أن يتنازل ويرفع بصره نحوها:

- اتفضلي على شغلك يا دكتورة.. قسم الكانسر ممنوع دخوله لغير المختصين أيًا كان.

اقتربت أكثر ترتكز بكفيها فوق سطح المكتب وهمست فيه بحنقٍ:

- بتعمل كده ليه؟

وحينما اقتربت شق عطرها المسافة القليلة المتبقية منتهيًا بين أنفاسه، فترك ما بيده ورفع رأسه ينظر لها بثباتٍ.. هاتفًا بقسوةٍ:

- أنتِ نسيتي أنك موظفة هنا ومش من حقك تسألي صاحب المستشفى ليه ولا إزاي!

ابتلعت غصتها وعيناه الغاضبة بقسوةٍ أثارت دمعاتها، فالتمعت مقلتاها بألمٍ وخرجت نبرتها ساهمةً:

- أنا مش بسأل صاحب المستشفى.. أنا بسأل إسلام.

ضرب بقوةٍ كفيه فوق سطح المكتب فشهقت بعيونٍ متسعةٍ وعادت للخلف تتقهقر في خطواتها.. تنظر لمقلتي العسل وتكاد تبصر شراراتٍ منبعثةٍ من داخلهم.. وكلماته الزاعقة تلجمها:

- أنتِ مش ناويه تسبيني في حالي؟!

وهي لن تضعف، لن تخافه، من غيرها يعلم ما به ورغم ذلك ستجابه بقوةٍ لأجل أطفالها.. هم يستحقون وهي لن تتخلى عنهم:

- قول لهم يدخلوني وأنا هسيبك في حالك.

وقراره خرج بعنادٍ وحسمٍ لا يقبل النقاش:

- لأ.

أظلمت عيناها بألمٍ، وهتفت بآخر جملةٍ قبل رحيلها:

- هدخل يا إسلام ومش هتقدر تمنعني.

وابتعدت تاركةً إياه يطفئ ناره المشتعلة، تجابه وتعاند ومن ثم تقرر معتمدةً على مخزون عشقٍ تعلم علم اليقين أنه ملكٌ لها وحدها داخل

فؤاده المتألم بصمتٍ.. أما عنه فقد أبت نيرانه

أن تخمد فذهب بها إلى عمه.. يقتحم خلوته

بعاصفةٍ غاضبةٍ كما فعلت هي منذ قليلٍ.. أخذ

يتحرك يمينًا و يسارًا داخل الحجرة دون هدفٍ،

فقط الغضب يتملك منه تحت أنظار مراد

المراقبة.. يحاول فلترة كلماته قبل أن تخرج لكنها

خرجت وانتهى:

- خليها تمشي.. زي ما جبتها مشيها.

أنفاسه تزداد حرارة ليلقي بجسده فوق المقعد

المواجه لمكتب الآخر.. طالعه بصمتٍ لبرهةٍ قبل

أن يحرك كتفيه بهدوئه المعتاد مدمدمًا:

- لو ده هيريحك الصبح مش هتلاقيها.

زفر بقوةٍ، وعاد برأسه للخلف ليهمس بصوتٍ خفيضٍ:

- مش هرتاح يا مراد.. مش هرتاح.

وكلمات مراد أشعلت فتيل قلبه:

- جرب تسامح يا إسلام وتنسى.. لمار بتحبك.

أما عنه خرجت نبرته ساخرةً مريرةً:

- وبتحب أخويا.

ومراد يحاول ويثابر حتى يرسو قلب ابن أخيه في مرساه:

- شدها إهتمامه، شكله و مع أول عقبة نسيته.. تبقى حبته إزاي وقدرت تنساه بسهولة كده.. لو كان النسيان سهل كان زمانك مرتاح ولا إيه؟

بما يجيب وهو عاجزٌ عن فهم نفسه، كل ما يعلمه أنه بالفعل حاول وجاهد حتى ينسى لكنه ما عاد يرى إنعكاس صورته داخل مقلتيها، يرى آخرًا.. أخوه الذي تزوج بدوره وابتعد غير آبهٍ بما أشعله وخلفه وراءه، رحل لينعم بحياة زوجية هادئة وكأن شيئًا لم يكن، كأنه ما كان السبب في كل ما حدث وسيحدث.. فبالله كيف ينسى كل ذلك.

عاد لحجرته خلف مكتبه من جديد، يضم رأسه بين كفيه، حائر داخل سراديب عشقه الخانقة..

واقتحامٌ آخرٌ من صديقٍ يقطع عليه خلوته، يزعق ويسخط غاضبًا فقد طفح الكيل:

- أنا عايز أفهم وإلا قسمًا بالله أخنقك بإيدي بعدين أقتل اللي عندي في البيت دي؛ كل ما أسألها تقول لي أسرار وماقدرش أقول! وأنا عامل زي الأطرش في الزفة.. حد يفهمني في إيه لكل ده؟

رفع له بصره وسأله ببرودة الكون:

-قول لي يا بدر لو عرفت إني كنت بحب مراتك ومراتك بتحبني.. تعمل إيه؟

* * * * *

من منا لا يملك أحلامًا؟

جميعًا نتحسس بصيصها ورفيقنا الأمل، والمكافئة إما نيل المراد أو مواساةٍ بحظٍ أوفرٍ.. وهو وارى حلم الصبا الأول بالتراب مع رفض أبيه

القاطع، وتشبث بالآخر وكان أبوه داعمًا ومشجعًا تلك المرة.. وما ظنه حلمًا وتحقق ما كان إلا كابوسًا مهلكًا!

وكانت البداية مع خطواته نحو مستقبلٍ مشرقٍ، صاحب تدريباته اجتهادٌ ومثابرةٌ يدفعهم طموح وعنفوان شاب، ومع أول خطوة داخل قمرة القيادة بصحبة مدربه تملك منه الشغف والحماس أكثر من ذي قبلٍ، أضواء كثيفة، معدات، وحدات تخص الراديو والرادار، أزرار عديدة ومقابض.. يتابع كل ذلك بعينيه فيغمره القلق والخوف ومع مرور الوقت اندمج وصار ينهال بأسئلته وفضوله يزداد، حتى أنه سال المدرب ماذا يفعل إن فتح باب الطائرة بشكلٍ

مفاجئٍ أثناء التحليق؟ قهقه الرجل آنذاك حتى دمعت عيناه وهو يلكزه في كتفه مخبرًا إياه أنه أمرٌ صعبٌ للغاية، إن لم يكن مستحيلاً، فالضغط داخل الطائرة أكبر بكثيرٍ مما هو عليه خارجها، أي أن فتح الباب يتطلب قوةً خارقةً لا يمتلكها أي إنسانٍ، ومايشاهده في الأفلام غايته الإثارة والتشويق فقط ولا يمت الواقع بصلةٍ، ليتنفس الصعداء بعد سماعه لذلك ولا يكاد ينتهي من سؤالٍ حتى يطرق آخر رأسه.. ساعدته كثيراً كنية والده في الحصول دائمًا على الأفضلية فمن ذا الذي لا يعرف الجراح الأشهر ذو السمعة الحسنة والاسم اللآمع.. لينتهي بنتائج مشرفة وفي غضون أشهر كان يحتل مقعد

القيادة بدور الكابتن.. ولم يكن الداعم فقط اسم والده بل كان لـ "سعيد الغازي" دورٌ كبيرٌ بعد ما توطدت علاقته بالمغناج "لاتويا".. دعمه في المطارات الأخرى بعدة بلدان، سلط عليه الضوء وسانده حتى بات ذا شأنٍ في مهنته رغم صغر سنه وحداثته.. لم يطل تعجبه من اهتمام ذاك الرجل وابنته الشقراء، بعدما رفع الستار وظهرت الغاية مع أول دعوة عشاء داخل قصره في بيروت العاصمة..

مائدة تعج بأشهى المأكولات

يترأسها رجل ذو نفوذ طاغ

تجاوره حسناء بثوب مغوي

ومع جلوسه الهادئ بينهم نال عرضه

حقيبة صغيرة لن تكلفه شيء سوى نقلها من بلد لآخر ضمن رحلاته و العائد يفوق خيالاته..

والرد ترجم في سؤال متوجس عن فحوى دواخل تلك الحقائب..

وإبتسامة الرجل تخبره أن ذلك العرض ماهو إلا لبداية المهالك.. ومع خروج كلمات الرجل سقط قلبه من بين ضلوعه.. فقد شملت كلماته كل ما درج تحت مسمى ممنوعات!

تصلبت عيناه فوق عيني الرجل ينتظر ضحكة ساخرة، أو خروج أحد ما من خلفه صارخاً بقطع المشهد بعد ما ابتلع الباسل المقلب كاملًا..

وما تمناه مزحة لم يكن سوى حقيقة تعرت أمامه، كشفت أوراق اللعب كاملة وهو تم اختياره و بجدارة ليكون كارت رابح لصفقات وأعمال غير نظيفة.. انتفض من مقعده دون أن يتفوه بكلمةٍ كأنما فقد النطق، ليخطو نحو الخارج بخطواتٍ مضطربةٍ وعثرها أكثر هتاف الغازي الذي بطن معناه أنه لا مهرب بعدما كُشفت الأسرار فليكن معهم ويربح أو يختار العكس وحينها ستكون الخسائر لا تعد ولا تحصى.

لم تهتز له شعرة وأكمل طريقه صافقًا الباب من خلفه ومع هبوط طائرته داخل أراضي البلاد كان قد أعد النية مسبقاً، هو في مركز قوة ولن يهتز

فعمله دعامة ليست بهينةٍ، فليذهب للجهات المختصة ويلقي بعرضهم وتهديداتهم في أحضان المسئولين عن ذلك..

لكن...

ولكن هنا تعني قلب الموازين!

وازى خطواته تصاعد رنين هاتفه وتزامن مع الإثنين نصلٌ حادٌ غرز في صدر أخيه وكان له الخيار..!

يكمل طريقه ومعه يغرز النصل كاملًا بأعماق القلب ليودع شقيقه بعدها الحياة على أيدي قطاع طرقٍ كما سيظن الجميع عداه

أو..

يعود أدراجه ويصبح واحداً منهم، وحينها سينحدر النصل بعيداً عن القلب

وعاد أدراجه..

ليحيا إسلام ويموت الباسل.

ومن ظن نفسه ذو شأنٍ ومكانةٍ، أصبح بيدق يحركونه كيفما أرادوا، جدول رحلاته هم من يختارونه على حسب مبتغاهم، أوامر يتلقاها في صمت لا يسمح له بالتفوه بحرفٍ أو حتى حق الإعتراض على ما يحمله داخل تلك الحقائب المشبوهة التي يعبر بها أو للدقة "يهربها "بكل سلاسةٍ ويسرٍ من بلدٍ لآخرٍ.. الجميع تحالف ضده حتى من حوله الكل يدعم الكل، رجالٌ ظنهم شرفاء فكشف أنهم أقل من أن يطلق

عليهم رجال، شهوة الأموال اغتالت ضمائر البشر.

وهو؟

ماذا عنه؟

اغتالو ضميره أم أخرسوا لسانه بتهديداتهم بعد ما فقدوا الأمل في إغرائه بأرقامهم القياسية..

وتلك المتغنجة تخبره أنه لا مهرب من رجل استخدم ابنته من قبله للوصول لمبتغاه، وتأمره بوجوب السمع والطاعة وإلا سيناله عقاب الغازي.

وغرق في دوامات المهالك وسار على خطاهم مرغمًا لشهورٍ.. أصبح يتعمد الجهل بما يدور حوله، وكلما انتفض القلب و صحى الضمير

تحضر أمامه صورة أخيه بندبه الموشوم فوق صدره وصورعدة لشقيقته؛ توأمته تزينها أبشع الخيالات فيخمده من فوره.. حتى جاء ذاك اليوم منذ أسابيعٍ قليلةٍ حين سلم إحدى تلك الحقائب لأحد رجالهم في بلاد الفرنجة كما طلب منه تمامًا، وقتها فقط التقطت أذناه بالمصادفة حديث الرجل مع آخر عبر الهاتف، فتصلبت شرايينه وربما توقف قلبه لثوانٍ معدودةٍ وعاد يضخ في قسوةٍ موضحاً الحقيقة كاملة، أنه طيلة الشهور الماضية ما كان إلا كارت رابح لتجار الأعضاء البشرية..!

عاد بعد ما أشتعلت دواخله بنيرانٍ حارقةٍ تكاد تقضي عليه، ولم يكن أمامه غيرها حتى ترسو به

على كافة الحقائق.. يواجه ويسأل بصوتٍ ميتٍ لاحياة فيه..

"مخدرات ولا أعضاء"

وتتبسم لاتويا ساخرةً وجملتها تماثلها سخرية..

"وشو الفرق باسل"

جذبها عنوةً، وغرز أصابعه بقوةٍ في ذراعها، وهو يطالعها وحممه المتراكمة تزداد اشتعالًا، ينتظر جوابًا..

حينها نظرت له بصمتٍ ثم همست ببساطةٍ:

"صدقني ما بتفرق إذا كان هيك ولا هيك.. أنا وأنت صرنا أتباع الغازي نقطة انتهى"

وعاد يسأل ويلح بجمود حتى أفضت له بكافة الحقائق و هتفت بما كان يخافه..

"أعضاء بشرية"

وانتهى الحديث.

قضى سواد الليل كله داخل مغطس الماء البارد بجسده وعيناه الجامدة.. وحينما غفى قسرًا زارته طفلةٌ صغيرةٌ ذات خصالٍ ليليةٍ حالكةٍ وعينين سوداويتين، تركض داخل حقلٍ كبيرٍ مليءٍ بالزهور وهو من خلفها، تعلو ضحكاتهما سويًا، وحين يمسك بها يلقي بها عاليًا فيشق شعاع الشمس موضع قلبها مخترقًا إياه لداخل عينيه مباشرةً فيغمضهما عنوةً و يعود يرمش فيقابله فراغٌ بدلًا من قلب الصغيرة، من ثم تسقط بين

يديه جثةً هامدةً.. ليفزع من غفوته وعيون الصغيرة لا تفارقه بينما رأسه يكاد ينفجر، هل يساندهم؟ يدعمهم في اصطياد البشر واستغلال فقرهم لبيع أجسادهم، وربما الأمر أنكى من ذلك، ويقومون بإرتكاب الجرائم ويسلبون البشر قطع من أجسادهم دون علمهم.. كانت تلك الليلة تحمل له من القسوةِ والخوفِ مايكفي لينشب بين ضلوعه ويمزق نياط قلبه دون رحمةٍ.. وقتها استقل سيارته وهو لا يبصر أمامه سوى الدماء.. توسط منزل الغازي الذي يقع في أرقى أحياء القاهرة وصراخه تلك المرة أخرسهم جميعًا وهو يخبرهم أنه من الساعة ترك أعمالهم

السوداء ولن يتراجع عن قراره حتى لو تم زهق روحه.

وهم لم يختاروا زهق الروح بل مارسوا أفعالهم الدنيئة، بدايةً من ذاك الفيديو اللعين الذي أرسلونه لأخيه، ونالو مرادهم وقتما فرقوا بينهما، هكذا يكسرون عوده أسرع؛ فينحني يقدم فروض الولاء والطاعة، لكنه على وعده لن يعود.. لن يشاركهم أفعالهم.. وتعود لاتويا تصرخ فيه.. ما الفارق؟!

عن أي فارقٍ تتحدث تلك المغناج؟.. هل تساوي بيع سمٍ قاتلٍ للراغبين به بتجارة واستغلال أجساد البشر.. لا والله شتان بين هذا وذاك وإن استطاع إخماد ضميره مع الأول خوفاً على من

يهمه أمرهم، لن يستطيع إخماده في الثاني حتى لو أراد ذلك.. وعدهم بأن يخرس ولن يتفوه بكلمةٍ تعود عليهم بالضرر فقط يتركونه لحال سبيله.. وكان أحمقًا؛ حين ظن لوهلةٍ أن هؤلاء يملكون قلبًا من الأساس كباقي البشر.. وتمادوا في أفعالهم حتى ليلة البارحة، ليلة زفافه.. حتى طالت تهديداتهم.. عروسه الجميلة.

رباااه!

ماذا فعلت باسل؟

لأي درجةٍ وصلت بكَ الأنانية حتى تقدم لهم فرصةً من ذهبٍ لينالوا منك؟!

لكن ألا يحق له راحة روحه المنهكة من خضام وأحداث الشهور الماضية؟.. أرادها بجانبه، تكون

دعامته وقت الحاجة بعدما تمكن منه الضعف والهوان.. يحتاج لرادعٍ قويٍ؛ وإلا سيضعف دون شكٍ ويعود ليسقط بين شباكهم من جديدٍ.. يستشعرها قربه لا يطمح بغير ذلك، لكن أي وجودٍ هذا؟.. فمع وصول تلك الرسائل حاول التظاهر بعدم الإكتراث حتى لا تلحظ ذلك.

حاول صب تركيزه على عروسه، لكن وازى اقترابه الشغوف خيالاتٌ دمويةٌ تخصه ونسيج السواد يلتف حول جسد فرحته، فزادت قبلاته ضغطًا وقسوةً حتى تأوهت بأنينٍ بين يديه، فابتعد عنها يطالعها بجبينٍ مقطبٍ وحاجبين معقودين ونظرةِ عينيها القلقةِ تسأله ألف سؤال..! وكما ابتعد بغتةً، عاد وضمها من جديدٍ

يحتجزها بين ضلوعه بغتةً في عناقٍ طال بخوفٍ متملكٍ.. يدفن وجهه بين خصلاتها الحالكة ويطلق تنهيدات لاتنتهي ومن ثم ابتعد أكثر، وتلك المرة خرج وتركها وحيدةً في ليلة زفافهما.. وحينما تتبعته أمرها بجفاءٍ أن تعود لغرفتها، وتنعم بنومٍ هادئٍ. جادلت وعاد صوته يعلو بصراخٍ، فانصاعت لأوامره مرغمةً.. ليقضيَ ليلته مستلقيًا على ظهره داخل الشرفة ينظر للسماء ويعد في النجوم البعيدة.

وعنها.. لاتصدق كيف عاملها هكذا بجفاءٍ وحينما أرادت فهم ما يجري صرخ فيها!.. قضت ليلتها ساهرةً تحاول فهم ذلك المعتوه حتى غلبها التعب والنعاس، وما إن استيقظت من باكورة

الصباح كعادتها، لفت جسدها بمئزرها الأبيض وخرجت تبحث عنه، زوج الهنا.

وبعد بحثٍ لم يطل وجدته مستلقيًا فوق أرضية الشرفة عاري الصدر، جذبت كوب ماء تُرك من ليلة الأمس فوق منضدة قريبة.. ومع سقوط قطرات الماء فوق جذعه العاري انتفض من نومته جالسًا يسب في الفاعل قبل أن يكشف هويته وحين عاد له تركيزه طالعها بغيظٍ، هب واقفًا ليزيحها من أمامه حانقًا، فصرخت فيه بكبتٍ منذ ليلة أمس:

- ممكن أفهم نايم في البلكونة ليه؟ وبعدين في عريس يسيب عروسته ليلة فرحهم لوحدها!

ارتمى بجسده فوق صوفا جانبية، من ثم تخلل خصلاته بأنآمله هاتفًا بخشونةٍ وعنجهية فارغة:

- الحق عليّ قولت أكيد تعبانة من المشوار ومحتاجه ترتاح.. بدل ما تشكريني جاية تصحيني بغباوة.

كتفت ساعديها في تهكمٍ واضحٍ، بينما التوى فمها يمينًا ويسارًا كسائر نساء البلدة حينما ينتابهم الإمتعاض من أمرٍ ما، نظر لها بنصف عينٍ بعدما أثارت حركتها الممتعضة حنقه فصاح بها بغضبٍ متوجسٍ:

- قصدك إيه بالحركة دي!

شملته بنظرتها من أعلى لأسفل ثم تحدثت بنبرةٍ مترددةٍ:

- يعني عريس يسيب عروسته ويتعصب فجأة هيكون ماله؟ حواجبه واجعاه مثلًا.. عادي يعني يا باسل لو عندك أي مشاكل قول ماتتكسفش أنا ستروغطى عليك بردو.

رفع حاجبيه في ذهولٍ، والثوان التالية كان يقف قبالتها، ينظرلها شذرًا و جانب شفتيه يرتفع بإمتعاض بينما لسانه يكرر جملتها:

- ستروغطى!

هزت رأسها ببساطةٍ، فعقد حاجبيه في سخطٍ ونبرته تلك المرة خرجت

متسرعةً..

كاذبةً..

لكنها وللأمانة تحمل وسامَ دفاعٍ عن رجولةٍ أهانتها تلك الرعناء الغبية:

- أنا عامل فتاق.

(٢١)

عن العشق، وتفاصيل أخرى

يقال دائماً هناك خير داخل كل شر.. وهي ظنت ذات يوم أنها ستلقي بحالها للمجهول حتى تتخلصَ من معضلة أكبر، ولم يكن ليجول في خاطرها أن ذاك الغاضب ذو الحاجبين المعقودين طيلة الوقت سيملك قلبها في مدةٍ وجيزةٍ، لم تعد ترى رفاهية في خارج المنزل أو في هوس التسوق، النادي والسهر بصحبة الصديقات المدللات.. تلك الحياة الصاخبة لم تعد تروقها أو حتى تشتاقها، بدلت كل ذلك بساعاتٍ تقضيها بين جدران مطبخها محاولة

منها كي تصنع له ما يحب ويشتهي من طعام..
المكوث هنا جوار تلك المرأة الطيبة، إطعامها
ورعايتها، الثرثرة دون ملل والسفر لحقبات
مختلفة من الزمن بصحبتها يخرج ضحكات
حقيقية من أعماق قلبها، كل ذلك يسعدها
بحق.. وبسمته الهادئة التي يخصها بها ما إن
يراها تفعل كل ذلك تجعلها تحلق فوق الغيوم،
وعن ضحكته قليلة الحيلة بعد كل كارثة تقوم
بها فذاك العشق بعينه.. في عينيها مختلف هو
عن كل الرجال، جاهل بقانون الغزل والعزف
فوق أوتار قلوب الإناث، لسانه لم ينطق بكلمة
غزل واحدة أو من باب المجاملة، لكنَّ عينيه
تخبرها أنها باتت ذات مكانة عالية لديه.. حين

يضمها لصدره كل ليلة فيطلق تنهيدته المعتادة
تترجم لها كل كلمات الغزل التي قد تطير بعقل
أي أنثى.. ليت والدتها هنا كي ترى لمعة السعادة
داخل مقلتيها، وأبيها تشتاقه بحق، كم تتمنى
رؤيته حتى تخبره كم هي سعيدة عله يرضى عنها..
حين طلب منها عدة مرات أن تقوم بمهاتفته او
تسمح له بذلك حتى يحاول إصلاح ما بينهما كان
الرفض جوابها في كل مرة، تعلم طباع أبيها
اللاذعة وستكون الإهانة من نصيبه وهي لن
ترضى له بذلك، ورغم ذلك حاولت في الخفاء أن
تحادثه لتطلب العفو والوصال من جديد لكنه
لم يتنازل لمرة ويجيب على اي من إتصالاتها
المكررة كأنها باتت لا تخصه.. ما الفارق لديه إن

كانت تقيم مع زوجته الحرباء او برفقة زوجها، في النهاية هو ليس هنا، غير موجود في حياتها على ماذا يعاقبها؟ يعاقبها لأنها إبتعدت عنه! ومتى كان هو قريب؟ هو بعيد منذ الأزل ومازال وسيظل، كيف إذن ترضى وتسمح له بالإهانة وقد وجدت فيه الأمان والسند، الدفء والملاذ المفقود..

بات لديك ما تخافين فقدانه تالا بعد ما عشت عمراً لا شيء يشغل بالك مثقال ذرة.. باتت لك حياة وزوج تعشقين كل نَفَس يصدر عنه.

تبسمت لحالها في خجل، هي غارقة في السيد بدر حد الثمالة.. نظرت للمرأة النائمة بجوارها فيبدو أن شرودها قد طال حيث راحت الأخرى في

سبات عميق، دثرتها جيداً، اطفأت الأضواء وغادرت الغرفة مغلقة الباب خلفها برفق.. طالعت الساعة المستريحة فوق الحائط وجدتها قد تخطت الواحدة صباحاً ولم يعد بعد من المشفى.. دلفت حجرتها وأنسلت بجسدها داخل الفراش، تعبث بهاتفها قليلا تنتظر عودته ككل ليلة، وبعد حين بدأ النعاس يناوشها فوصلها صوت المزلاج ينبئ عن عودته.. دلف بهدوء بعدما ألقى تحية خفيضة، جلس بعدها على طرف الفراش يخلع عنه حذاءه بصمت وحين انتهى ولم ينتهِ صمته أو تحرك من مكانه اقتربت هي تلامس كتفه وتطالع شروده الصامت بقلق، سرعان ما قطعته بسؤال:

- مالك يا بدر.. في إيه؟

وحينها رفع لها عينين غائمتين وخرج صوته بسؤال آخر حانق:

-أنتِ إزاي ما تقوليش على موضوع باسل ولمار ده؟ هو ده السر اللي مش عيزاني أعرفه.. خايفه على منظر صحبتك قوي؟

صمتت لبرهة ثم حركت رأسها برفض لنبرته الغاضبة وسؤاله الحانق وعلى الرغم من ذلك أجابته ببساطة:

- يا بدر إفهمني لمار ماكنتش عايزه أي حد يعرف أي حاجة عن الموضوع.. وعدتها أن مش أجيب سيرة لأي مخلوق.. أعمل إيه يعني!

زفر بحنق ونهض يخلع عنه ملابسه، فعادت بتردد:

-عرفت منين؟ إسلام مش كده.

لم يجبْ.. أكمل تبديل ملابسه بصمت مطبق، فاغتاظت وهمهمت حانقة:

- ممكن أفهم أنت متعصب ليه دلوقت؟ أنا ذنبي إيه في كل ده ؟؟!

تحرك ناحية الفراش، أزاح الغطاء متأففاً بغضب وعاد يهتف بدوره:

- إسلام ما يستاهلش إللي صحبتك عملته ده.

أنهى حديثه متدثرا بالغطاء، فجذبته عنه بغضب جعله يعتدل جالسا ينظر لها بحدة فترمقه بدورها بعدما تملك منها الغيظ:

-يا سلام! صحبتي هي اللي قالت لأخوه يستندل مع بنات الناس، وصحبتي بردو هي اللي فضلت تجري وراه مش كده؟! وبعدين عايزها تعمل إيه يعني؟ تروح تقول له على فكرة أنا كنت بحب أخوك علشان كده رفضت طلبك زمان! لو هتلوموا حد يبقى أولى يلوم أخوه إللي راح أتجوز ولا على باله.

رمقها للحظات قبل أن يدمدم:

-مفيش حد خسران غير إسلام في الحكاية دي كلها.. كان لازم تصارحه مهما كان الموقف صعب.. مايستهلش ان يستغفلوه كده.

جذب الشرشف من بين يديها وعاد يتمدد من جديد مردفا بتبرم ساخر:

-طبعًا لازم تدافعي عنها.. مين عارف يمكن أنتِ كمان وراك سر.

ظلت تتابعه مفغرةً الفاه، انتظرت حتى يتبع نهاية حديثه بأسف ربما أو أي شيء من هذا القبيل ليمحي جملته الأخيرة، لكنه ببساطة لم يفعل.. ولأنه لم يفعل نهضت ببطء حاملة إحدى الوسائد من أعلى الفراش ثم فتحت صوان الملابس لتتناول شرشفاً ثقيلاً واتجهت نحو

الباب وقبل أن تخطو خطوتها الأخيرة هتفت دونما أن تلتفت:

- أنا مقدرة أنك متضايق علشان صاحبك لكن مش معنى كده تغلط فيا.. ميرسي قوي يا بدر بجد ميرسي.

وغادرت مغلقة الباب من خلفها.. فاعتدل هو مزيحا الغطاء عنه بقوة متأففا بحنق، لا يعلم هل هو غاضب لأجل صديقه فعلا أم من سؤاله الذي ما إن غادر شفتيه حتى زعق فيه دون وعي..

"إيه القرف اللي بتقوله ده.. أنت إتجننت"

"قرررف.. الله ينور عليك.. هو قرف "

ظل يحدق فيه متعجبًا حتى ظن أنه يعاني من خطب ما وبعد دقائق حين هدأت ضحكاته الغريبة، ظلت عيناه شاردة نحو اللاشيء ولسانه يسرد حكاية لم يكن ليتخيلها يوما، حكاية عجز عن مواسته فيها او حتى في جمع حلول وطرح نصائح كعادته.. وباسل ذاك الأحمق كيف يفعل ذلك بأخيه لِمَ لمْ يخبره بالحقيقة منذ البداية؟ لو فقط يراه الآن لكان حطم فكه بعدة لكمات يستحقها.. هو بالفعل يضيق صدره لأجل صديقه، لكن ما يثير حنقه وغضبه سؤاله الذي أثار زوبعة أفكار عاتية بعقله تخص زوجته وخطيبها السابق.. مؤكد كانا يخرجان نهاراً ومن ثم يقضيان الليل سويا عبر الهاتف ولا يستبعد

بل في الحقيقة هو جازم أنه كان يمطرها بتلك العبارات اللزجة بإسم الحب.. حين وصلت أفكاره لتلك المنطقة أدرك أن غضبه سيتفاقم رغماً عنه وربما ستفلت منه زمام الأمور وحينها لن يضمن ردود أفعاله.. نهض يدور في الحجرة بلا هدف فقط يفرغ طاقاته وعقله ينبهه أنه أصبح يماثل صديقه في نزعة الغضب التملكيه تلك، فأخمده بجواب يجاهد بأن يقتنعَ به حاله أولا.. أنه شتان بينهما، فصديقه يحركه عشق ولد بداخله منذ أن رأى تلك الفتاة بعد ما قلبت حياته رأسًا على عقب، أما هو غضبه وأفكاره تخص زوجته فأي رجل ذو دماء حارة لن يقبل بذلك على نفسه.. جلس على طرف الفراش

يغمض عينيه ويمسح عرقه البارد عن وجهه بكفيه، عله يطرد تلك الخرافات من رأسه.

طالع الفراش الفارغ بضيق، يعلم أنه أوجعها بكلماته، وهي بالفعل كانت له كالكتاب المفتوح منذ البداية جعلته يقرأ كل ما سطر بحياتها منذ الطفولة حتى تلك اللحظة التي رأها فيها.. كل ليلة تثرثر بين أحضانه وهو يستمع ولا يمل من أحاديثها ولا ضحكاتها التي تجعله يتبسم رغما عنه، والآن هي غاضبة ولها كل الحق في ذلك أخطأ ربما لكن ما يدركه جيدا أنه إعتاد وجودها ولن ينطبق له جفن وهو يعلم أنها الآن تضم وسادتها تبثها عبراتها وتكتم بها نحيبها الصامت.

فتح باب الغرفة وكانت هناك قابعة فوق الأريكة، تضم الوسادة والشرشف بين أحضانها وتبكي في صمت.. رغما عنه أفلتت منه ضحكة ساخرة فالحمقاء بتأكيد خائفه فقد أخبرته مسبقا أنها تخاف الجلوس في الردهه ليلا بمفردها بعدما أخبرتها" أماني "عن تلك المرأة في البناية المجاورة التي تتلبسها حالة غريبة وتبدأ في الهذيان والتفوه بكلمات عجيبة كل ليلة والجميع يصرح وكأنه خبير بأن عليها إثنين من الجان.. جاورها فوق الأريكة فابتعدت عنه، يكره الإعتذار خصوصاً لامرأة، يمقت التدليل ولا صبر له على ذلك.. لذا هتف سريعًا ونبرته مازالت صارمة:

-خرجتي من أوضتك ليه؟

ويسأل؟ على أساس أنه لا يدري، يفعل فعلته ويعجز عن الإعتراف بخطئه لمرة، آثرت الصمت عن البوح بما يجول داخل عقلها، فعاد يهتف بنفاذ صبر:

-مش هتردي؟

وزاد صمتها وعنادها، وإن ظنت بفعلتها ستكسب شفقته ويكسر طبعه لأجل عينيها هي حتما خاطئة، فالطبع يغلب التطبع في معظم الأحيايين، نهض محركًا كتفيه بلا مبالاة وهمسه الماكر وصلها قبل أن يختفي من أمامها:

-براحتك.. بس ماتنسيش تقري قرآن قبل ما تنامي عشان العفاريت بتسرح بالليل.

وبينما إبتسامته تزداد إتساعا من خلف الباب المغلق .. كانت تدور بعيون جاحظة يمنة ويسرة في هلع، لم تكد تنتهي الدقيقة حتى اظلم المكان من حولها تماما بعدما إنقطع التيار الكهربائي كعادته المكرره في تلك المنطقة، وقبل الدقيقة التالية كانت تفتح باب الغرفة وتخطو لداخل بتعثر، الفراغ المظلم يهئ لها أشكالاً غريبة، مريبة.. تتلفت حولها بذعر وكفها المرتعش يمتد أمامها بتحسس علها تصل لهاتفها بأقصى سرعة بينما همستها خرجت بتحشرج:

- بدر..

تهتف اسمه بجزع لكن لا صوت ولا نفس حتى لأحياء في جوارها وبعد برهة شعرت بهواء يلفح

عنقها من الخلف فخرجت صرختها المدويه لكنها
لم تتعدَ المحيط من حولها بعد ما تم كتمانها
بنجاح.. سار بها قليلا ومازال يكممها بكفه
العريض وعودة التيار قطعت عليه إستمتاعه
الشرير، وحينها فقط تمكنت من رؤيته عبر
السطح العاكس.. العبث والتسلية ينضحان من
بين عينيه وهي فقدت آخر خلاياها العصبية حتى
باتت لا تشعر بأي من أطرافها.. أبعد كفه عنها
ببطء فاستدارت تواجهه، ظلت تحدجه بنظرات
لائمة وجسدها مازال يرتعد بخوف بينما أنفاسها
اللاهثة لا تهدأ وحين إنتوت أن تنفجر فيه
صارخة تلعثمت وإنتفض جسدها أكثر ثم إنهارت
آخر ذرة تماسك لديها وإرتفع ذراعها يعصب

عينيها كعادتها ما إن تبدأ وصلة بكاء.. يحاول مواساتها فيقترب وقبل أن يلمسها تدفعه بقوة كفيها بعيداً وبكاؤها يستمر.. إحترم رغبتها ووقف متكتف الساعدين ينظر لها بنصف عين رافعا أحد حاجبيه في تهكم ويسأل حاله لهذه الدرجة أخافها؟! ام لعل بكاءها بسبب كلماته السابقة؟ وليقطع الشك باليقين عاد يسأل:

- أنتِ خايفة من العفار..

قطعت سؤاله الغبي بكفين مكورين انهالت بهما فوق صدره في لكمات متتاليةٍ، إختلطت بعدها شهقاتها مع ضحكاته الغير مصدقه لمدى جبنها، بالكاد هدأ من ضحكاته فالمسكينة جسدها ينتفض بذعر حقيقي، قبض على كفيها المكورين

وأحكم قبضتيه حولهما ثم تخلى عنهما ببطء في جنبيها ونظرة عينيه فيها تحذير برفعهم من جديد.. إستكانت وهدأت في وقفتها كقطيطة وديعة إلا من عبراتها المنسابة ورعشة شفتيها، اقترب وتلك المرة لم يسمح لها برفض ضمها إليه برفق حتى إحتوى كل جسدها بين ذراعيه، فهدأت أنفاسها واطمئنت بين ضلوعه لذا تبخر خوفها واختفى وأصبح نشيجها الخافت فوق صدره يخص عتاباً على كلمات تفوه بها.. وهو أدرك ذلك، دموعها الدافئة تخترق قميصه مبللة بشرة صدره بينما كفها يستريح فوق موضع قلبه، لذا لا يعلم كيف ولا متى انحنى فوق أذنها يهمس بأسف:



- آسف.. حقك عليا.

وهي لن تسأل عن ماذا يعتذر بالتحديد، فقط شددت على ضمته لتستشعر معنى الأمان والإحتواء بين ذراعي رجل باتت عاشقة له لا محالة.. وهو من ناحيته لم يهتم بإعتذار خرج من بين شفتيه لا يعلم كيف، كل ما يهمه الآن أنها آمنة مستكينة بين ضلوعه.. وسؤال يعود ويطوف داخل ذهنه كلما اقترب منها بتلك الحميمية..

ماذا تفعل بك تلك المرأة؟

* * * *

متلاعبٌ هو يتقن اللعب فوق أوتار الكلمات، بكذبة صغيرة محى صورة هزلية قد رسمتها له بعد ما كادت أن تودي برجولته أرضا وتسحقها بكلمات.. هي بالنهاية كذبة ويعترف بذلك، لكنَّ الغرض شريف وقد نال ما أراد.. تحولت الأنثى الساخرة لأخرى متلهفة، حنونة، قلبها الأحمق يهدر خوفا.. تؤنب نفسها بقسوة، فقد أرغمته على حملها وهو المسكين يعاني ويخجل أن يتكلم! غير الحقائب وصعود تسعة طوابق.. اللعنة عليك فرحة! اقتربت تضم وجهه بين كفيها وعينيها تفيض بخوف حقيقي وقلق:

-حبيبي أنت كويس، حاسس بإيه طمني؟

ماقولتليش ليه يا باسل إزاي أنا ماعرفش حاجة زي دي.

أمسك بكفيها يهمس بطمأنينة:

-ماتخافيش يا قلبي أنا كويس طول ما أنتِ جنبي.

تركت وجهه ونزلت بكفيها تحيط خصره وقد غزت الدموع مآقيها فذاك الأرعن يرسم دور الضحية بإتقان يستحق الأوسكار.. وهمست بتحشرج:

-عملتها إمتى؟

بدأ عقله يجمع ويحسب سريعا، بدأ الكذبة وعليه أن ينهيها بنظافة:

- من إسبوع وما تقلقيش قلت لك كويس، دي عملية بسيطة يعني.

ثم أردف بعدما رفع وجهها ينظر لعينيها المتأثرة بمكر واضح هاتفا بعبث:

-وكنت هقوم بكل المهام اللازمة بكل إتقان وحرفيه، لولا السفر والسلالم أجهدوني شوية مش أكتر.. بس ملحوقة.

وهي تتكلم بجدية ولا تعير حديثه العابث مثقال ذرة فالأمر يتعلق بصحته وهو مازال يمزح:

-باسل لازم نروح لدكتور وتقول له على كل اللي حاسس بيه علشان الموضوع مايتطورش وتبقى

إنتكاسه لاسمح الله، بلاش تهمل في صحتك علشان خاطري.

لثم فكها بقبلة قوية وعاد ينظر لها متبسما وهتافه الأجش مطمئن بحق تلك المرة:

-والله أنا تمام وزي القرد أهوه قدامك.. ماتقلقيش بقى، هروح آخد شاور علشان نفطر وبعدين أثبت لك إن زي البومب.

أنهى جملته بغمزة وقبلة سريعة فوق ثغرها وأختفى من أمامها متنهدا بإرتياح.. قضى وقتا تحت رذاذ الماء البارد وما إن إنتهى إرتدى بنطالاً مريحاً وكنزة خفيفة وخرج عائدا لها، ليصطدم بوجود ضيف غير مرحب به على الإطلاق لا الآن

ولا فيما بعد، ماذا تفعل تلك المغناج بصحبة زوجته!

ازدرد لعابه وتقدم بخطوات هادئة وبنبرة باردة رحب بها:

-أهلا لاتويا.

نهضت بدلال أنثوي مغوي تحت نظرات فرحة المشتعلة، ولم يكن ترحيبه البارد يكفيها، اقتربت، عانقت وقبلت وجنتيه عدة مرات والمسكينة الأخرى تحدق بعينيها وتعد فوق أصابعها، قطع ذلك نبرة الدلال خاصتها:

- مبروك الزواج.. تتهنى يا ئلبي.

وبعد تلقي التهنئة قام بتعارف بسيط لا غنى عنه:

-فرحة مراتي.. لاتويا صديقة من لبنان.

حركت فرحة رأسها بترحيب أكثر برودة وسماجة من ترحيب زوجها والأخرى تواجهها بنظرات متفحصة، وحده فقط إلتقط نظراتها الغريبة ذات المغزى الذي يفهمه جيداً.. تمتم موجها كلامه لعروسه المشتعلة بغضب الكون:

-فرحة ممكن عصير أو أي حاجة من إيديك يا حبيبتي.

وبسمته المرتبكة جعلتها تنتفض من جلستها المتحفزة متكتفة الساعدين.. شقراء مايعة

بصبيحة زواجنا يا أرعن.. الويل لك فقط انتظر!

وهتافها حاد يماثل نظراتها المصوبة نحوه:

-مافيش عصير ولسه ماجبناش حاجة، وصلنا بالليل متأخر ومانعرفش أن في ضيوف هتشرفنا على الصبح كده.

رمقتها لاتويا من أعلى لأسفل ونهضت مرة أخرى وببحة ساحرة هتفت لها:

-كتيير مهضومه.

لتهمس لحالها من بين ضروسها...

"يااا سم "

وعادت المغناج ترمق باسل:

-صار لازم روح هلا.. شو ما بدك توصلني؟

مد كفه كدعوة لتقدم وتجاهل نظرات فرحة التي كادت أن ترديه قتيلا في تلك اللحظة.. ظلت تعض شفتيها بحنق من خلف ستار النافذة وعينيها مصوبة عليهما أمام البنايه.. تتحدث فتضحك وتتمايع وتنهي حديثها بثلاث قبلات فوق وجنتيه كما استقبلته، لتدلف أخيراً إلى سيارتها وعسى ألا تصحبها السلامة.. وعاد بسلامته بعدما أوصلها كما أمرت، حاولت ان تهدأ من روعها تعد من الواحد إلى العشرة لكن لن تفلح تلك الطرق المستهلكة مع ذروتها المشتعلة..

يتحاشى النظر بالعبث في هاتفه متصنعا الإنشغال وهتافها المغتاظ جعله يرفع بصره إليها متعجبا:

-ست بوسات.. سته! ده انا اللي إسمي مراتك ماوصلتهمش.

رفع حاجبه الأيسر بإستنكار:

-وهو حد منعك!

رفع الحاجبين دورها، اقتربت أكثر وبنصف عين وهمس متمهل:

-إيه حكاية الست دي بالظبط؟

والسبابة ترتفع بلهجة تحذيرية مردفه:

-وحذاري تكذب أو تفكر تخبي.

والتلاعب وتغير المواضيع بات إسلوب حياة لدى الباسل:

- إحنا مش هنفطر ولا إيه؟

وهي لن تتنازل ولن تتزحزح وفي إنتظار إجابة وتوضيح، لذا أنهى الحديث بلهجة جاده، صارمة:

-أنتِ ناسيه طبيعة شغلي، و بعدين مش كل واحدة هتقابلك هتعملي تحقيق.

-ويا ترى طبيعة شغلك تسمح لهم يزوروك في بيتك؟

خرجت نبرتها بضيق حقيقي وليس مجرد حنق وإنفعال، حرك رأسه متأففا وإقترب يدلل، يضم ويهمس بحب:

-لا طبعا، بس هي ماتعرفش عاداتنا و جات تبارك أطردها يعني.. يلا بقى فطرينا هموت من الجوع، يرضيكِ أموت؟

ضربته فوق كتفه قبل ما تبتعد بزمجره:

-آدي اللي بأخده منك.. كلام وخلاص.

.....

وبعد فطور مليء بالمناوشات اللذيذة إصطحبها للخارج في نزهة خاصة.. هي فقط من يمكنها أن تنسيه حاله والكون أجمع، عشقها الفياض النابع من أعماقها يجعله يطمع في أيام أخرى مليئة بسعادة يهنئ فيها ببال مرتاح، وعلى قدر السعادة يوجد خوف ورعب من غد يجهل

هويته، قبضة تعتصر قلبه دون هوادة ومع ذلك ترك الغد يأتي محملا كيفما يريد لكن اليوم سيعانق كفها سيحيا بها ولها فقط ، سيراقب ضحكاتها ويشاركها إياها، يضمها أمام الكون أجمع معلنا أن الجميلة، حبة القلب ومليكته باتت ملكا له.. حلمه الذي لم يكن ليتنازل عنه أبداً تحقق بسهولة ويسر لكن على ما يبدو أن الحياة لم ترضَ عليه بعد وتبخل بتقديم سعادة طويلة المدى، يعلم أن تلك اللحظات قصيرة للغاية لكنه فقط يأمل ألا تنتهي على كابوس كما بدأت.

إنتهى اليوم الطويل بعد زيارة عدة أماكن مختلفة، تمدد فوق الفراش عقب حمام دافئ،

وبعد دقائق إنتهت بدورها وخرجت بمئزرها القطني، تجفف شعرها المبلل بالمنشفة وعينيها تطوف فوق باقة الورود الحمراء المستريحة أمامها أعلى طاولة الزينة، قدمها لها في نهاية اليوم قبل عودتهم ليختم نزهته الرائعة بتلك الوردات.. تبسمت حينما إلتقطت عيناه تراقب شرودها المعكوس في المرآة.. مد كفه يدعوها حتى تقترب، فتركت الفرشاة وتحركت إليه وقلبها يخفق له ولأجله كما اعتاد منذ الصغر..

اقتربت.. وقبلة فوق الأنآمل منتهية أعلى الكتف، تبعتها أخرى فوق الجبهة وللوجنتين نصيب، وقبل أن يصل لشفاه ويعلو سقف طموحه..

أبعدته برفق وهمست بأسف:

-معلش يا حبيبي مش هينفع.

تصلب في مكانه عاقدًا حاجبيه في إستهجان، فتابعت هي مفسرة:

- ما هو ما كنش ينفع أسكت، قولت لك بلاش خروج عشان ما تتعبش بس أنت أصريت.. كلمت إسلام قولت هو عارف أكيد بموضوع العملية وكان عندي حق بعد ما عرف أن خرجنا وإنك إمبارح تعبت شوية وكده يعني..

ردد خلفها ببلاهة:

-وكده يعني!

ابتلعت لعابها تحت أنظاره المحدقه فيها بتركيز وأخذت تسترسل حديثها غير مدركة لما يعتمل داخله:

- أكد عليّ ما فيش خروج تاني و.. ويعني زي الأخوات بقى لمدة إسبوع كده وإلا الحكاية هتقلب لإنتكاسه وأخطر كمان.

تخلل بأنامله خصلات شعره، يمسح وجهه بكفيه بينما ساقه تهتز برتابه وغيظ يكاد يفتك به.. وفجأة تجاهل حديثها وجذب ذراعها بنبرة جامدة:

-مالكيش دعوه بكلام إسلام ده واحد بيستهبل.. وبعدين أنا أدرى بصحتي ماتقلقيش أنتِ بس.

خلصت نفسها من بين يديه ونبرتها لا تقبل نقاش:

-تؤ تؤ ماتحاولش أنا هنفذ كلام إسلام بالمللي كله إلا صحتك يا بيسو الله.

عاد يتمدد للخلف ملقيا بثقل جسده دفعة واحدة، مدمدماً بسخط:

- أنتم خليتوا فيها صحة خالص.

* * * * *

قابع خلف مكتبه يدون أسماء لبعض العقاقير لإحداهن، بينما عقله شارد مع كلمات زوجة أخيه.. عن أي فتق تتحدث، ولم يكذب ذاك الأبله! وما كان منه إلا أن يجاريها في الحديث بعد

ما إنحدر تفكيره كما فعلت هي من قبله.. والآن قسراً يحتل تفكيره، هل الأمر بذلك السوء حتى يختلق أكاذيب واهية كتلك؟ حسناً ربما الحل الذي قدمه سيمنحه بعض الوقت..

وينتشله من بؤرة شروده إقتحام مفاجئ وهتاف حاد:

-دكتور إسلام الحق دكتورة لمار بتعيط ومنهاره.

....

التهم الطرقات بخطوات واسعة وقلبه ينبض بالألم، كيف لا وهو يشعر بها قبل أن يراها، كان يعلم من البداية أن الأمر لن يبقى سراً، لم تكن لتهدأ حتى تكسر أوامرة وتجتاز البوابة لتصل

لصغارها.. وما كانت فعلتها تؤلمه، ما يؤلمه حقا شعورها وقتما يقابلها فراش الصغيرة فارغاً، مهجة قلبها التي أحبتها وميزتها عن الغير"مريم" تلك البريئة ذات الإبتسامة الموجعة، بعد ثلاثة أعوام حاربت فيهم بكل قواها لتهزم ذاك المرض اللعين وشاء الله أن تفارق الحياة منذ يومين، لم يستطع إخبارها وجل ما فعل حرص على منعها من دخول تلك الحجرة من جديد.. لكن لم تكن لتتخلى عنهم كما ظن وكما وعدت هي، والآن ماذا..

تقف أمام الحجرة التي شهدت أجمل ساعات قضتها داخل تلك المشفى، كتفيها ينحنيان بحزن ونشجيها المتألم بين الجدران يشق عنان السماء

حيث روح الصغيرة، دمعاتها المنسابة تعاتبها بألم..

"رحلت مريم و لم نكمل قصتنا.. انظري لقد صنعت لك حلواك المفضلة لم تتذوقيها بعد حبيبتي.. أفتقدك منذ الآن يا صغيرة"

انتهت الخطوات وباتت أمامه على بعد أمتار قليلة، يراها على تلك الحالة فتتحرك قدماه بآلية تلتهم ما تبقى، حتى توقف قبالتها.. حينها فقط رفعت رأسها المنكس تنظر له من خلف غشاوة عينيها وكفها يرتفع ببطء ويحط فوق موضع قلبها، تخبره أنها تتألم، ذاك النابض يذرف دمعا ويقطر وجعا على فراق أتى بغير

ميعاده، كأنه لا يكفيه ما به ليأتي فراق الصغيرة ويقضي على البقية الباقية.

جذب كفها من فوق نابضها وعيناه لا تحيد عنها ضاما إياها لصدره.. فتتشبث بقميصه أكثر ونحيبها المتألم يخترق أضلعه ويسكن بين جنباته، يشد بمؤزارة ثم يمسد بحنو، يواسي بكلمات تحث بصبر على قضاء الله وعنها فقدت الشعور بأطرافها وسقطت بين يديه فاقدةً للوعي بعد ما استنزفت آخر ذرات طاقتها.. حملها بين ذراعيه تحت أنظار الجميع بملامح قطبت بخوف وقلق.. يريحها فوق الفراش ويعمل على إفاقتها بنفسه وبعد دقائق عاد وعيها وعاد نشيجها يعلو من جديد فتغفو سريعا بفعل

مهدئ حقنها به.. يجاورها بصمت بينما عينيه لا تفارق وجهها، يضم كفها بين كفيه وحين أوشك مفعول المهدئ على الإنتهاء لثم أعلى جبينها بقبلة طويلة وغادر سريعًا..

وبعد وقت قصير كان يراقب من البعيد رحيلها بصحبة والديها يدعمها كل من جهة وهي منكسة الرأس.. صامته حتى إختفت من أمامه.. وكان يعلم، فقد أخبره حدسه أن رحيلها تلك المرة ليس كسابقه.. بل هو بمثابة وداع .

* * * * *

كان يقوم بإنهاء بعض الأعمال داخل صالة المطار بعد ما تم مهاتفته وطلب حضوره على وجه السرعة لحل مشكلة ما تخص عمله، حضر

على الفور وحلت المشكلة، حسنا يمكنه العوده الآن حيث عش الزوجية فهو لن يتركه حتى تنتهي عطلته المسموح بها.. مضت ثلاثة أيام على زواجه السعيد، زواج مع وقف التنفيذ حتى يسترد الزوج صحته.. اللعنة!

بل عشرات ومئات اللعنات والحسرات على إسبوعي العطلة، لقد خطط لسفر إلى الخارج ليوفي بوعده ويعوضها عن حفلة العرس الملغاة بأيام تحيا فيهم كالأميرات من ثم يعود بها إلى والديه فهو لن يتركها وحيده وقتما يعود لعمله.. لكنها حمقاء رفضت خوفاً عليه وحتما ستنتهي عطلته وهي ما زالت تتمسك بنصائح إسلام الكاذبة.. زفر بحنق وضجر بينما يسير شارداً

اصطدم بأحدهم دون قصد فأتاه الصوت المألوف بمرح:

-بيسو.. إيه اللي نزلك يا عريس بسرعه كده زهقت؟

عانق الصديق وهتف بدوره:

-حبيبي يا أبو حميد.. حصل بس شوية لخبطه مع الكباتن، كلموني فنزلت أشوف الموضوع ومروح على طول.

لكزه أحمد في كتفه بحماس غامزا:

-تمام يا باشا.. خلص الأجازة اوام اوام وإرجع لنا.

تبادلا حديثاً يخص عملهم لبعض الوقت، ليستأذن بعدها باسل في عجل، وما إن استدار

راحلاً حتى انسل الصديق هاتفه بينما لسانه

يتمتم بسخرية:

-غبي.

.....

استقل سيارته عائدًا لوجهته فتعالى رنين

الهاتف، رباه لن تكف تلك المراة عن مهاتفه،

على ما يبدو أن فرحة ستوفي بوعدها قريبا

وتقوم بتقطيعها قطعا منمنمة وتلقي كل قطعة

بمكان حتى يحال جمعها من جديد.. رفع الهاتف

وأتاه صوتها على الفور لكن بنبرة غاضبة.. غريبة

لم يألفها من قبل:

-باسل إذا بدك تخلص من سعيد الغازي للأبد تعا هلا ناطرتك ب...

أنهت المحادثة ولم تزد حرفاً وهو على الفور استدار بسيارته في حدة جعلت عجلاتها تصر فوق الأسفلت، مغيراً وجهته حسب مهاتفته الأخيرة.

وبعد ساعات..

كان قد حل المساء وأسدل الليل أستاره وقتما عاد، ولج بهدوء شارد وعقل تائه، قلب بصره هنا وهناك فلم يجدها، خلع عنه سترته وألقى بها أرضا بإهمال، وأخذ يبحث عنها من جديد في باقي الأرجاء بعد ما قابله الفراغ بين جدران المطبخ، دلف لغرفة نومهما وما إن فتح الباب حتى

تيبست قدماه، ثبت بصره أمامه بينما لسانه يعجز عن النطق وعقله يجاهد لفهم ما يرى واستعيابه، كأنما فقد جسده الحركة وجميع وظائفه، فقط يحدق بعيون متسعة.. جاحظة.

(٢٢)

غيرة واجبة

قالوا من قبل أنَّ المرأة أشقى بغيرتها من الرجل، وإنَّ الغيرة هي الطاغية في مملكة الحب كما أجزموا أن الغيرة هي اللغة الوحيدة التي تجيدها المرأة، وعلى قدر ذاك الحب تكون غيرتها.. تضبط إيقاع مشاعرها ومؤشر إحساسها يعمل بدقة وما إن تشعر بخطر يقترب من أسوار مملكتها تنطلق أبواق الحروب وتدق الطبول بعنف وشدة.. وهي ليست بخطر وكفى هي شقراء متمايعه بجسد مغوي وسيقان متناسقة الإنحناءات مع بحة صوت ساحرة، لا تكف عن

مهاتفة زوجها ليل نهار، تحاول إلقاء شباكها حوله حتى يقع صريع فخها المغوي.. ليلة الأمس قطعت جلستهم الحميمية مرتين وذاك الأرعن يمثل دور البراءة وكأن شيئاً لم يكن، الرجال كما هم مهما تغير وتبدل الزمان ذو أعين فارغة يلهثون خلف كل حسناء فما بالكم بشقراءٍ فاتنة!

لكن إن كانت تظن أنها بلهاء ساذجة، تتركها تلهو وتمرح وتقف هي في صفوف المتفرجين فنجوم السماء أقرب.

ما إن فتح الباب حتى تيبست قدماه في الأرض، ثبت بصره أمامه بينما لسانه يعجز عن الحركة وعقله يجاهد لفهم ما يرى واستيعابه، كأن

خلايا عقله توقفت كلياً فقط يحدق بعيون متسعة.. جاحظة

هناك أمامه تجسدت صورة حية لامرأة بأكثر الأثواب غواية ذي لون أحمر قانٍ، يكاد يبتلع جلدها لشدة ضيقه وقصره، بينما كثها الأسود، ليله وعشقه الأزلي اختفى!

وحل محله آخر يحمل شقرة لعينة لا يعلم كيف جاءت.. تركها منذ سويعات فقط ولو علم أنه سيخرج تاركاً زوجته وحين يعود يجد أمامه تلك الحمقاء لكان قتلها قبل الذهاب، ولا يكفيها كل ذلك بل تتمايل أمامه بدلال وسبابتها ترتفع بدعوة مغوية بينما شفتيها تتخذ وضع القبلة

يهمس فاتن مقلدة بصوتها الشجي مطربة ما نسى إسمها وتفاصيلها من هول ما يرى:

- ما تيجي هنا وأنا أحبك.

نسيت أن أخبركم أن مؤشر الأحساس لديهن حين يعمل بدقة عالية عن المطلوب يتفجَّر ويتحوَّل لشظايا وحينها يهبط ويتدنى لمرحلة الغباء الأنثوي.. وهمسها المغناج فك قيد قدميه ليخطو إليها وما زالت عينيه جاحظة وعقله يرفض استيعاب تلك الصورة التي جسدت أمامه بكل حماقة الكون.. أخذ يدور حولها ببطء متوجس وهي توزع بسماتها بنزق فبعد مجهودها الجبار ذاك ربما تتنازل الليلة عن نصائح إسلام الغالية ويحصل الحبيب على

مراده، وتتمم تلك الزيجة، فزوجها المبجل يفوقها صحة وعافية هذا ما أختبرته على مدار ثلاثة أيام فائتة عمر زواجها السعيد وليلة حمراء لن تخلف ضرراً كبيراً.. واختفت الليلة الحمراء بجميع درجات ألوانها حين شعرت بقبضته تعتصر خصلاتها الكثيفة حديثة الشقرة حتى كاد أن يقتلعها من منابتها ونبرته الهامسة بدرجة خطيرة تخترق أذنيها:

-إيه الهباب ده!

وتاوئها المتألم لم يؤثر فيه حتى لثوان فقد تحولت عيناه المحدقة بجحوظ لأخرى غاضبة، مشتعلة وكأن هذا ما كان ينقصه! زوجته المصون تتلاعب بها رياح الغيرة فتقدم على

فعلتها الشنعاء وتحول ليله الحالك لشقرة تكاد تلتاع معدته بمجرد إطالة النظر إليها..

حين فقدت إستعطافه بتاوهات خفيضة خرجت نبرتها بتوسل واضح:

- شعري يا باسل.. سيب بقى.. آآه حرام عليك.

اقترب أكثر بوجهه الغاضب وأنفاسه الحارة تلفح بشرتها بينما صوته خرج كفحيح ملتهب:

-معاك لحد بكره يا فرحة لو القرف ده ما تشلش ورجع شعرك زي ما كان قسما بالله لأكون مقطعه بإيديا.

نفض يده عنها بقوة مخلصاً خصلاتها من بين أصابعه ثم رمقها شذرا وخطى نحو الخارج وقبل

أن يبتعد إستدار نحوها من جديد رافعاً سبابته نحوها بلهجة تحذيرية يتحداها أن تكسرها:

-وإياكِ تطلعي من الأوضه مش عاوز ألمح طيفك الليلة.. خاااالص.. لحد ما يطلع النهار وتصلحي القرف ده، بعدين يبقى لنا كلام تاني.

صفق الباب خلفه بقوة جعلتها تشهق بفزع، لأول مرة يزعق بها بتلك القسوة بل لأول مرة يقسو عليها ولا يتقبل جنونها المعتاد في حضرته، تراجعت بخطوات متخاذلة حتى جلست على طرف الفراش، يتخبط عقلها بين أن تستمع له وتظل حبيسة غرفتها كما أمر حتى صباح الغد لتذهب بعدها نحو صالون التجميل وعلى إستعداد أن تدفع أضعاف ما دفعت حتى تسترد

صورتها القديمة، تعيد هيئتها كما يفضلها، وقلبها الأحمق يؤنبها بأن تنهض، تذهب له تمتص غضبه وحنقه حتى لا يبيت ليلته بحممه البركانية تلك، لكن صورته الغاضبة عادت تحتل عينيها فتقهقرت بخوف وفقدت آخر ذرات الجرأة في مواجهته.. حانت منها إلتفاته نحو المرآة التي تجاورها فعقدت حاجبيها بأسى، الآن فقط أمكنها رؤية بشاعة صورتها المعكوسة أمامها.

....

زفر عشرات المرات حتى كاد أن ينهي على آخر ذرات أكسجين يحملها جسده.. حمقاء وستظل حمقاء، إن كانت شقراء او غيرها تجذب أنظاره لِمَ إذن ورط نفسه بالزواج منها!

ترك حماقتها مع غضبه والتقط من أعلى منضدة تقبع في زاوية الردهة مغلفاً ورقياً كان عائداً به من الخارج، ألقاه بإهمال غير آبه بما يحمله بين ثناياه من كوارث في موجة قلقله عليها وقتما قابله السكون.. توسد الأريكة على عجل وعاد يقرأ من جديد، يقلب ويرى ما يحوي بين طياته وقبضتيه تتكوران بغضب..

فمنذ الساعتين حين هاتفته "لاتويا" ذهب من فوره وتقابلا على أطراف المدينة كما طلبت.. كانت بحالة يرثى لها لا يعلم سببها وما إن رأته حتى عادت على مسامعه سؤالها العجيب..

-بدك تخلص من سعيد الغازي؟

طالعها بدهشة ولا يدري بما يجيب وهي تسأله إن كان يريد القضاء على أبيها بل محوه من فوق الأرض إن امكن، حين طال صمته وشروده عادت تسأل من جديد:

-خبرني باسل بدك تخلص وترتاح بقى ولا بدك إظل هيك عالق بين أصابيع سعيد بيك يحرك فيك متل ما بده؟

تحدث أخيراً وسؤاله خرج مُتردداً بإستهجان:

-إزاي؟!

سحبت نفساً عميقاً ثم تناولت من حقيبتها اليدوية مغلفاً ورقياً وضعته له بين كفيه وهسيسها تحول لشرس، قاسٍ:

-هون وبهاد الملف فيك تبعته لسعيد الغازي وكل رجاله وياللي معه متل ما بتقولوا بالمصري.. وراء الشمس.

ظل يطالع المغلف بين يديه بصمت ثم أخذ يتصفح، يقلب، ومع كل ورقة يقع بصره عليها ينقبض قلبه أكثر.. أسماء عديدة لرجال أعمال، أرقام قياسية بصفقات مشبوهة وتجارات غير نظيفة.. أوراق كافيه لإخفاء من حوت اسماءهم من على الكون أجمع وليس فقط إرسالهم وراء الشمس.. ومن بين تلك الأسماء وقع بصره على شخص، لا هو صديق مقرب او هكذا ظن..

رفع بصره إليها في صدمة ولسانه يهتف بإسمه:

-أحمد!

وضحكتها الساخرة توازي كلماتها الصادمة:

-أحمد رفيقك أهم أضلع سعيد الغازي او فيك تقول الصياد تبعه، بيعرف يختار الفريسة وبجداره، عيون بتوصل أخبار المطار أول بأول.. وبالمناسبة كل الرسائل الحقيرة اللي عم توصلك هو المسؤل عنا، لأنه ببساطة رجوعك للغازي راح يكون لصالحه.

وبعد صمت طال أم قصر لا يهم.. بصوت ميت عاد يسأل:

-عارف من البداية إن علاقتك بسعيد الغازي مش تمام لكن مش لدرجة وراء الشمس.. وأضمن منين أن ده مش مقلب مثلا وتكون أنتِ كمان معاهم ويطلع كلامك ده كله مجرد مصيبة

جديدة وبعدين إشمعنا أنا تقدمي لي الخدمة العظيمة دي؟

تدور عينيها في اللاشئ وهمستها صاحبها شرود نحو ماضٍ بغيض:

-بلا باسل اللي بيني وبين البابا أكبر بكتير من ما تتخيل.. فيك تقول تار قديم وهلا إجى وقت الحساب.. والأكيد كل هاد ما يخصك.

ضحكت بسخرية مريرة مردفه بهمس:

-وبعدين أنت بتعرف إن متلك ما كنت راضية عن أعماله البشعه، بس ما كان فيني إحكي قبل ما يكون معي دليل.. ولا بتعرف أديش كان صعب

ومحال أوصل لورقة من هدول، بس ليك صار وهلا بين إيديك مفتاح خلاصك.

-بردو ما قولتيش إشمعنا انا!

حركت رأسها يمنة ويسرة وعادت تهتف فيه بزمجرة وفروغ صبر:

-لأنه بعرف عملت هيك غصب عنك، هن إستغلوك وما كان في قدامك خيار، ولأنك شخص منيح يحق لك فرصة تصلح فيها كل شيء وترجع لحياتك متل ما كنت.. على كل حال ماعندي دليل يأكد لك كلامي إذا بدك فيك تاخد الملف وتنتقم لحالك وإذا ما بدك عندي مليون طريقة غيرك، بس وقتا ما بضمن لك إسمك ما يروح معن لأنه أكيد راح يخبروا عنك

ولو صار هيك شيء كل سلطة وظيفتك ما راح تحميك.

تخلل خصلاته بقوة وهتافه خرج بزعقة وحيرة تكاد تفتك به:

-أخويا، أختي، مراتي وأهلي.. ما قدرش أخاطر! يوم ما قررت أقف في وشهم كانت حياة أخويا هتكون التمن، انا بالورق ده وحتى من غيره بحتة بلاغ للجهات المختصة قادر أقلب عليهم الدنيا، لكن هيرجعوا يردو القلم بكل خسة وندالة بيعرفوا يختاروا الوجع فين وينشنو بالظبط وأنا ماقدرش أخاطر بيهم.

ونبرة لاتويا الزاعقة جعلته يصمت:

-لك أنت دخلت وسط الناريا بني آدم من وقت عشاء لبنان، من وقت ما كشف قدام عيونك كل الحقايق.. ياغبي سكوتن ما راح يطول، بتكون غبي لو مفكرراح يخلوك هيك عايش حياتك على كيفك وأنت بتعرف كل شيء، متل ما أنت قادرتقلب الدنيا عليهن هن كمان قادرين برفة جفن يمحوك من على وش الأرض.. هن بس واثقين أنك راح ترجع متل ما رجعت أول مرة، أنت مجرد كارت رابح وما بدن يخسروك منشان هيك مطولين بالهن عليك.

صمتت لثوان تتابع ملامح وجهه التي باتت مكفهرة ضائعةٌ، ثم أردفت من جديد:

-أنا سمعت البابا عم يحكي لرجاله يقلن كل ما ضغطتوا عليه أكتر كل ما رجع أسرع، سكوتن مقابل رجوعك.. فيق بقى قبل ما تحرقك النار وأنت واقف مكانك.. فكر منيح باسل وراح كون ناطره منك تلفون حتى أعرف شو قررت.

وعودة للحاضر المرير.. إعتصر المغلف بين قبضتيه والنيران تتأجج بداخله أكثر، تشتعل وتضرم بضراوة، أغمض عينيه يبتهل في داخله يطلب العون والسند من رب العباد والا يتركه بمفرده يواجه ذاك الإعصار هو أضعف من ذلك.

وحركة خفيفة صدرت من خلفه انبأته أنها كسرت أوامرة وخرجت من غرفتها، ومع همسها

الخافت بإسمه لملم ما بين يديه سريعا ونهض على الفور، تحرك وتخطاها دون أن ينظر لها.. وداخل الحجرة الأخرى المجاورة لحجرتهما معا دلف صافقاً من خلفه الباب تاركا إياها خلفه بعيون دامعة لإنقطاع آخر خيوط الأمل في إسترضائه.

* * * * *

وأظل وحدي أخنق الأشواق

في صدري فينقذها الحنين

و هناك آلاف من الأميال تفصل بيننا

و هناك أقدار أرادت أن تفرق شملنا

ثم انتهى.. ما بيننا



و بقيت وحدي

أجمع الذكرى خيوطا واهية

و رأيت أيامي تضيع

و لست أعرف ما هيه

و تركت يا دنياي جرحا لن تداويه السنين

فطويت بالأعماق قلبا كان ينبض.. بالحنين

"فاروق جويدة"

***

رحيلها الصامت أمام عينيه بمثابة ألم جديد حط عليه.. حقا لا يعلم لم يفتقر للحظ! كأن الحياة تستكثر عليه بضع نفحات من السعادة.. متأرجح هو بين قرب وبعد، جنة ونار، لا هو حلق

نحو السماء وقبض على نجوم السعادة ولا بقي على الأرض ينظر لأحلامه وآمانيه المتبخرة.. فقط ذبذبات عشق تسكن فؤاده تضرب فيه دون رحمة.

عدة طرقات على الباب انتشلته من شروده وقبل أن يأذن لطارق كان بالفعل فتح الباب وطلت بوجهها الباسم، تهمس بحنو:

-أدخل ولا هتنام؟

إعتدل في جلسته هاتفا بسرعة:

-إتفضلي طبعاً يا ماما.

ولجت بخطوات هادئة حتى جاورته فوق الفراش، طالعته متبسمة في صمت فرفع حاجباً في توجس مع هتاف أكثر توجس:

-خير ياشاهي مش مطمن لك!

ضربته فوق كتفه بغضب مصطنع مع نبرة معنفة من ثم لينة:

-الحق عليّ وحشتني.. من زمان ماقعدناش قعدت الأم وإبنها.

ضحك بخفوت وعاد يتمدد من جديد، يحط برأسه فوق فخذيها ويهمس:

-أنا كمان واحشني حضن الأم لإبنها.. ويمكن محتاجه أكتر.

وهي تشعر به مهما كبر ومرت السنون سيظل هو بكريها فرحة قلبها الأولى، تستشعر حزنه وضيقه يهرب من الجميع داخل دوامات العمل كما يفعل "مراد" يغادر البيت من بكورة صباحه ويعود آخر الليل وفي أحايين كثيرة يبيت لياليه داخل مشفاه، يبتعد عن الجميع، ينطوي ويصمت هي تلك عادته منذ الصغر، وحينما ينهكه التعب يأتي إليها يضع رأسه بين أحضانها ويفضي بمخزون ضيقه، لكن تلك المرة لم يفعلها وذلك ما أثار قلقها فجاءته لم تنتظر منه المبادرة.. مسدت خصلات شعره ثم تخللتها بين أناملها وهمسها الدافئ يشق مسامعه:

-إحكي لي.

تنهيدة حارة مصدرها جوفه المشتعل مع نبرة متعبة حد الألم:

-تعبان يا أمي.. ومش لاقي بر أرسى عليه.

ضمت رأسه لصدرها أكثر وكفها يمسد وجنته بذقنه النامية، تهدهد روحه المتعبة:

-طيب قولي إيه تاعبك.. لمار والمشاكل اللي بينكم اللي كلنا تقريبا عرفنا بيها ومافيش داعي تخبو أكتر من كده ولا حكايتك مع باسل وخصامكم اللي طال و مانعرفش ليه سبب؟ ولا حاجة تالته ماعرفهاش؟

تبسم داخله بسخرية فالأولى تتبع الأخرى أماه.. الأولى طعنتني بقلبي والآخر بظهري ليمضي كل

منهما في طريق وبقيت أنا في المنتصف أصارع طعناتهم.. حين طال صمته أيقنت أنه لن يبوح بأكثر من ذلك لذا هتفت من جديد بقلب أم ملتاع على ولديها ويضيق صدرها لأجلهم:

-كلم أخوك يا إسلام بلاش تكون قاسي كده، عمر ما كان الجفا بيريح بالعكس.. وإن كان غلط في حقك هتفضل أنت الكبير عرفه غلطه بس ماتبعدش وتقسى، أنتم في النهاية مالكمش غير بعض.

جذب كفها المحيط بذقنه يلثم باطنه وهمسة خافتة لم يجد غيرها يهمس بها:

-حاضر.

لتعود تحنو من جديد:

-وريح قلبك، شوف إيه اللي تاعبه وريحه او ابدأ صفحة جديدة على بياض وإرمي كل اللي تاعبك وراء ظهرك.

تنهد في يأس وأغمض جفنيه ينشد راحة، أذعنت لرغبته ولم تزد في الحديث، قبلت جبينه وعادت تمسد خصلاته من جديد.. بطلها الصغير هو منذ الطفولة وحتى بعد ما أضحى ينضح برجولة وعنفوان، يريح قلبها ويفعل دائما ما يطمئنها، تثق فيه ولا تخشى عليه من شيء ربما يحنيه التيار لكنه سرعان ما يعود ويستقيم بل يشتد عوده أكثر من ذي قبل.. من يشغل بالها بحق ويخبرها حدسها أنه ليس على ما يرام صغيرها

الآخر، صوته الحزين يثر قلقها، حتى زواجه من فرحته حبيبة الصغرلم يعد له روحه المرحة والتي تميزها جيدا عن تلك المزيفة، هو من يوجع قلبها ويستحوذ على خوفها.. حركت رأسها يمنة ويسرة تطرد وساوس الشياطين داعية لولديها براحة بال وحماية من كل شر.

* * * *

صباح جديد يشع بهجة ومرح، تغرد عصافير الغرام وتشدو بأعذب الألحان خارج نافذة مطبخها، وصوت مذياع يصدح بأغاني الست قادم من نافذة شقة مجاوره، بثوب قطني قصير تدور بين خزائن مطبخها تأخذ هذه وتترك تلك،

تعد وجبة فطور مفتخرة حتى تليق بالسيد المبجل..

ولم تكن تعلم أن السيد إنتهى من إرتداء ملابسه ويقف منذ قرابة ثلث ساعة يراقب تمايل خصرها مع صوت المذياع، تشرد قليلا وتضيق بحدقتيها محاولة منها لتتذكر بضع مقادير تخص ربما طبق البيض الذي تعده بحرص، لتتبسم بعدها في ظفر ويعود خصرها يتمايل ببطء من جديد.. تقدم بضع خطوات نحو منضدة قريبة حملتها بعدة أنواع من الجبن يجاورها حبات الزيتون مع شرائح الخيار والبندورة الطازجة..

إلتقط أول ما طالته يده وبدأ يدسه بفمه مع تساؤل هادئ:

-بتعملي إيه؟

تتشبث أصابعها بيد المقلاة الساخنة بينما تدور له برأسها مع إبتسامة واسعة ملأت وجهها الصبوح:

- بيض عيون.. بتحبه صح؟

همهم بخفوت فعادت تهتف به دون أن تلتفت له تلك المرة فقد إستحوذ إعداد البيض على كامل تركيزها:

-بدر أنا هروح النهاردة عند لمار، لازم أشوفها طنط نهال بتقول حالتها وحشة وطول الوقت بتعيط.

تسائل بضيق:



-وهتروحي إزاي؟

تعلم أن ذلك يغضبه لكن صديقتها تحتاجها لذا هتفت سريعاً دون تردد:

-تاكسي.. وبليز يا بدر مش تقول لأ انا لازم أشوفها.

حرك رأسه برفض قاطع ونبرته لا تقبل نقاش:

-تاكسي مستحيل.

عادت تلح وتتوسل من جديد وعلى ما يبدو لن تكل ولا تمل من الثرثرة والإلحاح.. ونهاية المطاف رضخ لرغبتها لكن كما يريد هو:

-خلاص خدي عربيتي وأنا هقضيها مواصلات النهاردة وأمري لله.

تهللت أساريرها في سعادة وهي تحمل طبق البيض نحو المنضدة وما إن وقع بصرها على سفرتها التي أعدتها بعناية فائقة منذ دقائق فقط إجتاحها الحنق فقد أصبح كل طبق عليها في حالة يرثى لها بعد ما سد رمق جوعه من بينهم.. تركت ما بين يديها بقسمات متحسره ونبرتها خرجت حانقة بضيق:

-إيه اللي أنت عملته ده.. كده بهدلت الطريق!

عقد حاجبيه في عدم فهم فاستدركت حالها وتسرعها، زمت بشفتيها وعقدت ساعديها وأخذت ترمقه شذراً وهي تتذكر كلمات الجارة "أماني"

"يابنتي أقرب طريق لقلب الراجل معدته..

معروفه دي"

عادت ببصرها المتحسر نحو طريقها الذي مهدته وتفننت فيه وأتى هو في دقائق وقضى عليه قبل أن يكتمل حتى.. ولا تعلم متى تملك من خصرها وإقترب منها بتلك الدرجة الخطيرة إلا حينما أتاها صوته الأجش يهمس بجانب أذنها بحرارة:

-أقول لك انا إيه أقرب طريق لقلب الراجل؟

إرتخى جسدها بين يديه ما إن لمحت رمادية عينيه تخترق عينيها وأمام شفتيها أتم جملته بهمس أكثر دفء:

-عينيكِ.

فغرت فاهها في بلاهه ورفرفت بأهدابها عدة مرات، علها تتأكد أن ذلك الغزل الصريح يخصها! وقبل أن تفقد الوعي بين يديه سارع بدس إحدى شرائح الخيار داخل فمها، ولأنها سافرت إلى عالم آخر تركتها عالقة بين شفتيها وأكتفت بالتحملق فيه فعاد وإلتقطها من جديد كما دسها لكن بشفتيه تلك المرة، أخذ يمضغها وضحكته اللعوب تتسع رغما عنه وقبل أن يغادر ويتركها ضائعة، ساهمة في عالم وردي مليء بالفراشات هتف وغمز بمكر:

- طعم الخيار مع الجلوس.. يجنن!

* * * * *

وبين شقي رحى الفراق والألم تتهشم هي، تذبل وينطفيء نورها، تعاندها الأيام وتقف لها بالضد، الجميع يقترب منها يحنو، يحتل مكاناً بالقلب وحيزاً داخل الروح وبعدها يرحلون دون النظر لقلبها المفطور المتألم بفراقهم، تاركين إياها بين ثنايا الفراق والآلآم تتآكلها بصمت حتى بات نابضها كالخرقة المهترئة لايقوى على إقتراب أحدهم أو رحيل آخر.. حتى من ظننت أنه الأوفى بينهم يقسو ويبتعد.. دائما كان هناك خيط رفيع يصلها به، يخبرها أنه سيعود عاجلا أم آجلا سيعود.. لكنه ببساطة لم يفعل، إحتوى وقدم مواساته ورحل كغيره.. تنضب دموعها فتعود تولد من جديد تشق طريقها عبر وجنتيها ثم

تموت عند شفتيها وملوحتها لا تمحي مرارة الفراق.. لن تعود له ولن تعود لصغارها، سترحل هي تلك المرة لن تظل في مقاعد الانتظار تترقب ظلهم الراحل، بل لم يعد هناك داع للانتظار فالجميع على علم أنها وخطيبها على غير وفاق لذا إنتهى ما بينهما لأجل غير مسمى.. حين فقدت الوعي بين يديه حين لمس ألمها وضعفها، ظنت أنه إكتفى من الهجر وسيعودان من جديد هو يداوي ويطيب وهي بالمثل، لكن وقتما إفترق جفنيها وقابلها الفراغ إلا من ذرات عطره في الأجواء تخبرتها أنه كان هنا، كان بفعل ماضٍ لن يعود..

وعن صغارها لن تنساهم في غفوها وصحوها ستدعو وتبتهل من قلبها بشفاء وسعادة تملئ قلوبهم الصغيرة، أما عنها فمحال عليها تجرع ألم فراقهم من جديد، فراق الصغيرة هدم آخر حصونها الواهية، ومن كان يدعمها لم يعد يساندها ولن تلومه تعلم ما يمر به، ترى حيرة تفتك به وحزناً يفيض من بين عينيه، آلمته دون قصد وها هي تدفع الثمن بحزن غلف قلبها وظلام شاع بين ثنياها.. ستبقى على ذكراه وتخلدها بروحها، ستتذكر دائما أنه يوماً ما كان هناك عشق دافئ اجتاحها عنوة، بسط أشعته الذهبية وتغلغلها بسلاسة وحين رفعت له رايات

الإستسلام.. غادرها صاحبه مع طعنة أهدتها له دون قصد.

زادت عبراتها وعادت تعلو شهقاتها ونحيبها بألم، فضمتها "روان" بين ضلوعها، تهدهدها برفق كما تفعل مع صغيرتها وتخبرها أنه سيعود لها طبيبها وحينها فقط ستطيب كل جراحها.

* * * * *

هل تسمحين

بأن ينام على جفونك لحظة

طفل يطارده الخطر..

هل تسمحين

لمن أضاع العمر أسفاراً

بأن يرتاح يوماً ..

بين أحضان الزهر

"فاروق جويده"

***

قضت ليلتها ساهرة تترقب خروجه من محبسه الذي فرضه على حاله، لكنه لم يفعلها تركها وحيدة تقضم أظفارها تارة وتتخبط بغيظ بين الجدران تارة أخرى، ومع إشراقة الصباح كانت ترتدي ملابسها، ستفعل كما أمرةا وتعود له بفرحته وحينها ينتهي خصامه الذي طال وتعدى طاقة الإحتمال.. وقبل أن تنتهي كان يدلف للغرفة بعاصفة باردة يأمرةا بجفاء أن تنتظره

فهو من سيقلها لوجهتها، أخبرته أن مقصدها يبعد فقط بضعة أمتار عن المنزل ولا داعي لذهابه، فلم يأبه لحديثها وأكتفى بتكرار أمرة.. أقلها في صمت دون أن يتفوه بكلمة وهي لا جرأة لها بحديث، وبعد سويعات قليلة كانت قد إنتهت وعادت لسابق عهدها، تتبسم براحة وتلعن نفسها وموجة الغباء التي اجتاحتها بالأمس لترتكب جرم كهذا، وكان بانتظارها وتكاد تقسم أنها رأت في عينيه بسمتها الخاصة ممزوجة بعشق خالص يخصها وحدها، لكنه يخفي ذلك ويزيد من جفائه وقسوته، عاد بها حيث مسكنهم وأمام الشقة غادر من جديد بكلمات مقتضبة تخبرها أنه سيعود ما إن ينهي بعض الأمور..

وحل الغروب وبعده ساعتان وباتوا أربع وقبل منتصف الليل بقليل كان يدلف للغرفة بهدوء لا يمت ما يعتمل في داخله بصلة.. جاورها فوق الفراش ليحين دورها في الخصام، ليس من حقه أن يعاقب ويبتعد كل ذلك وتتقبله هي بصدر رحب، إنتوت هجره والإنطواء بالغرفة المجاورة كمان فعل هو بالأمس، وقبل أن تأخذ خطتها قيد التنفيذ كان يتملك من خصرها، يقربها منه ويغرق بوجه داخل خصلاتها الحالكة فيتبسم بشغف، إبتعدت عنه بضيق فعاد وتملك من جديد وصوته محمل بإعتذار هامس:

-آسف.

ثم علا بكفه يمسد مؤخرة رأسها ونبرته خرجت

بندم:

-وجعك جامد؟

عاتبته بعينيها، تخبره بهما أن جذبه لخصلاتها لم

يؤلمها بقدر ما أوجعتها قسوته وإبتعاده ليلة

الأمس وطيلة نهار اليوم.. سار بأنامله فوق

وجنتيها وغاص في سواد مقلتيها ليهمس بحرارة:

-بحبك.

دست بنفسها عنوة بين ذراعيه تبثه عشقها

وعبارات حب تخصه وحده منذ الأزل.. استرخى

بها في جلسته حتى بات شبه ممد وهي بين

ذراعيه، يمسد ذراعها ويتخلل خصلاتها بأنامله

وهي مغمضة العينين تنعم بدفء بين ضلوع حبيبها، تستمع لدقات قلبه الهادرة فسيمفونية عشقها الخاصة تعزف هنا بقيادة نابضه.

-فرحة.. هتسافري عند عم حسن، جهزي نفسك.

ألجمتها جملته المفاجئة لثوان، إرتفعت بعدها بجسدها مجعدة ما بين حاجبيها وسؤالها خرج بإستفهام وضيق:

-هترجعني لبابا ليه يا باسل وانا لسه ما كملتش إسبوع في بيتك؟ كل ده عشان اللي عملته إمبارح؟ إعتبرها لحظة جنون وعدت، شعري رجع زي ماكان.. زي ما بتحبه.

اعتدل في جلسته من جديد يزفر ببطء ويجذب كفيها المتشابكين ليحتجزهم بين كفيه:

- لأ الموضوع مش كده، انا بس عندي شغل مفاجئ ومضطر أقطع الأجازة.. لازم أسافر وأنتِ ما ينفعش تقعدي لوحدك علشان كده هوصلك عند عم حسن خليك عنده لحد ما أرجع.

تسائلت بضيق:

-هتغيب قد إيه؟

ومع سؤالها إحتبس الهواء عن رئتيه وظل يتابعها بصمت، ملامحها الحزينة، ضيقها النابع من داخلها.. وأخيرا تحدث بهمس مشتت:

- جايز إسبوع، إتنين، شهر.. أكتر او أقل مش عارف.

حركت رأسها برفض حاسم وإعتراض:

-بس أنا مش عايزه كل مرة أسيب بيتنا يا باسل، دي طبيعة شغلك وأنا لازم أتعود عليها، سافر ووقت ما ترجع هتلاقيني مستنياك.. هنا في بيتنا.

أغمض عينيه في قهر، هذا ليس بمنزلنا حبيبتي هو منزل ذاك الخائن من اتخذته يوماً صديقاً، عليك بالرحيل حتى أتمكن من العوده إليك من جديد.. هدر وكل ذرة داخله تشتعل:

-ما ينفعش تستنيني وأنا مش عارف هرجع إمتى جايز تتعبي من كتر الإنتظار.. ولا مين عارف مش يمكن مارجعش خالص.

ضربته بقبضتها المكوره فوق كتفه بقوة ثم زجرته بهتاف حاد بعد ما خانتها دمعة يتيمة سقطت من محجرها دون إرادة:

-إياك تقول كده تاني، هتسافر وهتروح وهتيجي وأنا هفضل مستنياك، إياك تنطق بالكلام السخيف دهمرةتانية أنت فاهم؟

ولم يتحدث فقط جذبها لصدره يخرس كلماتها ويلتقط دمعتها بشفتيه، يمحي قلقها بكلمات غزل من بين صفحات قاموسه الخاص المحفور بين ضلوعه وقد حظر اللمس والإقتراب لغيرها،

يبدل كل لياليها الفائتة بليلة خاصة تصبح بعدها زوجته قلباً وقالباً، يدمغ صك ملكيتها للأبد ويدفن بين ذراعيها قلقه وخوفه الذي بات رعباً من القادم، عقب ما اتخذ خطته مع الشقراء المدلله قيد التنفيذ، فالحياة على صفيح ساخن لا تناسبه، فإما جنة وإما نار الأثنان محال.. كانت بالأمس حبيبة وغدت اليوم زوجة ورفيقة درب، ووحده الله يعلم إن كان دربهم سيمهد بسعادة وصغار تختم بهم حكايا العشاق، أم زرع من البداية بأشواك ستدمي القلوب قبل الأجساد.

* * * * *

بعد أيام..

تدور إطارات السيارة في سرعة مهوله تلتهم الطرقات الريفية تطيها طيا، بينما أصابعه تقبض على عجلة القيادة بقوة أظهرت عروقه النابضة بقهر، نعم يريد إبعادها لكن ليس بتلك الطريقة أبداً.. اللعنة على الشقراء لاتويا واللعنة على أبيها، لعنة الله عليهم جميعا ألا يذهبون للجحيم عله يرتاح..

تجاوره في المقعد الأمامي تحط برأسها فوق زجاج النافذة وخيط من العبرات المنسابة يشق طريقه عبر وجنتيها، تبكي حباً توارى، تبكي رجلاً ظنته هو كونها أجمع بينما هو تخلى عنها ببساطة.. أغمضت عينيها في أسى والذكرى تلوح بخاطرها.. لا تصدق أن ذاك الرجل الذي ذابت

بين أحضانه واجتاحها بطوفان عشقه منذ أيام هو نفسه ذلك الخائن الذي يجاورها!

تعالى رنين هاتفه فترك جسدها تلفحه البرودة ونهض حاملاً الهاتف بين أصابعه، ظناً منه أنها تغط في سباتها، لم يكن يعلم أنها نهضت بدورها وحين قادتها خطواتها ناحية الشرفة تتبعه خلسة كان ينهي مهاتفته بكلمات أثارت في نفسها الشك من جديد..

"قولت لك لما فرحة تمشي الأول غير كده لأ "

وفرحة إبتعدت من فورها تنسل داخل فراشها قبل أن يراها وفي قلبها لن تفوت ما سمعت مرور الكرام .. أكد لها الظنون إصراره في الصباح على رحيلها السريع كأنه بات لا يطيق صبراً على

وجودها، وهي لن تتركه بين يدي تلك الشقراء.. تتشبث بقميصه وتخبره أنها لن تغادر بيته مهما كلفها الأمر، ستبقى في انتظاره ريثما يعود ستكون هي هنا، فيهديها نظرة صامتة ولا يقوى على حديث بعدها، ولا تمر ساعة حتى يعود على إلحاحه من جديد وظل الحال ليومين كاملين هو يطلب تارة ويزعق أخرى وهي تبكي تارة وتغضب أخرى، تطالب بحقها في زوجها وبيتها، وليلة البارحة كانت تنتظره خلف زجاج النافذة تمني نفسها بأمسية سعيدة ربما يعوضان بها جدال وغضب اليومين الماضيين.. لكن كل ذلك تبخر حين رأته بعينها يقبل تلك الوضيعة بشغف، هناك أسفل البناية في العلن وأمام عينيها.

ولم تكن تعلم أنه أهون عليه عذابه الذي يحياه وألا يطعنها بقلبها كما فعل.. حين ترجل من سيارته كانت هناك هي الأخرى داخل سيارتها تنتظر عودته، تحرك إليها ولم تنتظر بل هتفت في وجهه بسخط:

"شو يا بيك راح إنظل هيك ناطرين فرحة خانم لترضى وتروح تنتحرك! "

وقبل أن يتحدث عادت تقر من جديد بغضب:

"ما راح تروح، أنا عم ئلك ماراح تروح وتتركك، إلا إذا تركتها أنت"

وقتها لم يتمالك نفسه وهدر فيها من بين أسنانه:

"وأنا مستحيل أخاطر وهي معايا لازم تبعد علشان لو حصل أي حاجة تكون بعيد"

صمتت لاتويا لدقائق تبادلوا فيها النظرات المشتعلة، تطلعت بعدها نحو البناية وحين تقابلت عينيها مع عيني الأخرى المصوبة عليهما كالصقر لم تتردد لثوان، جذبته من ياقة قميصه على حين غرة واقتربت من شفتيه تلثمهم بقبلة شغوفة لمن يراها، بينما هي مجرد سكين ثالم غرس في قلب الفرحة وعنه فقد الحركة واحتبست أنفاسه، وحينما ابتعدت كما اقتربت همست بإقرار قبل رحيل

"هلا راح تروح .. ناطره تلفونك بس ترجع"

ورحلت بضحكة ساخرة زينة جانب شفتيها بينما هو دار برأسه نحو النافذة أعلاه وكانت هناك.. تحركت خطواته بآلية وأمامه خياران لا ثالث لهما.. الأول؛ يحمل إعتذاراً وطلب غفران لما رأت وببضع كلمات منمقة سيناله، والله ستهديه صك غفران عن طيب خاطر، ستصدقه وتمنحه العفو والسماح ما إن يعدها أنها لن تعاد وستبقى بقربه.. والثاني؛ فيه تأكيد لما رأت وحينها سيفطر قلبها ويشطر روحها العاشقة له حد النخاع وربما روحه هو من ستنشطر دون رحمة لكنها سترحل ببساطة كما يريد.

ربااااه .. أي خيارات تلك التي يسقط بها مرة تلو أخرى، لم يسلخ روحه عن جسده كل حين بيديه!

لم تصرخ او تزعق كما ظن فقط طالبت بمعنى لمَ رأت بعينيها وحينما قابلها صمته عادت تطالب بحقها في عشق أمضت عمرةا كله في انتظاره، فطال صمته وطال عتاب الأعين، هكذا إذن فرحة من تغنيت بعشقه سراً وجهراً لم يكلف نفسه ليتمسك بك من باب القرابة لا المحبة، طعنك هكذا ببساطة ولأجلها، لم يتخذ وضع دفاع ولم يكذب بل أكد بصمته وأثبت إدانته..

وحينها فقط كانت هي صاحبة طلب الرحيل

"عاوزه أروح لبابا.. عاوزه أمشي من هنا"

وحينها فقط خرج صوته جامد بلا حياة

"جهزي نفسك "

انفلتت منها شهقة خافتة على إثرها حرك رأسه إليها، أغمض عينيه بعجز وعاد ينظر أمامه نحو الطريق.. وما هي إلا سويعات قليلة أنقضت حتى أصبح أمام منزلها، منذ أيام حملها منه وهي عروس مع وعد بسعادة طويلة المدى والآن عاد بها وهي كسيرة الفؤاد..

بئس العاشق أنت باسل..

ما إن توقفت السيارة حتى فتحت بابها تنوي ترجلاً سريعاً يكفي ضعفاً ودموعاً تهطل مدراراً

وهو كحجر صوان لا يتحرك له ساكن، وقبل أن تتحرك أمسك برسغها عنوة، لم تلتفت ظلت على حالها تواليه ظهرها وهو يقيدها بأصابعه وهمسه المبحوح بالكاد يصلها:

-بعد ما أرجع من السفر هجيلك ونتكلم.. خلي بالك من نفسك.

سواد عينيها أصبح كجمرتين مشتعلتين بحرقه فؤادها ونبرتها خرجت بمرارة ألمها توازي استدارتها القوية نحوه:

-طلقني يا باسل.

(٢٣)

فراق أم عودة

أنهت مهامها اليوميه سريعا وتركت "ماما راوية " بأمانة الجارة الطيبه ..لن تنسى نظرته الحانيه، الدافئه التي شملها بها حين سمع منها كلمة ماما تلقب بها والدته..ذهبت لزيارة رفيقتها المسكينه ذات الحظ العثر، تألمت لأجلها، عبراتها لم تجف بعد ..تبكي فقدان الصغيرة وتبكي عشقاً وظل رجل تشتاقه حد الظمأ ..تنهدت بيأس وهي تترجل من السيارة بخطوات وئيدة وبينما كانت تمر بين اروقة المشفى، تحي تلك وتلوح لأخرى باشتياق فرغم مدة عملها القصيرة هنا إلا أنها كونت عدة

صداقات لا بأس بها، لاح على ثغرها بسمة هادئة، لطالما كرهت الطب والمشفيات، لكن هي ممتنة فقط لكونهم سبب في جمعها مع حبيبها .. فور خروجها من منزل "لمار" قررت أن تأتي إليه ويعودان للمنزل سوياً بدلاً من أن يشقى في المواصلات العامة..تذكرت غزله الصريح الصباحي فتخضبت وجنتيها وعضت على شفتيها تكتم ضحكة منفلتة رغما عنها ..وصلت وجهتها أخيرا ..عدة طرقات على باب الحجرة ولم تنتظر إذناً للدخول على زوجها ..واربته وأطلت بوجهها الباسم :

-مساء الورد

رفع القابع خلف مكتبه عينيه وحاجبيه في استنكار صائحا:

-بتعملي إيه هنا ؟!

عقدت حاجبيها في ضيق لذيذ بعدما دلفت وأغلقت من خلفها الباب ..اقتربت بخطواتها تهادى بخيلاء..وعلى جانب المكتب كانت تميل بجذعها نحوه، ونبرتها ناعمه حد الإغواء:

-قولت نروح سوا

وقد لاح بخاطرها نصيحة أماني الثاني

" من الآخر على قد ما تقدري إتمايصي"

عادت تعدل من وضعها "بمياصة" كما تفضلت جارتها المصون وقدمت لها ما تملك من نصح،

أسرعت ترتكز بساعديها على سطح المكتب بينما رأسها تستريح بين كفيها، مردفة بشفاه متبرمة بغنج:

-فيها حاجه دي ؟!

مال برأسه قليلا يتابع منحنيات جسدها أمامه ..وحين عاد بنظره إلى بحر عينيها تنحنح يجلي حنجرته، ويهتف بصرامة:

-زرتي صحبتك ؟ وبعدين ماقولتيش ليه إنك جايه ؟!

أنهى جملته واستقام يجذب بضع أوراق من رف مجاور ، فاعتدلت بدورها تتخصر في وقفتها وأجابت بسخط بين:

-لمار صعبانه عليا ..وصاحبك قاسي قوي

واللحظه التالية لجملتها كان جسدها أسير بين الجدار وذراعيه، فعلى ما يبدو النصائح أتت بنتائجها وبشكل فوري .. تلفحها أنفاسه الهادره، ويهمس بخشونه بنصف عين:

-صاحبي ماله ؟

ولم تكن لتفوت فرصة ثمينة كتلك وتقف كالبلهاء كما الصباح، طوقت عنقه بذراعيها وأنفاسهما المتبادلة أشعلت نيرانه مع همستها الخفيضة من بين شفاه وردية مغوية:

-قاسي

ارتفع له حاجبٌ واحد وإقترب أكثروأمام شفتيها

همس هو بعبث:

-قاسي قوي ، قوي..ولا نص ونص

وضحكتها الخافته أثارت زوابع سافره بداخله،

وقبل أن يتعمق أكثر نفضها فجأة بعيداً عنه

حتى أن رأسها المسكين ضرب الحائط بعد ما

فتح الباب من جديد مباغتة وطلت الملاك

الأبيض بضحكة سمجة، ونبرة ممتعضة :

- اتأخرت يا دكتور ومارنتش الجرس هااا أدخل

المدام ولا حضرتك مش فاضي؟!

كانت المرأه تتحدث وعينيها تلتهم تالا بنظرات متفحصة، أخرجها من تفحصها هتاف بدر الجاد :

-دخليها طبعا ..بس حولي باقي الحالات على دكتور وائل أنا هاخد دي بس وهروح بعد كده

خرجت المرأة بمصمصة شفاه واضحة فعاد لها بوجه يكتنفه الحنق:

-إقعدي هنا ماتتحركيش هخلص آخر كشف خلينا نروح بدل الفضايح دي

تبسمت لخجله الممزوج بحرج وقد إرتسم على ملامحه بشده ، فلزمت الصمت حتى لا تغضبه

أكثر..إتجهت بعدها نحو صوفا جانبية، جلست بهدوء تتابع بصمت.

....

ولج لداخل الحجرة سيدتان الأولى في منتصف العشرينات ربما والأخرى تبدو في عقدها الخامس وتشبه الأولى لحد كبير..رحب بهم بعملية، ثم تحركوا جميعاً نحو جانب آخر بالحجرة حيث جهاز الأشعه رباعي الأبعاد...قطع صمتهم أصوات عجيبة مصدرها هاتف الأم ونبرة الأخرى خرجت بحبور:

-ممكن يادكتور أشغل سكايب وجوزي يحضر السونار، نفسه يشوف البيبي ويطمن عليه معانا

وتابعت الأخرى:

-آه والنبي يا دكتور أصله مسافر ونفسه يشوف إبنه

هتف بدر وما زال محتفظا بنبرته العملية:

-من عينيا، إطلعي على السونار..وإنت يا حجه شايفه الشاشه إللي قدامك دي ؛هنشوف فيها البيبي ..بس ده لسه أسابيع يعني حاجه صغيرة جدا ..بس لازم نفرحة طالما في غربة.

وبعد دقائق ..تحدث بدر موضحا:

-زي ما إنت شايفه يا مدام دي إيدين البيبي حاططها على وشه

رددت المرأه المسنة خلفه:

-إيدين البيبي على وشه ياعصام

تابع بدر:

-والحمد لله العمود الفقري سليم

-الحمد لله عموده الفقري سليم يا عصام

تنهد بضيق وعاد يكمل :

-وتكوين المخ المبدأي كويس

-والمخ كويس يا حبيبي

وهنا صدح صوت الزوج عبر الشبكات:

"ماتتكلميش إنت يا ماما أنا سامع الدكتور "

هتف بدر سريعًا :

-آه يا حجه ياريت لأحسن حاسس إنك بتعلقي على ماتش أهلي وزمالك زي محمود بكر

عاد يهتف الزوج بنبرة ضجرة:

"انا مش شايف البيبي أصلًا"

إستدار بدر برأسه نحو المرأة وطالع الهاتف بين أصابعها هاتفا بنفاذ صبر:

-إيه يا حجه ده بتصوري المكتب ! حطي الموبايل قدام الشاشه الله لا يسيئك

ضربته على كتفه بود وهتفت من بين ضحكاتها:

-يوه يا بني معلش ماخدتش بالي

هتف الزوج بفرحة:

"أنا شايفه أهو ، ده بيشاور بإيديه "

-امممم بيشاور يإيديه، المهم، ده القلب ونبضاته كويسه الحمد لله

سألت المرأة بلهفة:

-هو ولد يا دكتور؟

وقبل أن يجيب صدح صوت الزوج بسؤال عبر الهاتف من جديد:

"هو إحنا ممكن نعرف عنده كام عظمه في صدره ؟!"

قلب بدر بصره بين الهاتف والمرأتين وهتف بحنق من بين أسنانه :

- إيه يا جماعه بقول شهرين ، شهرين لسه تقولوا ولد وكام عظمه ! ..

وهنا صدحت ضحكات تالا تدوي وتخترق السكون والشبكات بعدما فشلت في كبحها أكثر من ذلك ..فعاد يصدح صوت الزوج عبر الهاتف بعبث:

"الله!..هو البيبي صوته حلو كده "

جذب الهاتف من كف المرأه عنوة وزعق في الزوج بغضب بعدما نفذت آخر ذرات صبره :

-جرى إيه يا أستاذ عصام ما تحترم نفسك وتخليك في حالك

أنهى جملته الغاضبة وأنهى معها تلك المكالمة قبل أن يسمع صوت الرجل من جديد دقائق قليلة وغادرت المرأتان بتمتمة ساخطة خفيضة

مع وجوه ممتعضة ..بينما تالا تكتم ضحكاتها

بكفها ..إقترب منها بتأفف وملامح غاضبة:

- مش قادره تمسكي نفسك يعني...عجبك كده ؟!

نهضت مسرعة دون تفكير تضمه إليها ، محيطة

خصره بذراعيها وترتكز بذقنها على صدره ، تنظر

لعينيه بهيام وتهمس بصدق ودفء :

-إنت إزاي حلو كده ؟

تبسم رغما عنه وهز رأسه يمنة ويسرة في يأس ،

مع هتاف أجش:

-أنا إللي مش عارف إزاي صابر عليكي كل ده

صمتت لم تنبس ببنت شفه ولم تتحرك ،

فاردف هو بجدية بعد ما تحرك يخلع عنه

معطفه ويتناول متعلقاته من على سطح المكتب:

-يلا لحسن أنا واقع من الجوع

عضت شفتيها بأسف وهتفت بخجل:

-ما هو أنا خرجت وماعملتش أكل النهاردة

حرك رأسه بإمتعاض مغمغما بسخرية :

-ده على أساس إن أكلك كان هينفع ..

كتفت ساعديها وعقدت حاجبيها بحنق وليد

..فجذبها سريعا متحركا بها للخارج:

-إنت لسه هاتتقمصي بقولك جعاااان

وما بعد ذلك أمسية ولا أروع ..جلسة هادئة على الشاطئ ..فقط تصحبهم سندوتشات الكبدة الإسكندراني المميزة ..مع مشروب الشاي المضبوط ..حديث متبادل بنظرات دافئة من كلا الطرفين ..وفي النهاية هي بين أحضانه يبثها دفئاً لطالما كانت تبحث عنه ، ومشاعر أخرى أصبحت تصاحبه في آونته الأخيرة ، تجتاحه ويعجز عن صدها ، بل يغرق بين أمواجها المتلاطمة أكثر وأكثر ، وقبل أن ينغلق جفنيها وتذهب في سباتها همست له بصوت ناعس:

-انا عاوزه بيبي عنده إيدين على وشه زي إللي شفته النهارده

تبسم بخفوت وطال صمته لدقائق بعدها لثم
جبينها بقبلة طويلة مغمغما بصوت خفيض:

-قولي يارب

ومع آخر حروفه كانت قد غرقت في عالم الأحلام
حيث هي وفارسها ومولودها الصغير صاحب
العيون الرمادية كأبيه... وفراش بارد في الصباح
أخبرها أنه غادر باكراً اليوم ، نهضت تتماطئ
بتكاسل وذكرى البارحة تلوح بذاكرتها.. ورنين
جرس الباب يقطع عنها أفكارها السعيدة ،
سترت جسدها بمئزر حريري وما إن فتحت الباب
حتى حملقت في ذهول ..تنظر لتلك الزائرة
بدهشة.. زيارة غير متوقعه من أختها المصون أو

الحيزبون الصغيرة كما كانت تدعوها دائماً..

هتف لسانها باسمها دون وعيٍ متعجبًا:

-لينا !

* * * * *

تركها منذ ساعات مغرورقة العينين وعاد أدراجه لكن إلى مشفى أخيه أولًا، يحتاج للحديث معه، لا يهم بما سيثرثر ولا بم سيعلل سبب الزيارة، هو فقط يحتاج أن يراه.. متمنياً من قلبه ألا يصادف أيًا من مراد أو بدر فالإثنان يترقبان لقاءه على وجه السرعه والغرض بيِّن، الكل يظن به السوء، خائن أم نذل لا يهم، في النهاية هو من قضى على فرحة أخيه قبل إتمامها بأسابيعٍ قليلة.. وكأنه لا يعلم ذلك ويحتاج لمن يخبره!

ألا يكفيه ما به.. بالأصح يكفيه طلب الطلاق الذي تلقاه عن لسان فرحته.. لتلك الدرجة؛ أوجعتك يا جميلة ؟!

زفر بقوةٍ عل روحه المثقله تهدأ... وعدة طرقات على باب الغرفة، تبعها هتاف داخلي يأذن للطارق بالدخول.. ومن تمنى عدم مصادفته منذ قليل وجده بصحبة أخيه.. وكان بدر صاحب الزعقه الأولى بعد ما واجهه سريعاً :

-أهو البيه شرف.. إنت مابتردش ليه على إتصالاتي يا كابتن؟!

وكأنه لم يسمعه ظل بصره مثبتاً على أخيه والذي بدوره بادله صمته بآخر متعجب.. وبعد برهة هتف باسل في الواقف أمامه بنبرة جامدة:

-مش وقته الكلام ده يابدر... بعدين.

وقبل أن يزيد ويكيل له من الأحاديث أطناناً، قاطعه إسلام بنبرة حادة:

-خلاص يا بدر قالك بعدين.. والأحسن بلاش كلام خالص لا دلوقتي ولا بعدين في الموضوع ده.

وحين طال صمت الإثنين بعدها خرج الصديق من بينهم تاركاً للأخوة مجالاً لهدم ما قام بينهم ربما ينجح الأمر تلك المرة، ويعودان كما كانا من قبل.. كان الأكبر أول من تحرك وجلس على الأريكة الكامنة بزاوية الحجرة، تبعه الآخر وجاوره دون دعوةٍ.. وهو يعلم أنه لن يتحدث لذا هتف بجديةٍ وصرامةٍ:

- وبعدين يا إسلام حتفضل لإمتى مش عاوز تكلمني ؟!

زجره بنظرات حادة وقبل أن يعلو مؤشر غضبه عاد باسل يهتف من جديد:

-والله عارف إني غلطت في حقك بس لازم تعرف أن كل ده كان من غير قصد و...

وحينها هتف إسلام بإنفعال رغماً عنه مقاطعا اياه بزمجرة :

-خلصنا يا باسل مش حنفضل نفتح كل شوية في السيرة دي.. زي ما قولت لمار لا تنفعني ولا تنفعك.. خلاص خلصنا.

صمت لثوانٍ يتابع عرقه النابض بعنقه، فتنهد بقلة حيلة والآخر ما زال على عناده يرفض حتى النظر إليه، يجلس بتحفز وكأنه مجبر لمجالسته..

ربت باسل فوق ساقه وغمغم بهدوء:

-لا ماخلصناش.. لينا قعدة مع بعض، قعدة طويلة، نتكلم.. نتخانق.. مش مهم، المهم أنك هتسمعني للآخر.. بس مش دلوقتي.. عندي رحلة طارئة ولازم أمشي حالًا..

نهض إسلام من جلسته واكتفى بضحكة ساخرة خرجت من بين شفتيه، أردف على أثرها من جديدٍ متجاهلًا سخريته :

-أنا وصلت فرحة عند عم حسن علشان ما ينفعش تقعد لوحدها وانا مش عارف هقدر انزل

أجازة تاني إمتى بالظبط ..وحبيت أسلم عليك قبل ما أسافر.

وعلى طارئ زوجته تنبأ الآخر لأمر ما وسأل دون مواربة وإن كانت نبرته تلونت ببعض السخرية:

-على ذكر فرحة.. فتق إيه وبتاع إيه ؟ ولا إنت قصرت رقبتنا وبتحور على البت الغلبانة؟!

انفلتت ضحكة خافتة رغمًا عنه ثم حك مؤخرة رأسه في حرج مخبرًا إياه:

- والله هي ماقصرتش قوي يا أوس..بس أوعدك بعد ما أرجع؛ هرفعهالكم في العلالي.

حرك إسلام رأسه يمنةً ويسرةً في يأسٍ وعاد يلقي ببصره على مايحمل بين يديه من أوراق.. بينما

اقترب باسل منهيًا ما بينهم من خطوات حتى أجبره أن يرتفع له بنظراته من جديد.. ثم هتف في وجهه بنبرة نادمة.. صادقة:

-حقك عليا.. إنت ماتعرفش زعلك ده صعب عليا أد إيه.

ولم ينتظر رداً بل اقترب منه ضامًا إياه، ولم يجد الآخر بُداً من أن يرتفع بكفه مربتا بها فوق ظهره، وحينها فقط ابتعد عنه وغادره متبسمًا على وعد بلقاء قريب.. بينما هو ظل قابعًا مكانه ينظر نحو أثر الراحل في شرود وحدسه يخبره أن أخاه يعاني خطبا ما وهناك ما يقلقه.

* * * * *

"إنتحار رجل الأعمال اللبناني سعيد الغازي "

خبر كالصاعقة تلقاه ما إن ترك النائب العام بساعات قليلة، بعد ما قدم له ما بحوزته من أوراقٍ، أو أحبال المشانق حول أعناق بضع من رؤوس الفساد.. مطالبًا بعدة ضمانات أهمها عائلته، عمله.. وما هي إلا ساعات أخرى وبدأت تظهر النتائج.. يسقطون واحدًا تلو آخر وكم تمنى أن رأس الأفعى سعيد الغازي يتحطم أمام عينيه وعلى يديه، لكنه اختار الطريق الأسهل وانتهى أمره منتحراً برصاصةٍ في رأسه.. والصديق الخائن سيتعفن بين جدران السجون، لن يرى ضوء شمس منذ اليوم، يستحق ذلك ..

وفي اليوم التالي ليلًا، تلقى إتصال "لاتويا" تطلب حضوره على الفور في أحد الفنادق الشهيرة داخل البلاد حيث إقامتها، منذ مغادرة أبيها لعالم الأحياء ليلة أمس.. ما إن وصل وجهته هاله ما يرى أمامه، تلك المتغنجة، الفاتنة، أصبحت كتلة مشعثة بعيون غائرة، ملابس غير مهندمة وحالة يرثى لها.. وما إن رأته أمامها حتى ارتمت بين ذراعيه، تنتحب وتشهق بجسدٍ مرتعدٍ.. وبعد دقائق نجح في تهدئتها، ابتعدت عنه وخطت بتثاقل نحو الأريكة الكامنة أسفل النافذة الكبيرة.. جلست وحل صمتها وشرودها..

فهتف هو بغضب عجز على إخفائه:

-بعد كل إللي عمله في خلق الله زعلانة عليه ؟

لم تجبْ على سؤاله فاقترب يجاورها متأففًا بينما هي ظلت على حالها، بل حلقت بعيدًا بذاكرتها..

نحو عروس كانت تتهادى بثوب زفافها الأبيض، تخطو أولى خطواتها داخل عش الزوجية بسعادة، يومان فقط عاصرت فيهما السعادة بين أحضان زوجها وحبيبها ومع فجر الثالث لا تعلم متى ولا كيف انقلب المكان حولها وتحول لفوضى، وعن الحبيب فقد أُصيب برصاصة غادرة في منتصف رأسه أردته جثة هامدة في لحظتها، بين أذرعتها سالت دمائه؛ قميصها زين بدماء رجل حاربت الجميع لأجله.. وبعد وقت لا تعلم مدته كانت هناك تحت قدميه وما زالت

بثوبها المشبع بالدماء، لم يرأف بها لو للحظة يشرف عليها من علو ويهمس بأذنها وكأنه يخاطب أحدًا ما غير إبنته

"هيك بيصير مع إللي يوقف ضد سعيد الغازي، حتى لو كان إنتِ لاتويا "

وبعدها ظلت حبيسة غرفتها بأمر منه، حتى تقر بخطئها، كيف لها أن تتزوج بأحد المتسولين ! فذاك هو عرف الغازي يدرج كل بسيط لا يملك سطوة ولا مال تحت بند المتسولين.. بل يستحق السحق وتنظيف العالم من تلك الحثالة، وطعن قلب ابنته بسكين ثالم يوم أن اختارت أحد هؤلاء ليكون حبيباً وزوجاً رغماً عنه.. واكتملت الفاجعة حين أخفت حملها بطفل منه لشهور

حتى برزت الدلالات وفضح أمرها وكما حاربت لأجل والده بقلب عاشقة دافعت عنه بقلب أم، تتمنى طيفه.. وكان لها طفل يخطف الألباب لكن بقلبٍ عليلٍ، فتلك تدابير القدر أم سخرية الزمان لا فارق، المحصلة: صغيرها ذو الثلاث سنوات يرقد فوق فراش الموت يحتاج لقلب آخر غير ذاك العليل والحل فقط بين يدي أبيها: اليست تلك بالأساس مهنته؟!

ولم تقر بخطئها وفقط بل قدمت روحها قربانَ طاعة لأبيها حتى تتمكن من الحصول على مرادها وهي لا يهمها سوى نجاة صغيرها والبقية لاتهم.. نعم لا تهم بعد ما فارق الحياة بين ذراعيها كما فعل والده قبل سنوات.. سخر منها وأخبرها أنها

لو طافت العالم ولم تجد دواء لابن ذاك الصعلوك غير بين يديه لن يقدمه لها مهما طال الزمان أو قصر، وطفلها لم يكن ليعاصر طول الأزمان بقلب عليل. عاد لخالقه وفقدت هي آخر ذرات الحياة برحيله.. ولا يكفي ذلك بل يأتيها خبرٌ منذ مدة قصيرة يؤكد لها أنه من كان وراء وفاة والدتها، لم يكن حادث سيارة عابر كما أخبروها بل كان عن قصد مع سبق الإصرار والترصد بعد ما رمى أحدهم بقلبه بذرة شك نحو إخلاص زوجته، لينهي حياتها بطرقعة إصبع وبعدها بعام أتى دور زوجها، ثم بشكلٍ أو بآخر نال من صغيرها.

ورؤيته البارحة سابحًا في دمائه عاد لها بذكرى مفجعة تجاهد لمحوها ولا تستطيع.. اللعنة عليه أي الآباء كان؟ أي الازواج ذاك الذي يقتل زوجته دون رفة جفن.. بل أي نوع من البشر هو !

كان باسل يتابع شرودها وتغضن ملامحها بألم، وبعدها تهطل دموعها وكأنها تعجز عن كبحها.. ومن بين التيه الذي تحياه خرجت له همستها المتحشرجة بوجعٍ:

-أخد مني كل ياللي بحبن باسل.. ماما.. تيم.. ابني.. كلن.. ما ترك لي حدا أبدًا.

قطب حاجبيه في إستفهام..فعادت له ونظراتها قست فجأة :

-الموت راحه إله ..كان بدي شوفه عم يتعذب قدام عيوني حتى طفي ها الناراللي جواتي..قتلن بدون ما ترف له عين .. العمى ! لك هاد أي نوع من البشر؟!

واسترسلت في حديثها، تسب وتلعن.. تقص عليه ما لم تقوَ بعد على حبسه بين أضلعها.. فتبكي وكلما صمتت عادت تنوح وتولول.. فرماد الماضي عاد واشتعل من جديدٍ ويأبى أن يخمد حتى بعد ما انتهى وأصبح وجوده مجرد كنية تحملها.

* * * * *

"بعد أسبوع"

انطلق بسيارته من جديد عائداً لبلدته الريفية، حيث تسكن مهجة القلب، على ملامحه ارتسمت خطوط السعادة وبالأصل منبعها قلبه الذي يتغنى طرباً للقاء فرحته، انتهى الكابوس حبيبتي.. الآن فقط عاد لك باسلك.. الآن فقط يمكننا البدء من بداية السطر.. بدأ أولى خطواته بإستعادة جميلته، لم يذهب لأحدٍ قبلها، سيصطحبها، يمسك بكفها ويتخلل أصابعها ويعود بها حيث والديه وأخواته سيجتمع بهم جميعاً، يشتاقهم بغرابة، كأنه هجرهم منذ سنين.. لكن عليه البدء أولًا حيث الجرح الغائر، زوجته ذات الفؤاد الكسير.. بعدها سوف يصلح بقية ما أفسده.. لكن وهي معه.. سيقدم

إعتذارات وإن لم تقبل، سيتذلل لينال الغفران، وسيناله رغماً عنها.. وستعود معه شاءت أم أبت سيعيدها لكنفه وبين أحضانه..

وبعد ساعات كان يتوسط منزلها يحتسي قدحاً من الشاي الصعيدي المميز بعد ما تناول وجبة غذاء مفتخرة أصابته بالتخمة، وبعد حين طلب من الرجل المسن بخجل رؤية زوجته التي لم تظهر منذ قدومه، تبسم له الرجل وربت على ساقه هاتفًا ببساطة:

-فرحة ما رضيتش تقول حصل إيه بينكم.. وبيني وبينك أنا ماحبتش أعرف علشان كنت عارف إنك هتيجي..أنا يوم ما حطيت إيدي في إيدك يا إبن عزيز كنت متأكد إن سعادة بنتي معاك

وكنت عارف إنك هتصونها.. لكن يوم ما رجعت لي ودمعتها على خدها من إسبوع فات، مانكرش إن غضبت وقتها وكنت هحلف إنها ما ترجع لك تاني.. بس ليلتها زارتني عمتك في المنام، والعجيب إنها وصتني عليك مش على بنتها.. ومن يومها وأنا مستنيك تيجي، علشان أقولك خد مراتك يابني بس لازم تكون عارف إن لو جات لبيت أبوها تاني غضبانة وقتها مش هترجع لك طول ما أنا عايش.

استمع للرجل حتى أنهى حديثه ثم مال نحو كفه المتغضن ولثمه في تبجيل، وهتافه الاجش صادق:

-وأنا أوعدك إن عمرها ما هتجيلك زعلانة تاني طول ما أنا عايش

ربت الرجل على كتفه بحنو متبسمًا

و..

إقتحام كالأعصار من صاحبة الخصلات الحالكه يقطع عنهم مجلسهما، ونبرتها الزاعقة أخرستهما:

- وأنا مش عايزة أرجع معاه يا بابا.. ولا إنت كمان عايز تخلص مني ؟

هتف الرجل معنفاً إياها بحنو:

-ما يصحش كده يا فرحة.. البنت مالهاش غير بيت جوزها يابنتي.. وابن خالك عرف غلطته وجاي يصالحك ويرجعك لبيتك.

تحرك باسل إليها حتى قابلها، تقف أمامه بتحفز متكتفة الساعدين والنيران تنفث من بين سواد مقلتيها، وقبل أن يتحدث أو يبدأ وصلة الصلح على صوتها من جديد محدثة أبيها بحنق:

- اللي فرط أول يفرط تاني ياعم حسن.. وابن خالي فرط وبالرخيص كمان.

كلماتها الأخيره تزامنت مع نظراتها المصوبة نحوه بعتاب وغضب، رمقته بها وبعدها اختفت من أمامه فجأة كما ظهرت.. فعاد إلى الرجل ببصره يرجو مساعدته.. فحرك له كتفيه بقلة حيلة مخبراً إياه بإيجاز:

-أنا عملت إللي عليا وقولت لك خدها.. اهي مراتك قدامك خدها بالطريقة إللي تعجبك ،

راسها حجر صوان يابني وأنا راجل كبير مابقاش فيا حيل للمناهدة

تبسم له باسل وهو يحك ذقنه،ويهمس لحاله في تفكير:

-ريح نفسك إنت يا عم حسن .

* * * *

ألقت بجملتها في وجهه من ثم أسرعت نحو حجرتها، موصدة بابها خلفها جيدًا.. الآن عاد.. يلهو ويمرح مع تلك الساقطة ويعود لها ما إن ينتهي ويمل منها.. ماذا يظن بها ذاك الأحمق، ستبكي على الأطلال تنتظره.. اللعنة عليه أحمق مغرور..

ذلك وأكثر كان يجول بخاطرها، فتستعر روحها بالغضب والغيظ يكاد يفتك بها، لو فقط تدق عنقه الآن أو تطوقه بكفيها لربما هدأت قليلاً و...

أصوات غريبة انتشلتها من نزعة الشر المسيطرة عليها، مصدرها عند نافذتها الخشبية المواربة تقدمت بخطوات متوجسة وقبل أن تصلها كانت النافذة تفتح على مصراعيها عنوةً حتى ارتطم جانبيها بالجدار محدثة ضجيجاً عالياً، فشهقت بقوة لكنها قطعتها سريعًا، حين طل ذاك الأرعن الذي كانت تتخيل انتزاع روحه بين يديها منذ ثوانٍ.. مال بجذعه للداخل يدعم ثقل جسده بوضع قدمه ذات الحذاء المتسخ فوق أريكتها الأثيرة، والأخرى جاورتها..نظر لها متبسمًا، ملوحًا

بكفه في سماجة حقيقية، وهي تطالعه كالبلهاء.. اللعنة هربت منه بباب موصد، فجاءها من الشباك !

بينما هو انتهى ونفض يديه ثم عاد بنظره لأسفل النافذة، واضعاً كفه جانب رأسه بتحيةٍ هاتفًا بعلو:

-متشكرين يا رجاله ..

طالع رحيلهم وبصحبتهم السلم الخشبي الطويل الذي ساعده على التسلل نحو نافذة الجميلة بعدما نفذت كل الطرق بفتح بابها له.. استدار عائداً لها بنفس بسمته السمجة، فاتحًا ذراعيه متقدمًا نحوها بجرأةٍ.. ينوي احتضان ربما !

لكنها استعادت تركيزها وأوقفته قبل أن يفعلها بكفٍ ممدد أمامها بصرامة.. نظر لها بتوجسٍ، فبادلته بأخرى غاضبة مع هتاف لا يقبل جدال:

-اخرج بره أوضتي يا باسل.. ولو بره البيت يكون أحسن.. طلبك مرفوض

وما إن أتمت حديثها حتى كانت خصلاتها بين أصابعه، يجذبهم برفقٍ ويهتف بحنق حقيقي:

-إلا إنتِ نافشة ريشك علينا ليه يا بنت الجارحي !

دفعته بعيدًا بحنقٍ فاستجاب لها متأففاً بفروغ صبر، هاتفاً ببسمة مصطنعة ملوحاً بكفه في أمر:

-يلا علشان هترجعي معايا.. انجزي بس مش عاوز لكاعة.

رفعت حاجباً لبجاحته، ثم وضعت كفيها في خصرها، وجابهته متخصرةً بعناد متمهل:

-نجوم السما أقرب لك مني يا ابن الشافعي

رفع بدوره حاجبه الأيسر، وسأل بهدوءٍ غير معتادٍ :

-ده آخر كلام ؟

والجواب يلازمه بسمة صفراء بلزوجة :

-وماعنديش غيره.

ربت على وجنتها بالسبابه والوسطى ونبرته أكثر لزوجة مغمغماً بسخرية:

-براحتك يا دميل.

واختفى من أمامها بعد ما فتح الباب وخرج صافقاً إياه خلفه بقوة انتفضت لها فرائصها، وسرعان ما تغضنت ملامحها بضيق وهي تتسائل بداخلها هل غادر الأحمق هكذا ببساطة !

وكانت حمقاء بالفعل، لم تعلم أنه ذهب إلى جدته يقبل اليدين والوجنتين بإشتياق حتى بعد ما عنفته لفعلته الشنعاء بحق زوجته، وهو أقسم لها أن فرحتها وفرحته ستعود الليله معه شاءت أم أبت.. وهي أبت.

والخلاصة.. بضع قطرات منومة دست بأمر منه في شراب عُدَّ لها خصيصاً من صنع يد عمتها حتى تهدأ الجميلة.. وارتشفته بأمر منها وما هي

دقائق حتى غادرت عالم الأحياء لعالم الأحلام، فحملها بين ذراعيه متبسمًا بإنتصار واضعًا إياها داخل سيارته برفق، مودعًا الأب والعمة مع سيل من الدعوات أولها راحة بال واستقرار الحياة فيما بينهم وأهمها تحمل عقاب الجميلة بعد إفاقتها .

مسبلة الجفنين، هادئة، مستكينة، يداعب نسيم الليل خصلاتها فتتطاير هنا وهناك بعبثٍ، فيخفق نابضه بين ضلوعه، وتمتد أنامله حتى يعود بهم لموضعهم فيتبسم برضا ثم يجذب كفها ويلثم باطنه بقبلة قوية، فيعود يتركها متابعًا طريقه في تركيز، يلتهم الطرقات، يبتعد أميالاً وأميال مختطفاً إياها قسراً.. يومان في الساحل،

حيث الهواء والبحر والوجه الحسن بصحبته، سيغتنم كل الفرص وحينها فقط سينال صك غفران طويل الأمد ويعوض ما فاته من زفافه السعيد.. وبعد ساعات طويلة حين وصل إلى وجهته كان الصباح قد شق عتمة الليل معلناً عن بلوج يوم جديد.. حتماً مختلف..

حملها بلطف من جديد وولج بها لداخل الشاليه الخاص بهم، أنزلها برفق على أريكة داخلية.. وأخذ يفتح الأبواب والنوافذ يجدد الهواء بالمكان.. تماطىء بإرهاق جسدي وقرقعة معدته الفارغة أزعجته.. يحتاج للقوت، يسد به رمق جوعه وحتى يتمكن من الصمود أمام تلك العنيدة الغاضبة ما إن تصحو من غفوتها، وهي

بالتأكيد تحتاج للطعام منذ ثماني ساعات وهي

نائمة تقريبا.. والمكان المتسخ أثار ضيقه..حسنًا

جولة نظافة سريعة وبعدها يأتي دور الطعام..

وبعد مضي ساعتين كان قد انتهى من بضع

أعمال التنظيف التي لا بأس بها، ومن ثم ذهب

بعدها لأقرب متجر وإبتاع بعض المتطلبات

اللازمه والضرورية.. وحينما كان يتوسط المطبخ

ذا الطابع الأوربي، كانت هي تتململ في نومتها،

وهو يتابعها بنظرات عاشقة، عابثة..

افترق جفناها بصعوبة ثم أخذت تتحرك وتنهض

من موضعها بتثاقل، رؤية مشوشة.. ثم أوضح..

فأوضح.. ومع عيون محدقة استدارت من حولها

بذعر تنظر في المكان بهلع وما إن وقع بصرها

عليه وعلى ضحكاته العابثة حتى حل عنها كل شعور واكتنفها الغضب من جديد وهتافها الغاضب يدوي بين الجدران:

-أنا فين ؟.. وجيت هنا إزاي !!

وعقب ما انتهت من سؤالها الغاضب بتعجب كانت ترتفع للأعلى، يطوقها من خصرها ويدور بها ؛ فتلفحه خصلاتها الفاحمة الطويله فيجن جنونه أكثر ويتغنى لها وحدها.. يتغنى بعشقها كما كانت تتمنى منذ الصغر، مجيبًا على سؤالها بصوته العذب

"جن الهوى ورماني طيرني أنا وياك.. قلبك بعده بيهواني وقلبي بعده بيهواك"

يعيد ويكرر صائحًا بعلو، وحين شعر بها تفقد توازنها إثر دورانه السريع أنزلها على قدميها وثبت حركة جسدها المختل بين ذراعيه، بينما هي ابتعدت عن جسده بدفعة واهنة ما إن سيطرت على حالها وعادت ترفع له عينيها وتعيد سؤالها بخفوت:

-جيت هنا إزاي؟

بادلها نظراتها قليلًا ثم مال نحو جيدها يقبلها هناك بشغف ويهمس لها بخشونه:

-خطفتك.

تحركت مبتعدة ؛ تخطو نحو الاريكة بهدوء عقد له الحاجبين ، فأقترب مرة أخرى يجاورها ،

يتملك من كفيها بين كفيه يلثمهم عدة مرات وهي منكسة الرأس بصمت ، فيتحدث هو محاولاً تلطيف الأجواء:

-مش جعانه ؟

وهزت رأسها النافية بصمت جعلت أنامله تمتد أسفل ذقنها، يرفعه ويواجهه عينيها الدامعة.. بينما همسها المتهدج أوجع قلبه:

-مش بمزاجك يا باسل.. مش بمزاجك تقرب وقت ما تحب وتبعد وقت ما تحب.. والمفروض إن أقعد أستناك ودمعتي على خدي مستنيه حضرتك تحن عليا بكلمة ولا سؤال.

وجوابه منبعه قلبه، والنبرة صادقة غير قابلة للشك:

-مش هبعد تاني..وعد

حركت كتفيها بيأس وهتافها المتحشرج يزامنه دمعة خائنة:

- كنت فاكراك بتحبني بجد.. زي ما بحبك!

عاد وتملك من ذقنها بقوة ، يجبرها على النظر لعينيه ونبرته القوية تخترق روحها:

-لسه فاكرة تسألي دلوقتي ؟ بعد السنين دي كلها لسه فاكرة تعرفي إذا كنت بحبك أو لأ؟!.. طيب بلاش دي.. إسألي قلبك كده وهو يقولك إن إللي هنا أكبر من الحب بكتير.

وجملته الأخيرة توازي سبابته المشيرة نحو نابضة.. فعاتبته من جديد بهمس خافت:

-قدام عينيا حضنتك وباستك..هو ده حبك ؟!

زفر ببطء وعاد يهتف بخشونة:

-ما إنت قولتيها أهو ..حضنتك وباستك؛ هي عملت كده مش أنا.. أنا إتصدمت زيك وأكتر.

تبسمت ساخرة ونهضت من جواره تهتف فيه بقوة :

-هي مش هتعمل كده غير لو عارفه إنك موافق ..إنت فاكر إني هبله ومش واخدة بالي من نظراتها وتصرفاتها الغريبه معاك اللي برضوه طول الوقت مش بتعترض عليها ولا حاطط لها حدود..

صمتت برهة تلتقط فيها أنفاسها اللاهثة ثم عادت تجابه مردفة بقوة:

-طيب إفرض إن صدقتك ..بعد كده عملت إيه ؟ رجعتني لبابا وماكلفتش نفسك حتى بتفسير أو إعتذار

رباه..ماذا يخبرها ..لو صرح بالحقيقة كاملة ستموت خوفاً وهلعاً ويستوطنها القلق ولن ينتزعه منها مهما حاول ..نهض بدوره جاورها من جديد وهتف بما أخبرها به مسبقاً وكفى:

-ما إنت عارفة إن من قبلها كنت عايزك تسافري..إضطريت أعدي الموضوع كده علشان تمشي وانا اخلص شغلي ما كنش ينفع أتأخر أكتر

من كده ..وأول ما خلصت رجعت أهوه؛ وأول حاجه عملتها إعتذرت لك بدل المرة عشرة .

وهي أنهت الحديث بحدة لا تقبل نقاش:

-وإعتذارك مرفوض يا باسل زي ما إنت اختارت الوقت إللي تقدمه فيه أنا كمان من حقي أقبله وقت ما أحس إن فعلا مسمحاك من قلبي

* * * *

الإعتذار عن خطأ ما سهل النفاذ لمن يهمنا أمرهم لكننا نتناسى أن الخطأ في حقهم في كثير من الأحايين أكثر وجعاً وألماً وليس بسهولة إعتذار نتفوه به ؛ ولن تعود الأمور لنصابها الصحيح بتلك السهولة ، فكلما زادت درجة قربك من

القلب كلما تضاعف وجع كلماتك وأفعالك
..وألم الجميلة موجع ولن ينطلي بعشرات
الإعتذارات...كان مخطئاً حين ظن أنها ستعفو
وتحنو بمحاولات واهية؛ لكنها أضنته وأتعبته
بحق ..لم يدخر جهدا منذ الصباح وهو يحاول
ويجاهد وهي كحجر صوان كما أخبره أباها تماماً
..تحبس حالها داخل إحدى الحجرات وترفض
حتى قربه .

ونهاية المطاف يقف وحيداً فوق الشاطئ بأول
أمسياته ..تارة يركل الحصى وتارة يقذف بها
داخل عمق البحر المخيف ليلاً ، يطالع نافذتها
المضاءة ويمني نفسه بصفح قريب ..وعلو رنين

هاتفه المتصاعد أخرجه من تفكيره البائس لتصدمه صرخة لاتويا المدويه عبر الشبكات:

"إهروووب باااسل"

ومع الصراخ المفجع القادم من الهاتف تزامن صراخ آخر يعرفه حق المعرفة وضجيج حطام يدوي في السكون ، دار برأسه بغتة نحو نافذتها وحين أحاط به الظلام من كافة الجوانب سقط الهاتف من بين أصابعه وأخذت قدماه تسيران دون وعي ، قلبه يهدر بعنف متألم وهتافه الصارخ بأسمها يطمئنها ألا تخاف وأنه هنا ..وكأن المسافات تطول ولا تنطوي ، قدماه مثقلة الخطى بفعل الرمال وبفعل هلع أستوطن داخله..ولج للمكان وأخذ يجول ويتخبط في دجنة

الظلام كأسد حبيس ؛ يبحث عنها ويصرخ بإسمها ولا حياة ولا حتى صوت .. وبعد برهه عاد الضوء بغته كما إنقطع وحينها فقط تمكن من رؤيتها ، تكمن في إحدى الزوايا ؛ مقيدة بين ذراعي ملثم ضخم البنيان ؛ يقيد حركتها ويكمم فمها بكفه وهي تزوم وتأن؛ تحرك رأسها بقوة مع عيون جاحظة خلفه بذعر..وهو يقترب بخطوات وئيدة يرفع كفه أمامه محاولا امتصاص ذعرها وهلعها المحفورين على ملامحها بشدة ، يهتف بأنفاس متقطعة وكأنه لا يرى غيرها بالمكان:

-ما تخافيش ..فرحة بصي لي هنا..أنا معاك ما تخاف..

وقبل أن يكمل جملته كان جسده يترنح على أثر ضربه قويه نالها فوق رأسه غدراً من آخر خلفه ..ترنح أكثر وتداخلت بعينيه الأضواء مع خيالات أخرى تزداد أمامه لأفحال ملثمة متشحين جميعهم بسواد.. تنال معدته ركلة من ذاك ؛ فيتلقفه الآخر بقبضة تتوسد فكه ويعود يلقي به لآخر يقابل ضلوعه بوحشية حتى خارت قواه بين أيديهم وإنبثقت دمائه ؛ وقبل أن يفقد وعيه داهمه الأخير بطعنة إخترقت جانبه الأيمن وشهقته الأولى تتزامن مع استدارة القبضة المتحكمة بالنص، وتالية بالجانب الأيسر بصحبتها إستدارة القبضة والشهقة الثانية ؛ والأخيرة كانت بين هذه وتلك... انتهى امرة جاثيا

فوق ركبتيه غارقا في دمائه ثم مرتطما على

الأرض بثقل جسده دفعة واحدة؛ بفعل ركلة

أخيره توسدت صدره؛ فتطايرت دمائه ولطخت

وجهه.. وحينها فقط تحررت صرختها المدويه

بالمكان حتى شقت أعنان السماء، بعد ما فك

قيدها وتركها ذاك الشيطان قاذفاً إياها نحو

زوجها فسقطت جواره ..وازى وقع أقدامهم

الراحلة زحفها السريع حتى وصلته أخيراً ..تصرخ

..تستجدي..تجزع وتتوسل بألم حتى يحدثها

..ومن بين نظراته الجامده المصوبه عليها سقطت

دمعته الثقيلة ؛ شهقت هي على أثرها وإقتربت

أكثر ضامة رأسه داخل صدرها.. تتمتم شفتيها

بأحاديث لا تعيها ، لكنها تخبره أنها هنا وأنه

محال يصيبه مكروه بين ذراعيها ..لكن إرتخاء جفنيه مع سكون شهقاته المتتالية وأطرافه المرتعدة جعلها تبتعد عنوة ..تستشعر ذلك السائل اللزج المنساب بغزارة من جسده منتهياً أسفلها ..رفعت ركبتيها لصدرها محيطة إياهم بذراعيها ،عينيها تطالعه بجحوظ وشفتيها مازالتا تتمتمان ، بينما جسدها يهتز للأمام والخلف برتابة ودون وعي ، وعن خافقها ما زال يعافر ويتشبث بآخر أنفاس الحياة بعدما انسلت عنه الروح وهرولت نحو ذاك الساكن بجوارها تعانقه وتغفو بصحبته.

(٢٤)

تمهل قليلًا

يومًا ما سيأتي الفراق

ويومًا ما سنتألم

ويومًا ما سيتفرع الطريق

ويمضي كل منا في طريقه

"فاروق جويده"

*****

فوق أسفلت الطريق السريع كانت تهرول إطارات سيارته، يضغط أكثر على مزود الوقود فتعدو ويتقدم بقلب راجٍ أن تلك المكالمة الغريبة التي

تلقاها من تلك المرأة غريبة اللهجة منذ وقت قصير ما هي إلا خدعة.. ويعود الوسواس ينفث نيران قلقه ويخبره إن كانت خدعة لم لا يجب على هاتفه !

-يا إسلام خلي بالك ،لو مش عارف تركز إنزل وهات أسوق أنا

للمرة العاشرة ربما ينبهه أنه يشرد ، يغوص مع وساوس شيطانه وينسى أمر القيادة فتكاد تنحدر بهم السيارة..هتف بدوره بنبرة مضطربة ..زاعقة:

-جرب تاني يمكن يرد المرة دي

رفع بدر الهاتف من جديد وبعد وقت ..عاد بنفس الجواب كالمرات السابقه:

-جرس وماحدش بيرد...

ضرب المقود بقوة ، فكلما مر الوقت زادت مخاوفه وإضطرب عقله بابشع الخيالات..عاد الآخر يهتف من جديد:

-هي الست اللي كلمتك دي مقالتش جابت الكلام ده منين ؟

والجواب حائر متخبط:

-ماعرفش يا بدر كل إللي قالته إلحق أخوك في ناس عاوزة تأذيه والموضوع ممكن يوصل لقتل وكلام كتير كده ده اللي فهمته منها ..قولت دي وحده بتهرج بس بعد ما قالت إن مراته معاه وإنه في الساحل قلقت ، بعدها كلمت جدتي وعرفت

منها إن باسل كان عندهم وأخد فرحة فعلا ومشي فتأكدت إن الموضوع مش هزار..دي عارفاه وعارفه مراته وعارفه إن عندنا شاليه في الساحل ...بس إللي هيجنني رجع إمتى ؟آخر مرة قال عنده شغل وماكنش عارف هيخلصه إمتى ، وراح الساحل إمتى وليه مقالش لحد؟!

حاول تهدئته على الرغم من القلق الذي بات ينهش دواخله هو الآخر:

-إن شاء الله خير.قربنا نوصل أهو والحكايه كلها هتطلع مقلب سخيف من باسل ما إنت عارفه بيحب يهرج وبيزودهم ساعات.

وصراخ الآخر خرج بقهر وضيق:

-قسماً بالله لو طلع مقلب من مقالبه السخيفه لأكون خانقه بإيديا عشان مش إسلوب ده .

تركه بدر ينفث نيرانه وعاد يكرر الأتصال من جديد فيقابله الرد نفسه..بينما الآخر يهمس من أعماقه البعيدة :

-إستر يارب

* * * *

إذا ما جاء الفراق يوما

وهُتكت بعد الفراق

تركة الحب المقتول

فخذ معك

الضحكات

فليس لي بها

بعد الفراق حاجة

واحمل

الرسائل والكلمات والأحلام

وأبق لي

الصور والذكريات

وبعضا من الأوهام

"فاروق جويده"

عند وصولهم كانت قد تخطت الثانية صباحاً ، بينما الظلام الدامس يغلف الأجواء إلا من أصوات الأمواج المتلاطمة ، وحين لمح الأضواء المنبعثة من الشاليه الخاص بهم هدر قلبه بعنف

، إذاً هما هنا بالفعل !.. الشاليه بمنطقة نائية تكاد تخلو من البشر في الوقت الحالي ..توقف أخيراً ثم ترجل سريعاً وتبعه الآخر ..وباب مفتوح تعبث به الرياح كيفما تشاء مصدراً أزيزاً يعلن عن سكون مخيف...هلع استوطن قلبه مع قبضة اعتصرته بقوة مهولة كادت تفتك به في الحال بينما توقفت قدماه بعدما وقع بصره على ذاك الساكن غارقاً في بركة دمائه وإبنة العمة تجاوره في جلستها، تهتز بجسدها دون وعي مع سكون مثقل يغلف المكان إلا من شهقاتها الخافتة التي تصدر عنها كل فينة وأخرى ..تخطاه "بدر" حين سد عليه الطريق ، شلت حركة الآخر لثوان وأنفاسه المتحشرجة تكاد تخنقه ، وبعد

برهة كان قد إستعاد بعض من وعي يخبره أن يتحرك وألا يقف هكذا وحينها فقط تحركت قدماه نحو ذاك الساكن ..يقترب ويهتف فيه بإسمه ..يستشعر عرقه النابض بعنقه ويعود برأسه نحو نابضه يتوسل بضع نبضات تخبره أنهما لم يتأخرا ..ينظر إلى تلك الزوجة الملكومة في لوع وأخيه الذي شلت حركته منذ وقوع بصره حتى الآن ...نهض سريعاً نحو ذاك الجامد يهزه ويصرخ فيه بقوة حتى يفيق:

-إسلاااام ...فوق وركز معايا لو نقلناه المستشفى يمكن نلحقه ..فوق وخليك معايا بدال ما يموت بين إيدينا

وعلى ذكر الموت والفقدان عادت حواسه تعمل دفعة واحدة كأنما ضخ الأدرينالين داخل عروق جسده من جديد ..فحرك رأسه برفض وزعق بأنفاس متحشرجة بينما يتخطاه ليصل لأخيه:

-مش هيموت يا بدر ماتجبش سيرة الموت على لسانك

واقترب ، رفع جسده المتراخي ، ضمه لصدره وعيناه تحوم حول طعانته الغارقة بين الدماء فكادت لا تميز، هدر نبض قلبه بعنف متألم ، بينما دموعه تخاذلت وتساقطت دون إرادة فوق وجه المطعون ، إرتفعت يده التي باتت ملوثة بالدماء تربت على وجهه ويهتف فيه ، يستجديه ، يرجوه ويتوسله الرد كأنما يسمعه:

-باسل إنت سامعني مش كده ...باسل خليك معايا هوديك المستشفى ومش هيحصلك حاجه ..إوعى تضعف يا باسل إنت راجل ..إسمع كلامي واتحمل عشان خاطري

وحين طال صمته ولم يجد رداً ، طالعه بعيون جامدة وكل خليه في جسده تنتفض رغما عنه ، ثم رنا منه أكثر يلثم مقدمة رأسه بأنفاس متقطعه ، يطمئنه أنه هنا ، وربما يطمئن حاله أنه لن يتذوق مرارة الفقد على يديه ....والدقائق التالية كانا يحملاه صوب السيارة ، تاركين إياه برفق على الأريكه الخلفية ، ثم عاد من جديد نحو فرحة ، نصف أخيه الآخر وحبيبته منذ الصغر ، سيعتني بها ريثما يعود لها ، فلن

يسامحه إن أهملها ..جثا على ركبتيه يواجهها،

يحاول فك قيد ذراعيها التي تقيد به نفسها حتى

تنهض معه :

-فرحة ..قومي معايا لازم نمشي .

وفرحة غائبة عن دنيا الوعي ، تائهة مع ضحكات

عذبة لطالما أصابتها في مقتل تصحبها ضحكة

عيناه المتغضنة ، صوته العذب مازال يهمس

بأذنيها ..وحين لم يجد منها رد غير التيه في

اللاوعي حملها بين يديه وخرج من جديد ،

وضعها في المقعد الأمامي وهي ما زالت على حالها

عيناها محدقة نحو فراغ لا يمت للأحياء بصلة

بينما جسدها متصلب دون حراك ..تحرك بدر

يشق بهم الطرقات نحو أقرب مشفى ..وعنه كان

يجاور أخاه ولم يكف عن الحديث معه ، يخبره أن الرحيل غير مسموح به الآن ، ما زال الوقت باكرا حتى يتركهم ، يذكره أن.. هناك حديث مطول بيننا لم تتمه بعد يا شقيقي..لذا عليك بالتشبث بأعتاب الحياة وأنا هنا سأدعمك ومحال أن أتركك فقط تمهل قليلاً.

* * * * *

إذا ما جاء الفراق يوما

وجمعني بك بعد الفراق طريق

وكانت تمسك ذراعيك

وكنت أتعكز ذراعيه

فلا تقل لها كنا



ولن أقول له كنا

فوحدنا

نعلم ياسيدي

بأنا...وبرغم الفراق مازلنا ..ومازلنا..ومازلنا

" فاروق جويدة "

وبين شقي رحى التيه واللاوعي غائبة هي ، تتشبث بأحلامها وأمانيها الصغيرة فتتسرب من بين اناملها عنوة فينتفض جسدها دون إرادة افتراق جفنيها ومع اختراق اللون الأبيض لعينيها.. ذاك اللون المقبض للروح بين جدران ذلك؛ المكان حولها؛ نهضت بقلب واجف وجسد متراخٍ والرخام البارد أسفل قدميها زاد من قشعريرة ،

جسدها فلفحت نفسها بذراعيها ، نظرت حولها بتيه ثم تحركت بخطى مثقلة نحو ذاك الباب الموصد ، خطت نحو الخارج تنظر حولها علها تعي ...

والآن فقط عاد الوعي ليخبرها أن كل ما فات لم يكن كابوساً في أشد لياليها قسوة ، بل واقع تعايشت معه ورأته روئ العين..تقدمت أكثر وكل خطوة توازي قبضة مصوبة لقلبها الضعيف والذي كاد يفقد نبضاته وينتهي صريعاً في التو واللحظه.. قلبت بصرها بين الجموع أمامها ، خالها الأكبر جالس منحني الكتفين وكأن ذاك الجراح الشديد، القوي زاد عمرة أضعافاً وأصابته كهولة مفاجئة ، بصره ملقى على الأرض

وكأنه فقد الحياة بينما تجاوره زوجته التي بدورها فقدت كل ذرة صلابة وألقت بجسدها ورأسها على كتف زوجها وجهها تسقيه العبرات وشفتيها تجزع بكلمات لا تعيها..زاغ بصرها من جديد وألقت به على صديقتها التي يضمها أخيها وتشهق بعلو وتنتحب بحرقة بينما هو الآخر شارد الملامح زائغ النظرات ..اللعنة ..لمَ يبكون وينتحبون هكذا ! ..لمَ الجميع ..

لم تكتمل أسئلتها حين أخترق عتمة ذاكرتها أشباح ملثمة ، يتشحون بالسواد .والطعنة وازت الشهقة ، والشهقة الأخيرة صحبتها الدمعة ..والشهقة تلك المرة من نصيبها..هوت بعدها أرضا تسقط فوق الأرض الصلبة على ركبتيها ،

تصم أذنيها بكفيها بينما رأسها يتحرك برفض قاطع ..للألم ..الوجع والفراق..

كان مراد أول من تنبه لأمرةا ، هرول ناحيتها ، جثا على إحدى ركبتيه يواجهها ، يمسك بكفيها ورأسها التي ترفض بشدة، وشلت حركته ومن حوله حين صرخت من أعماق روحها البعيده تجزع وتشهق بألم :

-قتلوه ..قتلوه ..قتلوه..

تعيد وتكرر وتدوي أحرف الكلمه في الأرجاء وتحط بقلوبهم جميعا ؛ بينما جسدها ينتفض ويرتعد ، فيضمها مراد ، يربت ، ويطمئن :

-إهدي يا فرحة .. إدعي له وإن شاء الله هيعدي الأزمة دي ويقوم لنا بالسلامة

رفعت رأسها نحوه ترجوه بعيون تائهة أن يضمن حديثه ، وهو يحثها على تصديق بطرفة عين وهزة رأس:

-تعالي معايا هاخليكي تشوفيه

ساعدها حتى تنهض بينما بصرها معلق به ، سار بها ضاماً إياها برفق يدعمها حتى لا تخور قواها من جديد ..وما إن لمحته قابعاً خلف الزجاج العريض حتى ابتعدت عن مراد بخطى سريعه ، ارتكزت على الزجاج بكفيها وجبهتها ؛ تنظر نحو ذاك الساكن فوق الفراش الأبيض ، عاري الصدر إلا من بضع أسلاك لأجهزة لعينة تتوسد

صدره كي تخبرنا أنه ما زال ينبض بالحياة بينما هو راقد بصمت ، لا حركة ولا حتى طرفة عين ..تفجر سيل الدموع من جديد وأخذ يشق طريقه عبر وجنتيها ..لا تعلم هل تبكي صديقاً ، حبيباً أم زوجاً ..اختصرت فيك الجميع يا باسلي ..أفرق جفناك وأخبرني أنك هنا يا صديقي .. أخبرني أنك باقٍ على الوعد أيُّها الحبيب.. ما زلنا في بداية الدرب يا رفيق ..ألم تعدْ بسعادة طويلة الأمد؟ لا تحنث بوعدك الآن فلن أسامحك إن فعلتها.. ألم تطلبْ غفرانا ! سأهديه لك عن طيب خاطري فقط أفرق جفناك وأخبرني أنك هنا..انتظر وتمهل قليلا ، أتسمع دقات نابضي كلها تجزع بأسمك ، تناجيك سراً ، تسألك عن

رحيل أتى بغير معاد ؟! لأجل خاطري أفرق جفناك وأنثر بها زخات عشقك حتى ترسو بي على مرفأ الأمان بصحبتك .

* * * * *

إذا ما جاء الفراق يوما

وجاء بعد الفراق العيد

فلا تنسَ أن تفرحَ

ولا تنسَ أن تضحكَ

ولا تنسَ أن تلبسَ الجديد

ولا تنسَ أن تزورَ

ارض ذكرياتنا

وتقف فوق قبر الحب باطمئنان

وتقرأ عليه شيئا من شعرك

ولا تنسَ نصيبي

من ذكرياتك الحزينة

في ليلة العيد

"فاروق جويده "

عاد مراد من جديد بعد ما تركها بصحبته ، تحدثه ، تطمئنها نبضاته أنه ما زال هنا ، يقوى بها وتقوى به ..اقترب من أخيه يربت على كتفه بمؤازه:

- عزيز لازم تاخد الدواء بتاعك وكمان تريح شويه بقالك ساعات على الحال ده وقعدتنا كده مش هتقدم ولا هتأخر إنت تعبان ولازم ترتاح .

رفع له الآخر بصره وعيناه غائرة بدموع حبيسة:

-انا كنت فين يامراد وكل المصايب دي بتحوم حوالين إبني..كنت فين وهما بيحاولوا يأخدوا منه روحه ؟!

وصمت ينظر لأخيه يستجديه أن يجيبه ، وربما يخبره أن ظهره لن يكسر ويقصم بفقدان حبيبه الصغير ، ربما صغيره ذو رأس يابس يماثله ، ونعم أتعبه كثيراً منذ الصغر ، لكنه يبقى الأكثر حناناً بينهم ، حين أُصيب بوعكة صحية شديده أودت لتواجده تحت سقف المشفى لأيام ، لن

ينسى لهفته حين أقتحم الحجره الكامن بها على حين غره ودون مقدمات يقبل رأسه تارة وكفه أخرى وعيناه تلتمع بعبرات خائفه تفجرت حين ضمه لقلبه فهتف بين ذراعيه :

"إوعى تسبني يا بابا "

يتشبث به كطفل صغير يخاف فقدان حاميه ، والآن ماذا يا صغيري بعدما اشتد عودك وأصبحت رجلي الثاني ، عكازي الآخر الذي أدعم به كهولتي يضمك فراش الموت لا ذراعي ؟!

بادله مراد نظراته المتألمة بأخرى توازيها ألما ، ولا جواب لديه لسؤالهم جميعا ..أين كانوا جميعا وهو يغوص داخل متاهات الحياة السوداء وحيداً ، هل كل ما قام بسرده ذاك الشرطي منذ

وقت قصير حدث بالفعل ؟ هل كان إبن أخيه معلقاً بخيوط الماريونيت يحركة حثالة البشر لأجل أغراضهم الدنيئة واضعين حد السيف على عنقه إما هذا أو ذاك ، مانعين عنه رفاهية الخيار ، وهو يغوص ويلوث يديه لأجل حماية من يهمه أمرهم..وحين عاد للطريق الصحيح واضعا حول أعناقهم أحبال المشانق زلفت قدمه داخل الهاوية والله وحده يعلم إن كان سينجو منها أم

...

قطع أفكاره بصرامة ، رافضاً لأي خيارات أخرى ، أكتفى فقط بغمغمة خفيضة:

-اللهم لا نسألك رد القضاء لكن نسألك اللطف فيه.

جزعت بعد حديث زوجها وعادت تعلو شهقاتها

ونحيبها من جديد ، وحشرجت انفاسها تخنقها:

- إبني يا عزيز ..أنا عاوزة إبني .. عاوزة باسل.

والكثير من النحيب والهذيان حتى فقدت وعيها

وانتهى بها الامر طريحة فراش بفعل المهدئ ،

فمنذ أن تلقيا الاتصال المشؤم فجر اليوم

يخبرهم أنه بالمشفى ينازع الموت وهي على حالها

تهذي مرة وتتيه في عالم الرفض وعدم التصديق

مرة وبين الأولى والثانيه يكاد ينفطر قلبها ،

تعاتبه بصمت ووهن ..هكذا إذن يا صغيري

تنوي فراقاً ؟ يعلم ربي كنت أشعر همك

وضيقك وفي كل مرة كنت أخمد قلقي ببسمة

تنزعها من بين شفتي عنوة كعادتك يا طفلي ،

العمر كله فداء لك يا نور العين لأجل ضمة حانية منك ، لأجل ضحكة من بين ثغرك الباسم دائما ، ولا يهم بعدها إن وارى جسدي الثرى ما يهم حقاً رؤياك سالماً يا نبض القلب .

* * * * *

إذا ما جاء الفراق يوما

وجاء بعد الفراق الحنين ندما

فلا تنس أن تغمس

فرشاة الذكرى

في ماء جرحك الملون

وترسم

وجه الحنين ضاحكا

ولا تحزن

ولا تجزع

إذا ما بدا لك الوجه

برغم الضحكة هزيلا

"فاروق جويده "

" إسلام الدكتور بيقول تعمل الفحوصات اللي طلبها عشان في اقرب وقت هيعمل العملية "

تنبه إسلام لصوت بدر مخترقاً شروده ، أبعد ساندي التي تركن بين ضلوعه منذ أن خرج الطبيب وألقى بجملته المقتضبة بعد طول انتظار أهلكهم جميعا .

"محتاج زرع كلى في أقرب وقت ، خسر الأتنين للأسف ..حاليا الحالة مش مستقرة إدعوله تستقر عشان نقدر نعمل العملية إن وجد متبرع طبعا "

وقبل أن يختفي من أمامهم ربت على كتف صديقه الجراح يشد من أزره ويسأله الصبر والدعاء ..

وكانت ساندي أول من صرخت تخبر الجميع أنها هي من ستكون المانحة، ستتقاسم معه جزءاً من جسدها حتى يعود لها شقيقها ونصفها الآخر ، ألم يتقاسما سوياً بداية الخليقة وخلقا داخل رحم واحد سوياً ، بوقت واحد ، يكبرها بعدة دقائق فقط كما أخبرتها والدتها ، شاركها

مدرستها وألعابها ، فقد كان آنذاك يترك ذاك الأحمق ألعابه الصبيانية ويأتي لها سراً يلهو ويمرح بالدمى المحشوة ، يطهو طعاما بأوانيها الصغيرة ثم يطعمها والدمى بيديه ، وحين يعنفه أبوه بأنه رجل ولا يجب على الرجال مشاركة الفتيات ألعابهن ، فيجيب وقتها ببراءة أنها وحيدة ويفعل ذلك لأجلها حتى يؤنسها ..وأخرى حين نالت درجات غير مشرفة بأحد الفحوصات المدرسيه عاقبها والدها بالحرمان من مصروفها اليومي ؛ لأسبوعين كاملين ظل يتقاسم معها مصروفه طيلة أيام العقاب ، شاكسها كثيراً واغضبها أكثر لكنه كان دائماً هنا ، ما إن تبحث عنه تجده ..كما كانت تجد الدعم والسند في

الأكبر كانت تجد به الصحبة والحياة التي يبثها في روح المنزل ما إن يتواجد ويتحول لراكد برحيله ..ماذا إذن إن منحته جزءاً منها حتى يعود لهم بالحياة بدلاً من ذاك الركود المؤلم ..

لكن الشقيق الأكبر أنهى حديثها بعد ما ذكرها بفحوصات الشهر الماضي خاصتها التي تدل على نسب فقر دم ليست هينة وذلك يجعلها غير مهيئة لأمر كهذا ..وعن الوالدين فقد صمتا ومعهم العم مراد ؛ فثلاثتهم على يقين بأنهم لا يصلحون لذلك ، وإن كانو أصحاء تماما من أمراض العصر ويمكنهم ذلك ، كانت ستكون أيضاً الكلمة العليا والأخيرة للأخ الأكبر ينهي بها

الحوار مخبراً الجميع أن المنح من حقه هو لا غيره .

وقبل أن يغادر إسلام بعد ما ابتعد عنها يستمع لصديقه وغمغم بأمل:

-الدكتور قال حالته إيه دلوقتي؟

-مقالش حاجه لسه الوضع زي ما هو ..بس هو بيقول الأفضل نكون مستعدين

هز رأسه برفق وسار متحركاً يفعل كما طلب الطبيب المعالج ..بينما لوح بدر بيده نحو زوجته التي قام بطلبها منذ الصباح حتى تكون برفقة الزوجة ، الأم والأخت فجميعهم يحتاجون للمساندة والدعم وهي لم تتأخر وأتت على الفور

، وها هي برفقة الأم الغائبة عن الوعي بعد ما تعب قلبها المفطور من انتظار كلمة واحدة تطمئنها فكلما سألت أتاها الجواب مطالباً بالدعاء حتى فقدت آخر ذرات التحمل وخارت قواها ..اتبعت تالا إشارة زوجها واتجهت نحو ساندي المنتحبة بصمت ، تهتم ، تضم وتربت بحنو.

* * * * *

إذا ما جاء الفراق يوما

وجاء بعدالفراق

ليل مظلم

أضاع قمرة

فلا تنس

أن تبحث

عن القمر في ارض الضلوع

فإن كانت الجروح

هناك أشد وضوحًا

فأعلم أن القمر

هناك في حنايا القلب

مختبئ

"فاروق جويده"

بعد منتصف الليل كان عائداً من مشفاه بعد يوم طويل متعب ينشد راحه وكل ذلك تبخر حين

أوقفته على حين غرة سيارة قاطعة عليه الطريق عرضياً، توقف على أثرها وترجل منها ولا يعلم متى ولا كيف قام ذاك الشجار العنيف بينه وبين ثلاثة رجال ، ما هو سبب الشجار ولا ماذا يريدون لا يفهم شيئاً سوى أنه مضطر للدفاع عن نفسه ضد هؤلاء ، على الرغم من أن النتيجة كانت محسومة فثلاثة ضد واحد وإن غلبت الشجاعة الكثرة كما يقولون يبقى هو واحداً وهم ثلاثة والواحد فيهم يزيده أضعافاً ، لكن كما قام الشجار فجأة انتهى فجأة تاركين له ندباً ليست بالهينة تماماً وليست بالبليغة ، شق طريقه طولياً أعلى موضع قلبه بفعل مدية أحدهم ، وأنتهى الأمر بعد ما سلبوه هاتفه :

حاسوبه المحمول وبضع أوراق لا تهمهم في شئ ..قام بعدها بتقديم بلاغ ولم يتوصل لشئ وانتهى المحضر مقيداً ضد مجهول ..واقعة سرقة تمت بنظافة وهكذا قضي الأمر بل يجب أن يحمد الله أن روحه لم تسلب أيضا .

تحسس بأنامله موضع الندب شارداً ثم رفع بصره ينظر نحو شقيقه من خلف الزجاج ..كان قد نسي تلك الحادثة الواقعة منذ شهور طويلة ، فلم يكن يعلم آنذاك أنه على الطرف الآخر كان أخوه يقدم حاله ومستقبله قرباناً ، حتى يتركوه يهنأ بحياته ويغوص هو بين الأوحال..

رباه ! متى كبر باسل الصغير وأضحى رجلاً يحمل فوق عاتقيه حملاً ثقيلاً كهذا ؟ كيف تمكن من

ذلك ! متى ابتعدت عنك وبقيت وحدك تصارع أشباحاً فاسدة بمفردك..أين كنت أنا يا شقيقي حين كنت أنت تجابه شياطين الأنس وهم يحاولون سلبك آخر أنفاس الحياة ! لو فقط أخبرتني ما كنت لأتركك تناضل بمفردك ذاك الأعصار حتى كسرك ، أما كنت حاميك منذ الصغر ؟ أتذكر حين كنا صغاراً وكسر ساقك أحد أبناء الجيران ألم تطالبني حينها بحقك الضائع ، وكان لك ما أردت ولم يقربك بعدها فقد ثأرت لك حينها ، وحين انتقلنا للحي الجديد وسلبوك كرتك ألم اعيدها لك بعد ما جئتني باكيا ..إلى أي مدى قصرت في حقك بعد ما كبرنا ؟ متى تبدلت الأدوار وأصبحت أنت الحامي ؟!

-باسل مش هيسبني مش كده يا إسلام ؟

انتشلته فرحة من دوامة شروده بسؤالها المباغت ، التفت لها برأسه ، عيناها المنتحبة لم تجف بعد وسؤالها خرج بوهن ..ضائع الأمل ..بقلب كسير أوجعه ..تقف هنا منذ ساعات طويلة مل من إحصائها ؛ تنتظر فقط إشارة منه ..وحين يسألها أحدٌ الراحة تخبرهم أن راحتها هنا بجواره ، يجب أن تكون هي اول ما يفتح عليه عينيه ..فيصمت الجميع .

إمتدت أنامله تمحي عبراتها المنسابه على وجنتيها ويجيبها بخفوت:

-مش هيسيبك يا فرحة .

* * * * *

كم كنت أحلم أن أعود إليك

أن أقتل الأحزان بين يديك

لكنني لا أستطيع

شبح الزحام يشدني

و رأيت قلبي في الحنايا.. يحترق

بيني و بينك خطوتان و نفترق

"فاروق جويده "

"بعد ساعات "

في إحدى الحجرات داخل حصون المشفى ؛ كان يستعد لدخول العمليات ،أخبره الطبيب المعالج

بإمكانية إجراء زراعة الكلى الآن بعد ما تأكد من

تطابق نسيج المانح مع المريض..وعلى بعد

خطوات منه كانت تتقدم نحوه بخطوات وئيدة

مترددة ، وحين استشعر وجودها رفع رأسه

نحوها ، عيناها الذابلة ، وجهها المنطفىء وكأن

الحياة غابت عنه ..تقدمت بخطواتها حتى

واجهته في وقفتها، نظرت لعينيه بحيرة وهمستها

المتحشرجه خرجت تقطر من الألم أطنان:

-سألت عليك وعرفت إنك هنا ..وإن باسل..

مسح وجهه بكفيه زافراً ببطء وحشرجة ،

فاقتربت هي الخطوة الباقية ، تحرك كتفيها بقلة

حيلة وضياع بصوت متهدج مثقل :

-في ناس كتير جم عندنا البيت عساكر وضباط وأخدوا بابا ، محجوز في النيابه من أيام وأنا مش عارفة أوصل له ولا أفهم إيه اللي بيحصل..

هدأت تلتقط أنفاسها وعادت له مردفة بتيه مع عبرات متعلقة بأهدابها:

-بيقولوا تجارة أعضاء ومخدرات و..بس إزاي بابا يكون واحد من الناس دي ! إزاي يعمل كده ؟ والمفروض انا أصدق او لا ؟

وصمتت منتحبة بكتفين محنيين تغطي عبراتها بكفيها ، فقط اهتزاز جسدها يخبره كم تعاني.. يعلم أنها تائهة وبحاجة من يضمها ويساندها ..له وحده هتفت بما تخشى الإعتراف به منذ أن تأكدت من صحته.

رفعت رأسها ، تنظر لعينيه وتسأل بضياع من جديد :

-قول لي يا إسلام أصدق ولا لا !

يطالعها بصمت ولا يعلم بماذا يجيب؟ هل يصرخ فيها دون رحمة مخبراً إياها أن أباها أحد هؤلاء الملاعين والذي بسببهم يرقد أخوه على فراش الموت ..هي فقط وعينيها التائهة من تكبل لسانه..غمغم بعد برهة:

-باسل تعبان قوي وهو محتاجني دلوقتي ..

حركت رأسها بتفهم دون أن ترفعها ، وهمست بعد ثوان قليلة بتهدج:

-إنت أكيد عارف إن عملية زي دي مش سهلة واحتمال كبير تكون لها مضاعفات يعني جايز.. هو يخف وإنت...

ودمعتها الساقطة من محجرها أتمت الحديث ، بينما همسه الخافت ..المتألم أصابها في صميم نابضها:

-ولو حصل له حاجة ؛ ما فيش غير الحزن هيعشش في قلوبنا.

وكما هو يستشعر ضياعها تستشعر هي حزنه ،نعم تحتاجه الآن أكثر من ذي قبل ، تريد دعمه ومساندته ، لكن لا يمكنها أن تكون بتلك الأنانية ..اقتربت وكانت هي صاحبة الضمة ، تواسيه أم يواسيها لا يهم ، وربما كانت تنعي قلبيهما اللذان

يجتمعان فقط وقت الألم ..ابتعدت ببطء كما اقتربت ، تهمس له من جديد وتضغط على كفه بمؤازره:

-مش هيحصل له حاجه طالما إنت معاه وسانده.

-إدعي له .

تبسمت له بخفوت وهمست قبل رحيلها :

-وهدعي لك

(٢٥)

نبضات

على الرغم من أن الموت هو الحقيقة المطلقة في هذه الحياة وهو مصير كل حي ؛ إلا أن شعور الفقد أشد ما قد يمر على بشر.. وانتظار حدوثه أشد وأمر إذ يتكسر فؤادك ويتهشم في الثوان لعشرات الشظايا ويعود من جديد من ثم يعيد الكرة.. وما أشد وطأة من رؤية عزيز عليك معلق بين أحبال الموت والحياة ؛ وأنت ما عليك سوى الانتظار والانتظار، القلب يرفض بجزع بينما العقل يرسم خيالات للصورة الاكثر ألمًا .

خمس ساعات كاملة والقلوب تلهج وتبتهل بالدعاء .. على بعد خطوات في ركن قصي تكمن "أم" لرجلين طريحا الفراش في هذه اللحظه ، أمام ناظريها تقدم الأكبر ليمنح جزءاً من جسده .. حتى يعود لها بالأصغر ، مطمئناً إياها كعادته .. لكنه وأسفاه لم يفلح هذه المرة ، فالعقل والقلب توحدا سوياً على سؤال واحد ولا مهرب منه ..ماذا إن فقدت الإثنين معا !؟ ماذا إن ذهبوا سوياً تاركين إياها خلفهم لتتذوق مرارة وحنظل الأيام دونهم ..وعلى مقعد مجاور للأم المكلومة كان الأب ليس أفضل حالاً ومن مثل الجراح الأشهر أكثر علماً بما يمر به فلذات أكباده في تلك اللحظات الحرجة خلف ذاك الباب

الموصد أمامه ، اليوم قد انقلبت الأدوار وجلسة الانتظار هي حق مشروع تلك المرة.. ساعة تلو الأخرى مات فيها القلب وعاد الفمرة، بينما العم بالقرب منهم يدعم ويؤازر وهو في الأساس يماثلهم الحال ، ثلاثتهم كانوا أبناء له ؛ تذوق الأبوة على أيديهم وهو لم يتزوج بعد..وعلى بعد خطوات أخرى أمام حجرة العمليات تحديدا كانت تقف فتاتان ، الأولى زوجة.. غابت عنها الحياة وباتت جسداً بلا روح ؛ بقلب جوفه الألم لكنه متشبث ببقايا أمل ما زالت تنغز ثناياه.. تجاورها أخت الشقيقين بعيون مترجية وقلب شطر لنصفين لكل شقيق نصف يلهج بإسمه ..وعلى جدار قريب كان يرتكز صديق ورفيق

طفولة.. يطالع الجموع أمامه بعيون فارغة ،
على مرار سنوات كانوا له نعم العائلة لم يفتقد
دفئاً ولا أُنساً في حضرتهم ، عوضاه عن أخيه ؛
وحيده الغائب دائما وأبدا.. أجمل أيام العمر
كانت معهم وبهم ؛ لكم ضحك من أعماق قلبه
بصحبتهم ؛ ليت بوسعه شئ حتى يعود لهم
بضحكاتهم ويبدل دموعهم وآهات آلمهم التي
توجعه في صميم نابضه ، كم مرة تمنى بداخله
أن يكون هو طريح الفراش بدلاً عنهم.. ربما لن
يفتقده الكثير ولن يتألم لأجله كل هؤلاء ، لكن
صاحبة العيون الزرقاء كانت صاحبة السطوة
على تمنيه فكان يرد داخله صدى تلون بنبرتها .

" ومن لي غيرك حتى تغادرني !"

ولم يكن يعلم أنها تراقب شروده الضائع..
ملامحه القاتمة بألم من جلستها المبتعدة عنهم
قليلا ، ثلاثة أيام بلياليها تواسي هذه وتشد
بمؤازرة على كتف أخرى ، تدعم بكلمات قليلة
هي نفسها لا تصدقها ، فمع رؤية ذاك الكم
الهائل من الألم المصاحب بخوف وهلع من فراق
، رغماً عنها استوطنها ذلك الألم وهي تتابعه
بعينيها من البعيد ويهيئ لها أنها هي في موضع
الزوجة المكلومة التي تواسيها طيلة الوقت
..والآن منذ خمس ساعات وهي تستمع لكلماتهم
المتوسلة بترجٍ ؛ الممزوجة بشهقات ونحيب لم
يتوقف للحظة.. وكم كانت فقيرة حظ حيث
صورتها خيلت لها فارغة لا أماً ولا أختاً تتقاسم

معها أوجاعها ، عادت إليه ببصرها ؛ تقر لحالها أنه هو عالمها بل كونها أجمع.. ليس لديها سواه ، تخاف عليه وتهلع لمجرد ذكر الفقد والفراق.. ولم تشعر بنشجيها الخافت الذي تحول لنحيب يعلو رويداً رويداً من حولها.. لم تعد تتحمل.. هي أضعف بكثير من تحمل لحظات كتلك.. أخرجها من بؤرة تخيلاتها المقيتة والبغيضة للغاية كفان قويان يتملكان من كتفيها في هزات متتالية علها تصحو وتفيق ، رفعت رأسها وجدته يجاورها في جلستها ؛ ينظر لها في قلق بعد ما تحول نحيبها لشهقات عالية مسموعة ، تهدل كتفيها من جديد وتحولت شهقاتها لهزات واهنة تملكت من سائر جسدها فبعثت بأوصالها رعشة انتقلت له

بدوره ؛ بينما رأسها يتحرك يميناً ويساراً بوهن ؛ ترفض تلك الصورة اللعينة التي تحتل خيالها ..وهو كان يعلم أنها لن تتحمل ذلك طويلا وها هي أمام عينيه فقدت سيطرتها على حالها بعد ما استنزفت آخر ذرات الصبر والتحمل.. وتحت مرائ من أعين الجميع لم يجد غير صدره.. يضمها بين ضلوعه ، يمتص خوفها.. يطرد خيالاتها ؛ ويخبرها أنه هنا .

* * * *

مضى إسبوعان...

إسبوعان طويلان بمرتهم وعلقمهم ، الأخ الأكبر من أراد التضحية والمنح بطيب خاطر يرقد على فراش المرض لمضاعفات شديدة تبعت العملية

الجراحية فتمكنت من جسده قوي البنيان فنالت منه.. وبعد إسبوع كامل من المعاناه بدأ في إستعادة جزءٍ من صحته ، وما زال على وضعه فوق الفراش بأمر من الطبيب المعالج ..

بينما الآخر الأضعف بنيانا والأشد ألماً لم يعد بعد.. حتى بعد ما نجح الأمر وتقبل جسده الكلية الممنوحة وأصبحت تعمل بكفاءة جيدة.. لكن ليتها كانت تلك فقط المعضلة ، أربع طعنات بجسده خلف وراءهم عدة أضرار أخرى غير الكلية ..والمحصلة ؛ لم يغادر حجرة الرعاية الفائقة ، باقٍ على سكونه ؛كأن روحه استهوت ذلك الهدوء المخيف.. سكنت فيه وتأبى العودة لذاك الصخب من جديد ، نحل جسده أكثر

واستطالت شعيرات ذقنه لدرجة لم تصلها من قبل ، من يراه يظن أن عمرة قد زاد أضاعفاً مضاعفة .. وعلى المقعد المجاور له كانت هي جليسته بعد وصلة ترجٍ أقرب لتوسلٍ لطبيبه حتى يسمح لها بدقائق قليلة فقط ؛ تتأمل وتستجدي أن تفلح .. ونالت ما أرادت ، بكفيها تعانق كفه البارد المستريح بجانبه بعد ما لثمته مرة وإثنين وعند الثالثة صحبتها الدمعة ؛سالت فوق كفه وانتهت فوق الفراش كأنما لم تولد..

رفعت رأسها تشبع عينيها من بين ملامحه فيقابلها شحوب يشبه الموتى وسواد يحيط بعينيه ، فترنو منه أكثر ، وتخرج همستها بصعوبة

بعد صمت ساعات لا تحصى فالحديث في أيامها تلك يعد رفاهية محرمة:

-كل حاجة وحشة من غيرك..ما فيش حاجة ليها طعم ولا لون ..

صمتت ثوان اقتربت فيها أكثر.. تشتمه فيخيل لها رائحته التي تشتاقها فتحبسها بين رئتيها وتعود تهمس من جديد بتهدج وحنين:

-عينيك وحشتني ..صوتك واحشني ..كلك وحشتني

واللعنة عليه صامت لا يسمعها ولا يرى حالتها التي يرثى لها فأصبحت بدورها تماثله في جسدها النحيل وسواد عينيها المخيف.. وهذه المرة لن

تهتف بتهدج وضعف بل هي غاضبة .. ساخطة منه وفيه .. وهتافها متزامن مع أصابعها التي يزيد ضغطها فوق كفه :

-كفاية يا باسل ..أنا قلبي وجعني حرام عليك

وكانت تنوي زعيقاً او صراخاً إن إستدعى الأمر ، لكن دمعة يتيمة هطلت من بين جفنيه المنطبقين على بعضهما ، أخرستها وربما أنعشت وأحيت أملاً لن يتوارى أبداً ، فانتفضت من جلستها ستخبر طبيبه .. نعم ربما بعدها سيخبرها أنه عاد من عالم التيه واللاوعي وسيفترق جفناه .. ولم تنتظر طبيبه حين أطلت إحدى ملائكة الرحمة المسؤلة عن رعايته ومتابعته.. فأسرعت تهتف بها بتلعثم ولهاث:

-وانا بكلمه نزلت دمعة من عينيه..أنا شوفتها..

فين الدكتور ؟ بسرعة أرجوك

والجواب بارد ..هادئ ..لا يمت الرحمة بصلة:

-عادي يا مدام ..دي لا إراديا

وتعود ترغي وتزبد بقسوة:

-ويلا الدكتور قال خمس دقايق بس وانت قربتي على العشرة أهوه

ولن تتوسل ولا تترجى بعد ما تحطم أملها وتناثر لشظايا في ثوان ، فقط تعود لموضعها السابق؛ خلف الزجاج من جديد وعن نبضاتها فهي تخبره سراً أن حسابه أصبح ثقيلاً ، عسيراً للغاية..

وكلما زاد الغياب كلما سيزيد العقاب .

* * * * *

نهارها اليوم مختلف.. فبعد ما داعبها ضوء الشمس الذهبية ، قررت ونفذت على الفور ، رحلة نهارية بصحبة الصغيرة "تاليا"حتى تتمتع بضوء الشمس بينما هي تشتم بعض الهواء فكل شئ بات يخنق بالآونة الأخيرة ، بداية من تدهور علاقتها مع زوجها فقد أصبح لا يتواجد بالمنزل سوى محض صدف وإن وجد يختلق مشكلاً من لا شئ فينهر ويزعق ويترك البيت غاضباً ..إلى زوج خالتها التي لا تصدق إلى الآن تلك القصة التي تخصه وتتداولها الألسن أينما اجتمعت بأحدهم ، خالتها؛ لمار؛ حتى لارا الصغيرة جميعهم بوضع لا يحسدون عليه ومعهم كل الحق ، كم تشفق

عليهم من تلك الحالة المريعة التي يتعايشون بها هذه الأيام ..ألقت بنظرها على الصغيرة داخل عربتها ، فتبسمت لها وهي تتلاعب بكفيها الصغيرين المتشابكان ، أخرجت بعدها كتابها الأثير من حقيبتها اليدوية وأخذت تقرأ فيه بضعة سطور ..وقبل الغروب بقليل تحركت عائدة بعد ما انتهوا من نزهتهم الخاصة .

ولجت لمنزلها تدفع بالعربة برفق أوقفتها أمام المطبخ وأخذت تخلع عنها وشاح رأسها في حركة خاطفة .. فالصغيرة جائعة ..استغرقت بضع دقائق قليلة ؛ تعد لها حليبها المساعد ؛ بينما تداعبها من البعيد لعلها تهدئ من بكائها وتذمرها..وحين إنتهت جذبتها لأحضانها برفق

وأخذت تدس بفمها رأس الزجاجة المطاطي فألتهمته الصغيره بنهم ..وبعد حين تركتها برفق داخل فراشها بعد ما راحت في سباتها ..انتوت بعدها على حمام دافئ يعيد لها نشاطها المفقود.. قطعه رنين متتابع على جرس الباب ..بالتأكيد لن تكون جارتها الحبيبه فبعد آومرة الفذة أصبحت فرص اللقاء مصادفة فقط واكتفت بدورها بالمهاتفات من وقت لآخر ؛ وقبل أن تغرق في تفكيرها أكثر كانت قد فتحت الباب بالفعل ..

قابلها وجهه أنثوي تلطخ بألوان مبهرجه لا تناسب أي أنثى على الإطلاق مع خصال صبغت مسبقا بجميع الألوان ربما ، ببنطال ذي خامة جلدية لامعة يلتصق بساقيها بإغراء رخيص

بينما يعلوه كنزة رقيقة إن صح بالفعل وصفها بكنزة فهي دون أكمام وبالكاد تصل للخصر..وحمدا لله يوجد وشاح تستر به الكتفين وبروز نهديها الفاضح ... تلوك بين شدقيها علكة بطريقه تثير الإشمئزاز وتطالعها من أعلى لأسفل متخصرة بتفحص مبالغ فيه..وكانت روان بالمثل تطالعها بغرابة وتعجب قطعه هتاف المرأه النزق:

-إنتِ بقى روان؟

وهزت رأس تزامن جوابها:

-أيوه..حضرتك مين ؟

تقدمت المرأة للداخل بخطوات متلكئة ؛ واثقة..
وقبل أن تجتازها ضربت بأناملها على كتفها
تقطع عنها تحديقها.. هاتفه ببساطه:

-ضرتك يا عينيا !

* * * * *

على مدار الأسبوعين الماضيين لم يكف عقله عن
العمل رغم جسده العليل ، فقد ظن أن حالة
اخيه ستتحسن بدرجة كبيرة ما إن يتقبل جسده
الكلى ، بالفعل تحسن قليلا لكن ليس كما
طمح.. النتيجه لم تكن كما ظن وتمنى ، ما زال
غائباً عن الوعي وذلك لا يبشر بالخير أبدا ..وهو
مقيد فوق فراش لعين بأمر طبيب صارم لا يقبل
النقاش وحين خالفه بالأمس وغادره ظنا منه أنه

على ما يرام وأن الطبيب يبالغ في العناية حتى يرضي صديقه الجراح ، دارت به الأرض وكاد أن يسقط أرضاً لولا دعم بدر ومراد له..

جسده اكتنفه الوهن والمرض وعقله أرهقه التفكير؛ بينما قلبه على الرغم ممَّا حدث وما يحدث مازال يذكرها.. ينهره ويكرهه ولا جدوى ، اطمأنت على وضعه بعد الجراحة كما أخبره رفيقه وبعدها غادرت بلا عودة .. مازال يتذكر حديثه مع الضابط منذ أيام ؛ فذاك المدعو أبيها هو واعوانه ، كل ماعاناه شقيقه ومازال يعانيه من تحت رؤوسهم ؛ أيديهم الملوثه كادت تسقط بأخيه وتتركه صريع أعمالهم الشنيعة .

وبعد كل ذلك مازال القلب الملعون يهفو لعبق الشيكولا ولتلك العيون الهاربة ؛ يهفو لها ولدمعاتها التي تهطل ما إن يجتمع بها وكأنها تنتظره هو فقط لتبدأ في التخاذل .. يعاتبه بوهن ..ما ذنبها ؟ لا تحملها ذنبا لا يد لها فيه ..هي بحاجه لك.. مساندتك ؛ ستقوى بك لا تتخلى عنها ..ويعود العقل يسب ويلعن من جديد ويسأله كيف ؟! هل هان عليك دم أخيك المهدور ؟ هل كل آلمه تلك لا شئ لك ..ألا تستحي ! بعد كل ما حدث لا زلت تنبض لأجلها؟!

تغضنت ملامحه بضيق ، لو فقط يتوقف عقله عن التفكير لربما أرتاح قليلا.. وبالفعل توقف للحظات مع الاقتحام المفاجئ من قبل "ساندي"

التي انتشلته من بؤرة أفكاره المظلمة ، يراها أمامه تلهث وتتنفس بصعوبه وعلى الرغم من ذلك لا تقوى على حبس كلماتها ، فصرخت وتلونت نبرتها الباكية بضحكات :

-فاق ....باسل فاق يا إسلام .

وكأن لهاثها إنتقل إليه فعاد برأسه للوراء يتنفس بأريحية أكثر بينما ثغره بعد طول أيام أخيراً افترق متبسماً .. متمتما بخفوت:

-الحمد لله

* * * * *

بعد ساعات..

اطمأن الطبيب لحالته واستقرارها من ثم قام بنقله من حجرة العناية لأخرى عادية ، وعلى الرغم من تشديده على عدم إجهاده وتركه لينال الراحة إلا أن الجميع إلتف حوله غير آبهين لحديث الطبيب ..ارتاح أبيه ومراد فوق صوفا قريبه بعد ما نالوا نصيبهم منه تاركين إياه بين يدي والدته تقبل رأسه تارة وتعود تقبل كتفه أخرى ثم تحتضن وجهه بين كفيها تتأمله وتعود تقبله من جديد.. وهو يتبسم لها من رقدته بوهن ويربت على كفها مطمئنا إياها ، بينما ساندي بالقرب منه تتمتم وتثرثر بكلمات تخص حالتهم أثناء غيابه .. بينما عينيه تدوران في محجرهم يبحثان عنها ، يحاول النهوض بجسده قليلا فلا

يقوى وتئن آلامه فيعود لموضعه مستسلماً .. ولم يخفَ عن توأمته ذلك فابتعدت قليلاً بجسدها حتى يتمكن من رؤيتها دون بذل أي جهد ..

وكانت هناك.. ترتكز فوق إطار الباب المعدني بجذعها ورأسها كأن التعب قد أضناها ، تتسابق دمعاتها في الهطول فتمحيها سريعا بأصابعها بينما ثغرها ينفرج ببسمات صامته وهي تتابع تبسمه الواهن وعينيه العائده للحياة ..وحين ثبت بصره عليها بادلته بسمته المتعبة بأخرى دامعة رفع لها كفه قليلاً يدعوها إليه .. ومع تقدم خطواتها كان الجميع يغادر الغرفة تاركين إياهم بمفردهم ..تقلصت الخطوات وأصبحت على مقربة منه وهو مازال على وضعه

ينظر لها ولا يحيد عنها بعينيه ، وشريط الساحل كله يعصف بذاكرته ..لاحظت ملامحه القاتمة فجأة ، جلست على المقعد المجاور واقتربت بجسدها حتى باتت ملاصقه لفراشه ، الكلمات تحتبس في حلقها كأنها تعجز عن الحديث ، فاقتربت من كفه تلثم باطنه ، تعانقه عبراتها قبل ثغرها ، فرفع وجهها بأنامله حتى تعود له بقمريه الذابلين يمحي سيلهما المالح بإبهامه ، فيرتفع كفها الحر تحيط به وجهه ، وتكتفي بتأمل ملامحه وعينيها تعانق عيناه ..دفع برأسها نحوه حتى جاورت رأسه وحينها التقت الجفون وأخذ يستمع كلاهما لأنفاس نصفه الآخر..

تخبرها ضمته كم يشتاقها وتخبره عبراتها الدافئة

المنتهية فوق عنقه أن الكون أجمع لا يساوي ذرة من دونه ..وهمسته الخفيضة خرجت قبل أن يغرق في عالم التيه من جديد:

-ما تعيطيش ..

وغاب بعدها في سبات طويل بفعل عقاقير وبفعل آلامه التي لم تلتئم كليا بعد..وحين عاد من جديد كان يظنها مازالت تجاوره لكن أدرك خطأه حين وقع بصره على أخيه الذي كان يحتل جلستها ؛ راقباً بعضهما في صمت لثوان معدودة ..حاول بعدها الاعتدال والنهوض قليلا فاستقام الآخر على الفور من جلسته يدعمه بوضع وسادة خلف ظهره .. كان باسل يتابع حركته الحذرة أثناء قيامه وعينيه تحط فوق جانبه تلقائياً ،

فقد علم منذ إفاقته أن لولا الله ثم أخيه ما كان ليعود للحياة من جديد ، منحه جزءاً منه دون أن يفكر في الأمر لثانيتين ، غير آبهٍ لما قد يعود عليه جراء ذلك ، وأنه قد يعاني طويلاً .

-مرتاح كده ؟

كان يسأله وهو مشرف عليه بجسده ، محني الرأس .. هز رأسه في صمت فتبسم له بدوره واقترب يجاوره في جلسته ، فوق فراشه تلك المرة ..فغمغم باسل بإقتضاب وهو يطالعه :

-حاسس بإيه بعد العملية ؟

حافظ على بسمته الهادئة وهو يربت فوق ساقه الممددة ، مخبراً إياه:

-ما تقلقش أنا تمام ..المهم إنت تبقى كويس.

تمكن بعد كلماته من رؤية عيني أخيه المنذرة بعبرات يجاهد بالقوة حتى يمنعها ، ولو كان الوضع مختلفاً لربما كان وبخه وعنفه لمجرد ظهورها..لكن الآن وبعد ما التمعت مقلتي العسل خاصته بإنذارات مشابهه ، اقترب أكثر وقام بضمه لصدره عنوة.. يربت فوق ظهره بحنو كأنما يعطيه الإذن الآن بفك قيدها..والآخر لم ينتظر بل تشبث في ظهره بقوته الواهنة..فقد كان بحاجته حتى يشعر أن تلك الدوامة التى كان يدور بها وطحنته بما يكفي قد انتهت ..انتهت بعدما كاد أن يفقد روحه وافقد أخيه جزءا من جسده ..

الآن فقط.. يمكنه التنفيس عن كل ما كان يحبسه طيلة الوقت خلف قضبان ضحكاته المعتاده

الآن فقط.. اهتز جسده وبكى

* * * * *

بعد أيام ..

يقف خلف النافذة الزجاجية الكبيرة يكتنفه الحنق والغضب ، صراعات ودوامات تموج داخله ؛ قلبه وعقله لا يتفقان ؛ والسطوة للعقل تلك المرة ؛ فعاد يزعق من جديد:

-كان لازم تتكلم يا باسل.. خوفك كان هيضيعك

عاد باسل برأسه للوراء ينظر لأخيه الغاضب منذ فترة ؛ أو لدقة منذ أن غادر ذاك الضابط الذي أتى مستجوبا إياه بخصوص حادثته ..حتى الآن لم يتمكن من تصديق أن ذاك الذي اتخذه صديقاً يوماً ما "أحمد" هو نفسه الذي حاول قتله والنيل منه ؛ ماذا فعل له وبما أذاه من الأساس حتى يحمل له بداخله كل تلك الضغينه والكراهية؛ لقد اتخذه رفيقاً وصديقاً ؛ جمعت بينهم مهنة ؛ ترابطت وزادت مع الأيام ؛ كيف أمكنه ان يكون تابعاً لهؤلاء الشياطين ! بل يقدم على ما فعل حتى ينال رضاهم ، وحسرتاه على زمان باتت فيه الصداقات ما هي إلا جسور للعبور فوق أرواح البشر..

وما إن غادر الرجل واسترسل معه في الحديث ؛ عن تفاصيل ما حدث معه بالضبط ، بل زاد الوضع سوءً حين وصل استرساله "لمار" ..

أخبره ببساطة أنها كانت إحدى مخطاطاتهم القذرة وبالطبع لم يكن غيره أكثر كفاءة ليقوم بتلك المهمة الوضيعة ؛ لم يكن يعلم أسباباً حينها غير أن أباها أخطأ ولزم له عقاب قاسٍ ، ولم يكن ليجدوا من هو أفضل من إبنته لتدفع عن أخطاء أبيها ؛ وما طلب منه تعدى مرحلة القسوة بالكثير ؛ وهو لم يكن ليرفض فقد كان آنذاك كالمغيب لا يميز الخطأ من الصواب؛ وكانت المقايضة تلك المرة تخص أخته ؛ إما يتقدم أو تهلك ..واللقاء كان مرتباً منذ أول مرة ؛

حين أنقذها من بين براثن الامواج ؛ كان يراقب ويتنظر الوقت المناسب فقط ؛ لم تكن هذه محض صدف ولا ما تبعها من لقاءات ؛ كل شئ كان مرسوماً من قبل .. وقبل النهاية عجز عن مواصلة ذلك الدور الخسيس ، لم يكن يوما نذلا ولا وضيعاً إذ يفقد فتاة أعز ما تملك ؛ ليرحل بعدها تاركاً إياها تنثر الرفات على روحها المنتهكة ؛ وهو بالفعل انتهك مشاعرها النقية حين رسم لها دروبا شيدت بالأحلام الكاذبة ؛ لكن حين رأى وجه جميلته فيها وروحها النقية ابتعد ؛ واغتنم كل سانحة حتى يبعدها بدورها فالقرب منه كان يعني الهلاك المحتوم..ولم يدرك وقتها ؛ فقد ظن نفسه حامٍ وهو في الأساس كان

يطعن أخاه في نابضه..أخوه الذي يكاد ان يجن منذ أن علم ويهتف فيه مستنكرا ويسأل كيف أمكنه ذلك !

تركه ينفث عن غضبه وهمس بعد حين :

-اللي زي دول مابيرحموش ؛وانا كنت تحت ضغط كبير؛ وفي الوقت ده فكرت في اللي يهموني وبس .

صمت دون أن ينظر له ؛فلو أخبره أحدهم من قبل عن كل ما يمر به الآن لكان نعته بالخبال ؛ والآن ماذا ! الوضع أشبه بلسخرية ؛ المفترض أن يمنح أخاه الأعذار أم يثور لأجلها ؟!

وعاد باسل من جديد متابعاً:

-انا مش هنكر حاجه أنا عملتها ، أناغلطت في حقها وأذيتها، هي مالهاش ذنب، بس ماكنش قدامي خيار..

قطع حديثه بغته ؛ مقطباً جبينه في ألم فهرول له الآخر سريعاً هاتفا بقلق :

- حاسس بايه ؟!

كان يسعل بقوة حد اهتزاز جسده بينما كفه ارتفع يدعم به جانبه المتألم ؛ ساعده أخوه في ارتشاف الماء برويه حتى عادت له أنفاسه المتحشرجه واللاهثة ثم عاد به للخلف قليلا حتى يريح جسده ببطء ، يطالع وجهه الشاحب فتمتد يده تمسح عنه عرق جبينه ؛ لاحظ سكون

أنفاسه وعودة لونه الطبيعي ؛ فهمس بحذر مازحا عله يتحدث فيطمئن لوضعه أكثر:

-إيه ياعم فوق كده وصحصح إنت عاوز فرحة تقتلني ولا إيه ؟! دي سيباك في إيدي أمانه

ضحك باسل بخفوت وهو يفتح عينيه ببطء هاتفاً بمشاكسة :

-خاف على نفسك بقى .

ثم طاف على ملامحه سريعا بعد ما اكتنفهما الصمت لبرهة ؛ فتغضن وجهه مردفاً بهمس:

-لدرجة دي بتحبها!

هتف الآخر بنبرة جامدة منهيا الحديث:

-خلاص يا باسل مابقاش ينفع.. الحكاية أكبر من مشاعر مسيرها تموت مع الزمن

طالعه بأسف وأكتفى بالنظرات الصامتة لا يدري بما يتحدث ، فأخوه صادق.. ذاك الرجل وإبنته لا نفع منهم ، وكلما ابتعد عنهما أكثر كلما كان أفضل له وللجميع ، وهو يعلم حد اليقين أن شقيقه طوى تلك الصفحه لأجل خاطره ؛ إشتراه هو والثمن قلبه.

وبعد حين حضرت "فرحة" فودعهم إسلام مغادراً..تقدمت إليه ببسمة هادئة ؛انفرج ثغره على أثرها ، جاورته على الفراش حتى واجهته في جلسته ؛فبادر هو بالحديث:

-ماما وبابا فين؟

حركت كتفيها بعفوية مجيبة ببساطة:

-روحوا البيت ومعاهم خالو مراد وساندي

..طنط شاهي ماكنتش عاوزه تمشي وتسيبك بس

خالو عزيز أقنعها ، هي ياحرام تعبانة ومحتاجة

ترتاح فعلاً.

زمجر بضيق وسخط:

-وأنا مش هروح بقى؟ اتخنقت من المستشفى؛

والرقدة دي بكرهها..مش عارف الدكتور الغبي

ده كتب لإسلام على خروج وأنا لا ليه.

منذ أن غادر إسلام فراش المشفى منذ يومين

وهو بعدد الساعة يسخط ويغضب مطالباً

الطبيب بالمثل مدعيا بإتباع الأوامر اللازمه في

المنزل ، والطبيب يرفض دون نقاش فهو محاط

بعناية خاصه تحت وصاية أطباء العائلة

جميعا..وهي بدورها تدلل ؛ تصبر وتتحمل:

-إسلام خرج علشان إلتزم بالعلاج ..إعمل زيه

إنت وقريب بإذن الله هتخرج

والغضب تلك المرة بجدية لا تحمل عبث :

-وبعدين بقى ..قولت لك بلاش طريقة الأطفال

دي ..بتعصبني يا فرحة !

رفعت كفها مغلقة فمها بسحاب معلنة الصمت

بثغر باسم جراء عصبيته وحاجبيه المعقودين

بحنق لا يناسبه ..تأفف بضيق ..الجميع يعامله

كطفل صغير لا يكفون عن إطعامه هذا وذاك ،

طيلة الوقت دلال واهتمام مبالغ فيه ..اللعنة لم يعتدْ على كل تلك الأمور وبالفعل يشعر باختناق إثر تلك المبالغه ..إرتاح بجسده أكثر ؛شارداً نحو النافذة بصمت ؛ قطعته هي بهمس خفيض:

-آسفه

دون ان يلتفت غمغم :

-خلاص ماحصلش حاجه .

سرعان ما عادت تهمس بعد ما تملكت من أنامله :

-آسفه علشان ماحستش بيك ولا بكل اللي كنت عايش فيه.. كنت أنانية وبفكر في نفسي وراحتي ومش واخدة بالي من كل ده .

وبنبرة نادمة بصدق همست :

-آسفه لأني قصرت في حبك

تنهد بقوة وجذبها له حتى توسطت صدره منهياً

حديثها:

-هششششش.. خلاص إنسي كل اللي فات..

إنسي علشان انا كمان أنسى

إستكانت بوداعة بين ضلوعه تستمع لخفقاته

المتتالية وما هي ثوان حتى ابتعدت عنه تتسائل

بتردد:

-قلبك مادقش لها ولا مرة ؟

تتحمل وتكتم كل ما يموج داخلها لأجل خاطرة..

لكن اللعنة كيف لها أن تتحمل وتصمت بعد كل

ما علمت وسمعت به.. طالعها بصمت لدقائق ،

عاد بعدها يلقي ببصره نحو النافذة هاتفا

بجديه :

-لو كان خالي احتمال كان دق ..لكن حبك زي

العازل مانع غيرك يدخل ومحرم على نفسه

يخرج

على الرغم من أن كلماته خرجت من بين شفتيه

باقتضاب وخشونة إلا أنها كانت كافية حتى

تتبسم برضا.. فهي ببساطة تصدقة .

* * * * *

في خضم الرياح العاتية تنبت بذور العشق فتبدو

كالمتكأ ترتاح فيه الروح وترتع ؛ فتهدأ وتستكين ،

وهي دق العشق أبواب قلبها ونوافذه دون سابق دعوة فسقطت صريعة لهواه ..

بخطوات هادئة غادرت مبني الإذاعة وهو يجاورها في سيرها :

-ماينفعش يا مهيب تيجي دلوقتي.. كمان يومين كده يكون باسل خرج من المستشفى

"مهيب السباعي " ارتبكت نبضاتها لذاك الرجل منذ أول يوم عمل له معها في المحطة نفسها، لم تعي آنذاك ما أصابها .. لكن مع مرور الوقت أصبحت تسلم الرايات وترفعها وحين صرح هو بإعجاب متبادل ولفظ عشق إخترق حجرات فؤادها وسكنها فوقعت صريعه لة في التو

واللحظة ..وأصبح هو الآن لا يطيق صبراً حتى يدخل البيت من بابه ليتمم نصفه الآخر..

-هستنى وأمري لله بس انا بدأت أفقد صبري خدي بالك بقى

تبسمت بخجل فهو لا يدري كم تتمنى هي قربه واكثر منه ربما .. تابع هو أثناء فتح باب سيارتها :

-رايحة المستشفى؟

إلتفتت له قبل ان تلج لداخلها متبسمة:

-امم هعدي أطمن على باسل وبعدين أروح

-تمام .. خلي بالك من الطريق وانتي سايقة ، بلاش جنان وكلميني بعد ما توصلي على طول

وقبل أن تجيب قطعها نبرة اقتربت منهم دون سابق دعوة:

-آنسه ساندي .. الورد ده حد سابه لحضرتك

تناولت الباقة البيضاء بكف متردد وملامح حائرة.. رباه ؛ هل عاد ذاك المجهول من جديد ! بين نفسها تخشى أن تكون قد كسرت قلباً دون قصد ؛ وربما هي فعلت وانتهى ، تلاقت نظراتها مع "مهيب" بقلق ؛ فهي أخبرته عن قصة ذاك المرسل صاحب الباقات المجهول ، واكتفى هو ببسمة مطمئنة فلا داعي لذلك القلق ربما الأمر كله مجرد صديق للبرنامج ويمزح بسماجة.. لكن فضولها لم يروَ بعد وربما لن يحدث ابداً :

-ميرسي يا فتحي.. بس ماعرفتش من مين ؟

-لا

أجابها الشاب باختصار وابتعد بخطوات ركيكه ، يدعم ساقه المصابه بالأخرى والعرج بين لا فرار.. القلب جريح ينعى عشقاً وراه بالثرى في لحظته ، ربما الجسد عليل وربما الزمن لم يتبسم له بعد ، لكن القلب يعشق ؛ يشتاق ويتلهف للقاء مقل أو حديث عابر في يومه ، واليوم قدم آخر باقاته.. بيضاء صافية تشبه ضحكتها .. روحها .. وثوب زفافها القريب ، اليوم أغلق دفتر الحكاية قبل أن تبدأ ، فليس كل الحكايا كتب لها أن تسطر وتروى وليس لكل عاشق نصيب من عشقه ، ولا يملك الآن سوى أن يمني نفسه بنسيان يملكه الغد.. اختفى وتركها خلفه تضع باقتها جوارها

مغادرة المكان تصحبها نظرات مهيب الصامته ،

فقد اختارات أن تحفظها تلك المرة لأجل شعور

أخبرها أن تلك هي الأخيرة.

* * * * *

لا تنتظري بزوغ القمر لتشكي له الآلآم لأنه حتما

سيغيب ويعود لنا قمر جديد ..ولا حتى تقفي

أمام البحر لتهيج أمواجه وتزيدي على مائه من

دموعك لأنه سيرمي بهمك في قاع ليس له قرار

ويعود بحراً هادئاً من جديد..

نصائح تعاد وتكرر على مسامعها.. كفى لا تقفي

مكانك وتنوحي فوق الأطلال .. ما كان لن يعود

..وآخرون شامتون لا يكفون عن الهمزات

واللمزات ..وهي ماذا عنها ؟ لقد كان فارسها الأول

، معلمها الأول ؛ قدوتها ! كانت فخورة به ، ترفع رأسها عالياً ما إن يذكر إسمه ..والآن ماذا ؛ هل أصبح مجرد كان ؟! نعم هو كذلك .. ذلك إقرار يستحقه بعد تلك الزيارة داخل جدران السجن والتي لم يعدْ لها منها سوى صفعات الخذلان رسمتها الحقيقة كاملة من بين شفتيه .. اللعنة! لم فعل ذلك؟ لم مزق صورته بعينيها شر تمزيق فباتت بالية لا نفع منها ولا ضرار..لم ترك نسائه الثلاث وحدهن يواجهن قسوة حياة حكمت عليهن وأخذتهم بذنب لا يد لهن فيه..لمَ منزلها الهادئ يتحول لآخر خراب لا تعلم إن يصح إطلاق عليه منزل بعد الآن..فرب الأسرة خلف القضبان يحاكم ، والأم تخلص حالها بقضية

طلاق تمت من أول جلسه ..وماذا عنها وعن شقيقتها الصغرى ؟ تقفان ضمن صفوف المتفرجين أم تبكيان على الأطلال كما تفعل هي كل يوم ..

ولم تكن تعلم أنه يراقب جلستها اليوميه من بعيد.. منذ إسبوع مضى ، تحديداً منذ أن غادر المشفى ، فهو على علم من الأساس بتفاصيل يومها من قبل حتى..انتقلت للعيش بحي شعبي حيث منزل جدتها لأمها-رحمها الله- بعد ما تم الحجز على جميع ممتلكاتهم ، ومنزلهم كان أول تلك الأشياء ..تقضي نهارها هنا فوق رمال شاطئ ناءٍ عن الجميع ؛ تصحبها الوحدة والعبرات التي لا تنضب وبعدها تتلبسها حالة من السكون

..وهو يراقب شرودها أمام صفحات المياة

وروحها التي تغلغلها الخواء فباتت هشه تتمايل

مع النسائم القوية فتكاد تنكسر في كل مرة ..

بينما العقل يأمر:

" ابتعد .. لا شأن لك هنا "

والقلب يذوي:

" ما بالك.. تحرك يا رجل "

والقلب يخرس في كل مرة حين يمسك العقل

زمام الأمور فيولي ظهره وتتحرك قدماه معلناً

بهما رحيلاً بغير عودة .

(٢٦)

تشتت

يوم جديد أفضل من أمس راحل ، بدأ بفطور مميز من بين يدي جميلته.. ثم حلاقة ذقن زاد طولها بشكل لا يطاق.. ولا بأس ببضعة خدوش فهو من طلب وعليه تحمل العواقب ، وبعدها المرحلة الأصعب فقد حان موعد الحقن العضلي.. والكابتن يسخط في كل مرة.. يلعن ويسب بهمهمة خفيضة نظرات زوجته المتبادلة بضحك خفي مع تلك الممرضة السمينة .. وبعدها زفرة كبيرة مع عقدة حاجبين تتراخى بتباطئ ، وقبلة على الفك بتمهل شديد تعني

مكافأة للبطل المغوار.. فتلك كانت المقايضة مقابل كل حقنة .. قبلة، وعلى الرغم من مراوغته وسخطه كل مرة إلا أنها التزمت بالإتفاقية بنزاهة ..

واقتحام مفاجئ لزج يشبه صاحبه يقطع لحظاتهم الخاصة داخل المشفى:

-كاااابتن ...وحشتنا يا كبير

وقهقة صاخبة صاحبها ذراعان مفتوحان ثم عناق حار وهتاف أجش:

-وإنت كمان يا نسيم وحشتني ..أخبارك إيه ؟

جذب المقعد المجاور على الفور تحت أنظار فرحة المتعجبة من ذاك الصبي النحيل ذي الطلة المبالغ فيها بينما هو اخذ يرغي ويزبد :

-كله تمام يا كابتن أنا طلعت كذا رحلة مع كابتن محمود.. بس بيني وبينك راجل خنيق ومش بيس خالص إنما إنت يا كابتن مالكش زي وربنا ضحك ورغي ، مضيفة خارجة مضيفة داخلة.. شد حيلك بقى وإرجع لنا عشان نقول لزمان إرجع يا زمان.

أنهى جملته بغمزة ولكزة في كتفه وهو يضحك بتشدق ، بينما باسل يتنحنح تحت أنظار فرحة المتابعة بترقب؛ ثم هتف بخفوت عله يدير الدفة بعيداً:

- حبيبي والله يا نسيم ...هااا أخبار المطار إيه في غيابي ؟

ونسيم لن يصمت الليلة.. تابع بمرح:

- كله إشطااا يا باشا.. ده حتى كلهم باعتين لك سلام مخصوص و سوسو بتقول لك غيرت لون شعرها وعملته أحمر زي ما قولت وكان عندك حق طلع فعلا يجنن عليها ..وإنجي حددت ميعاد الخطوبة بعد إسبوعين وبتأكد عليك لازم تشد حيلك علشان من غيركماينفعش...والله وحشتنا كلنا يا كابتن .

والكابتن يغمغم لحاله :

-الله يحرقك .

والكزة تلك المرة من كف الجميلة ومن بين أسنانها :

-بتقول حاجه يا كابتن؟!

وسارع نسيم بضحكة سمجة:

-إلا ماعرفتناش يا كابتن مين الآنسه ؟!

والرد تمثل في صفعة على جانب العنق مع نظرة متوعدة :

-المدام يا خفيف

تقهقر للخلف قليلا وضاعت نظراته في أرجاء الغرفة بعيداً عن عيني فرحة الساخطة ..ورأس مطلة من عند الباب قطعت الأجواء المضطربة:

-صباح الخير يا باثل عامل إيه النهارده ؟ قولت اعدي عليك قبل الجامعة.

تبسم وأجاب:

-بخير يا ياسمينا ..خالتو فين ماجاتش النهارده ولا إمبارح يعني ؟

جاورت فرحة في وقفتها وتحدثت بنبرتها المعتادة:

-معلش كانت مشغولة حبتين كده .. بث هتعدي عليك كمان شويه

وضحكت نسيم المنفلتة رغما عنه تعني سخرية صريحة لحرف الثاء خاصتها الساقط منها رغما عنها ...رمقته ياسمينا بحنق في حين نهض هو مستأذناً:

-طيب أمشي أنا بقى يا كابتن وأعدي عليك في وقت تاني

-نورت يا نسيم ..خليك جنتل وخد ياسمينا معاك في سكتك وصلها .

وبعد مناوشات مبهمه تحركت ياسمينا مرغمة.. تعدل من وضع عويناتها السميكه ومن خلفها ترمق ذاك الكائن بإذدراء تاركين الكابتن خلفهم وهو لا يعلم أنه ربما قد أصاب هدفاً دون أن يدري ...وقبل أن يتخذ اول خطوة في إصلاح ما هدمه مساعده المعتوه فوق رأسه طلت الفاتنه تقرقع بكعب حذائها .. بينما يتمايل جسدها بغنج طبيعي فتكمل ما بدأه الآخر:

-كيفك اليوم يا حلووو ؟!

تركت باقة الزهور من بين يديها لتجاوره على الفراش واحتلت هي مكان نسيم منذ قليل ..بينما الأخرى تحركت تجاور النافذة، تطالعها بلا تعبير ، على الرغم من أنها قدمت لها كثيراً من المواساة في تلك الأيام العصيبة حينما كان هو راقداً دون حراك ، لكنها ببساطه لا يمكنها أن تمحي صورتها من ذاكرتها وهي تجذب زوجها مقبلة إياه في العلن دون خجل ، لم ولن تستطيع تقبلها بأي صورة كانت..قطع أفكارها نبرة باسل الهادئة:

-أنا بخير إنتِ إزيك ؟

-منيحه نحمد الله.. وكمان خلاص قررت راجعه لبنان عبكرا

-متأكدة من قرارك ده ؟ أنا شايف لو تفضلي هنا أحسن ..هناك مفيش غير الماضي وذكرياته

تبسمت له برقة هامسة:

-ماتخاف علي انا كتير قوية..

وأردفت بغمزة:

- مش هيك

بادلها بسمتها باخرى مع هزة راس بينما تابعت هي موضحه:

-خالتو نتالي حكت معي كتير وبدها ياني زورها.. وكمان إشتقتلو لتيم وبدي زوره ؛ وإحكي معه كتير..

تنهد ببطء ينظر لعمق عينيها ويرى حزناً دفيناً يلف تلك المرأة ، وصدقاً على الرغم من كل ما حدث معه وما عاناه بسببها وسبب أبيها ..يتمنى لها حياة افضل من تلك البائسة التي تحياها ..وقبل الوداع ، طالعت فرحة لثوان ترى ما بين عينيها من ضيق رمتها ببسمة خافتة ولم تنتظر لها رداً فهي على يقين أنها لن تاتي .. فختمت كلماتها وهي تنهض مغادره:

-دير بالك عليها.. بحياتك ما راح تلاقي حدا يحبك متلها

وإن كانت تظن بكلماتها تلك ستهدئ من روعها فهي مخطئة ..وبعد موجة الزيارات المتتالية حان موعد الغذاء قبل جرعة المضاد المهمة ..قدمته

بصمت ؛ وتظاهرت بالانشغال حتى لا تخضع لأوامرة الفذة وتطعمه بيدها ككل يوم بل ككل وجبه ..هي غاضبة بحق ولأجل ذلك تركها وأثر السلامة وتناول طعامه بصمت مطبق ...وبعد حين طلب منها بأدب الكون ان تتكرم وتعدل له من وضع الوسائد من خلف ظهره ؛ وقبل أن تنتهي وتبتعد..حرك بصره على باقات الزهور المعبقة للغرفة وقد ملأت أركانها حتى باتت أقرب لمتجر زهور ، فتبسم بعبث وعاد لها مناوشاً .. حسنا فقد مل من صمتها الغير لآئق:

-إلا صحيح ماجاليش ورد تاني ؟

التأفف والسخط بوضوح من حقها تلك المرة..

مغمغمة بنفاذ صبر:

- على أساس إن كل ده قليل !

إعتدلت في وقفتها ، تنشط ذاكرتها ؛ تضيق في حدقتيها وتعدد على أصابعها .. يكفي لقد طفح الكيل بل وزاد ، فاخذت تهتف بغضب مكبوت ونبرتها تتلون بسخرية :

-بوكيه من تونسية مع كارت وصاية مكتوب فيه :

" عسلامه بسووول.. أشنيا أحوالك ؟ توحشتك برشا "

والأصبع الآخر يوازي هتافاً حانقاً آخراً.. نزقاً :

-والتاني بقى من المحروسة المغربية

"توحشتك بالزاف وتهلا في راسك.. إنت شخص زوين حبيبي"

والأصبع الثالث تزامن مع نظرات متوعدة :

-واما التالت بقى من مقصوفة رقبة عراقية ودي بقى بتاكد عليك وتقولك

"دير بالك على حالك.. ورمشلي حتى أطمن عليك "

ختمت حديثها بإبتسامة صفراء .. مع رفرفة أهداب لزجة ..وصرير اسنانها يعني الكثر:

-ماتنساش ترمشلها بقى ..ده غير الجزائريه واللبنانيه اللي لسة خارجه واللي جاي من غير إسم خالص بصراحة ما كنش ناقصنا غير سوسو وشعرها الأحمر !..حبايبك كتار يا كابتن إللي عطاك يعطينا يا سيدي.

والكابتن يرواغ برأس مرفوع للأعلى بفخر واعتزاز مع براءة متقنة :

- جوزك بيدعم الوحدة العربية من قلبه ياروحي والصمت حليفها.. فلتحبس حنقها أفضل وإلا العواقب غير محمودة ، يظن حاله خفيف ظل ذاك الأرعن.. والأرعن لن يستسلم لصمتها في ثوان جذب معصمها بقوة فسقطت فوق الفراش بقربه..وبات وجهها قريب منه حد تبادل الانفاس ، غمغم بعدها بخطورة مع بسمة عابثة:

-بس ده مايمنعش إن ولائي الأول والأخير لبلدي ..هو في زي بلدي ولا حلاوة بلدي

والنظرة مع النبرة متهكمة :

- هه.. صدقتك !

-عجباً لأمركم أيها المصريون.. يعني لا كده نافع ولا كده نافع ؟!

ثم أرغى وأزبد الفرعون العاشق .. يراوغ.. يبدل الأدوار ، فينال قسرا بسمة ثم ضحكة من بين ثغر الجميلة.. لترفع بعدها رايات الاستسلام في قلة حيلة، وربما القلب هو من يرفع الرايات في حرم العشق فيمنح صكوك غفران طويلة المدى .

......

وبعد ساعات طويلة..

على بعد اميال كثيرة بل بلد آخر، كانت جاثية فوق الأرض اللينة على ركبتيها ، تمسد الحجر الرخامي البارد بكفها بينما الآخر يمحي عبرات تتقافز وتهطل دون إرادة.. نشيجها يعلو رويداً رويداً فيخترق السكون المخيف من حولها..تنظر لأسمه المحفور فوق الرخام أمامها فتعود تضربها الذكرى ، وتغمغم للقبر الصامت بنشيج:

-أخدت لك بتارك تيم ، وتار إبنك ، هلا فيك ترتاح حبيبي

تبسمت وعينيها تقسو وتشرد نحو البعيد ، حين خططت ودبرت بمفردها حتى تثأر لحالها ، والدتها ، زوجها وأخيرا صغيرها..

في منتصف الليل كان عاكفا على بضع أوراق في مكتبه.. وبضع حيل بسيطة كان المنزل خالياً إلا منها وإياه ..وسلاح لم يصعب الحصول عليه مع قفازات سميكة غطت بها كفيها حتى لا تترك أي اثر لبصمات ، وطلق ناري في منتصف الجبين تماثل تلك التي نالها زوجها من أيدي أتباعه ، وحتى تتمم خطتها بنظافة وضعت دليل جريمتها بين أصابعه.. والانهيار والصراخ رافق خبر انتحار الأب في الصباح الباكر ،حتى تأد أية ذرة شك قد تولد في قلب أحدهم ، وكان لها ما خططت لأجله منذ شهور.. فضيحه تودي وتزج بإسمه أسفل سافلين ثم يلاقي حتفه على يدي إبنته بينما الجميع يظنها عملية انتحار لرجل الأعمال

المهوس بالعمل وسوق المال وحين سقط إسمه لم يتحمل فأنهى حياته بيده ..

المعضله ليست معقده ياسادة ولا تحتاج كثيرا من التفكير وبذل الجهد ، الرجل زرع من البداية وقد حصد نتاج فعلته.

* * * * *

بعد أيام التعب والضغط النفسي والعصبي على الجميع عاد الكابتن لكنف بيته ، بين عائلته بأفضل صحة وأحسن حال ، وليست عودته وشفائه وحدهما من ينثران زخات السعادة في الأجواء ، فأميرتهم الوحيدة ستتزوج عما قريب ، ففارسها يجالس أباها وأخويها بصحبة أبيه ، ها

قد أتى وفي عينيه نظرة عشق خالصة حتى يتقدم لخطبتها رسمياً .

تناولت الصينية المحملة بالعصائر من يد "فرحة" التي لم تهدأ منذ الصباح وهي تخبرها عن نصائح تخص الهدوء والرزانة حتى لا يظن الرجل أنها .

"مدلوقه"

وفي كل مرة ترمقها بتهكم وتجيبها بعيون فاضحة.

"شوف مين بيتكلم !"

تهادت بخيلاء بما تحمله بين يديها للخارج والأخرى تراقبها من خلف زاوية جانبية تنتظر

إشارة واحدة لتطلق بعدها زغاريد الفرح ، يكفي وجعا آن للفرح أن يرج جدران منزلهم..

لكن وآسفاه زغرودة إختطفها النحس وطار!

و شهقت بدل الزغاريد ، بعد ما صدح زعيق والدها منهياً المقابلة ، وشبه طاردٍ للعريس ووالده خارج منزلهم ، والعروس تحملق في الجميع عند الباب وبين يديها مشروبات لم تمس بعد .. وصوتها مضطرب ، حزين:

-إستنى بس يا مهيب إنت رايح فين ؟ .. بابا في إيه ؟! .. انا مش فاهمه حاجه!

-ساندي إدخلي جوه دلوقتي

وهتاف إسلام الجامد يخرسها بينما مهيب يرمقها شذراً ويغادر المكان بوالده مكتفياً بصمت حانق .. فعادت تصرخ فيهم بتهدج ويدها تتخلى عن ضيافتها فوق منضده قريبه:

-حد يفهمني في إيه ! وإزاي تعملوا كده ؟!

وكانت شاهي هي المتحدثه تلك المرة بزعقه حانقه تشبه نبرة إبنتها كسيرة الفؤاد:

-اتجننت ياعزيز ! ارتاحت دلوقتي لما كسرت قلب بنتك ؟!

وعزيز يزعق :

-لو إبن رضوان السباعي آخر راجل في الدنيا مش هحط إيدي في إيده ياشهيرة .

وشهيرة تكتف ساعديها بينما ساقها يهتز بغيظ مكتوم بينما إسلام يتدخل على الفور محاولاً تهدئة الأوضاع:

-إهدى بس يا بابا الموضوع مش مستاهل وبعدين أنا شايف إن حضرتك كبرته زيادة عن اللزوم !

نفض ذراع إبنه عنه هاتفاً فيه:

-إنت كمان هتعدل عليا ؟!

-ماقصدش يا حاج والله بس..

-بس ولا مابسش الموضوع خلص خلاص سي زفت ده يتنسي خالص

أنهى جملته وغادرهم نحو غرفة مكتبه ،

والعروس تمحي عبراتها وعقلها توقف تماماً علها

تعي ما يحدث ..والجالس هناك فوق الأريكه

يشرح وباستفاضة ، فقد كان مجاوراً للعريس

منذ دقائق ومتابعاً للمشهد منذ بدايته.. هتف في

شقيقته وكل ما فيه ينضح بالبرودة بينما يتابع

ارتشاف العصير بأريحيه :

-يعني ياسو مالقيتيش غير إبن خطيب ماما

السابق عشان تتجوزيه ؟! من قلة الرجالة يعني

شهقت فرحة التي تركت منصة المشاهدة منذ

دقائق وجاورتهم في جلستهم بعد ما رحل عنهم

خالها الغاضب، والبارد مازال يرغي ويزبد تحت

أعين أخته الباكيه :

-وبعدين مش كفاية إسمه مهيب كمان أبوه رضوان إيه الفيلم القديم ده.. انا بقول إطلعي غيري هدومك وسيبك من الليلة الغم دي أو الأحسن تركزي مع جوز الكناريا اللي هيطلقوا بسببك يا بومة.

لكزته فرحة في قدمه محذرة إياه من المتابعة بعينيها ، فتبسم لها بسماجة قطعها صراخ ساندي الغاضب:

-إنت لو ماكنتش صاحب عيا لسه كنت عرفتك مين هي البومه.

وقبل ان يرد لها الصاع صاعين حشرت فرحة قطعة كبيرة من الشيكولاته داخل فمه عنوة .. بينما الأكبر يقترب منها يهدئ كما عادته:

-إهدي بس ياساندي ، إحنا نسيب بابا يهدي دلوقتي وبعدين نتكلم ..بطلي عياط بقى

قلبت بصرها بينهم ثم طالعت زينتها متحسرة وغادرتهم منكسة الرأس مغمغمة بحزن:

-ربنا يسامحكم على كسرو القلب دي.

زفر إسلام من درامية شقيقته الزائدة وعاد يجاور والدته الحانقة بدورها ، والهاتفة في بكريها بغضب:

-عاجبك عمايله دي ؟!

وقبل أن ينفرج ثغره قهقه باسل مخبرا اياها غامزا:

-بيغير ياشاهي بيغير.

صمتت فرحة وشاهي بعدما فقدتا الامل فيه بينما إسلام كان صاحب اللكزة الثانية مغمغماً من بين ضروسه:

-إنت إيه اللي مقعدك معانا يا بني آدم ؟! مش الدكتور قال لك تترزع في أوضتك ترتاح..قوم يلا وسعيكم مشكور لحد كده.

حرك رأسه يمنة ويسرة هاتفاً ببساطة:

-مش عارف إنتو مكبرين الموضوع ليه ؟! كلها ساعة زمن والحاج يهدى والبرنسيسة تتسهوك عليه حبة وتتمايص حبتين ولو في دمعتين كمان هيعملوا شغل عالي ، وهتلاقوه راح يجيب الواد من قفاه.

حك إسلام ذقنه مفكرًا .. قطعه هتاف آخر:

-إيه ده أنا إتاخرت قوي كده ؟! وفين العريس معقول لحق يمشي .

إقتحم "مراد "جلستهم مستفسرا ، وأتاه الجواب السريع من الباسل:

-نورت يامراد تعالى ؛ تعالى أنا هحكيلك اللي حصل ده إنت فاتك حتت مشهد !

اقترب منه مراد باستهجان وتعجب ، بينما وثب الجميع من فوق مقاعدهم زافرين بنفاذ صبر ، مغادرين المكان بأكلمه وإلا ستحدث جناية في التو واللحظة والضحية لم يشفَ تماما بعد .

* * * * *

وداخل حصون الجامعة.. بمكان ناءٍ عن الجموع والأعين المراقبه..كان يوجد صراع قائم بالفعل ، صرخة قابلها صفعة دوت فوق وجنتها علها تصحو من هالة الحماقة التي سيطرة عليها منذ شهور ولم تفق بعد ..دفعت به بعيداً عنها ، يصفع ثم يقترب ليداوي وكأن روحها الكسيره لم تشبع صفعات ليأتي هو ويزيد ..هتفت به ببكاء وشهقات مكتومة:

-إبعد عني يا رامي مش عاوزه أشوفك مش عاوزه أعرفك ..أنا بكرهك أنا بكرهكم كلكم

اقترب تلك المرة ولم يسمح لها برفض .. احتوى وجهها بين كفيه وهتف بقسوة وخشونة:

-مش هبعد ..فوقي بقى وبطلي تصرفات العيال دي ..بصي على وشك كده دي انتي ؟! شوفي لبسك دي انتي ؟! اللي حصل حصل مش هترجعي الزمن ولا تصلحي الكون بعمايلك دي ..أهملتي نفسك ودراستك..حلمك إنك تبقي مهندسه ناجحه بيضيع من بين ايديكي من أول سنه ..ليه كده يا لارا .. بتعملي في نفسك كده ليه؟!

زاد نحيبها ونشيجها المكتوم بين كفيه ..نعم تمنت ؛حلمت واجتهدت حتى تصبح مثله يوما ، فقد كان قدوتها ومثلها الأعلى ..وفجأه أختفى هو وضاع معه الحلم وتوارى..لم تعد تملك قوة

لمواجهة العالم وهي ترى في أعينهم نظرات الحقارة والهمهمات الموجعه حولها أينما ذهبت :

-ليه كده ! إنتو اللي ليه كده ..ليه بابا يعمل فينا كده ..ليه نسيب بيتنا وذكرياتنا ، وليه نبعد عن كل الناس كأننا وباء ..وليه انت لسه هنا بتحاول تاخد دور مش دورك ؟ رغم إنك عارف إن باباك أكترواحد أخد موقف من بابا بعد اللي حصل..سيبني في حالي يا رامي الله يخليك بلاش إنت كمان تكسرني زيهم .

ربت وضم ، احتوى وطمأن ..وربما هو لا يملك غيرذلك في وقته الراهن :

-أنا مش هسيبك ولا هبعد ومش هسمح لك تضيعي مني حبيبتي

-حبيبتك !

نطقتها بتهكم وسخريه ، الآن يخبرها أنها حبيبته

..هو يعلم وهي تعلم أنه حتى يكتمل إعترافه

ويستمر طيلة العمر عليه كسر قيود التمرد على

عائلة لن تسمح له بأي شكل من الأشكال أن

يربط أسمه باسم فتاة يحمل أبيها ماضٍ ملوث

يدفع ثمنه خلف القضبان ، في نظر الجميع هي

تملك وصمة عار إلتصقت بهما طيلة العمر

..وقليل هم النبلاء..ليس الجميع لديه القدرة

على مواجهة وتخطي العقبات .. وخاصة إن كان

محاطاً بعائلة كعائلة رامي ...

تغافل عن تهكمها وسخريتها وقام بتنظيف وجهها

بمحرمه نظيفة بعد ما تلطخ إثر إمتزاج كحلها

الأسود بعبراتها .. من ثم أمسك بكفها وعاد بها حيث توقفت ، يجب أن تستمر الحياة وتمضي .. بينما القلوب والأروح تتلاقى وتتآلف في ملكوت آخر..لطالما كان هناك خيط رفيع يربط بينهما منذ زمن ، وسيظل رغما عنهما معقود أبد الدهر..ستسقط ربما ، لكنها ستعود وتنهض من جديد ..لن يغتال الحلم ولن يتوارى ،سيدعم ويساند ولن يمل وفي النهاية سيمني نفسه بهزم طوفان العادات والتقاليد وامتلاك الصغيرة ولو بعد حين.

* * *

"بعد ثلاثة شهور"

لم يكن يمزح أو يسخر حينما أخبرهم منذ شهور أن ببضع كلمات منمقة ودمعتين لاستدرار عطفه ستحل المعضلة.. وبالفعل تخلى الرجل عن رفضه بعد فترة ، ووافق أن يضع يده بيد غريمه السابق الذي لطالما كان بينهم خلاف وبغض منذ أيام الشباب ، تنازل حتى تسعد طفلته بل وذهب بنفسه إلى الشاب وقدم إعتذاره له ولوالده مانحا إياه فرصه للعودة من جديد لإتمام تلك الزيارة.

وهاهي ترفل العروس في ثوبها الأبيض من أعلى الدرج ، متعلقه بذراع أخيها الأكبر بسعادة ، وإنتهى الأمر بقبلة على الجبين من ثم سلمها لزوجها متمنيا لهم بسعادة أبد الدهر..

كان يطالع العروسين أثناء رقصتهم الأولى بعينيه بينما عقله تائه ؛ شارد نحو امرأة فعل الأمرين حتى ينسى طيفها ، يمحي صورتها المحفورة داخله ، يمنع عنه أحلاما ترهقه كل ليلة فبات يكره الغفوات ، يكره خافقه الذي يستعصي الخنوع ويتمرد مطالبا بروي عشق ؛ عشق ترك وأهمل فبات ذابل حد الشفقه ، وعلى الرغم من ذلك له جذور صلدة أصلها قلبه تتمدد وتتشعب إلى سائر جسده بين أوردته داخل ثناياه ، فأصبح لا يقوى على اقتلاعها ولا التعايش مع بقاياها ..وربما المضي قدما في قراره الذي اتخذه مسبقاً قيد التنفيذ هو الأسلم والأفضل له في وقته الراهن ..

وعلى بعد أمتاركان هناك زوجان يخوضان معركة حامية تخص الحق والمستحق :

-فرح وناس ، زفة وهيصة..أنا كده طول عمري بختي قليل .

تنهد بحنق مكبوت وهو يرمقها بتهكم فهي منذ ان طلت العروس وهي تبرطم وتنعي حظها العثر ، ولا ينقصها إلا ان تندب وتصيح ليكتمل مشهدها الدرامي المبالغ فيه .. ماذا إن لم تحظَ بحفلة عرس هل هي كارثة خارقة للكون مثلا:

-ضحكت علي وقولت هعوضك هعوضك وفي الآخر لا طولت بلح الشام ولا عنب اليمن.

أنهت جملتها الأخيرة بشفاه ممتعضة كعادتها،

وربما النهوض وتركها وحيدة بقية الحفل أفضل

له ولها حتى لا يرتكب جناية في حقها ....ولم يكبد

نفسه العناء فليترك تلك المهمة النبيلة لزوج

آخر على بعد سنتيمترات أخرى هو أحق بها بعد

نبرتها المتمايعة:

-علشان خاطري يا بيدو يلا نرقص !

وبيدو يكشر على أسنانه ونظرة عينيه تعني "

فلتصمتي بقية الدهر"تقهقرت للخلف بإزدراء

وحاجبين معقودين ؛ تبرطم بدورها وتنعي

اللحظات الشاعرية التي قتلها السيد المبجل قبل

أن تولد .

* * * * *

أصوات الباعة الجائلين وبائعي الخضرة تعلو وتحيط المكان من حولها ، أيام وأسابيع وبات شهران وعلى مقربه من اتمام الثلاث وهي بين جدران ذلك المنزل ، تحاول بشتى الطرق التأقلم وممارسة الحياة بل البدء من أول السطر حيث هي وأختها الصغيرة وأمها ، لكن السطور مازالت مبعثرة ولا تجد ما تبدأ منه بل تعجز عن محو الماضي أو حتى تناسيه ...طالعت السقف في وجوم ، العقل تائه : غائب نحو لقاء مر عليه أكثر من شهرين ، على الرغم من كرهها له حينها إلا أنها قامت به، لعله يكون ذا أثر طيب على روحها ، وترى فيه الرجل الذي تربت على يديه وعرفته يوماً ..بوجه شاحب استقبلها والصمت

المطبق طال لدقائق وحين تحدث تهاوت آخر ذرات الصلابه لديها:

"سامحيني "

على ماذا تسامحه ؟ على إسمه الذي دنسه أم حالة أمها واختها التي يرثى لها ، على ضعفها وكسرتها في الحياة من بعده ..حينها لم تقوَ على حديث قط ، تحدثت عنها دمعاتها وباحت بكل ما تريد ، وقبل أن يتركها أخبرها متبسماً:

"اللي غلط لازم يتحاسب ..وانا غلطت ووقت الحساب جه ، إتحكم علي بخمسة وعشرين سنه حساب ، والعمر مابقاش فاضل فيه قد اللي راح ".

شهقت وبكت بقهر فاقترب وضمها لقلبه؛ ضمة لطالما إحتوتها .. و كانت لها مرفأ الأمان ، بينما هو مازال يتابع همسه المؤلم:

"عيشو حياتكم وإنسوني ".

وحينها فقط ابتعدت عن ضمته وهتفت فيه بتهدج والنبرة قاسية رغماً عنها:

"ننساك !.. عشان ايه تحرمنا منك؟ ملعون أبو الفلوس إللي قتلت ضميرك وقتلتنا معاه ..أنا عمري ما هسامحك على اللي عملته في نفسك وفينا".

وركضت.. ابتعدت وداخلها تقسم وتغلظ الأيمان أنها لن تعود ، لن تراه في تلك الصورة من جديد

، لن تلطخ صورته المحفورة بداخلها أكثر ، لكن

والله لا يمكنها النسيان كما تفضل وأخبرها

..أتنسى خمسة وعشرين عاماً ، سنين عمرها ..

ماذا تبقى إذن !.

سقطت دمعه ثقيلة بينما تهمس لها نفسها

بوهن:

"ليته كان هنا أحتاجه أكثر من أي وقت مضى ".

فتعنفها بزمجرة حادة:

"أما زلت تنتظرينه ! لقد نسيك يا غبية بعد ما

أخذك بذنب أبيك .. انسه لمار ، إمحي ذكراه كما

فعل .. فقط انسه".

تكورت بجسدها آخذة وضع الجنين ، تضغط على رأسها بقوة علها توقف ما يموج داخلها من تلاطم، والدمعات تنتهي فوق الوسادة تنعيان قلب غلفته الحسرة حتى بات بالكاد يطلق نبضاته.

* * * *

بقدمين حافيتين أخذت تتعثر في خطواتها.. حتى ابتعدت عن الغرفة وعنه ، وبين كفيها هاتفها يصدح بالرنين الصامت ، تضغط عليه بقوة كم تود لو تهشمه وتنتهي من تلك الحلقة التي باتت تخنقها يوماً بعد يوم .. منذ أن وقفت أمام بابها قبل الثلاث شهور باكية ، ضائعة ، تتوسل

وتترجى أن تنتشلها من ورطتها وتصرخ فيها

بإستجداء.

"إلحقيني يا تالا انا واقعه في مصيبه "

وما تفوهت به بعد ذلك هي الحقارة بعينها ، فخطيبها السابق يهدد أختها الحيزبون ؛ الحمقاء بدرجة أولى ببضع صور ومحادثات تجمعهم سويا ، يبتز أكثر والمقابل التورط معه أكثر.. وأتت لها حتى تخلصها وكأنها تملك حلاً !

ويبقى الاعتراف الأصعب؛ ربما لم يجمع بينهما من قبل غير كنية الأب لكنها ببساطة تبقى أختها .

وبعد أول محاولة منها ، مهاتفة مقتضبة للمدعو " كريم " تعرت النوايا وفضحت ومن بين حديثه

المبطن تأكدت أنها هي المقصودة من وراء كل ذلك بعد ما ملَّ من الحيزبون الصغيرة غير مساره عنها باحثاً عن لعبته القديمة ، يتبجح ويهتف بسفور مطالباً بحقه فيها ، من هي حتى ترفضه وتفضل عليه آخر؟! ومهاتفة أخرى تضمنها دعوة للعودة حيث الأيام الخوالي ..وفضلت تجاهله وساعدها على ذلك الغوص في خضم الأحداث السابقة ، حتى ظنت أنه نسي الأمر وعاد له ضميره هذا إن كان يملك واحداً من الأساس ؛ وخلال الأسبوع الماضي عاد لها من جديد بإصرار أكبر وأكثر فجور ، لا يكف عن المهاتفات وإرسال الرسائل السافرة ، وذات يوم حين كانت في زيارة لصديقتها ، تفاجأت به عند

عوتها يقف عند أطراف الحي بسيارته الفارهة والتي بدت شاذه في المكان من حوله ، لم تعي بحالها حينها إلا وأخذت تهرول وتتعثر في خطواتها حتى دلفت لمنزلها مغلقة بابها من خلفها جيداً وكادت يومها أن تموت هلعاً .. وأجل فكرت في إخباره آلاف لا عشرات المرات وببساطة تتراجع وتجبن .. ماذا ستخبره ؟! أن خطيبها السابق يلاحقها أينما ذهبت ولا يكتفي بذلك ، فلولا محوها لرسائله الغرامية والسافرة لكان أكتظ بها هاتفها ! وأكتمل فجوره حين رأته الليلة في زفاف ساندي بين الجموع ، يقترب أكثر ولا يخشى شيئاً، أمضت أمسيتها ملتصقة بزوجها بقلق وعيون زائغة .

أخذت نفساً طويلاً قبل أن تضغط زر الرد ، فما
عادت تتحمل ربما التحدث معه سيجدي ،
وبهتاف مكتوم قدر الإمكان لا يتعدى حدودها ،
لكنه محمل بكراهية وسخط يكفي جعلها تكز
على أسنانها بقرف:

-وبعدين معاك مش عارف تنظف شويه يا بني
آدم إنت !

ولم تكن تعلم أنه يراقبها منذ أن ابتعدت عنه
متعثرة الخطى ..هو ليس برجل ساذج أو أحمق
حتى يخفى عليه توتر زوجته وقلقها طيلة الوقت
ومهاتفاتها الغير منتهية ، وحججها الجاهزة دائماً
، إن تغاضى وبرر وصدق في كثير من الأحايين
هذا لا يعني أبدا أنه غافل عما يعتمل داخلها

..بخطوات وئيده إقترب ..وشهقتها وازت خطفه للهاتف من بين أصابعها .. وقبل أن يصل له مصدر الصوت رفع لها عينيه باتهامات خطيرة ، قطعها صوت الآخر مخترقاً الصمت والشبكات ليحط على مسامعه وقلبه دفعة واحده.. وحينها فقط باتت أنفاسه متضاربة بهياج كحرب ضارية تطحن دواخله ، حولت رمادية عينيه لجمرتين مشتعلتين وبدلت نظراتهما من وضع الاتهام للإدانة الخالصة.

"عندي في الفيلا يا تالا هننهي الحكاية وصدقيني هتتبسطي آخر حاجه " .

(٢٧)

فيينا

" ناضلي من أجل جامعة ترغبين بها.. وظيفة تتمنيها.. فستان يليق بك.. ناضلي من أجل كل الأشياء واتركي الأشخاص يناضلون من أجلك ..

وأخيرًا ..

امنحي من حولك عطفك وحنانك.. اغتنمي من بسماتهم قبسًا من السعادة فذلك يشرح الصدر ويبعث البهجة..

كوني بائعة للسعادة وستسعدين .. فالود يجلب الود والحب يجلب الحب ..



فقط كوني..

[حواء كما يجب أن تكون]

بتلك الكلمات ختمت رسائلها لحواء وآلاف الحواء من حولها ، شهور وهي منكفأة وبين أناملها قلما تخط بحبره كل ما يقيدها و يسلسل روحها فتتخلص منه وتحررها.. فالحالمة باتت حرة .

كل ما حدث معها في أيامها الأخيرة كان كالحلم ، بداية من تلك المرأة التي توسطت منزلها أو بالأحرى غريمتها.. فبعد كل ما كان وجرى فضل عليها ساقطة! إحدى رواد الملهى الليلي.. تزوجها

بعقد عرفي أو رسمي لا فارق الأهم أنها باتت محطة مهملة ، بضاعة مستهلكة ومنتهية الصلاحية بالنسبه له.. ولم تكن لتغضب أو تصرخ كغيرها تطالب بحقها في زوجها او تتزين وتتجمل كما هو العرف حتى تعود به لبيته ولا تترك لأخرى فرصة بالفوز.. عذراً فقد فات الاوآن وعريت الأرواح ، هي لم تغضب ولم تسقط دمعة واحدة من محجرها فهو بلا رصيد من الأساس ، بلا قيمة تنعي خسراتها وتتحسر على فقدانها ..

ودعم أبيها لها لم يكن محض صدفه أو معجزة سماوية هبطت فبدلته ، بل كان سوء اختيار وضع الزوج الخائن في موضع شبهات ، وفي

النهاية أختار الساقطة هائماً معها في دنياها بعد ما فضلها على إبنة العم وصغيرته ..

والمحصلة: مطلقة مع مرتبة الشرف .

خرجت من شرودها حين تذكرت أمراً ما ، غاصت في عالمها فنسيت حالها وصغيرتها.. تركت القلم من بين أصابعها وتناولت هاتفها .. مهاتفة سريعة اطمأنت من خلالها عليها ، فهي لا تلبث أن تغادر منزل خالتها حتى تعود له من جديد بجرعة توسل وترجي من قبل الخالة الحنون .

وعنها..أصبحت تتخذ من سطح البناية خلوة تخصها.. تخرج أجمل ما فيها وتخطه فوق صفحات ..

طالعت أوراقها فوق المنضده بابتسامة ناعمة ثم عبثت بأزرار هاتفها قليلا لتصدح منه ألحان هادئة تشبهها.. نهضت من جلستها ، فكت وِثاق شعرها فتطايرت خصلاتها وتناثرت بعشوائية فوق صفحة وجهها .. بدت في الدوران حول نفسها أكثر.. وأكثر.. خطوة واسعة لليمين وأخرى لليسار وتدور من جديد .. تضحك وتتبسم لحالها بعينين مغمضتين.. تتخللها نسمات الهواء فتستشعر حالها بوزن ريشة تحلق نحو البعيد .. نحو خيالها الجامح .. نحو غد وبعد غد ستبنيه وتحلم به كما تريد وكيفما تشاء .. غد صور بها وبصغيرتها وسلامها النفسي الذي تحياه ..

افترق جفنيها بتباطىء وهي ترتكز ببصرها نحو السماء الصافية وتهمس لنفسها بشجن

"غربلي يا أحزان القلب وتساقطي فقد مضى زمانك "

* * * * *

-يا ابن المجنونه !

هتف بجملته لنفسه ضاحكا اثناء تصفحه السريع لهاتفه ، بعد ما تفاجأ بأخبار أخيه تزدحم بها مواقع التواصل ..

صباح اليوم التالي لزفاف شقيقته كان يغادر أرض البلاد منها إلى لندن.. فليبتعد فترة.. شهر ، إثنين، أو ربما أكثر إن لزم الأمر ، ولم يكن والداه

ليعترضا فقط كان الصمت حليفهم حين أخبرهم

بقرار سفره ورحيله عنهم ، وعلى ماذا يعترضان

بل هما من الأساس كانا يرغبان بذلك ، بل لو

أمكنهم محو تلك الفتاة وكل ما يخصها من قلبه

وعقله حتى ذاكرته فلا يربطه بها حتى طيف ،

ولأنهما على يقين بمحال ما تمنيا ساندوا قراره

على الرغم من صعوبة الأمر عليهم ، فالآن بدلاً

من غياب واحد طيلة الوقت أصبح الأثنان

غائبين على الدوام والأخيرة تزوجت بدورها ،

وغدا المنزل فارغ إلا من فرحة وإياهم ...وعلى ما

يبدو سيعاني كثيرا فتلك أول أمسياته والأكثر

مللاً على الإطلاق منزل راقي بطابع أوروبي ، يغلفه

البرودة وتسكنه الوحدة ، لا صوت لبدر المتذمر

على الدوام ، ولا مرضاه الذين كون معهم علاقات قوية على مر السنوات ، غابت تدخلات ساندي البغيضه وأنفها المحشور بأدق تفاصيله ، ولا وجود حتى لدعابات باسل السمجة.. وحتماً لا عبق لحبيبة يفتقدها يفوح في الأركان .. فقط ركود مثقل يثير ضيقه أكثر..

زفر بقوة .. تخلى عن هاتفه من بين أصابعه بإهمال ، رافعا ساعده فوق عينيه..

وبضع دقات على الباب أجفلت شروده ، فنهض من أعلى الصوفا بتكاسل ، مستقبلا الطارق .

جسد نحيل بعض الشئ بدرجة رياضي مع بشرة سمراء تعلن عن شرقيتها على الرغم من سنين

الهجرة وعناق طال قليلا باشتياق.. ابتعد بعدها الرجل هاتفا بمشاكسة:

-روح أستر نفسك الاول ؛ تيشرت ولا حتى بشكير كده هنتفهم غلط يا أوس.

أغلق الباب وتبعه للداخل مبادلاً زائره الضحكات.. التقط قميصاً قطنياً من بين حقيبته الموضوعة بإهمال منذ وصوله يرتديه على عجل مغمغماً بدوره:

-حبيبي يا إتش واحشني يا باشا .

تمدد هشام بأريحيه فوق الصوفا مخبراً اياه:

-انا والله ماصدقتش أول ما شوفت المسج بتاعتك ، بس تعرف أحسن حاجه عملتها يعني

بلد نضيفه .. هواء نضيف .. حياة مختلفه تنسي الجن الأزرق اللي عاوزه ..وبكره تقول هشام قال

هتف بدوره:

-أديني مشيت وراك يا عم هشام اما نشوف أخرتها إيه ؟.

-أخرتها عنب .

غمغم مستنكرًا:

-عنب ! في رجل أعمال قد الدنيا ومحترم يقول عنب ؟! فضحينا يا مصرين فين ما تروحو

همهم من بين ضحكاته:

-الأصل باقي يا دوك .. طمني على باسل أخباره إيه دلوقتي ؟

تحرك نحو المطبخ يدور فيه ويقهقه بجذل حين تذكر ما رأه منذ قليل أثناء تصفحه ؛ مخبراً إياه:

-أحسن مني ومنك.. إفتح فيس ولا أنستا وشوف آخر أخباره.. البيه بيتصرمح ومقضيها.

تقدم بإتجاهه ضاحكاً بجذل:

-هو اخوك على طول كده فاضح نفسه... المهم بقالك ساعة بتلف حوالين نفسك ليه؟

-عاوز أعمل لك حاجة تشربها بس مش لاقي أي حاجة .. البيت لسه فاضي.

- لا سيبك من حوار تشرب وتأكل ده وروح خد شاور وفوق كده علشان هننزل .. سهرة صباحي على شرفك يا باشا .

حك إسلام ذقنه النامية مغمغماً بتحذير:

-هشام أنا مش حمل سهراتك.. سيبك انت من الجو ده أنا اصلا عندي شغل الصبح.

ضرب هشام كفيه ممتعضاً هاتفاً فيه:

-يابني إرحم نفسك شوية ايه شغل شغل ، هنرجع يومين بس من إياهم بعدين هنرجع لشغل هيروح فين يعني.

تنهد في يأس وهتف بآخر كلام :

-طيب ماشي ننزل نسهر بس مش عاوز أي حاجه من إياهم وفعلاً لازم أروح المستشفى الصبح علشان أقابل الراجل اللي مستنيني وأشوف نظام الشغل هيكون إيه .

وافقه بهزة رأس فانصرف بعدها للداخل.. فقد كان هشام صاحب فكرة تركه للبلاد ، يتمنى بصدق أن يخرجه من تلك الحالة التي يمر بها ، على الرغم من تلك السنوات القليلة على معرفتهم أيام دراسته بلندن لكنها كانت كافية لتربط بينهم بعلاقة قوية على الرغم من اختلاف مجالاتهم ، وحين وصلته رسالته الخاصة المعلنة عن قدومه مرفقة بالعنوان لم يكذب خبرا وأتى له على وجه السرعة بدون مهاتفه حتى ، لطالما كانا لبعضهما خير رفيق في أيام الغربة ومازالا.

* * * * *

ليالي الأنس في فيينا نسيمها من هوا الجنة

وهي لم تكن كليالي الأنس.. كلا بل هي ليلة بألف ليلة في فيينا ، انتهت بهم فوق رمال أحد شواطئ تلك المدينة الساحرة.. المياه الباردة تروح وتجيء مداعبة أطراف أقدامهم بينما القمر يتبسم بخجل والنجوم ساهرة لأجل عشاق الليلة وربما البلدة بأكملها تشدو بمجانين نثروا بصماتهم في الأجواء..

ألم تمتعض وتحزن رغبة وحسرة على حفلة زفاف تمنتها ولم تحظَ بها ، وهو لم يكن كاذباً حين أخبرها مسبقاً أنها ستحظى بما هو أجمل.. وكان لها ما تمنت . اختطفها عنوة عقب زفاف شقيقته مباشرة ، وكلما انتابها الفضول وتسألت عما ينتوي كان يخرسها بقبلة ، فكانت تصمت

وتستكين متعلقه بذراعه وهي ترى داخل عينيه لمعة سعادة.. وبين زوبعة مفاجآته انتهى بها الأمر فوق مقعد طائرة حيث الدرجة الأولى ولا يكفي بل تخص باهتمام خاص لها وحدها.. كيف لا وهي زوجة القائد العظيم؟! ولم يكن الوقت مملاً بالنسبة لها كما تخيل فقد أمضت الوقت ورأسها تتمايل تباعا لتنانير المضيفات القصيرة وقمصانهم الملتصقه بحنايا أجسادهن بإغواء.. وبعد حين أتت لها دعوة بالتقدم إلى غرفة القيادة وهناك لأول مرة رأته داخل ذلك الإطار، رأت رجلاً تفخر أنها تنتمي إليه ، تسكن قلبه ونبضاته نبضه.. نبضه ، استأذن الرجل المجاور له مغادراً على عجل فتقدمت هي حتى جاورته في

وقفتها، فجذبها عنوة حتى سقطت فوق ساقيه..

رفعت ذراعيها عاقدة إياهم خلف عنقه مع

همس دافئ:

-باسل..

داعب أرنبة أنفها وخرج رده متنغماً بعبث:

-نعم يا حبيبي نعم ..أنا بين شفايفك نغم.

برمت شفتيها بدلال هامس :

-المضيفات هنا حلوين قوي !

أغمض عين وترك أخرى أثناء جوابه :

-بصراحه آآآآه .

وال " آه " الطويلة خاصته جعلتها تعبس بضيق وهي تبادله نظراته بأخرى صادمة من جديته ..

فزفر بحنق مردفا:

-يعني خاطفك وعامل لك جو سبنس وحركات وجايبك بين السحاب علشان أقول لك حاجه مهمة.. وفي الآخر تقولي لي المضيفات حلوين ! ما ده شئ مفروغ منه يا فرحة ولا حبكت تنكدي دلوقتي؟!

استشعرت خطأها فهمَّت بإصلاح الموقف على عجل:

-خلاص إمسح اللي فات ده .. وقول حاجتك المهمة.

-لا إنسي .. فصلتيني .

وبعد وصلة دلال وغزل تليق به منحها ما أرادت :

- بحبك

تبسمت بخجل حقيقي ، ليس لأن تلك أول مرة ينطق بها لسانه ، بل لأنها تحمل معها تلك النظره التي تشعرها أنها تحلق فوق السحاب.. وهي بالفعل فوق السحاب وبين أحضانه ويعترف لها بعشقها.. ماذا تريد بعد ؟!

ودائماً ما يكون جوابها في تلك اللحظات هي الاستكانة والركون فوق نابضه تستمع وتطرب بدقاته المتسارعة لأجلها.. ثم تهمس بها شفتيها بشجن وشغف يتجدد كلما حاوطها بعينيه

ودقاته.. وبغتة قطع جلستهم الحميمية الغير محمودة العواقب بصفير عالٍ فاقتحم خلوتهم طاقم من المضيفات الحسناوات؛ المتبسمات بهيام.. ساعدها على النهوض من فوق ساقيه من ثم دفع بها نحوهم ببطء مع غمزة وجملة مقتضبة:

-إستلمو بقى عاوزها .. ع رو س ة

نطق آخر كلمة بحروف متفرقة لغرض التأكيد وقبل أن تعي هي ما يحدث جذبتها الفتيات عنوة لإتمام ما طلب منهن دون السماح لها بحديث.. وحين تم الهبوط بحمد الله كان هو من ينتظرها.. طلت عليه بثوب أبيض هفهاف يلتف حول حناياها بنعومة ، جزؤه العلوي تناثرت فوقه

الوردات الصغيرة بينما السفلي أكتفى ببضع

طبقات من الشيفون الناعم مع ذيل صغير،

خصلاتها الليلكية الكثيفه تم تصفيفها على

شكل عقدة كبيرة فوق رأسها تجاورها الوردات

الصغيرة.. كانت عروساً كما طلب ورغب ، ومن

جهته كانت بذلته الرسمية أكثر من جذابة

لتعطيه الهيئة المطلوبة .. وكما دفعها هو لهن

من قبل ؛ فعلن المثل عائدين بالجميلة لفارسها

لكن بقوة جماعية أكبر.

تعثرت

وسقطت

فتلقفها هو بصدره وذراعيه

وما إن استقامت على قدميها تبسم لها برضا وامتدت يده من فورها نحو خصلاتها.. تخلصها من قيدها ، فينساب كثها الأسود الطويل فوق قدها بسحر ، تخلل أصابعها بأنامله وهمس بشغف:

-كده أحلى

من ثم ودع الجميع على عجل وزغاريد المباركة تصدح في الأرجاء بزفة خاصة تليق بالكابتن إبن الشافعي ؛ داخل صالة المطار..

وعن حفلة العرس فقد كانت بدعوة عامة.. بين شوارع فيينا ، يجوبانها سيراً بضحكات صاخبة أثارت الدهشة والتعجب في أعين قاطني البلدة..

بينما هما يحلقان في عالمهم الآخر غير آبهين

لغيرهم ، يتغنى هو بتلك الكلمات التي خصها بها منذ أن وقعت على مسامعه فباتت لا تغادر قاموسه الغزلي :

على حبك عندي ١٠٠ إثبات

شوقي مثلا بان في عيني ساعات

وبخاف وبغير خد من ده كتير

وإن سيرتك جت بنطق بالخير

وطبعك خدت منه حاجات

وأخبارك مَعَ التَّفَاصِيلِ أَحُبَّ أَسَمْعَهَا بالتفصيل

مَادَامَ أَتَفَتَّحَتْ السِّيَرَةُ أَخَدَّ وَأَدِي لِنَصَّ اللَّيْل

في حبك كل يوم في جديد ولو توحشني وإنت بعيد

بالإحساس بنتلقى مفيش حاجة إسمها مواعيد

لكزها في كتفها بخفة فتابعت هي بعد نحنحة

خجلة من عيون البشر المتابعة.. وهمسها الشجي

أخذ يعلو رويدًا رويدًا بإنسجام:

لَوْ أَقولَكَ الْكِلاَمَ هيطول حِسَّ أُنْتُ شوف بِعَيْنَك

دُوَلَ

فِي كَلاَمِ عَادِي يتقال لِلْنَاسِ وَكِلاَمَ أجمل يتقال

إحساس

بيوصل لِلْقُلُوبِ عَلَى طَوْل

في حبك كل يوم في جديد ولو توحشني وإنت

بعيد

بالإحساس بنتلقى مفيش حاجة إسمها مواعيد

تعبقت الأجواء بألحان شرقية ورقصة أولى مجنونة بين حلقة بشرية هائمة معهما..وختم الحفل بأخرى فوق الشاطئ على سيمفونية بحرية عزفتها الموجات المتلاطمة وعناق نظرات طالت بصمت.. والليلة ستنتهي بجنون كبدايتها إذ اتخذا من الرمال موضعا ، افترق جفناه على إثر همستها الخافتة:

-إوعدني ..

دار برأسه قليلا يراقب سكونها لثوان ، فاعتدل على جانبه مرتكزاً فوق مرفقه بصمت ، وعلى الرغم من جفنيها الملتقيين بهدوء وسكينة شعرت به يحثها على المتابعة ..فأردفت بشجن

وهي تفتح عينيها .. تلتفت له بدورها فيقابلها وجهه المشرف عليها:

-إوعدني إنك تفضل معايا على طول وإنك تخلي بالك من نفسك علشاني.. وعلشان تسمع الكلام الكتير اللي لسه عندي ليك.. ونعيش الليلة دي من تاني.. وعشان يكون لي منك ولاد وبنات كتير نربيهم سوا ويكبرو قدام عينينا.

صمتت لثوان ثم تابعت همسها وروحها تمتزج بروحه دون لقاء:

-وعلشان أنا ماليش حد غيرك .. وقلبي بيتنفس بيك .

همسها كان كمخدر دفع داخل أوصاله فهربت منه الكلمات والتعابير.. فمال برأسه قبل العينين ببطء ، الجبين والخدين ، الفك والنهاية لشهد الشفتين.. وهمسته الدافئة تحررت أخيرا من بين أنفاسه المتمرغة داخل عبق خصلاتها:

-أوعدك.

* * * * *

(يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً)

غادرت العجوز المريضة حياة الدنيا إلى دار الحق ، توارى جسدها بالثرى ورحلت روحها لبارئها.. غادرت الأم الحنون تاركة إياه خلفها تائهاً ،

شارداً ، ضائعاً بين دهاليز ذكرى زينتها صورتها وصوتها ، ربما ازداد مرضها وأصبحت أكثر حملاً وثقلاً فوق كاهله لكنه والله ما أشتكى يوما ولم يكن ليفعلها ، إن تناست هي ذكرياتها؛ أيامها وحنوها عليه وعلى أخيه الجاحد يوما لم يكن لينسى هو ولو بعد ألف عام.. في صحتها ومرضها كانت له كالبلسم ترطب روحه وتسقيه الحنان في كؤوس ولم يظمأ أبدا حتى بعد غياب والده منذ زمن.. كانت إمرأة بمئة رجل ، ربت رجلين حتى بلغا أشدهما فنالت حصاد تعبها؛

الأول.. فاسد وجاحد لم يكبد نفسه عناء القدوم حتى يلحق بموكب أمه الراحلة ، وحسرتاه على هكذا رجل..

والثاني.. انكفأ فوق سجادة صلاتها وبين يديه وشاحها يشتم عبيرها فيه ، يبحث عن بقاياها ، يأنب ويلعن نفسه على انشغاله الدائم.. لو فقط يعود الزمن لكان قبل الرأس والقدمين ، لطلب الصفح وأخذ الرضا مفتاح الجنان..لكان وكان.

وعلى بعد خطوات منه خلف إطار الباب الموارب كانت تراقب جلسته بسيل من العبرات تخط طريقها عبر وجنتيها.. لم تكن أحسن حالاً فتلك العجوز الطيبة كانت بمثابة نسمة باردة هبت وسط حياتها الجافه فعبقتها ، رأت فيها أماً حرمها منها الدهر وجدة تحنو عليها وتربت ، تقص عليها الحكايا فتضحك وتطرب بحق ،تناوشها وتصطحبها لعالمها فباتت جزءاً منها..

ولن تنسى أنها كانت لها الطريق الممهد التي عبرت منه لقلب إبنها فباتت ترى لمعة عينيه حين يراهما سوياً ، بسمته الراضية عنها حين تقوم بعمل ما فيعود لها بحنو أضعاف مضاعفة لما قدمته..

بسمته التي غادرته منذ تلك الليلة المشؤومة ، حين سقطت من نظره وهزت ثقتها بيديها ، لا تعلم بما تفوه ذاك الحقير حتى ظل على صمته فقط يبادلها نظرات مؤلمة تخبرها بوضوح أنها خذلته ، هدمت بلحظة ما بناه هو منذ أول يوم جمعهما سويا تحت سقف واحد.. لم تعي بحالها إلا وهي جاثية أمامه تتمسك بكفيه ، تبكي حالها وتناجيه ، تتوسله عله يمحي تلك النظرات ، هي

ليست بخائنة ولا بائعة لرجل تفديه بعمرها كله ولا يكفي .. ترغي وتزبد، توضح وتنفي ما يدور بباله ، كانت فقط تساعد أختها؛ تنتشلها من ورطتها كما طلبت ، أتت لها ضائعة ولم تكن لتتنكرها ، لكن دائما كان هو أول حساباتها فلم تكن لتلوث إسمه أو تطيح به بأي شكل من الأشكال ، تجاهلت وابتعدت وتركت الساحة حين علمت أنها هي المبغية ، وحين عاد من جديد جبنت وظنت في لحظات حماقتها أنها ستنتهي من تلك الدوامة التي سحبتها نحو الأعماق ، ولم تكن تعلم أنها قد غاصت في الأوحال إلا حينما كسر صمته دون أن ينظر لها و همس بلا حياة.

"كنتي هتروحي له بيته ! "

لم تدري آنذاك إن كان سؤال أم إقرار، كل ما أمكنها فعله التشبث به أكثر والرفض برأسها ودموعها التي زادت مع عينيه الزائغه بعيدا عنها..

من ثم غادرها.. تركها وحيدة مع بلوج الفجر تقطر ألما وينهشها القلق حين طال غيابه ، فقد رحل ليل طويل واقترب آخر يترنح وهو لم يعد بعد.. وبعد حين أتى لها الجواب في مهاتفة أختها.. تهجم على" كريم النحاس "داخل حصونه ونفوذه، بل في حجرته الخاصة ولم يتركه إلا بعد ما هشم له عظامه وأجهزته الذكية فوق رأسه وتهديد علني صرخ به بين الجدران حتى حفظته

قبل البشر، بأن يتجرأ ويمس ما يخصه فليفكر فقط وحينها سيرى..

ونتاج فعلته؛ بات ليلته خلف قضبان الحبس او ربما هو نتاج حماقتها ، وأختها ما زالت تصرخ وتضحك بجذل فقد زالت الغمة وهياج الحقير الراقد فوق فراش مشفى عبر شبكات الهاتف يعلن خسارته.. قطعت الاتصال بغتته دون حديث وانكفأت على حالها تبكيه ، تنوح وتلعن رعونتها.. فكرت سريعا ولم تجد غير" مراد " حتى تهاتفه تطلب منه العون ، لا يوجد غيره تستعين به فصديقه المقرب خارج البلاد والرجل لم يخذلها وعاد لها به بعد ساعات أخرى كادت فيها أن تموت كمداً.. عاد بحالة يرثى لها ،

ملابس غير مهندمة ، وجه شوهته الكدمات..
ولم تكن لتطلب إذناً حتى ترتمي بين ذراعيه ،
تتحسس جروحه بأناملها ودموعها لا تنضب
فقط تهطل وتقدم أسفاً ، تقسم ألا تعيدها..
وهو جامد لا يتحرك وحين صمتت ولى ظهره عنها
وتركها من جديد بيدين معلقتين في الهواء
ودمعات أصابها الجمود داخل محاجرها.. وليته
يصرخ ؛ يعنف أو حتى يضربها لا يهم فصمته
المطبق لأيام بمثابة موت بطيء ، يغادر باكراً
ويعود متأخراً وأخرى لا يعود أبدًا ، يعاملها كأنها
لا شئ.. نبذها منه وباتت لا شئ.

وكأن المصائب تجلب البعض فتأتي تباعاً.. فجاء
فراق العجوز كالقشة التي قصمت ظهر البعير..

وعلى الرغم من كل ذلك ما زال على صلابته ، تلقى الخبر بقوة.. حضر الغسل ووری فوق جسدها الثرى بيديه.. مرت أيام العزاء الثلاثة كدهر مثقل وهو على قدميه يستقبل المعزيين بين الغادي والرائح ، يقوم بواجباته كإبن على أكمل وجه.. حتى نفذت ذرات الصلابة وخارت قواه تماما وها هو فوق سجادتها يترك لدموعه العنان.. ليتعايش مع يتمه من جديد .

اقتربت بخطواتها منه حتى جثت أمامه ، تراقب عبراته المنسابة من بين جفنيه دون إرادة منه مع نشيج خافت يجاهد لخنقه فيتعثر بغصه ، فلا تملك غير مشاركته مُصَابِهِ .. فلم تكن تعلم أن الرجال يبكون سوى في لحظتها تلك ، فجميع من

عاصرت معهم حياتها من قبل تشك أن لديهم القدرة على الوجع وإحساس الفقد.. جذبت برفق الوشاح من بين كفيه ، وحين لم يرفع رأسه اقتربت هي وضمته لصدرها .. تهمس له كما كان يفعل معها دائما:

-أنا معاك.

وفي لحظته هو أضعف من أن يبتعد.. فقط شد على ضمتها واستكان بين ذراعيها.

* * * * *

أخطأت يوم ظنت أنه قد أكتفى من الهجر والجفاء.. بعد ليلة بأكملها سكن ذراعيها وشهدت أكثر لحظاته ألماً وضعفاً بين ضلوعها ، لكن

حينما شق الصباح أنفاسه ورأت مكانه خالياً ، أيقنت أنه ما زال على حاله ولن يعود لها بذلك اليسر.

وجفاؤه طال.. طال وقسى أكثر لأيام وليالي حتى باتت الوسادة ملاذاً والدمعة ونيساً.. تعاتبه بنظراتها على إبتعاده وهجره القاسي ولا تقوى على حديث.. شعورها بأنه يتحاشاها قدر المستطاع كأنما لا يطيق حتى الحديث أو النظر لها كاد أن يقتلها ، تنوي مواجهة فيقطعها هو دون بذل جهد، يكتفي بركون داخل غرفة والدته الراحلة وخلف باب موصد.. باب موصد منها هي !

وحينها لا بد من الأسئلة البيغضة أن تجتاحها

وتذبذب اوصالها.

"هل مل منك ؟ هل أكتفى! هو لا يريدك.. ما عاد

يبغي قربك.. لا تهدري كرامتك أكثر.. ابتعدي تالا

ولا تبخسي حق نفسك أكثر! "

وهنا يسأل القلب بتعجب ولوم

"وهل تقوين على إبتعاد ! "

والعقل يسيطر بقوة

"إذن إبقي جوار رجل لا يريدك ، أصبحتي ثقلا لا

يطاق يا حمقاء ، تفرضين حالك مرة تلو أخرى..

الشهم النبيل نبذك منه وقريبا سينبذك بنفسه

من عالمه"

وامرأة خلف باب موارب تودع رجلها من خلف غشاوة عينيها ، تتشبث بيد حقيبة كبيرة ويحيط بها ظلام لم ينقشع بعد.. ينبئ كل ذلك عن عقل تمكن وسيطر فبات اللجام من حقه.. وبضع خطوات حثيثة بات بعدها المكان خالياً إلا من ذرات عطرها تعبق الأجواء تعني أنها كانت بفعل ماضٍ.. والحاضر يخص رجلاً فزِع وانتفض من نومه ، استعاذ يطرد شياطين كوابيسه وظلام يشيع من حوله ويغلفه ، أثار ريبة داخل أوصاله.. تخشى الظلام هي ، يعلم ذلك ويدرك مخاوفها حين تكون وحيدة.. خطى بتعثر؛ وظلام مقصود انقشع بمصابيح مضاءة تعجب له بحاجبين معقودين ، وقبل أن يتيه أكثر أتاه

الجواب بباب فتح على مصرعيه وغرفة يملأها الفراغ.. خطوات أخرى وكان يتوسطها ، يقلب بصره في الصوان الفارغ ومنه إلى فراش مرتب لم يمس يعلوه مغلف ترك في المنتصف.. جلس على طرف الفراش بأنفاس متقطعة وقلب مثقل كأنما استنبط فحواه قبل أن يقرأه.. وحين فعل كانت عينيه تزداد قسوة وهي تلهث خلف الأسطر بينما قبضته تضم وتطبق على آخر كلمات خطتها بيدها وزينتها الدمعات:

" عارفه إنك هتتعصب وجايز تزعل أو تفرح.. مش عارفه .. حقيقي مش عارفه إذا كان ليا حق فيك علشان أطالب بفرصة تانية ولا ماكنش من حقي الفرصة الأولى من الأساس.. أنا مشيت يا

بدر ماقدرتش أكون عبء عليك أكتر من كده ،
فرضت نفسي عليك من البداية وهفرضها تاني
لو فضلت أكتر من كده ، آسفه علشان وجعتك
من غير ما أقصد ، آسفه إن ماقدرتش أكون زي
ما إنت عاوز وخذلتك... وشكرا لرجولتك
وشهامتك معايا ، شكرا على أحلى أيام عشتها في
حياتي ومش هاعيش زيها تاني.. قلبي عرف يعني
إيه حب على إيديك ، عرف يعني إيه تخاف على
حد أكتر من روحك لدرجة إنك ماتتحملش
تشوفه بيتألم خصوصا لو كان بسببك.. خد
بالك من نفسك علشان أنا بحبك ، وماتخافش
عليا أنا معايا أجمل وأغلى هدية منك "

(٢٨)

دوامة عشق

بعد مرور ٦ شهور

تمضي بنا الأيام والشهور ؛ تطوف بنا كالبرق وقتما تغمرنا السعادة وعلى العكس ؛ تطول كالدهر حينما تتلبسنا الأحزان والآلآم ، نستشعر خذلان الأيام ومن حولنا فتغدو بنا الحياة برمادية مشوشة لا نرتقي فيها للبياض ولا نغرق وننتهي في سوادها ؛ فقط معلقون بين هذا وذاك ..ستة أشهر كاملة بطولها وعرضها وهو على حاله منذ أن غادرت بيته في دجنة الليل دون علمه ؛ كأنما تعاقبه وترد له صاع قسوته بصاعين

أفقداه لذة الحياة ، لم يترك مكاناً واحداً يحتمل وجودها فيه إلا وبحث فيه بنفسه ؛ ولا جدوى ؛ تبخرت أختفت عن العالم ولا أثر ، اقتحم منزل أبيها وزوجته ؛ فتشه كل إنش فيه ونفس النتيجه ، هاتف والدها المتجبر وبكل نزق أخبره أنه لا يعلم عنها شئ ، وعلى الرغم من برودة الرجل لم يكتفِ بل قام بزيارته حينما علم بوجوده في البلاد ، تحمل التقريع والإهانة فقط ليحظى ببضع معلومات قد تخص اقارب او أصدقاء حتى يلتقط اول الخيط ولا فائدة ترجي لا أحد يعلم شيئاً ، حتى والدتها فكر فيها قد تكون ذهبت إليها ؛ لكن ضاع الأول حين قابلته صدمة المرأة وقلقها الذي استشرى في صوتها ؛

بل وقلقلها كل يوم وآخر فباتت مكالماتها متصلة دون إنقطاع تبحث وتأمل عن إجابة..هل وجدتها ؟.

وماذا يفعل رجل قيد يديه مجهول ؛ يبحث عن إبرة بين كومة من قش ، حتى صديقتها الوحيدة "لمار" ذهب إليها ، توسلها أن تريح قلبه وباله لكن قابلته حيرة الصديقة والنظرات المشفقة وهتاف تواسيه به ربما.

-أحلف لك بإيه إنها رافضة تقول لي عنوانها ، بتكلمني تطمني على نفسها وعلى البيبي لكن مش بتسمح لي أشوفها أو نتقابل .

صمت بقلب مثقل وأنفاس مهتاجة ؛ متحشرجة ، ألا يكفي فقدانها هي فاكتمل الأمر بوجود طفله

؛ الذي طالما تمناه وحين استجاب ربه له حُرم منها دون وجه حق ..وكلما مضى شهر كلما زاد اليأس وخفت الأمل وتوارى ، كيف حالها يا ترى ؟ كيف تتحمل معاناة حملها ؟ وكيف ستستقبل مولودها بعد أشهر قليلة من الآن ! ولدا كما تمنى أم فتاة فاتنة كأمها ؛ تقسو عليه ويلتاع قلبه لأجلها ؟!

-خلاص كده يادكتور ولا في حاجه تانيه ؟.

قطع شرودة الذي طال مريضته التي تواجهه في جلستها ، نفض رأسه مغمغماً بهدوء:

-لا مافيش إتفضلي وعلى معادنا بعد إسبوعين باذن الله

بعد خروجها استند برأسه للوراء يغمض عيناه

بتعب وإرهاق ، فهو لم يجد غير العمل ليغرق به

ليل نهار وإلا كان سيجن من كثرة أفكارة

المتلاطمه برأسه ، وهتاف أجش قطع خلوته من

جديد :

-انت لسه هنا مش مروح ولا ايه ؟

-شوية وهروح

حرك مراد رأسه بينما تقدم بخطواته حتى

واجهه في جلسته ؛ سائلاً بتوجس :

-مافيش جديد برضوه؟

نفى بصمت مطبق وعينين قاسيتين مع لمحة

سخرية ..أي جديد قد يحدث بعد شهور !

-ماتقلقش طالما مافقدتش الأمل مسيرك تلاقيها .

والصمت حليفه ؛ هو بالأساس يرفض الخوض في ذلك الأمر مع أيٍ كان ؛ والآخر يدرك ذلك جيدا ؛ وعلى الرغم من ذلك يتطفل حتى يدعم ويساند حتى لو ببضع كلمات لا نفع منها ولا ضرار..تبسم له ونهض مغادرا المكان ، فنهض بدوره ، يعود لمنزله حتى يلقي بجسده المنهك فوق الأريكة ، يتعمد انهاك حاله حتى ينال رفاهية النوم ؛ فلا ينالها ولا يستقطع من الراحه جزءاً ، فقط ضحكاتها ونبرتها تخترق وحدته وتدوي داخل أركان روحه ؛ فيغضب ؛ يسب ويلعن ؛ وفي النهاية ككل ليلة يمني حاله بخبر عنها .

* * * * *

خطوة واسعة ؛ هادئه ، أخرى و أخرى ، وأخيراً باب فتح وأغلق خلفه بحذر، تخلص من سترة تقيده ثم انسل بجسده داخل الفراش ، يحيط خصرها لثوان مع قبلة شغوفه طالت خصلاتها ، من ثم يمسد بطنها المنتفخ بكفه وهمسة خافتة يطلقها بتنهيدة:

-وحشتوني .

والنبرة الناعسة ترد على إشتياقه :

-مش قولت جاي بكرا ؟!

رفع حاجبه الأيسر بتهكم :

-هي دي وإنت كمان بتاعتك !

وضحكة خافتة وازت استدارة جسدها بحركة خاطفة لا تناسب من في وضعها ، تتعلق في عنقه بطفولية وتقبل وجهه أينما كان وفقط تردد بلا توقف :

-وحشتني ..وحشتني ..وحشتني

والأخيرة تصحبها تنهيدة وإلتقاط انفاس:

-وحشتني قوي

وبعد تلك الأخيرة لزمها ختمه الخاص حتى يروي ظمأ غياب شهر كامل ، وبعدها ضمة طالت عن اللازم حتى ظن أنها غفت بين أحضانه :

-لدرجة دي وحشتك ؟

-امممم أكتر ما تتخيل

رفع كفه من جديد نحو بطنها المنتفخ هامسا :

-لسه بتتشاقى ؟

برمت شفتيها وهي تضع كفها فوق كفه :

-يعني شوية ..طالعه لباباها الاتنين مغلبيني

تبسم مشاكساً ثم جذب من جواره دمية محشوة :

-شوفتي جبت لها إيه ؟

ضحكت بقلة حلية وهي تلتقطها منه ، تطالعها مخبره إياه :

-حرام عليك يا باسل دي لسه ماشرفتش وبقى عندها صندوق عرايس ..وبعدين هو مافيش أي العاب تانية بتقابلك غير العرايس !

حرك رأسه بلا فضربته بالدمية في كتفه بغيظ مكتوم فتابع هو مردفا ؛ بعد ما جذبها له عنوة من جديد :

-هما ٤٨ ساعه هنقضيهم في الخناق !

وقبل أن تزمجر او تعترض بدلال كان يقطع عنها انفاسها و...وطرقات متتالية على الباب حتى كاد أن يسقط فوق رؤوسهم جعلته يبتعد بغيظ ؛مزمجرا بحنق:

-ميييين ؟!

والصوت الغاضب يخترق الابواب والجدران:

-باسل اخرج حالاً ..عاوزاك .

خبط جبهته بتذكر.. اللعنة ؛ كيف له أن يعود قرب الفجر ويصعد لغرفته يلتقي بزوجته أولا ويترك لقاء والدته التي ربته وتعبت لأجله أياماً وليالي حتى صباح اليوم التالي ؛ يفضل عليها زوجته بئس الولد أنت باسل..و ..والكثير من تلك الأحاديث ؛فذاك هو الحال منذ أن أصبحت إقامته مع والديه ببيت واحد ؛ وكان عليه تخطي كل ذلك كما يفعل دائما بقبلة وابتسامة يصحبها تثاوب ..لكن واللعنة عليه قد نسي هذه المرة وعليه الآن مواجهة أمه الغاضبة ، وذلك يعني شيئاً واحداً ؛ تبخر أربعين ساعة من العطلة والثماني الأخرى ستقسم بين الأولى والثانية في محاولات استرضاء مميته .

أذنيه تستمع لنداء والدته الغاضب وعينيه تتابع تكتف ذراعي زوجته وساقيها المتحركين بغيظ مكتوم؛ تنتظر شرارة حتى تنفجر هي الأخرى ..زفر بقوة بينما قدماه يتحركان للباب ؛ فتحه عنوة بغيظ فقابله وجه أمه الغاضب والنبرة ساخطة:

-إيه مافيش سلام ولا حتى كلام ..خلاص بنت آمال أخدتك لحسابها !

زفر بملل وهم أن ينطق فقطعته الأخرى من خلفه:

-بلاش تحشري اسم ماما الله يرحمها في كل حاجه يا مرات خالي .

والشهقة قطعته للمرة ثانية :

-قولت لك الف مرة ما تقوليش مرات خالي دي ..إنتي فاكرة نفسك في البلد وقاعدة على الترعة !

تراخت في جلستها فوق الفراش ومصمصة شفاه ممتعضة يصحبها ضرب كف على آخر:

-دلوقتي البلد بقت وحشة ؛ ما إنتي متجوزه منها ؛ وخالي وعياله دول أصلهم إيه يعني ؟!

-فرحة !

والزعقه كانت باسمها مع النظرة الصارمة فلزمت الصمت ؛ استدار بعدها يواجه أمه من جديد وقد فاض الكيل وزاد ؛ غمغم من بين ضروسه:

-سايبه جوزك يا شاهي وجاية ليه ؟!

طالعته بتوعد ؛ فتكأ بجذعه على الإطار متكتف الساعدين والساقين ؛ يستعد لاستماع إسطوانتها المعتاده :

-بتنصفها على أمك اللي ربتك وتعبت معاك ؛ ده أنا كنت هموت وقت ما كنت في المستشفى ؛ بقى ده جزاتي يا باسل ؟

ونهنهة خافتة معبقة بدمعتين يتيمتين صاحبت كلماتها غرضها استدرار عطفه أكثر ثم رحلت عنه معلنة الخصام عقابا يستحقه ؛ فاستدار بدوره للداخل مغلقاً الباب ؛ عائداً لموضعه السابق ..تراقب اقترابه ناحيتها وابتسامتها تتسع بظفر ؛ اقترب أكثر حتى لفحتها أنفاسه ؛ فأغمضت عينيها ومازالت بسمتها محفورة بين شفتيها ؛

والثوان التالية انقطع عنها خيالاتها إثر سقوطها جانبياً على الفراش بعدما سحب الوسادة عنوة مبتعداً عنها ؛ ثم سحب الشرشف ؛ تاركاً لها الفراش خالياً ، وقبل أن يصل للباب صرخت فيه بغيظ:

-إنت رايح فين ؟!

استدار لها بشبه عاصفة ملوحا بكفه ؛ زاعقاً بسخرية:

-رايح في داهية ..تيجي ؟!

ولا رد آخر على سخطها وغضبها فقط صفع الباب عقب خروجه بعنف مهمهاً لحاله:

-جاتكو الهم .

....

والصباح يعني سفرة فطور عامرة ؛ مقادة من كلا الطرفين بالغيظ والحنق وفي المنتصف بينهما يقبع ببروده المعتاد ؛ يتناول طعامه بسكينة غير آبه لحرب الضروس الضارية ؛ الواقعه بين أمه وزوجته . ولمحة عين يمني بها حدقتي فرحة ضائقتين بتوعد ولمحة أخرى من بين القضمات من جهة اليسار يرى بها جلسة شاهي المتحفزة وساقها المهتز برتابة ..وأخيراً نفض كفيه ثم استقام واقفاً وقبل أن ينوي حديثاً كانتا تتعلقان كلتاهما بذراعيه عنوة ؛ كل واحدة من جهة . والجملتان خرجتا معا في آن واحد :

-أنا عندي معاد مع الدكتورة تعالى معايا.

-باسل وصلني عن خالتك نوجا

وهو لن يضيع المتبقي من العطلة في مجاراة غيرتهما الهوجاء ؛ وكل واحدة تريد الظفر به فقط لتكيد الأخرى ، فقد مل من تلك الحالة البائسة في كل مرة يسترضي هذه وتلك ؛ يأتي على حاله على حساب راحتهما ..رفع ذراعيه ؛ يتخلص من قيدهما بلطافة ؛ ثم نفض عنه غباراً وهمياً وانصرف أمام ناظريهما ملوحاً بكفه مع قبلة فوق السبابه والوسطى نثرها لهما في الهواء و...:

-تقعدوا بالعافية .

* * * * *

في مكان آخر حيث يبعد أميالا ومسافات ؛ حيث اللون الأبيض يلون المدينة ونثرات الثلوج تعبق الأجواء ، بينما قدح القهوة بين كفيه ؛ يرتشف وعيناه شاردة مع شاشة الحاسوب أمامه ؛ صورة ذات لقطة جانبية حيث نصف الابتسامة الصافية والفراشة الذهبيه تحط فوق خصلاتها البنيه ولمعة مقلتيها كانت تخصه ، ونصف الابتسامه تخصه الآن ؛ يدعي النسيان بينما جهازه تتخم ذاكرته بصورها ؛ يوبخ عقله عله يتوقف عن التفكير بها فيهزأ به ، والذنب ليس ذنب جهاز يحفظ صورها ولا عقل ادمن التفكير بها ؛ الذنب ذنب قلب وشم بعشقها ؛ فبات يأبى التوبه والرجوع .



-حبيبتك؟

والنبرة الدخيلة ؛ لطبيبة حديثه التخرج؛ تتدرب على يدي أحد الزملاء داخل المشفى الكبير الذي يعمل به الآن ؛ صغيرة ذات قلب غر ؛ صهباء منمشة بدرجة فتنة ؛ لا تكف عن ملاحقته طيلة الوقت ؛ تتطفل وتثرثر بأحاديث واهية ؛ ونظرة العشق بين مقلتيها لا تخفيها ؛ تظن ستناله بها ؛ وهو فقط يتخذ من التجاهل مسلكاً..والرد حتماً بنية إنهاء حديث يكره الخوض فيه:

-لا

رد مختصر دون مواجهة عيون ؛ وازى ضيق عينيها نحو الشاشه من جديد :

-جميلة جدا وناعمة.

قطع عنها تفحصها بغلق الجهاز وهمهمة خفيضة:

-نعم هي كذلك .

دارت حوله ؛ أزاحت ما أمامه من أوراق وحاجيات وجلست قبالته تتوسد المنضدة بأريحية ؛ وتلح بأسئلتها من جديد :

-ألن تخبرني من تكون إذاً ؟.

والزفرة مع زيغ النظرات عنها تعني يكفي :

-لا أحد ..فقط لا أحد .

وتلك المرة النبرة حانية ضمنت جرأة ؛ أنامل رقيقة تمرر بعبث فوق الوجه:

- لكن عينيك بهما شئ آخر!

أبعد وجهه قليلاً يقطع عنها عبثها والرد جاف حد الملل:

-كما أخبرتك روزالين هي فقط لا أحد .

وهي لا تمل ولن تبتعد بل نهضت واقتربت أكثر تلك المرة تنوي إحراز هدف :

-إذن أخبرني لما دائماً تبدو شارداً ..حزيناً ؟!

ووجهه بات أسير كفيها ؛ عينيها تتيه داخل حلاوة العسل ؛ وتتمنى فقط لو تفك طلاسمهما ، والنظرة انحدرت نحو الشفاه ؛ مع أنفاس لاهثة متبادلة ؛ غريزة رجل تناشد بالتحرر وجوارح تأبى الرضوخ لرغبات لحظية ستؤل بالندم ما إن

تنتهي ؛ وحين أوشكت الشفاه على اللقاء حد التلامس ؛ ابتعد للوراء ..من ثم انتفض من جلسته يقطع عنها أي خطط جديدة ، مخبراً إياها بإيجاز:

-لا روز..لن ينجح الأمر.

ونبرتها خرجت بضيق وهي تتشبث بذراعه قبل أن يتخطاها:

-لماذا ؟ هل أبدو لك سيئة ؟! ألا ترغب في علاقة !

-لستِ بسيئة أبدا ، وانا لا أفضل ذلك النوع من العلاقات ..

صمت ثوانٍ يتابع ملامحها مردفاً بصدق:

-المشكلة تكمن بقلبي ؛ فقدته منذ زمن واعجز عن استرداده .

صمتت بدورها تنظر له بأسى وخيبة أمل بعد ما خطى مبتعداً عنها ببسمة باهتة.. وجمتله الأخيرة كانت تخصها يوما بينما اليوم يعيد هو صياغتها لأجل الهدف نفسه .

* * * * *

حكايا العشاق دائمًا ما تبدأ بإشتياق !

وربما غضب ؛ وتحطيم كل ماهو حولك حتى تدمي أصابعك ويؤلمك قلبك فتنهار على حافة فراش ؛ تطالع من حولك المكان وتتمنى لو تسقطه حطاماً فوق رأسك ..

وهو غضب وحطم وبالأصل كان السبب اشتياق
!

اللعنه عليها تلك الرعناء؛ لقد قارب على حافة الجنون وهي السبب ؛ لو فقط يقف بصفه القدر لدقائق ويرسلها له ؛ سيدق عنقها ؛أجل ستنال العذاب ألوان على يديه وبعدها ..! وبعدها سيطمئن قلبه وتقر عينه ..زفر بضيق وهو يفكك ازرار قميصه ..الحمقاء تهاتف أختها وصديقتها تطمئنهم على حالها وصغيرها ..نعم صغيرهما الذي على مشارف الوصول دون أب ؛ فهو على الرغم من غيابهما يحسبها باليوم ؛ ربما الغد أو ما يليه او آخر إن كثر وسيواجهه العالم لأول مرة دون أن يكون بصحبته ..أين هو من كل

ذلك ؟! هل يكفيه خبراً عنها من أخت او صديقه ؛ هي تريد ذلك ؛ تصله أخبارها عبر وسيط تخشى المواجهة ؛ أنها تعلم جيدا بجثم خطأها ...جال بنظره في أركان الغرفة ؛صدى ضحكاتها تدوي ؛ هيئتها تنهض مشعثة الشعر هنا ؛ وهناك كانت تهرع له ما إن ينقطع التيار تلتصق فيه ولا تتركه فتغفو على كتفه متشبثة فيه ، ويكاد يقسم أن صوت نهنهتها الخافتة ونحيبها الصامت يدوي الآن بالمكان ...ألم تعد بحاجة لحامٍ الآن ؟! كانت فقط دخيلة على حياته وبعد ما قلبتها رأساً على عقب ولت ظهرها غير آبهة بما خلفته خلفها.

وماذا عنه ؟ أحمق ؛ أرعن ، يستحق كل ذلك

..كيف لم تلحظ حملها ؟! كيف لم تدرك ما تمر

به من ظروف لتأتي وتكتمل حياتها البائسة

بهجرك وجفائك ! من لها غيرك ياأغبى الرجال ؟

ظننت حالها ثقل وجثم عليك فسلكت طريقاً

بعيداً عنك؛ لو تفتق ذهنك حينها لأدركت ما قد

تؤول له الأمور..

والكثير الكثير من ذاك الازدحام يتخبط داخل

رأسه ؛ حتى كادت أن تنفجر بفعل الصداع

وبفعل ذلك الزحام المتعب ..مال برأسه للأسفل

يحتويها بين كفيه ؛ يمسح عنه تعبه الداخلي

والخارجي ..و

وطرقات متتالية بتناغم سريع ؛ أجفلته بغرابة

وتعجب فالساعة قاربت على الفجر، تحرك

بتثاقل مغلقا خلفه باب غرفتها ، وحين فتح

قابله وجه الجارة الودودة ؛ اقتنص بسمة هادئة

قابلها بها ؛ اختفت ما إن لاحظ تجلجل المرأة

وقبل ان يسأل أتاه الجواب :

-مراتك تعبانة ..شكلها بتولد !

وعقب جملتها رفع بصره نحو باب الجارة بغتة ؛

ولا يقسم فقط بل يؤكد ان همهمتا حقيقية

ويسمعها بوضوح من خلف ذاك الباب المفتوح ؛

عاد لها ببصره ودون وعي اخذت قدماه تتحرك

بآلية بينما يضرب مسامعه كلمات المرأة المردفة

خلفه:

-ماتزعلش مني يابني هي لجأت لي وطلبت ماحدش يعرف مكانها ماقدرتش أكسفها أو أكذب عليها بعد ما وعدتها

وكأنه عزل عن العالم الخارجي وأصبع داخل فقاقيع معزولة ؛ كل ما حوله يبدو غير حقيقي ؛ وفقط ضجيج يعث داخل رأسه أكثر وأكثر؛هل كانت طيلة الوقت هنا ؟! على بعد أمتار قليلة منه ! ..صورتها فوق أريكه ببطن منتفخ ؛وثوب فضفاض يكسو جسدها بينما يعلو خصلاتها الذهبية وشاح صغير ؛ تجلس بتململ متألم وملامح متغضنة مصحوبة بتآوه وعضت شفتين قاسية ..يقترب خطوة فيعلو نحيبها أكثر ؛ حتى أشرف عليها من علو يطالعها بجمود بينما عينيه

مصوبة عليها وهي تبادله نظراته تلك بأخر مضطربة ..وحين هتف بهسيس خطير كانتا قبضتيه تتكوران بقسوة في جانبية:

-طول الوقت كنتي هنا ! وأنا مابطلتش لف حوالين نفسي لشهور..حلال ده ولا حرام اللي بتعمليه فيا ؟!

والنحيب مع سيل العبرات يعرف طريقه جيدا عبر وجنتيها والهمسة بإسمه تعني الكثير:

-بدر..

ولن يصمت ، فكل ما قام بكبته طيلة شهور الماضية وحبسه بين ضلوعه حتى بات موجع حد

الألم ؛فجرته هي بهمستها تلك ، لذا عاد وزعق

..صرخ ورج الجدران:

-بدر إيه وزفت إيييه ! إنتي عاوزه تجننيني !!

وكفيه يطوحان في المكان كيفما شاء ؛ بغضب

يتأجج بداخله وحنق يكاد يفتك به ..وصمت

ينظر لها من علو بعيون مقادة كجمرتين

مشتعلتين وأنفاس لاهثه بفعل حممه الداخلية..

وحين شعرت بأنفاسه الساخنة تلفح بشرتها

بقوة ؛ انهارت بالفعل والنحيب تحول لصراخات

مكتومة يفلت أغلبها فيدوي في المكان رغما عنها ؛

وتلك المرة غمغمت من بين شفتيها :

-أنا خايفه ؛ ماتزعقش !

والصرخة ترج الحارة بأكملها:

-وهو انا كده بزعق ؟!!

وأكمل مردفاً بهياج وسبابه متوعدة:

-تعملي عملتك وترجعي تقولي خايفة !بس المرة دي عديتي كل الحدود وقسما بال..

وكأن الرؤيا بدأت تعود لطبيعتها بعض الشئ الآن فقط، فقطب جبينه وحاجبيه في استهجان ؛ مستفسراً بصدمة وقد خفضت نبرته تلقائيا:

-إنتي بتولدي ؟!

والهزة كانت "بنعم " مصحوبه بتآوهات مكتومة وهمهمة ينضح منها الألم ؛ وفوق كل ذلك نحيبها المستمر..الآن فقط استيقظ ووعي لحالتها

المروعة ؛ فاقترب أكثر يساعدها على النهوض في عجل مخبراً إياها بإقتضاب :

-لازم نروح المستشفى.

وبعد جملته ومساندته تركت ثقل جسدها عليه ؛ تحاول استجماع قواها فتفرقها آلآمها المستعصية ؛ وهو يتحرك سريعا يتخطى منزل الجارة قاصداً منزله ، يبحث عن شئ ملائم لترتديه حتى يذهبا على وجه السرعه ؛وعاد غضبه وتأجج حين واجهه الصوان الفارغ فتذكر أنها حين رحلت أخذت جميع ملابسها .. أوقفته صرختها القوية مع السائل الدافئ ؛ المتدفق بغزارة بين وركيها ، على أثرها جاءت الجارة تهرول لهم من جديد بعد ما قررت تركهم

بمفردهم ظنا منها هناك متسع لتسوية حساب الشهور الماضية ؛ وهو ينهي الأمر بجملة واحدة:

-مافيش وقت هتولد هنا ..تعالي ياست معالي ساعديني

وهي مستلقيه كما امرها تراقب تحركاته السريعة والصرخة تلك المرة خرجت مضطربة بخوف متهدجة بألم:

-بدر أنا خايفة !

وازى نبرتها اقترابه السريع ؛ يمسح جبينها المتعرق بقطعة قماش؛ والدموع محاها بآنامله وهو يهمس لها بطمأنينة:

-ماتخافيش ..انا معاكي مش كده

وهزت رأسها الاخرى جعلته يعود لموضعه يبدأ مهامه وتقترب منها المرأة ؛ تضم وتوصي بتحمل .. وعضة قوية فوق قطعة القماش صحبها دفعة قوية ..وأخرى ..وأخرى

وبعد دقائق بين جدران تلك الحجرة التي تخص والديه ؛ وكما صدحت صرخاته فيها من قبل ثلاثين عاماً ؛ فعلها إبنه من جديد معلنا عن قدومه ..بينما صدحت زغرودة الجارة مع هدوئها وسكونها وثغره المنفرج ببسمة صافية ؛ لف الصغير بمنشفة كانت تجاوره ثم حمله بين ذراعيه ؛ هامسا له كأنما يسمعه ويفهمه:

-مصطفى بدر مصطفى زهران

وحين انتهى من الآذان والإقامة في أذني الصغير؛ تحركت المرأة تنظف المكان من حولهما بينما هو اقترب نحوها أكثر؛ يدعمها بذراعه حتى توسدت صدره والآخر كان يحمل به مولوده ؛ طالعته بعيون غائرة بدموع فرح ؛ فوضعه لها برفق بين ذراعيها ؛ تتأمله بعشق يخصه منذ أن كان مجرد نطفة داخل رحمها ، تلك الملامح المنمنمة تخصها ؛ قطعة منها ..طالع دموعها فوجدها عادت تهطل من جديد فمحاها برفق ؛ بينما ذراعه يلتف حول كتفيها يحيطها والصغير معا ؛ رفعت رأسها تنظر له بأسف ؛ عتاب وامتنان في نفس اللحظه ؛فاقترب أكثر حيث ارتكن بجبهته فوق جبهتها وهمسته تلك المرة كانت لها وحدها:

-ماعنديش أغلى منكم ..بحبك يا أم مصطفى

وضحكتها الواهنة امتزجت بضحكته ؛ تدفن رأسها في تجويف عنقه وتهمس له بدورها:

-وحشتني..

والضمة التالية تصرح بإشتياق ؛ والقبلة تصرح بإعتراف ، وعن النظرة فكانت وستظل مرفأ الأمان .

* * * * * *

" بعد مرور عامين "

داخل أروقة أحد مراكز التسوق الأكثر شهرة في البلاد ؛ في ركن قصي تحديدا كان يدور نقاش انثوي محتد:

-أنا عايزه أدخل سينما بقالي كتير مادخلتش

-مرة تانية يا لارا دلوقتي معانا تالي أكيد مش هعرف أركز

نفخت الأولى بضيق فضحكت الاخرى لإعتراضها الطفولي؛ فهتفت الثالثة بضجر:

-أنا بقول نروح كفاية كده رجليا ورمت من اللف

طالعت روان صغيرتها ذات الثلاث سنوات داخل عربة التسوق مغمغمة:

-انا بقول كده برضوه ؛ تاليا عايزه تنام

زفرت لارا باحتجاج:

-اوووووف أنا أصلا إيه خرجني معاكم ، مملين بشكل لايطاق



لكزتها روان في مرفقها موبخة:

-احنا خرجنا اصلا بعد وصلة زن معتبرة منك ؛ مالها قعدت البيت مع فيلم أبيض وأسود وطبق فشار وتحابيشنا إياها ، طيب والله أحسن من السينما ألف مرة

ضحكت بتهكم فعادت تزجرها من جديد ؛ بينما تلك الاخيرة تطالعهم بملل وعيون تناشد النعاس :

-خليكم إتخانقو؛ انا وتالي مروحين ، ده فاضل شويه وننام على روحنا يا بشر

وبعد مناوشة صغيرة هممن برحيل قبل أن تخبط أصغرهن جبهتها بتذكر:

-يوووووو نسيت اللي ماما قالت لي عليه ..هروح أجيبه في السريع

وعقب كلماتها سحبت إبنة خالتها من ذراعها على عجل حتى تصحبها ؛ بينما الاخرى الواقفه تتمتم لهن:

-إنجزو طيب.. وانا حستناكم برا

ومداعبة لأنف الصغيرة الشبه ناعسة داخل العربة قبل أن تدفعها ببطء متحركة بها نحو الخارج ..وشرود مع عروض تخص منتجات جيدة نتج عنه تصادم سريع..واستدارة مباغتة لكلا الطرفين مع إعتذار سريع لكلاهما:

-آسف.

-آسفه

لم يتوقف الزمن في لحظتها ؛ أو ربما هو لم يمضِ من الأساس ، فالنظرة هي ؛ واللمعه هي ؛ والخصلات مجمعة في عقدة عالية لكنها هي بذاتها لا يمكن ان تتيه عنه ..وعنها ..صوته هو ؛ دفء العينين هو ؛ وتلك الهالة المحيطه به أينما ذهب مازالت كما هي ..وعودا حميدا لزمن التصادف الجميل ..

وبعد دقائق لم تطول حاول الخروج من حالة التيه المسيطرة على كليهما فكان هو المتحدث أولا:

-إزيك؟!

وتذبذب حدقتيها كادتا ان تفضحاها

فأخفضت بصرها تلقائيا متنحنحه بخجل ؛

مردفه بهمس:

-الحمد لله على كل حال ..إزيك إنت يادكتور؟

ولفظ "دكتور" تعني أن الشهور والسنوات الماضية تركت بصمتها على كلاهما مهما أنكر لقاء المقل ذلك..فهمهم بدوره:

-الحمد لله

والنظرات التالية تمر فوق تلك التي بصحبته ؛ وبين عينيها سؤال يخصها فضح رغما عنها ؛ ولم يخفى عليه كل ذلك ؛ وحتى يريحها قدم لها الجواب؛ دون سؤال بإختصار سريع:



-غزل

(٢٩)

عشق باق

تشريح جثة الحب

وتشويه البقايا

فلا تفعل..

ولن أفعل

بدأنا الحكاية

قبل الفراق

أنقياء

فلننه الحكاية

بعدالفراق

عظماء

تمضي بنا الأيام والسنون ؛ تأرجحنا تاره وتعود

تسقط بنا تاره ، نضحك ..نبكي..نتألم ونشتاق ..

نفارق البعض ونعود نلتقي بهم ؛ فندرك حينها

كم هو صغير ذاك العالم المحيط بنا ؛ وحينها

فقط نشعر ان الأيام لم تمر لم نتغير ونتبدل ،

بل عاد بنا الزمن حيث توقفت النبضات وتآلفت

؛ حين تركنا أرواحنا هناك معلقه وغادرناها

مرغمين ؛ فدارت بنا دوامات الحياة وعادت

حيث نقطة البداية ..حيث لقاء مقل حائرة ؛

وقلوب نابضه بوله غشاه الألم ..حيث هي وهو

وتعارف لم يكن في الحسبان:

-غزل

تزوجت ! وتلك الصغيرة هي إبنتك أليس كذلك ؟! وجدت من تنسيك ذاك العشق الذي لطالما تفوهت به حتى ظننت أنه باقي حتى أبد الدهر !

كل تلك أسئلة وأكثر كان يجيش بها صدرها وأكثر ؛تصرخ بها داخليا وقبل اللفظ تموت وتعدم فلا يخرج منها حرفا ، بينما مقلتيها معلقتين بالصغيرة في إنشداه ؛ وحين همست: قالتها بتيه وفقط:

-بنتك !

تقطيبة جبين وازت رأسة الملتفة قليلا ؛ يطالع الصغيرة المحمولة بين ذراعيه ؛ وقبل أن ينطق هو؛ خرج الجواب من الصغيره نفسها ..

والجواب تمثل في زمجرة وذراعين ممدودين بإشارة حيث أحدهم يقترب من الخلف وهمسة "بابا " تخصه

وبابا كان يراقب المشهد على بعد خطوات قليله بإنشداه هو الآخر؛ قطعته صغيرته المدلله بزمجرتها المعتادة حين رأته ..واقتراب يوازي حملها ونظرات متوجسه بين أخيه وبينها ..والنبرة مع المصافحه السريعة كانت تخصه تلك المرة:

-دكتور لمار..إزيك ؟

إقتحامه وتلهف الصغيرة له ؛ منادته ونعته بأبوه

تخصه قطع عنها شرودها وأسئلتها الصاخبه ،

بالإضافه لذاك الشبه الكبير بينهما والغير

ملحوظ بالنسبه لها إلا الآن..ورغم ذلك

إستعادت رزانتها بمهارة عاليه والرد بإبتسامة

هادئة :

-الحمد لله يا كابتن بخير..

والبسمة التالية خصت بها الصغيرة مع مداعبة

سريعة لأرنبة أنفها الصغير ؛ فتبسمت لها

بدورها :

-جميله قوي ماشاء الله..ربنا يحميها

طالع باسل طفلته ذات العامين مبادلاً إياهم

ببسمه هادئه ونظرة عادت وحطت فوق الصغيرة

الأخرى داخل العربه ؛ وسؤال مشابه خرج منه

وربما كان يثير حيرة الصامت الآخر:

-دي بنتك ؟!

سخرت مع حالها فالموقف المحرج يستدعي

للجميع التغافل عن مفارقة الأعمار ومع ذلك

سرعان ما نفت بهزة رأس هادئه وهمهمه

خفيضه:

-تاليا بنت روان ..بنت خالتي

أبعدت خصلة شارده وقعت فوق أهدابها ؛
وأردفت بهمس بعدما تركت عينيها الصغيرة
وصوبتهما نحوه :

-جات للدنيا على إيدين دكتور إسلام

ودكتور إسلام يكسر صمته ويتقدم خطوة ؛
يداعب بآنامله رأس الصغيرة ويطبع قبله
صغيرة فوقها ..مغمغمًا بنبرة أجشه:

-ماشاء الله كبرت ..

وإيماءة صامتة كانت ردها وقبل أن يعود
لموضعه ويخيم الصمت الحائر من جديد ..كانتا
قد عادتا الفتاتين ولم يكن هناك داعي لتعارف
جديد ؛ فجميعهم على معرفه سابقه ؛ واكتفت

"لارا" بنظرات ساخطه لكلاهما بينما "روان" همهمت بتحية خفيضه مع إيمائة راس هادئه ؛ وعقبها هممن برحيل سريع تحت أنظارهما وجمل وداع مقتضبه.

....

داخل عربة الأجرة ؛ يجلسن ثلاثتهم في الخلف وحليفهم الصمت ..عائدة برأسها للوراء ؛ تداعبها نسائم الهواء البارده الممزوجه برائحة البحر؛ تسحبها لرئتيها بقوة ثم تعود تطلقها ببطء ؛ لعل برودتها تمتزج بما داخلها من حرارة فتهدأها ولو قليلا . كم كانو صادقين حين قالو أن الدنيا صغيرة بل هي صغيرة درجة لم تكن لتتخيلها يوما . بعد كل ما حدث وكان . تأتي

وتصطدم به عبر المصادفه ، تلتقي بعينيه وتشتم رائحته من جديد ؛ رباه ! الم يئن للجراح أن تندمل بعد ؟ تركت مشفاه منذ زمن وإبتعدت عنه وعن ذكراه للأبد .. لماذا إذن كلما تناسيته يزور أحلامي وحين أتعمد نسيانه ألقاه بعيني ؟!..

إنحدرت دمعه يتيمه فوق وجنتها فقطعتها بقسوة ..

" لا لن تبكي يا حمقاء ؛ لا يجدر بك ذلك ! لقد تخلى عنك في أكثر أوقاتك حاجه له ؛ يتغنى بعشق ثم يتخذ من الهجر مسلكا "

وتعود النفس تحط فوق مرفأ المبررات وربما حتى ترضها كعادتها

"وماذا كنت تنتظرين غير الهجر ! كاد أن يخسر أخيه وأبيك ومن معه السبب بشكل أو بآخر كان سبب لما حدث معه.. وأنت لم تعودي الطبيبة إبنة المهندس بل كنية" المجرم "أصبحت تسبق إسمك .. من يرضى بك من الأساس حتى تنتظرين منه ذلك ؟!"

تبسمت ساخرة لكم خطاب قصدو باب منزلهم المتواضع وما إن يكشف المستور حتى يفرو هاربين ولا ترى بعدهم حتى ظلهم ..لكن والحق يقال هناك من ينتظر إشارة منها "صلاح " صاحب محل الأحذية المجاور لمسكنهم ؛ ورغم أنه متزوج بالفعل إلا أنه مازال يعرض خدماته وبسخاء ؛ يطمح لإنجاب ولدا يحمل إسمه ويرث

ما يملك ؛ فزوجته عاقر وهو يبحث عن اخرى
تمنح له ما يريد ولم يجد أفضل منها رغم
معرفته بقضية أبيها والذي مازال بين جدران
السجن ..أبيها الذي زاره المرض ذات يوم وطلب
رؤيتها على وجه الخصوص ولم تكن لترفض ؛
ذهبت مرة وإثنان وثلاث حتى أصبحت زياراتها كل
إسبوعين بشكل دوري بعد ما ساءت حالته أكثر
وإشتد عليه المرض..تجلس بقربه ؛ تقص أخبار
والدتها وأختها اللتان ترفضان زيارته ولو لمرة
واحده وهو أصبح يكتفي بأخبارهم منها ولا يطمح
بأكثر؛ تطعمه بيدها و تطمئنه على حالها ؛
يتبسم لها بإنكسار ونظرة أسف أصبحت تلازمه
كلما زارته ؛ يعتذر عن مستقبل أراده أفضل

وظن بكثرة المال سيزدهر ويعلو قدرة ؛ طمع لا ينكر وكانت النهاية قاسية بقدر ما كان يفعل ويغفل عن فظاعته ..وما يكون منها غير أن تتبسم له في النهاية ؛ ثم تودعه بقبله حانيه فوق الجبين وعلى الخدين قبل أن يعود لمحبسه على وعد باللقاء قريب ..وغدًا هو اللقاء القريب .

....

تحركا بدورهم ؛ يجاور أخية داخل سيارته وفوق ساقيه تقبع غزل الصغيرة ..عاد من غربته منذ إسبوع فقط بعد غياب عامين كاملين ؛ إكتفى فيهم بزياراتهم له كل حين وآخر ، ومؤخرا بات الجميع يطالبون بعودته ؛ حتى الجده الحنون تهاتفه وتبكي تريد رؤيته قبل أن يأخذ الله أمانته

، وبدوره كان قد مل الغربه وأكتفى منها فحزم حقائبه وعاد تاركا قرار العوده لها من جديد لبعد حين ..عاد حيث أحبته جميعهم من حوله ؛ حيث مشفاه وإستقبال حار من زملاء وموظفين حتى مرضاه لم ينسوه ؛ عاد ومازالت ذكراها تفوح في الأرجاء رغم غيابها ؛ فهنا كانت تسير دائما وهنا كانت جلستها المفضله مع قدح قهوتها ؛ وهناك كانت تلتقي بصغارها مع بسمتها الحانيه ..عاد بجسد وعقل شارد على الدوام ؛ ليجد قلبه مازال معلقا بها يتيه ويبحث عن طيفها ؛ وصادفها اليوم ليجده باق على عهد عشقه ...

وذاك الذي يجاوره كان يراقب ملامحه المتقلبه ..متغضبه ..ثم ساخره..وأخيرا شارده كعادته التي أصبحت تلازمه منذ زمن ليس ببعيد ، كانت رأسه تتحرك تباعا له والطريق ؛ وعلى مايبدو لم يكن شاردا لدرجة لم يلحظ حركات أخيه المغيظه ؛ فزعق عنوه حتى أجفله :

-في إيه يا بني ؛ روشتني ، ما تركز في أم الطريق قدامك.. وبلاش ترغي أنا أصلا مصدع

رفع حاجبيه معترضا بتهكم هاتفا بدوره :

-وأنا إتكلمت ولا فتحت بوئي

وزفرة كبيرة من كلايهما دون تحديث بعدها حتى ترجلا من السيارة ..تقدم هو أولا بالطفله النائمه

تركها بين ذراعي والدتها برفق وكان الآخر يتبعه

حاملا ما إبتاعه ؛ تاركا إياهم بين يدي الخادمه

متقدما بدوره حيث الجميع وسط الردهه

...تقدم إسلام مقبلا كف الجده المتغضن بحكم

السنين هامسها بشقاوة:

-وحشتيني يا طمطم

ربتت على رأسه هامسه له بدورها:

-ربنا ما يحرمني منك ياقلب طمطم

إنضم بعدها لأبيه وعمه الجالسان جانبا

منغمسان بحديث شيق..بينما تقدم الآخر يقترب

من المشهد الأكثر تكرار منذ ان تزوجت .. متربعه

الساقين بملابس بيتيه مريحه فوق الأريكه بين

كفيها حزمة محارم ورقيه بينما عينيها ووجنيها ومعهم أنفها جميعهم صبغو بالأحمر ..وذلك يعني شئ واحد ؛ أخته المصون قد تشاجرت مع زوجها المبجل ..

إرتمى فوق مقعد مجاور مغمغما بملل:

-عملتي إيه تاني في الراجل يا فوزيه ؟!

رمقته شذرا ولم تجيبه إكتفت بولادة عبرات جديده ..فتقدمت فرحة منه ؛ بعد ما تركت الصغيرة بغرفتها ؛ جلست فوق ذراع المقعد خاصته ؛ تجاوره وتلكزه برفق معنفه إياه بزمجرة:

-إستنى بس يا باسل ده الموضوع شكله كبير المرة دي ؟!

حركت ساندي رأسها تؤكد حديثها ..وكان إسلام قد عاد إنضم لهم من جديد حين هتف:

-إيه ده في إيه ؟ مالك ياسو

وسو أخير تفضي ما في جعبتها بنهنه ونشيج خافت:

-تخيلو ؛ تخيلو واحد من أصدقاء البرنامج قالي إنتي جميله قوي يا ساندي وبما إنه من الفانز وكده رديت بحسن نيه إنت أجمل يا محمد ..البيه بقى عملها مشكله من مافيش ومكبر الموضوع من إمبارح ؛ خنقني يا إسلام فسبت له

البيت وقولت له في مسج رايحه عند ماما أريح أعصابي يومين ؛ وبقالي عشر ساعات أهوه وتخيل ماكلمنيش ولامرة!

حك إسلام مؤخرة رأسه في تفكير مغمغما:

-لكن ما طلبش أنك تسيبي البرنامج صح ؟!

كاد محجر عينيها ان يلفظ بؤبؤها خارجا وهي تزعق:

- و هو يقدر !

-دلع بنات ماسخ!

كانت النبرة تخص الجده الممتعضه بشفتيها و هنا تدخل تؤمها زاعقا بها بنفاذ صبر:

-يعني غلطانه وبجحه كمان ..ده الراجل كتر خيره إن لسه باقي عليكي بعد كل عمايلك دي ..وأكيد طبعا لسانك حدف كام شتيمه من بتوعك لزوم القنعره الكدابه اللي عايشه فيها ..ده انتي لو مراتي كنت طلقتك بالتلت يا شيخه

أجهشت في نوبة بكاء عنيفه بعد ما إرتمت بأحضان والدتها ؛ والتي وبخته بدورها قائله:

-بدال ما تقف في صف أختك ؛ حبيبتك وتنصفها جاي عليها !

وأخذت تربت وتهدئ فيها فنهض هو بعاصفه حانقه مخبرا اياهم قبل أن يصعد ويتركهم فكل ذلك يزيد غضبه وحنقه :

-أختي محتاجه تأخد على دماغها ؛ كل إسبوع بحوار شكل دي حاجه تشل

رفعت رأسها لوالدتها بضيق ؛ هامسه:

-مهيب هايطلقني بجد يا ماما !

-ولا يقدر يعملها يا سو إهدي إنتي بس يا حبيبتي

عادت الجده تمصمص شفتيها بإمتعاض بين ؛ بينما رمقهم إسلام بعدم رضا ثم إستل هاتفه ، مخبرا إياها بصرامه:

-هكلمه أعزمه على الغداء بكره بس قبل ما يجي لنا قعدة طويله مع بعض

وافقته بإمائه صامته ..فهي رغم كل شئ تحبه ؛ يكفي أنه يتحمل مزاجها المتقلب وشخصيتها

القياديه معه ؛ يأتي على حاله كثيرا لا تنكر يعشقها ويهيم بها مثلها تماما ؛ لكن لو فقط لا يفقد كلاهما صبرهما في كل مشاجره لهما لما كانت تبيت بين أحضان والدتها أكثر من أحضانه

.

* * * * *

والبيت المصري له طقوس ؛كرائحة فلافل مقليه كل صباح أو صوت الست يصدح من الشرفات ؛ وربما وجدناه في نبرات أم حنون تيقظ أبناها بتمهل حتى يلحقو بيومهم الدراسي ، وتفاصيل كثيرة تخص الصباح وأكثر منها يخص المساء ..مساء تم ضبطه وبرمجته منذ شهور طويله فباتت طقوس لا شر منها !

والشر هنا يتمثل في زرقة عينيها المشتعله بغيظ وغضب ؛ هل ملت ؟! لا أبدا فالملل بالنسبه لمن في وضعها يعد رفاهية ..فقدت جارتها الحنون حينما إنتقلوا من حيهم المتواضع ذاك وقطنو في هذا الراقي ، بعد ما حول شقتهم القديمة لعيادة خاصه ؛ يذهب لها يومي الخميس والجمعه ؛ يقدم خدماته بسخاء لأهل حارته وجيرانه ؛ مقابل أسعار رمزيه ؛ وباقي أيامه على عهده داخل المشفى ..وعن المساء المفترض أنه خاصتها لكن مساءها حدث ولا حرج ؛ تمثل في فيلمه الأثير" أمير الدهاء " مع عشاء مفتخر يسد به جوعه طيلة نهاره ؛ وعقب عن ذلك "كرش"يبرز دون خجل بينما يهدد بالإنضباط وإطلاق

صافرات الإنذار وإلا سيتحول الوضع لكوارث ؛

وبعد ذلك يأتي دور قدح الشاي الثقيل ؛

ومداعبة مع مزاح للصغير قليلا قبل أن يغفو ؛

وقبل نهاية الفيلم بعشر ثوان يكون قد رحل

بدوره لعالم الأحلام وإنتهى ..وتظل هي كحالها

كل ليله ترتكزبوجنتها على كفها المكور ؛ وحيده ؛

بصحبتها الملل وفقط لا جليس ولا ونيس ..

وعلى ما يبدو غضبها تفاقم الليلة ؛وربما أختها

من زادت من وساوسها بعد زيارتها اليوم ، فهي

تأتي لزيارتها كل حين ، نعم تشوب علاقتهما

بعض المناوشات الدائمه لكنها أصبحت على

الأقل ترتقي للقب أختها ؛ خاصتا بعد زيارة

والدها لها بعد ما وضعت صغيرها بأيام ؛ أتى لها

محملا بالهدايا ؛ باق على غضبه وسخطه لكن يكفيها أنه قرر مد جسر تواصل بينهما ؛ فتزوره هي حين يكون موجودا وتتلقى منه المهاتفات الدائمة ؛ ومع أمها نفس الحال ، حادثة إختفائها ربما كان لها الأثر الطيب عليهما فبات كلاهما يسأل عنها وإن كان عبر الهاتف ؛ يكفي أن تشعر بوجودهما في الحياة ..وعودة لحاضرها الممل ..زعقت فيه قبل أن يتخذ من النوم موضعا:

-وبعدين بقى إقفل الزفت ده وبص لي !

زفر بحنق وضغط على زر الأغلاق حتى يخرس التلفاز علها ترتاح وتهدأ ، إعتدل في جلسته حتى

واجهها بعيون ناعسه ، مشبكا أصابعه بنفاذ

صبر:

-أفندم..قفلنا الزفت.. إتفضلي

إنفعلت بدورها فنهضت بعاصفه ؛ صارخه:

-زهقت وإتخنقت ؛ عاوزه أخرج أشم هواء

أشتغل أعمل أي حاجه

قست نظراته وهو ينهض بدوره يقابلها في وقفتها:

-حكاية الكوافير دي يا تالا قولتلك ألفمرةإمحيها

من دماغك ؛ عاوزه تشتغلي إنزلي المستشفى وانا

متكفل بتدريبك غيركده إنسي

وتعود بنفس الجواب من بين ضروسها:

-مش بطيق المستشفيات ولا جو العيانين طول الوقت ، فيها أما أشتغل الحاجه اللي بحبها بدل قعدتي دي ..يعني هي كل الناس بتشتغل بشهاداتها ؟!

والزعقه من نصيبه:

-بصي بقى ومن الآخر موضوع الكوافير ده في كفة وطلاقك في كفه ..وعقلك في راسك يابنت الناس تعرفي خلاصك

-كل حاجه أوامر حاجه تقرررررف!

والعيون توحشت:

-ماتزعقيييش

وصرختها مدويه:

-مابزعقش

وآخر تحذير:

-صوتك مايعلاش ..نهائي

وبعد نظرة عينيه آن لها أن تتقهقر للخلف وتصمت للأبد بأنفاس لآهثه ؛ ونجدتها كان صوت الصغير الصارخ ؛ بعد ما إستيقظ بعد وصلة الصرآخ الليلية بين أبويه ، تتمنى الفرار من أمامه في لحظتها ، لكنه كان يعترض طريقها بجسده وملامحه القاتمه ، وأخيرا قرر إنهاء الموقف حين تحرك ؛ نحو غرفة أخرى ؛ غرفة تخص البيات في الليالي المشابه ؛ يلجأ إليها المتضرر منهما معلنا بذلك بدأ جولة النكد والخصام ؛ ولا يعود لغرفتهما معا ويرتجع عن

قراره ؛ إلا إذا قدم الطرف الآخر فروض الإسترضاء ..وتلك المرة حسب حالة ضمن المتضرريين ، وحين يكون هو.. هنا تكمن المعضلة .

* * * * *

"ما ذنبها ؟! "

والسؤال لم يكن من أحدهم شاخص أمامه بل هو سؤال الليلة وكل ليلة ؛ والسائل حجرات قلبه المهجورة ..؛ ما ذنبها ؟! والجواب لا يتغير..لا ذنب لها .

خدعت في أبيها ؛ وخدعت بعشق زائف من ثم جار عليها هو من جديد ؛ إبتعد دونما أن يخبرها

حتى ؛ لكن ماذا كان يبتغي عليه فعله ؟ فقد قطعت كافة الخيوط من بين أصابعه ولم يعد يملك غير مكنونات عشق يختزنها داخل قلبه خلسه؛ لم يكن ليتقدم ويمضي قدما ومن خلفه كان أخيه قد قدم وضحى في لحظات بحياته لأجل خاطره..ولم يكن ليجد غير الهجر سبيلا ؛ ينفي حاله أم قلبه لا يهم ، فقط حتى تتوازن الأمور ويتمكن من رؤية الصورة واضحه دون غشاوة ...ولكن رغم البعد وتوهم النسيان ؛ والمضي قدما ؛ ما كان يخافه بمجرد عودته صادفه ؛ وبعد رؤيتها عادت الصورة تهتز أمام ناظريه من جديد ؛ عادت نبضاته تفقد سيطرتها ؛ويختل توازنها..ببساطة ؛عاد كما كان ..

وإقتحام مفاجيء يقطع عنه شروده من جديد ؛

بهتاف مزعج:

-إيه ده ..إنت قاعد لوحدك هنا ليه ؟

-عادي رجعت من الشغل تعبان شوية فطلعت

على طول

تبسم له بخفوت وتقدم بخطواته حتى جاوره

جالساعلى الفراش ؛ مواليا له ظهره ؛ فتابع

الآخر ؛ الشبه مدد:

-عاوز تقول حاجه؟

إلتف له براسه ؛ يطالعه بصمت ويهمهم

بخفوت:

-عرفت إن ..عز الدين مات في السجن

ولم يدرك إن كان سؤالا أم إقرارا يقدمه له أخيه ؛ لذا أكتفى بغمغمه خفيضه مختصرة:

-عرفت؛ بس ما عرفتش تفاصيل .. مات إزاي؟

-من فترة إكتشفو إنه مصاب بفيرس سي وفي مراحل متأخره ومع حياة السجن طبعا ماكنش هيطول ..ومات إمبارح الصبح

همهم بخفوت فصمت الآخر بدوره ؛ تتشابك أصابع كفيه ؛كأنما يبحث عن طرف خيط ليبدأ به الحديث ،لا يعلم هل الخوض في ذلك الحديث هو من الصواب أم هو فقط دعوة لفتح جراح لم تندمل بعد ولا تنتوي على مايبدو:

-أنا وقت ما قربت منها ؛ أقصد لما طلبوا مني كده ؛ كان عندي غضب وسخط عليهم كلهم وحبيت لعبت الإنتقام وإن كده هأذي حد فيهم حتى لو كان واحد بس ؛مافكرتش في الغلط والصح ، لكن عمري ما تعديت حدودي معاها بكلمه او لمسة ؛ يمكن علشان كنت دايما حاسس إن لابس توب الكذاب والمخادع ، هي ما كنتش شبه أبوها فكنت كل ما أقرب خطوة أرجع خطوتين ، وفي أول فرصة بعدت وماقربتش تاني..هي كانت بريئة وصادقة لأبعد حد سلمت لي مفتاح قلبها بسهولة بس أنا ماسكنتوش سبته مفتوح ومشيت ؛ مشيت علشان تيجي إنت ؛ تسكن وتداوي وتقفله من تاني بس وإنت جواه

...عينيك وعينيها فضحو إللي مستخبي جواكم لما إتقابلتو

وبعد كل ما أرغى وأزبد فيه خرجت نبرة إسلام بإستسلام واهن:

-ماتلومش نفسك يا باسل انا عارف ومصدق كل كلامك ..وبالنسبة لحدوتي معاها دي مش مكتوب لها تكمل من البداية وانا خلاص نسيتها

تبسم ساخرا ومازال على وضعه ؛ ثم هتف دون أن يواجهه:

-وطالما نسيتها ماتجوزتش ليه لحد دلوقتي ؛ مش عاوز يكون ليك بيت وولاد ..ولا ناوي تبقى مراد تاني ؟!

إعتدل بغته يعدل من وضعه حتى أصبح يجاوره ويماثله في جلسته فوق طرف الفراش ؛ مقضبا ما بين حاجبيه ؛ زافرا ببطء ومخبرا إياه بإيجاز:

-وقت ما الآقي البنت المناسبه وأحس إن هي دي اللي حقدر أكمل معاها أكيد مش هفكر مرتين..

رفع رأسه ينظر له ويهمس بهمهمه حائرة:

-مش حتلاقي ؛ طالما ده لسه بيدق ليها يبقى مش هتشوف غيرها

انهى جملته وسبابته تشير لنابض ذاك الذي يجاوره ؛ رمقه إسلام بصمت ثم سأله بخفوت زاويا ما بين حاجبيه من جديد:

-والمفروض نعمل إيه علشان يبطل يدق !



ضحك وأجاب بنبرة مرحة تناسبه:

-العشق عندنا عامل زي اللعنه بالظبط يصيبنا وما فيش منه شفا ..يابني إحنا عيلة حبيبه بطبعها

إفترق ثغره بضحكة خافته بعد كلماته ؛ فرمقه الآخر بتأمل للحظات ، قبل أن يربت على ساقة بحنو ؛ مغمغما بهدوء وجدية لا تناسب مزاحه منذ قليل:

-جايز الوقت مش مناسب لكلامنا ده بس هي تعبت كتير وإتظلمت معانا إحنا الإتنين أكتر ..وأكيد محتاجه حد يكون معاها ؛ سند بعد ما إتكسرت ولسه بتتكسر ، محتاجه لك إنت أكتر من أي حد تاني خصوصا في الأوقات الصعبة

اللي بتمر بيها حاليا ...لو شايف نفسك تقدر تكمل المشوار ده ماتترددش وحتلاقيني أول واحد بيساندك ويدعمك في قرارك ده .

أنهى كلماته ببسمه هادئه وربته أخيرة وغادر بعدها بهدوء بعد ما أثار بكلماته زوبعته من جديد ؛ فأصبحت عاصفته الآن أكثر هياجا وأشد ضراوة .

* * * * *

يتصارع العقل مع القلب ؛ فتضيع بينهم ؛ ويختل تفكيرك ، يسقط أحدهما فينهض يلملم شتاته ويتأهب من جديد ؛ ولكم ربح عقله في حين كان قلبة يسقط جريح ينتفض بآخر الأنفاس ، يودعه بنظرات حزينه ويغادر تاركا إياه

بصحبتها فوق ملجأها النائي عن البشر والصخب ..كان يعلم أنها ستأتي إليه عاجلا أم آجلا ؛ فهي حين تخوى روحها ويتهشم ثباتها تأتي هنا لترمي بضعفها وقلة حيلتها لموجات البحر المتلاطمه لعلها تتذوقها فتشعر بها ..واليوم صورتها باهته ؛ لا حياة فيها ؛ تتشح بسواد قبض له روحه وإقشعر بدنه لرؤيتها بتلك الهيئه ..

والسطوة والربح تلك المرة كان للقلب وأحكام القلب ؛ ..

ما إن جاورها حتى لفحتها النسائم المعبقه برائحته المميزه ؛ وكانت على يقين أنه سيأتي يوما ما ، طال الوقت أم قصر حتما كان سيأتي ؛

ليست ثقه بقدر ماهو شعور تملك منها حتى صدقته وباتت تنتظره.. أغمضت عينيها بألم ؛ تحبس عبرات تخنقها ؛ أثارها من جديد بقدومه ، وهتافها الغاضب يحمل عدة معان ؛ أولها إشتياق ربما:

-جيت ليه ؟

* * * * *

بعد ثلاث أشهر..

النجاح والسعادة ؛ وجهان لعملة واحدة ..والنجاح تمثل في صالة كبيرة إزدحمت بالحشود والحدث ؛ حفل توقيع " حواء كما يجب أن تكون " كتيب جمع فيه عدة مقالات

تخص حواء ؛ همسها وأمانيها ؛ إحساسها ومشاعرها ترجمته في كلمات وإستحق أن يخرج لنور ...والسعادة إرتسمت فوق شفتيها وهي تمسك بالقلم بين أناملها وتذيل بإسمها داخل الصفحات ؛ السعادة تعني تلك البهجه التي إستحوذت على خافقها ..فكاذب من قال أن السعادة تعني رجل أو مال أو أي من تلك الأشياء التي لم تنل منها سوى الوجع والخيبات ؛ فشعورها الليلة ولمعة مقلتيها بدموع الفرح ترجمت لها معنى السعادة الحقيقي..حانت منها إلتفاته لهاتفها المستريح بجوارها ؛ مهما مضى الزمان لاتنكر فضل ذاك الغريب الذي قدم لها يد العون وحبل النجاة وقت حاجتها ،كانت إن

ضعفت وأصابها الهوان تفاجىء برسالة جديدة تبث في أوصالها دفعة جديدة من النشاط والحماس فتولد الأفكار وتحلق الأحلام عاليا ؛ بشكل أو بآخر يبقى ذاك الغريب صاحب فضل عليها واقل ما قد تقدمه له ؛ هي الدعوة برسالة خاصه تتمنى بها قبول الدعوة حتى تتمكن من تقديم الشكر المستحق ، ورغم أنها لم تنال رد عقب ما أرسلت إلا أن حدسها يخبرها أنه سيأتي أو ستأتي ؛مازالت تجهل هويته لكنها متشبثه ببقايا أمل ..

....

دلف للمكان بخطوات متزنه ؛ حلة كلاسيكيه ؛ سوداء بقميص رمادي باهت ، منحته تلك الهالة

التي تخصه من رقي ولباقة يليقان به ..أول من لمح بين الجموع تلك الطبيبه الناعمه صاحبة عبق الشيكولا وغمزة عين منه عقب ما بدالت نظراته بأخرى أكثر سعادة حينما إفترق ثغرها ببسمه حقيقيه لأجل صديقتها ورفيقة طفولتها ؛ رافق خطواته تتبع عيناها له وللمشهد الذي طالما إنتظرته منذ أن قامت بمساعدته خلسه ...

وعطره القوي مع ظله المشرف عليها ؛ جعلها ترفع رأسها ببطء تطالع عينيه وتمعن النظر دون إرادة ؛ كأنما فقدت شعورها بمن حولها فقط ترتكز بعينيها عليه تحملق فيه ولا تتحرك ..وبدوره يطالعها بتمعن أكبر؛ يتذكر الأمس ؛ يوما ما كانت تلك النظرات كسيرة وضائعه ؛ كان

يراقبها خلسة من خلف باب موارب وقتما كانت نزيله بمشفاه ؛ تيه وشرود نابع من ألم وقهر تحياه أنثى ؛ ولم يكن ليصمت ؛ فقط حاول مد جسور لها كي تمضي عليها فتنير روحها بالأمل وغد مشرق ؛ واليوم عينيها تخبراه أنها كانت تستحق بالفعل.. ومن البداية ؛ حياة أفضل ؛ وعالم أنقى تحيا فيه ...

ولم يخرجها من تحملقها؛ غير نبرته الأجشه:

-مبروك

عقب كلمته الممزوجه ببسمه خاصه إمتداد كفه بنسخه من الكتاب ؛ لم تجد غير أن تبادله بسمته بأخرى صافية وهي تذيل الكتاب لكن

بكلمات أخرى تختلف عن ما دونت للجميع ؛

فقط إكتفت ب

" ممتنه لك أيها الغريب "

ثم أعادته له ؛ والضحكه تلك المرة تخص عيناه

لا ثغره بعد ما قرأ كلماتها ، وحين عاد لها كانت

يده تمتد بمصافحه ونظرة بها معنى واحد ؛

تستحقين الأفضل:

-مراد الشافعي

قابلته هي بنهوض ومصافحه مع عيون ضاحكه

تماثله ؛و ممتنه له بحق :

-روان الزيان

(٣٠)

حكم القلب

ألم.. فرح.. حزن.. إشتياق.. غضب ..والكثير من قبيل تلك الأشياء التي تتوالى على روحك وتتابع، ينغرس الألم في قلبك فلا تقوى على حياة وحين يأتي الفرح بغتة يلوح بصيص أمل في الأفق، فيعود الحزن يستعمرك من جديد.. حتى تعتاده بل حتى يصبح جزءا منك؛ فتذبل وريقاتك وترى فيها الخريف وقتما تتساقط دون رادع، وحين الأشتياق يلتاع الفؤاد؛ تغضب وتسخط من حالك.. وفي النهاية تظل رهينة على الأطلال حيث الخفافيش والأشباح.. تبهت الحروف وتتيه

السطور بين الألم والوحشة، وتلك لم تكن سطور عابرة بل هي حياتها قد مرت أمامها لتو فوق صفحات المياة، حتى موجات البحر ثائرة؛ تشاركها ألمها؛ وجعها؛ وروحها الكسيرة.. تنعي شرخا كلما جبرته جاءت القاضية فتصدعه من جديد، والشرخ تلك المرة غائر، فوق إحتمالها.. ذهبت لزياردته كما إعتادت مؤخرا وما إن وصلت وجهتها حتى تلقت خبر وفاته.. وجهه؛ ملامحه الباردة بسكون، وداع أخير يعني فرآق أبد الدهر.. اخطأ وعوقب وعنها فقد سامحته مع أول دمعة سقطت من بين جفنيه وكانت ممزوجه بندم وتوبة عن كل ما كان وفعل؛ حين إستشعرت معانته وألمه لفراقهم.. نسيت كل

شيء حين أخبرها أنها مازالت طفلته ومدللته الأولى والأخيرة.. قبلت الجبهه؛ والوجنتين مع عبرات هطلت لتنعي روحها من جديد.. إسبوع كامل مضى على جسده المواري بالثرى، تلقت فيه العزاء كما يجب أن تفعل، دعت له كثيرًا في سوهاد لياليها بنيل مغفرة وجنان نعيم تسكنها روحه التائبة.

ودمعة أخيرة محتها أناملها ببطء يوازي إقتراب خطواته اليها، حتى إنتهى مجاورا لها فوق نفس المقعد.. تشتم رائحته ولو من بين مئات البشر لن تتيه عنها، أغمضت عينيها بألم تحبس عبرات تخنقها أثارها من جديد بقدومه.. وهتافها الغاضب يحمل عدة معان؛ أولها إشتياق ربما:

-جيت ليه؟

والسؤال يعني: أحتاجك.. إنتظرتك طويلا.. وتأخرت كثيرا.

-علشانك.

والجواب هنا: أشعر بك.. تؤلمني عبراتك بقدر إفتقادك.

ولقاء المقل طال.. طال بعتاب وألم فاق التحمل، بينما آنامله قررت تسابق أناملها تلك المرة وتمحي دمعة ثقيلة ولدت فشوشت الرؤيا.. وسرعان ما نهضت بصمت تلملم وشاحها المتطايركانت قد لفته حول جيدها مسبقا، وكانت له الأسبقية أيضا حين أوقف خطواتها

المتعثرة بتيه، بحجز كتفيها بين كفيه.. يثبتها؛ ينظر ويأسر عيناها الغائرة بقوة..

فتشهق مرة وإثنان وعند الثالثة كانت تتوسط صدره، تتفجر دموعها وتنتهي فوق قميصه..

وبعد حين حينما نضبت و هدأت فرائصها المرتعده كفكفتها بصمت وهي تتحاشى النظر له من جديد.. وبقدمين مثقلين سارت مغادرة، وكفها المرفوعه نحوه ترفض وبصرامه إقترابه من جديد.. لا تريد أن تعيد حسابات الأمس، لن تعدد ما خسرت فيه، لن تتشبث مجددا بأمس ضائع متساقط الأوراق.

ولو إنتظرت قليلا وإستمعت لدقاته لكان وصلها همسه وهو يخبرها..

"بين يديك اليوم سوف نجمع أوراقه وإن رحل فلديك الغد.. قد يبدو الأسود بعد إعتياده جميلا لكن الأبيض أجمل منه.. لنتمسك بخيوط الشمس وإن كانت بعيدة"

....

أجفلها وقطع شرودها الذي طال بكاء الصغير بين ذراعيها، رفعته قليلا حتى تقابل عينيه وتداعبه بعدة قبلات متفرقه فوق وجنتيه وجبهته حتى هدأ وإنفرج ثغره الصغير بضحكات طفوليه ساحره.. قطع خلوتهم ولوج تالا عليهم من جديد وسرعان ما همهمت بعتاب وهي تترك مابين يديها من ضيافة فوق منضده مجاوره:

- تعرفي إنك وحشتيه قوي يارخمه.

تبسمت لها بخفوت وهي تقبله من جديد باشتياق و تهمس بدورها :

- أنا جيت النهاردة علشان وحشني أكتر.

جلست بقربها مربته فوق فخذها برفق، مغمغمه بخفوت:

-الحزن مش هيرجع اللي راح يا لمار.. بقالك شهور من بعد وفاته وانتي حابسه نفسك مابين شغلك والبيت لا بتشوفي حد ولا بتحاولي تخرجي من المود ده.. فكري في نفسك شوية وبلاش شيل هموم زيادة عن اللزوم ربنا مابينساش حد.

-مش بإيدي يا تالا.. من وقت ما حياتنا اتقلبت وانا بحاول اقف على رجليا بس كل مرة تيجي

حاجة و توقعني من جديد.. بابا مات صحيح بس ساب جوانا حاجة مش هتفارقنا طول ما إحنا عايشين.

همست تالا بحنو:

-لمارلوحدك هتتعبي كتير وإنتم أكيد محتاجين راجل معاكم.

تجاهلت ما ترمي له وأخبرتها بإيجاز:

-خالو حامد معانا.. بيسأل علينا دايما ومش مقصر.

حدجتها بنظرات متهكمه وعادت تواجهه بوضوح:

-ربنا يخليهولك بس خالو حامد لو عاش لكم النهاردة مش هيعيش بكره.. وإنت عارفه انا اقصد ايه.. أقصد إسلام يا لمار

صمتت تنظر لها بحنق ومالبثت حتى صاحت بها معترضه:

- لا أنا مش محتاجه لا لإسلام ولا لغيره.. انا محتاجه أخد بالي من أختي علشان ما تضيعش مني.. أكون سند لأمي علشان متحتاجش لحد غيري.. ومحتاجه أركز في شغلي علشان ربنا يجازيني ومحتاجش لحد.

تبسمت لها رفيقتها بصمت تعلم أنها تتجنب الحديث عنه من القريب أو البعيد وتكره الخوض في ذلك مع أيٍ كان، لذا همت تنهض

مسرعة مخبره إياها بإيجاز مديره دفة الحديث بعيدا حتى لا تغضبها أكثر:

-قومي يلا إنت ضيفتنا النهاردة وهتحضري العشا بنفسك.

نهضت لمار بدورها وإعتراضها لطيف:

- مش هينفع يا تالا ماما ولارا مش هيتعشوا من غيري وكمان لازم أمشي حالا الساعة داخله على عشرة الوقت إتأخر.

ومع إلحاح تالا المكرر أنهت الجدال بكلمات :

-مرة تانية.. أوعدك.

أذعنت لرغبتها باستسلام .. وعند الباب كانت تودعها بعدة قبلات حين فتح الباب بغته و دلف

بدر ملقي السلام بارتباك حينما وقع بصره

عليهما:

-السلام عليكم..

تبسمت له وقابلت ترحيبه بود قطعه ولوج آخر..

آخر ماتتمنى رؤيته في لحظتها، ولم تكن صدمته

أقل منها، حيث جمد بصره وعقد لسانه برهه

حينما راها.. لم يوقظه سوى لكزة بدر لقدمه

وهو يوجه حديثه لزوجته:

-إسلام هايتعشى معانا.

وقررت هي إنهاء ذلك اللقاء السريع بقبلة وداع

أخيره فوق وجنتي تالا وخطوات سريعة يصحبها

إستإذان هامس بعيون زائغه.. وغابت عنه بباب

موصد عقب رحيلها.. فمنذ إفتراقهما منذ ذلك اليوم فوق رمال الشاطئ وهي ترفض حتى رؤيته وإكتفت بكلمات مقتضبه؛ جافه حتى تنهي محاولاته البائسه حين فاجئها بزيارة داخل المشفى الذي تعمل به بعد يومين من لقائهم..

" لو سمحت انا مش مستعده لأي حاجة ولا عندي إستعداد أفتح في دفاتر إتقفلت من زمن.. انا بمر بفترة صعبة بحاول اتوازن فيها.. وجودك حاليا بيخل بحياتي من تاني... أرجوك إبعد "

ألجمته كلماتها القاسية حينها ومالبث حتى قابلها بملامح متغضنه بإعتراض وهمهمه سريعه

" ممكن نتكلم و..."

وقطعت إسترساله بعينيها المصوبه له برجاء خالص

" أرجوك "

صمت بعد ذلك ومع هزة رأس خافته قرر منحها ماتريد، مقتنعا أنه لم يحن الوقت بعد..

أما قالو قبلًا ومن الحب ماقتل!

لكن معه يجدر بنا القول ومن الحب ما وجع..

إشتاق و إلتاع فصبر وإنتظر.

* * * * *

طيلة سنون حياتها إعتادت الترف لا تنكر ذلك، حتى مجال دراستها من ثم عملها كلا كان بدافع الشغف وإثبات الذات، لكن بعد تلك الدوامات

التي دارت فيها ومازالت، وبعد ما جردو من كافة ممتلكاتهم أضحى العمل فرض عين وأولى واجبتها، فبضع مئات من الجنيهات تتسلمها والدتها كل شهر من شقتها المستأجره؛ إرثها من أبيها قد تسد خانة لكنها حتما لا تفي بالغرض أبدا، وحتى بعد ما عادت والدتها لمهنتة التدريس في إحدى المدراس الثانوية القريبة بعد إنقطاع دام لسنوات لم يكن ذلك أيضا ليغطي مصروفات أختها الجامعية ومتطلبات البيت الغير منتهية وغيرها من المستلزمات اللآزمة، لذا عليها أن تعمل وتكدح لساعات إضافيه؛ جهد وطاقة مبذولان لم تظن أنها ستتحمل كل ذلك يوما.. لكنها ببساطه إعتادت كل هذا وها هي

تتخبط مع عجلة الأيام يوم جيد يليه غد أفضل بالإرادة والمثابره .

لكن اللعنة كلما أقنعت حالها أنها هكذا أفضل وأن ذكراه ماهي إلا لحظات ضعف عابره يأتي ويظهر لها من العدم.. حتى أخباره لا تنقطع عنها حتى لو دون قصد من لسان تالا ومراد الذي يهتم لأمرةا كثيرا وطلبه الملح الدائم في عودتها لمشفاه والذي تقابله دوما بالرفض اللطيف خشية إحراجه، والآن تدرك أنها كانت على حق ماذا لو عادت إلى ذاك المشفى وحين عاد وجدها! فقد فعلها وترك غربته للأبد وعاد لسابق عهده وذلك ما كانت تدركه جيدا.. لم يكن ليتعايش وحيدا أكثر من ذلك .

زفرت ببطء وهي تتناول عدة حقائب لمشتروات جلبتها لتو تبعها ترجل من عربة الأجرة بعد ما نقدت صاحبها.. فقد قررت فور خروجها من منزل تالا أن تذهب وتتسوق بعض من المتطلبات فالغد لديها جدول مزدحم.. وربما لأجل أن تتناسى وتعود منهكه فتغفو سريعا ولا تجد فرصة سانحة لتفكر او الغوص في ذكريات لم تعد تجدي .

صاحب خطواتها الهادئه نحو مدخل العقار المتهالك إعتراض سمج من شخص سمين أكثر سماجه:

-مساء الورد يا دكتورة.

إستدارت تواجه المدعو "صلاح" بريبه وهي تتقهقر للخلف في خطواتها وتستدير عنه من جديد منهيه تحيته بأخرى جامده:

-مساء النور يا أستاذ صلاح .. عن إذنك.

توقفت عن سيرها حين أمسك بمعصمها يمنع عنها رحيلها، فجذبت ذراعها بسرعة من بين أصابعه فتساقط مابداخل حقائبها وتبعثرت حبات البرتقال فوق الأرضية وهي ترمقه بغضب وتصيح فيه بتحذير مرتجف:

-لومامشتش دلوقتي هصوت وألم عليك الناس.

وإقترب أكثر يلفحها بأنفاس ملوثه بدخان أرجيله مقيت:

-ليه بس ياست البنات ده انا طالب القرب وكله في الحلال.

أشاحت بوجهها بعيدا عنه وهتفت من بين أسانها بقوة عله يفقد الأمل ويرتاح وينسى باب منزلها الذي لايكف عن طرقه كل يوم وآخر طالبا القرب.. وكل اللعنات تصب فوق رأسه وعلى هكذا قرب:

-قولت لك لأ يا أستاذ صلاح .. ولو إنت آخر راجل في الدنيا برضوه لأ.. إنت متجوز عيب كده! أرجوك إتفضل..

وصلاح تخلى عن جميع النساء لأجل تلك البحه الرقيقة مهما حاولت القسوة او الحده.. بل قدم آخر بطاقاته متأملا بها ربح:

-انا طلقت عيشه هي كده كده كانت أرض بور.. مش حجتك إن متجوز؟ أهي غارت مالكيش حجه بقى.. ها تحبي أكلم السيد حامد خالك ولا الست الوالده؟!

- لا هتكلم الحانوتي بس ماتقاطعش!

كانت جاحظة العينين تحملق في ذلك الكائن العجيب وفي حديثه الأعجب وقبل أن تفك عقدة لسانها كان يتدخل آخر عنها بقبضته.. ثم صفعه مدويه نالت من وجه صلاح مع سباب بذيء لأولمرةتسمعه منه لكنها إعتادت على سماعه في تلك المنطقه، أخرجها من معمعتها إستعابها لوجود ذاك الآخر وتهجمه المفاجىء مع

أصواتهم التي بدت تعلو في وقت غير مناسب لذا صاحت فيه:

- سيبه!

ولم تكن تعلم أن رؤيتها أثارت زاوبعه التي لا تخمد، وما إن ولج مع بدر لداخل بجسده بينما عقله كان يصحبها، وما هي إلا دقائق وكان ينهض فجأة مغادرا تحت أنظار صديقه المندهشه.. وله أكثر من ساعتين قابعا في إحدى الزوايا الجانبيه،مكانه المعتاد الذي يلجأ له حين يمني نفسه برؤيتها، وظل يراقب نافذتها بصمت وشرود وبعد ماخاب أمله نوى الرحيل فصطدم برؤيتها تترجل من سيارة أجرة في ذلك الوقت المتأخر بعد ما طالع ساعته فوجدها قد تخطت

الثانية عشر والنصف وحين عاد لها برأسه راى ذلك السمج وهو يتطاول عليها.. ولم يحتاج ليفكر في الأمر مرتين حتي يترجل على عجل ويشبع ذاك الحقيرمن اللكمات والصفعات..

وحين لم تجد منه ردا عادت تهتف من جديد دون تفكير:

-علشان خاطري سيبه.

طالعها بصمت إلا من حشرجة أنفاسه المهتاجه، لينفض بعدها يديه عن ياقة قميص ذاك اللزج بعنف، ليفر بعدها الرجل هاربا متوعدا بكلمات متعثره، وعاد هو لها ببصره يرمقها بحده ويصيح بها:

-بقالك ساعتين خارجه من بيت بدر عايز أعرف كنت فين كل ده ؟! وإزاي تتأخري كده!

لاتنكر أنه أخافها بنظراته القاتمه تلك وهسيسه الغاضب.. لذا خرج جوابها متوجس مقتضب من هيئته:

- انا كنت بجيب حاجات وماحستش بالوقت.

وعقب كلماتها السريعة إنخفاضها الأسرع.. تلملم ما تبعثر منها بكف مرتعد، وسرعان ما إنخفض لمستواها بدوره يجمع الثمرات مثلها بحاجبين معقودين.. وحين إنتهيا وإستقاما من جديد سألها بتهكم بدلا من ان يناولها ثمراتها حتى ترحل:

-مامتك فوق؟

والسؤال حائر بحنق:

-ليه؟

غمغم ببساطة والإبتسامة الوليده لاتناسب هيئته منذ قليل:

-عايز أشرب عصير برتقال.

ونظرته التالية تخبرها: انتهى الماضي بكل ما يحمله بين ثناياه، ومن اللحظة سنترك الضوء يتسلل من جديد.. قسرا سنعيد لقلبينا البهجة والنبض المفقود.

* * * * *

أخيرًا إنتعش جسده المجهد بعد رحلة طويلة استنزفت طاقته كلياً.. تحرك بخطوات هادئة إتجاه صوان الملابس، يفرك بآنامله خصلاته المبتله بينما جذعه عاري إلا من منشفه عريضة تحتل خصره.. بينما عيناه تراقب بعجب تلك القابعة بصمت فوق الفرآش، على غير عادتها لا تثرثر ولا تصيح بأفعال والدته المتجبره وإلتزامها الصمت فقط لأجل خاطره.. انتهى من إرتداء بنطال قطني مريح تعلوه كنزه تماثله ومازالت على صمتها، فأخذ يمشط خصلاته أمام المرآه وعينيه مازالت تراقبها.. وحين لم تتحرك ولم تناظره حتى هتف فيها ساخرا:

-ربنا يستر ليكون عقلتي من ورايا!

ونجح في كسر تقوقعها ونال على حركة رأس هادئة نحوه مع همس شارد:

- تفتكر ينفع!

-هاه!

لوحت بكفها بلامبالاة لعدم فهمه وعادت تربع ساقيها فوق الفراش وتشرد بعينيها من جديد، فقترب باسل بقلق.. يطالعها من علو ويسأل:

-فرحة إنت كويسة؟ لتكوني تعبانة ولا حاجة!

جذبت كفه بسرعة حتى جاورها فوق الفراش، ومازالت ملامحه مشدوه لحركاتها المريبه وقبل أن يضيع أكثر في أفكاره إنتشلته من جديد بملامح مبتهجه فجأة:

- بيسو عايزاك تساعدني.. ممكن؟!

وكانت ترجوه بدلال وغنج برئ، فرفع حاجبه الأيسر مستفهما:

-في إيه؟

عضت فوق شفتها السفلى قبل أن تفجر أفكارها في وجهه:

- أنا قررت أجوزهم.

-هما مين دول!

وكان يسأل ببلاهه وتجيب هي بتصفيق حاد وجذل:

- ماتركز معايا كده هيكون مين يعني.. خالو مراد وعمتو نبيله طبعا.



-نعم!

إحتقنت ملامحها من إستنكاره الواضح فعادت تهتف من جديد من بين ضروسها بفروغ صبر:

-باسل هتساعدني ولا لأ ؟!

تنهد ببطء وهو يراقب ملامحها الجديه قبل أن يعود ويحادثها من جديد:

- فرحة الموضوع مايتاخدش قفش كده.. مراد مش مراهق هيفرح بعروسة جيبهاله.. ده غير إن الموضوع ده عنده خط أحمر ومابيسمحش لأي حد يتدخل فيه، فاكره بسهوله كده هتقدري تعملي إللي أمه وأخوه الكبير ماقدروش يعملوه؟!

صمت لبرهه قبل أن يردف بحرج:

-بعدين ماتنسيش يعني مراد دكتور؛ راجل ناجح ومثقف.. بينما عمتك نبيلة يعني من غير زعل مطلقة وتقريبا مش معاها أي شهادة.. مش بقلل منها والله إنت عارفه كويس قوي أنا بعزها وبحترمها إزاي.. بس اللي أقصده من غير حساسيه مافيش توافق بينهم ويوم ما مراد ياخد الخطوة دي بجدية ليه مايختارش اللي تناسبه أفضل وهي أكيد ربنا هيبعت لها اللي يسعدها وترتاح معاه.

غمغمت بإحباط:

- نديهم فرصة بس، هفرح قوي لو ده حصل.. الاتنين محتاجين سند، محتاجين سكن لروحهم

الوحيدة.. وده مالوش علاقة لا بشهادات ولا غيره.. إنت عاجبك حال مراد كده يعني!

- مش موضوع عاجبني ولا لأ انا بفكر بالعقل.. والعقل بيقول إللي بتفكري فيه ده مستحيل.

نقر فوق جانب رأسها عقب آخر كلماته فتمسكت بكفيه ترجوه الفهم والعون:

- علشان خاطري يا باسل إحنا هنساعدهم يتقابلوا مش أكتر.. وبعد كده هنسيب له هو حرية التفكير والأختيار والله ماهتدخل تاني، أنا بس هخلق لهم فرصة يتعرفوا على بعض فيها.

ربت فوق كفيها قبل أن يتمتم آخر ما لديه بنظرات حازمه:

- مش هعمل ولا أساعد في حاجة انا مش مقتنع بيها.. وياريت تشيلي الفكرة دي من دماغك علشان زي ما قولتلك ببساطة ماينفعش.

وغادر..

نهض وغادر تاركا لها الحجرة فارغة إلا من أفكارها المتلاطمه والتي تعيث برأسها منذ أن وضعت صغيرتها غزل وكانت عمتها بصحبتها طيلة الوقت ولم تتركها وتعود للبلده حيث أبيها المسن حتى أتمت شفاءها تماما.. وكم مرة إجتمعت العائلة آنذاك وكانت عينيها لا تلتقط سوى مراد ونبيلة التي رسمت لهما معا في خيالها دروبا مهدت بالدفء والسكن كلاهما للآخر...

دروب أسقطها زوجها المبجل فوق رأسها في ثوان، لكن منذ متى وهي تستسلم؟

وفجأة أضاء عقلها بفكرة جديدة إتسعت لها إبتسامتها..

ستستعين تلك المرة بالجدة "طمطم" من غيرها قد يدعمها في أمر كهذا.. لن تكل ولن تمل حتى تنال ما أرادت ولو بعد حين.

* * * * *

الإستعدادات على قدم وساق للحفل الهام الليلة.. فاليوم زفاف الطبيب المنتظر.. لم يكن بالأمر السهل الخوض في تلك المعركة من جديد و كان لباسل النصيب الأكبر في قضية الإقناع حتى

رضخ الأبوين في النهاية لأجل خاطره.. ولكن سعادتهما المنقوصه تظهر جليه فوق ملامحهم، ليست تلك العروس ما تمنياها لبكريهم، أرادو كأي أبوين الحسب والنسب.. ورغم ذلك يحاولان إظهار شئ من البهجه والسعادة في هذا اليوم لأجله وفي قلبيهما غير مرحب بها فهي إبنة رجل يملك تاريخ ملوث وإن كان أصبح مجرد ماض، حتى لو كان لاذنب لها في ذلك كما يدعي العاشق الولهان، لا يتقبلان الأمر ولم يملكان سوى الرضوخ فقد إختارقلبه وأصدر الفرمان ولا داعي لخوض حرب الربح فيها للقلب دون غيره .

ينظر لسطح العاكس أمامه يتأمل صورته المكتمله بينما صديق الطفولة ورفيق رحلة الكفاح يضبط ويعدل ربطة العنق بتمهل وتركيز، وحين إنتهى ضربه فوق كتفه بقوة صائحا في مرح:

-عريس، عريس يعني.

والعريس يسبل أهدابه ويحيط وجهه بكفيه ثم يستخف بسماجه:

-بجد يا بيدو!

أبعد بدر كفيه عن وجهه زافرا بحنق، فمنذ أن وقع على أسماعه ذلك اللقب اللعين من بين شفتي زوجته المصون وهو لا يكف عن تلفظه

كل حين وآخر.. لكن وللأمانة شتان بين "بيدو" خاصتها و" بيدو" خاصته.. والآن لا بد من رد الصاع :

-ركز بس في اللي إنت فيه.. عايزك ترفع رأسنا مش تكسفنا وتتحجج بفتاق ولا غيره!

وقصف الجبهات نال الباسل الذي أنزل الهاتف على الفور، ضاغطا عليه بكفه حتى لا تصل غمغمته الساخطة لمحدثه عبر الهاتف:

-بقولك إيه نظام تحفيل مش عايز.. خليك في دور أم العروسة أحسن.

وعاد يكمل مهاتفته حانقا.. فقهقه الأثنان بصخب من ثم أخذ عريس الليلة يتابع سماجته

بحالميه لا تناسب هيئته وسنه، لكنه يعلم جيدا ماتفعله بالواقف قبالته:

-مش مصدق إن هتجوز أخيرًا !

ولكمه زينة فكه رد طبيعي من الصديق لسماجته الزائده ونال أيضا على هتاف حانق قبل أن يتخطاه مبتعدا:

- ما خلاص بقى ماتقرفناش.

-الله يخربيتك.

هتف بها إسلام متهكما بغضب وهو يطالع فكه في المرآة بعد ما ناله من زرقة طفيفه نتاج سماجته.

....

وعلى بعد أمتار خلف باب مؤصد كانت تكمن العروس بزينتها المكتملة، خلف المرآه تطالع صورتها بصمت..

رفرفت بأهدابها عدة مرات تمنع ظهور عبرات لعينة ستفسد زينتها؛ لا لن تبكي اليوم، يكفي لقد تعب القلب من كثرة النواح والنحيب..
ستتناسى بل يجب أن تتناسى كل ما يعكر صفاء حياتها، فقد آن للسعادة أن تطرق بابها وتطوف داخل حجرات قلبها؛ لأجلها.. ولأجله هو؛ طبيبها..
نعم هو يستحق أن تمنحه نفحات من السعادة تدغدغ بها روحه المتيمة بعشقها، فكلما إسودت بعينيها الحياة وتكاد أن تلفظ آخر أنفاسها، يأتي هو و ينتشلها من دوامتها من ثم يضمها لقلبه..

يخبرها أن هذا هو ملجأها الذي خلقت لأجله..

رباه! كم تعشق هذا الرجل؛ ستهبه السعادة أينما وجدت فهي لا تليق إلا به.

أجفلت على ضمة حنون من أمها.. تحيطها بذراعيها من الخلف وتبادلها النظرات داخل المرآة كأنما تخبرها

" يكفي حزنا.. إسعدي حبيبتي.. إبتهجي يا عروس "

قبلت رأسها وهمست لها بشجن:

-أحلى عروسة شافتها عينيا.

تبسمت لها لمار بدورها ونهضت سريعا من جلستها، فتلقفتها الأخرى بين ضلوعها.. وحين

هطلت دموع الوالدة أطلقت تالا زغرودة تشبه جرس الأنذار محذرة إياها بالتمادي أكثر.. والمحصلة: ستفسد زينة العروس بعد كل ذلك العناء.

وتقدمت روان تخلعهما عن أحضان بعضهما عنوه؛ فهي على يقين إن طالت الضمة ستهطل أمطارا لا دموع.. ثم هتفت بمرح حتى تلطف الاجواء وتقتل أي حزن قد يطفو:

-يلا العريس مستعجل.

وأكدت تالا بحماس:

-بيدو كلمني دلوقتي وقال إستعدو.

أنهت جملتها وقد سحبت العروس عنوة نحو المرآة من جديد.. بينما تولت روان أمر خالتها وسحبتها هي الأخرى لمرآة جانبية حتى يتممن زينتهن.. فاليوم للفرح والسعادة وفقط لا وقت لماضي مشبع بالآلآم والوجع .

وكانت لارا جليست ركن قصي بالحجرة تراقبهم بشيء من السخرية فهي برأيها كل مايحدث مزيج من السخرية والحماقة، بداية من عرض الزواج الذي عاد وقدمه البطل الهمام حتى قبول أختها عقب رفضها المسبق.. وكانت تعلم أن شقيقتها لن تبقى على رفضها طويلا كانت ستنحني له ما إن يقترب أكثر.. وها قد فعلت .

* * * * *

طِليِّ بالابيض طليِّ

يا زهره نيسان

طِليِّ يا حلوي وهليِّ

بهالوج الريَّان

شعيِّ متل هالطرحه

يا اغلى البنات

بصلِّي تعيشوا بهالفرحة

لباقي الحياه

وربِّي من السما يباركِكن

كيف ما توجهتو يرافقكن

بايام الصعبي ينصركن

عَ كل الاحزان

قلِّك نعم من قلبو

وفرَّح كل الناس

ردّيهاعَ قلبو وحبو

شعلاني احساس

منقلِّك مع السلامه

روحي تحميكي الكرامه

وتبقى محابسكُن علامي

للحب والحنان

طِليِّ بالابيض طليِّ

يا زهره نيسان

طِليِّ يا حلوي وهليِّ

بهالوج الريَّان

وطلت بالأبيض.. متألقة.. خاطفة.. بثوبها المنتفخ حولها بطبقات التل الكثيفة؛ محاط أطرافها بالدانيل.. أميرته وجنيته الساحرة ذراعها معقود بذراع العم مراد، فهي من طلبت منه شخصيا

أن يسلمها لعريسها.. يهبطان سويا على الأنغام الهادئة..

وفي الأسفل كان ينتظرها بترقب مشتاق.. وبسمة صافية إجتاحت ثغره تبسمت لها من البعيد.. وأخيرا تسلمها بعد توصية شديدة من أباها الروحي.. رفع الترحه وقبل الجبين، وخطوات أخرى نحو مائدة عقد القرآن .

إستشرت قشعريرة بسائر جسدها حين بدأ يتناوبان في لفظ الكلمات المشهوره.. هل من الخطأ أن تتمنى في تلك اللحظة ورغم كل ما حدث أن يكون أبيها هو من يؤدي ذلك الدور الذي يخصه وتلبسه الخال اليوم حتى يغطي على غيابه المؤلم.. ضغط فوق كفها بكفه الحر

ولم يتركها بل تخلل أصابعها بتملك ومؤازره..

يخبرها ببساطة "أنا هنا ".

تعالت الزغاريد مع خطف المنديل المزخرف

وخطفها هو بين الحشود ليبدأ رقصته الأولى

معها وبها.. أحاط خصرها بكفيه القويين وبدأ

يتمايل معها ببطء، يطالعها بعينيه ويأسرها

بهما، هامسا أمام شفتيها بأكثر من شاعريه:

هو النكد على العريس ولا العروسة!-

تصلبت بين يديه وحملقت فيه لثوان قبل أن

يقربها لصدره أكثر مقهقها بعلو ضاما إياها

بقوة.. حقا لا يعلم ما به فهو يعاني من هذيان

خاص طيلة اليوم.. تنهد في إستسلام هامسا لها

وحدها بشغف:

-بحبك..

تخضبت وجنتيها بخجل قبل أن ترتفع على أطراف قدميها قليلًا حتى تحكم وثاق ساعديها حول عنقه؛ أغمضت عينيها ثم مالت وهمست فوق أذنه بما ظل أيام وشهور بل أضحت سنوات يحلم به:

-بحبك..

ولم يكن ليسمح لها بإبتعاد بعد فعلتها وإعترافها.. حملها ودار بها.. يحلق بصحبتها فوق الغيوم فبات لا يسمع ولا يرى غيرها.. تكفيه هي بعينيها وبسمتها حتى تلون حياته بالبهجة والسعادة، ينتعش قلبه ويمضي بين دروب العشاق يتغنى فيطرب .

....

وبعيدًا عن دروب العشاق كانت تجلس جانبًا

بصحبة عمتها و التي جاءت تحت دعوة خاصة

من شقيق العريس.. تتململ فرحة في جلستها

حتى لمحته يتحرك بين الحشود فرفعت كفها على

الفور تدعوه حتى يقترب منهما، ولبى لها دعوتها

على الفور، محيطا كتفيها بذراعه مقتربا منها

برأسه حتى يستمع لما تريد بوضوح.. وسرعان

ماهتفت:

- خالو.. عمتو نبيله

قطب جبيته في عدم فهم لثوان وأخرى كان قد

إستوعب كلماتها، فهمهم بتحية للمرأة وسؤال

عن الأحوال عقبه إنسحاب سريع وهو يلبي إشارة آخر..

دمدمت بكلمات حانقه لنفسها، فكلما ظنت أنها نالت على فرصة ليبقيا سويا وقت أطول يأتي ما يخربها وتعود هي وخططها لنقطة الصفر..

وهسيس ساخر كان مراقبا لها منذ البداية قطع عنها تدمدمها:

- برضوه مافيش فايدة.. إهدى بقى.

حدجته بنظرات مشتعلة ولم تتحدث، فسحبها عنوه وبضع خطوات أخرى كان يشارك العروسان في رقصتهم.. فهمس لها من جديد بجديه:

- خلاص بقى يا فرحة أنا ماعرفش إنت شاغله بالك ليه بالحكاية دي..

وبملامح ضائقه همست:

- عندك حق أنا مالي أصلا وتاعبه نفسي ليه..

اومأ برأسه وهو يتمايل بها علها تنسى خططها الفذه وتتريح حالها بالفعل.. لكن على مايبدو ليس بتلك السهولة:

- بس أنا مفروسة.. هو عمك ده إيه!

- دلوقتي بقى عمك! ماكان خالو من دقايق بس.

تركت رأسها فوق صدره فضمها إليه أكثر وهمس من جديد ساحبا إياها عنوه لدوامته الخاصة:

- مش أحسن لو تركزي مع الغلبان جوزك ده حتى عنده فرآغ عاطفي اليومين دول وقابل للإنحراف في أي لحظة.

إبتعدت عنه بغته تكرر كلمته بإمتعاض:

- إنحراف!

- في الحلال يا حياتي.. يعني ننحرف سوا يا جميل.

- طيب يا بتاع الحلال إنت.. مش هنبارك للعرسان بعد كتب الكتاب؟

- لا إسلام ماصدق ينحرف حرام سيبيه ياخد فرصته.. ده الواد كان باقي له تكه ويفرفر مننا.

ضحكت بخفوت وهي تحرك رأسها في قلة حيله:



- وتقولي حلال!

وقطع رقصتهم و ضحكاتهم الصغيرة غزل وهي تجذبه من كم بذلته، ترفع ذراعيها بدلال تريد مراقصته كأمها، حملها بين ذراعه وأحاط زوجته بالآخر.. فزمجرت الصغيرة وركلته بأقدامها.. فتنهد راضخا لأوامرها وأخذ يحرك جسده رويدا، فتتمايل الشقية بين ذراعيه محيطة عنقه بتملك بينما تعلو ضحكاتها بسعادة طفوليه.. وفرحة تكتم ضحكتها بكفها لمنظره الحانق..

- مبسوطة قوي؟

- جدًا.

فتبسم بدوره وعاد يضمها لقلبه من جديد رغمًا عن أنف الصغيرة المزعجة.

* * * * * *

أسفل إحدى البنايات الحديثة كان يلج هو وعروسه بعد ما إنتهى الزفاف السعيد.. نقض الإتفاق الذي أبرمه مع نفسه منذ زمن وأختار عش الزوجية بعيد عن منزل العائلة.. هكذا أفضل؛ سيتمتع هو بإستقلاليته الخاصة ويتمكن باسل وزوجته من المكوث هناك بأريحيه.. نعم كان ذلك سبب إختياره للإبتعاد، وربما الأمر يعود لسبب آخر بعيد نحو آفاق روحه الدفينه؛ فهكذا سيقطع أي مداهمة قد تقوم بين عقله وقلبه بغته، يجب أن يقتلع أي

بذرة شك قد يرويها شيطانه.. عليه أن يخمد بركانه قسرا ولا يسمح له بثورة قد تطيح به في لحظة وتهدم سعادته الوليده.. هو ليس بقديس أو ذو أجنحة ترفرف بملائكية.. هو صاحب قلب عليل وشفاؤه عشقها، إما يبتعد فيذوي ويخفت فتذبل الحياة.. او يروي ذلك العشق حتى يثمر ويزدهر مدى الحياة.

ببساطة حياته أصبحت مرهونة قيد الرضوخ لأحكام القلب ورفع الرايات لسلطانه.

وعروسه الرقيقة تلك ليست مجرد حلم رآها وأمنية تمناها كما فطن منذ أول وهله.. بل هي قدره هو، ألقتها موجات الأيام الغادره فوق مرفأه حتى يعيد بنيان وترميم روحها المعطوبة

على يدي أخيه، وإن كان لم يملك خيار تبقى هي ضحيته.. فأختاره القدر بعناية؛ فلا يوجد غيره يسدد الدين ويعود بالأمور لمسارها الصحيح..ثم ألقى بتيمة عشقها داخل نابضه فأصبح أمر إقتلاعها منه محال.

أنزلها على قدميها برفق طابعا قبلة حانية فوق جبينها هامسا بسعادة حقيقية:

- نورتِ بيتك.

- ميرسي.

همست بها خافته خجله وهي تدور برأسها يمينا ويسارا، تطالع مملكتها الصغيرة والتي توجت الليلة مليكة عليها.. همست بعد برهه:



- ذوقك حلو..

إلتهم الخطوتين التي إبتعدتهم قصدا.. رفع الكفين قبل وهمس بشغف:

-مش إختارتك يبقى أكيد حلو.

تخضبت وجنتيها بحمرة مغريه؛ والثوان التالية كان يسحبها خلفه من جديد نحو وجهتهم الجديدة.. وما إن دلفت لحجرة النوم حتى شهقت بخفوت وهي ترمقه بتعجب:

- لحقت تعمل كل ده إمتى؟!

-البركه في ساندي وفرحة هما اللي عملوا الحقيقة.

تبسمت له برقه وعادت تطالع الورود والشموع العطرية المنثورة في كافة جوانب الغرفة؛ أعلى الفراش والأرضية و...

ولم يطل تبسمها فقد غادرها سريعا وهي تلمحه يغلق باب الحجرة.. ولا تعلم متى تخلص من سترته وتبعها بربطة العنق ودور القميص قد حآن.. هتفت فيه بنبره سريعة؛ قوية وقد صبغت بالخجل والتوتر معا:

- إستنى!!

وتلك النظرة الغريبة عنه والمرسومة بدقة عالية داخل عينيه ونقشت على ملامحه بوضوح جعلتها تتقهقر للخلف بقلق وتهمس بخفوت:

- آ.. آ..آ .. إنت ناوي على إيه ؟!

تبسم لها بعبث قبل أن يجذبها من رسخها يمنع عنها تقهقرها.. وبين ضلوعه همس لها بشغف أكبر؛ متمهل:

- أنا ناوي تباتي في حضني سنين.

وباتت الجنيه أسيرته؛ تعلم أن قلب هذا الرجل وشم بإسمها منذ زمن، وأنى لها هي الضعيفه بقدرة على مهرب من بين براثنه.

يجتاحها بعاطفته الدافئة فتود لو تمتزج روحها بروحه أكثر، تشتهي أن تغوص وتغرق حد اللآنهاية داخل دوامة عشقه.. فتتيه؛ وتذيل هي بيدها صك ضياعها بداخلها فلا تود طوق نجاة

ولا مرفأ أمان.. تريد عشقه؛ شغفه وجنونه المتلاطم لأجلها.. فكلما بثها عشقه زاد ظمأها له، وكلما ظنت أنها إرتوت تعود تظمأ أكثر من ذي قبل وعلى مايبدوأنها لن ترتوي ماحييت.. وربما هي أدمنته وجميع مافي جسدها من خلايا تناشده و تطلب وصاله.. فالقلب بات عليل والدواء ملك الطبيب وحده.

والطبيب غارق بين دهاليز الشغف والهيام.. حيث الهائمين بين أحضان الهوى، يرتوي من كؤوس الحب ويهذي مع وردية الأحلام.. توقف معه الزمان وكلما ذابت حروف الشوق غزلها بخيوط الغرام.

البداية كانت لأجل القلب..

والغرق في الدوامة كان بأمر الحب..

وعن النهاية فقد ذيلها العشق داخل دواوينه.



الخاتمة

بين أروقة العشق.. هناك حيث حجرات القلب وثنايا الروح تسكن الخلايا ذبذبات عشق تتأرجح بين طيات الغرام.. وهناك في ركن قصي تركن الأحلام الممنوعة.. لكن مع الغد ربما تصبح أمنيات مرحبا بها وتنجب لقاء حتى وإن كان المخاض عسير..

واللقاء هنا مختلف.. حتمًا مختلف

حديقة غناء تكسو أرضها عشبية رطبة محببة للعين وملمس الجسد.. تفترشها ثلاث أبسطة يبعد كلا عن الآخر قرابة المتر ونصف المتر..

جليساتها ثلاث نساء بثلاث بطون منتفخه بأحجام متفاوتة..

أولى.. بثوب أحمر باهت، يضيق عند الصدر وينزل بإتساع يريح ذات الخمس أشهر في حملها.. خصلاتها الحالكة تهدل من عقالها بتمرد فوق جبهتها و صفحة وجهها، صانعة لصاحبتها لوحة مبعثرة بتمرد محبب.. بينما أصابعها تتشاغل بتنميق طبق من ورق العنب المحشي بأصابع خبيرة..

وثانية.. ذات الثوب الفيروزي الهادئ وحتما يناسب بطنها المنتفخ ذا السبع أشهر.. تتململ في ضيق وخصلاتها الشقراء تتمايل في تموجات جذابة بإغواء، تعدل بدورها أصابع الكفتة ذات

رائحة الشواء الفواحه وتعيد تفكيرها للمرة العاشرة فربما قد تناست شيئا ما أثناء الإعداد..

وعن الثالثة.. زين قدها بلون البنفسج المبهج، تميل للوراء قليلا مرتكزه بكفيها على الأرض الرطبه، موفره أكبر قدر ممكن من المساحة لبطنها ذات التسع أشهر.. تتبسم لتلك النسائم التي تلفحها برقه تشبهها وتزيح خصلاتها المنسابه حول وجهها بنعومة تشبه الشيكولا المذابه.. بينما على بعد سنتيمترات قليلة منها تفوح رائحة الشطائر الشهية ذات الأطعمة المختلفه..

تنحنحت الأولى تنبأ عن إنتهائها فتنبهت الثانية والثالثة.. ونظرة تحدي برقت في عيني ثلاثتهم لتستل كلن منهن جهازها اللوحي وتبعث برسالة

خاصة كن قد إتفقن على فحواها المتشابه من قبل..

" حبيبي مستنياك في(......) ماتتاخرش عليا محتاجه لك "

وأغلقن الهواتف عقب التأكد من تمام الوصول والعاقبة في الإنتظار..

أو في ربح إحداهن بوصول زوجها أولًا.

....

تقدم في المساحات الخضراء الشاسعة بترقب يتابع بعينيه ويقلق بقلبه؛ عقب ما إستلم تلك الرسالة العجيبه.. أيعقل أنها تلد هنا!

وسرعان ما إرتفع حاجبيه في ذهول وهو يرى ثلاثتهم تحتل كلن منهن مجلسها.. إقترب بخطواته أكثر مع ذهول يزداد من أفكارهن الجامحه كل حين وآخر.. دنا من زوجته يطالعها بعلو ويهتف بتهكم:

-يعني أنا اتخض الخضه دي كلها وفي الآخر حضرتك بتضحكي!

نعم تضحك وربما سترقص ظفرًا بعد قليل، فهي الرابحة بلا منازع.. جذبت كفه برفق حتى جالسها فداعبت وجنته بسعادة بالغة كأنها تلاعب صغيرها وهي تردد بلا توقف من بين ضحكاتها:

-بحبك.. بحبك.. بحبك.

ضحك في مرح وهو يجذبها لصدره حتى صارت تتكأ عليه بظهرها.. يتناول شطائره بنهم ويطعمها بيديه.. ويهمس بين القضمة والأخرى بكلمات وحدها من تسمعها، تلتمع فيها مقلتيه لثوان ويصمت لأخرى قبل أن يضمها عنوه بين ذراعيه..

فذلك هو حين يعشق.

بينما هاتان الجالستان يراقبان بحنق وتمتمة شفاه ساخطة قطعها زوبعة وصول زوج الثانية وهو يزعق فيها:

- بذمتك مش مكسوفه!

وصمتت برأس منكس تبعها زفره قوية خرجت منه عقب ما جاورها بعد ما شاهد صديقه هائما في ملكوته..

"مسكين إسلام بعده في عامه الأول!"

قالها بدرلنفسه ساخطا قبل أن يسحب حافظة الطعام من جانبها مغمغما ببعض من الخشونه:

-هنا في أكل؟

رفعت رأسها من فورها تطالعه وقد لمحت طيف إبتسامة إنبثق من بين شفتيه، وذلك يعني أن مزاجه لم يصل لدرجة التعكروهذا جيد.. جيد جدا في الحقيقة.. وسرعان ما إفترق ثغرها ببسمة ساحرة وهي تهزرأسها بإيجاب قابله

بغمزة ماكرة تعرف مقصدها جيدا.. فلم يكن هناك داعي لكل ما تكبدت له من عناء فغلالة شفافه كانت ستفي بالغرض.. تنهدت في إستسلام وقلة حيلة وهي تراقبه ..

فذلك هو حين يحب.

والأخيرة أوشكت أن تتعفن في جلستها أو تموت قهرا وكمدا من برودة أعصابه.. فحضرته قادما يتبختر بعد مضي ساعة كاملة من قدوم الأخرآن..

يقترب بملامح هادئة لا تشيء بشئ.. ثم ألقى بجسده على مقربة منها في وضع شبه مستلقي، بعد ما رمى بصره لبرهه على أخيه وإبن زهران ذو الملامح المتغضنة..

عاد لها برأسه.. يرمقها بتمهل صاحب كفه المرفوعه لفمه يكبح عنه تثائبه مغمغمًا:

- في إيه؟ جرالكم إيه.. إتجننتوا خلاص!

زفرت منه وهي تشيح بوجهها بعيدا عنه.. فقترب بغتته يتوسط وركيها برأسه، مغمضا عينيه في سكينة، ولم تملك سوى أن تصيبه بقبضة مكوره بحنق فوق كتفه.. قطعها بقبلة قوية داخل باطنه جعلتها تزفر تلك المرة وهي تمسد ذقنه الناميه قليلا بآناملها.. فتبسم.. وتبسمت، وحين شاكس بسفور عنفته بعينيها منبه إياه بموقعهما.. فتعلو ضحكاته بصخب وتتغضن عيناه من كلا الجانبين فتشاركه ضحكاته بعد ما تنتهي من مراقبة ذلك في كل مرة..



فذلك هو حين يأسر القلوب.

ولأنَّ خارطةَ العشقِ مزيجٌ مِنْ إنخفاضاتٍ وإرتفاعاتٍ..

هي مَن يُغرِقُنَا فِي دواماتِهِ..

يَجعلنا جزءًا لا يَتجزأ مِن مُكوناتِ أشجانِهِ..

نَشعرُ بالعشقِ

فيأخُذُنَا إلى أرضٍ خصبةٍ مِن الإحساسِ..

وهو العشقُ مجنونٌ.. ساحرٌ.. يخطفُ الأبصارَ..

في صراعِ القلوبِ عنيدٌ

بدايتُه نظرةٌ تُذيبُ العبراتَ

تبعثُ للحلمِ بعطرٍ فريدٍ

ليس للحبِ بدايةٌ.. وليس له نهايةٌ

وقد غَرِقنا في دوامةِ العشقِ

وفقط.. انتهتْ الحكاية.

تمت بحمد الله

30/8/2016



شكر خاص

جزيل الشكر والامتنان لـ

إيناس عادل / زينة حافظ

على جهدهما المبذول..

امتنان من القلب لرفيقة الدرب "إيمان خليفة"

وأخيرًا..

كل الشكر والتقدير لقارئات هذا العمل ولمشاركتهن الدائمة والداعمة.. لكنَّ مني جزيل الشكر والعرفان.

بثينة عثمان



جروب حلم-هن

"لنا مع الحرف حلم"

https://www.facebook.com/groups/7elmhon/?ref=bookmarks